مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعاً في قائمة نيويورك تايمز

المنجل

Scythe

نيل شسترمان

ترجمة: محمد عبد العاطي

عصير الكتب

t.me/twinkling4

المنجل
Scythe

عصير الكتب

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: Scythe
- العنوان العربي: المنجل
- حُقوق النشر:
copyright © 2016 by Neal Shusterman
- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: محمد عبد العاطي
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 13039/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-273-7

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب»
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

المنجل

Scythe

نيل شوسترمان

ترجمة: محمد عبد العاطي

عصير الكتب

الجزء الأول

العباءة والخاتم

جميع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

يُلزِمنا القانون بكتابة سِجِل يضُم البريئين الذين نقتُلهم.

جميعهم بريئون، حسبما أرى، حتَّى المذنبون منهم. كل شخص ارتكب جُرمًا ما، وكل شخص ما زال يُضمِر بدواخله ذكرى براءة طفوليَّة، مهما تراكم عليها من حوادث الدَّهر. البشرية بريئة، والبشرية مُذنِبة، كلا الحُكمين صحيحٌ صِحَّة لا يمكن إنكارها.

يُلزِمنا القانونُ بكتابة سِجِل.

يبدأ في أوَّل أيام التَّتلمذ. لكن مهمَّتنا لا نطلِق عليها رسميًّا اسم «القتل»، فهذه التَّسمية ليست لائقة اجتماعيًّا أو أخلاقيًّا، إنما نسمِّيها «القَطْف»، كما كان يفعل المزارعون في الأزمان الغابرة. المنجل يؤدِّي العمل نفسه. كل طفل يُخبَر حالما يقدر على الفهم بأنَّ المناجِل يقدِّمون خدمة مهمَّة للمجتمع. مهمَّتنا أقدس ما يعرفه العالم الحديث.

وربما لهذا السَّبب يلزِمنا القانون بإعداد سجل، ومذكِّرات متاحة للعامة، توضِّح -للذين لن يموتوا أبدًا والذين لم يولَدوا بعد- السَّبب الذي يدفعنا نحن البشر لفعل ما نفعله. أُمِرنا بكتابة أفعالنا ومشاعرنا أيضًا، حتى يُعرَف أننا لدينا مشاعر، لأننا إذا لم تخالجنا مشاعر بشأن ما نفعله، فلسنا سوى وحوش.

- من مُذكِّرات قطف م. م. كوري

1

لم تعتم الشمس

جاء المنجل في وقت متأخر من عصر يوم بارد في نوفمبر. كانت سيترا عند طاولة صالة الطعام، تكدح في سبيل حل مُعضلة جَبْر، تُبدِّل المتغيِّرات، غير قادرة على تحديد قيمة س أو ص. وعندئذ دخل هذا المُتغيِّر المُهلِك معادلة حياتها.

كثيرًا ما يتردد الضيوف على شقة آل تيرانوفا، لذا عندما رن جرس الباب لم يتوجَّس أحد، لم تُعتم الشمس، ولم يستشعر أحد نذير وصول الموت إلى الباب، ربما يجدر بالكون أن يتكرَّم بالتحذير من أشياء كهذه، بيد أن المناجل ليسوا خارقين للطبيعة، ولا يختلفون كثيرًا عن جُباة الضرائب من المنظور الأوسع، يظهرون، ويؤدون عملهم البغيض، وينصرفون.

فتحت الأم الباب، ولم ترَ سيترا الزائر، الذي كان محجوبًا عن رؤيتها خلف الباب عندما فُتح، إنما رأت والدتها واقفة في مكانها دون حراك، كأنما تجمدت عروقها، وبدت أنها إذا دُفعت فستسقط على الأرضية متشظيةً.

«أيمكنني الدخول يا سيدة تيرانوفا؟».

نبرة صوت الزائر كشفت هويته، صوت رنَّان قاهر، كرنين جرس حديدي سميك واثق من قدرة جلجلته على بلوغ جميع المسامع التي ينبغي بلوغها، فعرفت سيترا أنه منجل قبل أن تراه. *يا إلهي! جاء منجل إلى بيتنا!*

«نعم، نعم بالطبع، ادخل». انتحت والدة سيترا جانبًا لتسمح له بالدخول، كأنها الزائرة وليست صاحبة البيت.

اجتاز المنجل العتبة، وحذاؤه اللين الشبيه بالخُف لا يصدر صوتًا على الأرضية الخشبية. كانت عباءته متعددة الطبقات من كتان ناعم عاجي اللون، لا تشوبها أي ذرة تراب رغم أنها طويلة بحيث تكنس الأرضية. وكانت سيترا تعرف أن أي منجل يمكنه اختيار لون عباءته، أي لون عدا الأسود، الذي يُعد غير لائق بمهنتهم، فالأسود يعني غياب الضوء، والمناجل يمثِّلون العكس، مستنيرون ومتألقون، ومعترَف بهم بوصفهم أفضل أفراد الإنسانية، ولهذا وقع الاختيار عليهم.

بعض عباءات المناجل ذات ألوان مشرقة، وبعضها معتمة، تبدو كعباءات الملائكة في اللوحات التي تعود إلى عصر النهضة، متموِّجة وغنية بالألوان، وتبدو ثقيلة لكنها أخف من الهواء. وهذا الطابع المميز لعباءات المناجل، بصرف النظر عن نوعية أقمشتها وألوانها، سهَّل التعرف على المناجل في الأماكن العامة، مما سهَّل تجنُّبهم، إذا كان التجنُّب هو ما يريده المرء، كما كان كثيرون ينجذبون إليهم.

عادة ما يفصِح لون العباءة عن الكثير من شخصية أي منجل، وعباءة هذا المنجل العاجية جميلة، لونها بعيد بما يكفي عن الأبيض الناصع الذي يزعج الأعين بسطوعه. لكن أيًّا من هذا لم يغيِّر حقيقة أنه منجل.

نزع قلنسوته فكشف عن شعر أبيض مقصوص بعناية ووجه حزين ذي خدين محمرين من برد اليوم وعينين داكنتين تبدوان كأنهما سلاحان. نهضت سيترا، ليس بدافع الاحترام، إنما الخوف والصدمة، حاولت كبح أنفاسها المتسارعة، وحاولت منع ركبتيها من أن تخورا تحتها، إذ كانتا تخذلانها بالارتعاش، فجاهدت من أجل السيطرة على ساقيها، وشدت عضلاتها. لم ترغب في أن يراها المنجل تنهار، مهما يكن الغرض من مجيئه.

قال لوالدة سيترا: «يمكنكِ إغلاق الباب». ففعلتْ، ورأت سيترا مدى صعوبة الأمر على والدتها، فالمنجل الواقف عند الردهة يُمكن أن يستدير ويغادر ما دام الباب مفتوحًا، لكن حالما يُغلَق الباب، فما من ذرة شك في أنه صار بداخل المنزل حقًا.

نظر المنجل فيما حوله، ووقع بصره على سيترا على الفور، فابتسم لها قائلًا: «مرحبًا يا سيترا». وحقيقة أنه يعرف اسمها جمَّدتها تمامًا كما جمَّد ظهوره والدتها.

سارعت والدتها بتوبيخها: «لا تكوني فظة، رحِّبي بضيفنا».

فقالت سيترا: «طاب يومك يا جنابك».

«مرحبًا». قالها شقيقها الأصغر، بِن، الذي خرج للتو من غرفته بعدما سمع صوت المنجل الرنان العميق. استطاع بن بالكاد لفظ التحية ذات الكلمة الواحدة، ثم نظر إلى سيترا ووالدتهما، مفكرًا في الأمر نفسه الذي يفكرون فيه جميعًا. *مِن أجل مَن جاء المنجل؟ من أجلي أنا؟ أم سأُترك وأعاني الفقد؟*

قال المنجل: «شممت رائحة شهية من الرواق، والآن أرى أنني كنت على صواب في اعتقادي أنها قادمة من هذه الشقة».

- إنها مجرد معكرونة زِتي يا جنابك، ليست وجبة مميزة.

حتى هذه اللحظة لم تعرف سيترا عن والدتها أنها هيُّوبة هكذا.

قال المنجل: «لا بأس، لأنني لا أطلب شيئًا مميزًا». ثم قعد على الأريكة وانتظر العشاء بصبر.

هل من الصعب تصديق أن الرجل جاء من أجل وجبة ولا شيء آخر؟ مهما يكن، على المناجل أن يأكلوا في مكانٍ ما، وقد جرت العادة على ألَّا تتقاضى المطاعم منهم نقودًا مقابل الطعام، لكن هذا لا يعني أن الوجبة المنزلية ليست مرغوبة أكثر. تروج إشاعات عن مناجل طلبوا من ضحاياهم إعداد وجبة لهم قبل القطف، فهل هذا هو ما يحدث هنا؟

أيًّا كانت نيَّات المنجل، فقد احتفظ بها لنفسه، ولم يجدوا خيارًا سوى منحه ما يريد. تساءلت سيترا، هل سيُبقي على حياة أحدهم هنا اليوم إذا أعجبه الطعام؟ لا عجب أن الناس يقصمون ظهورهم في سبيل إرضاء المناجل بأي طريقة ممكنة، فالأمل في ظل الخوف هو أقوى محفِّز في العالم.

جلبت والدة سيترا مشروبًا له إثر طلبه، ثم راحت تجتهد لتحرص على أن يكون عشاء الليلة أفضل عشاء تقدمه في حياتها. الطبخ ليس من ضمن مهاراتها العالية، فعادة ما تعود من العمل في وقت يتيح لها إعداد شيء لأسرتها على عجالة. والليلة ربما تتوقف حيواتهم على مهاراتها في الطبخ

المشكوك فيها. وماذا عن الأب؟ هل سيعود إلى البيت في الوقت المناسب؟ أم سيُقطَف أحد أفراد أسرته في غيابه؟

رغم الخوف الشديد الذي تملَّك سيترا، لم ترغب في ترك المنجل وحده مع أفكاره، فذهبت إلى صالة المعيشة معه، وجلس بن بجانبها، مبهورًا بقدر ما هو مرعوب.

عرَّف الرجل بنفسه أخيرًا، المِنجل المُبجَّل فاراداي.

قال بن بصوت متهدج في البداية: «أنا... آ... أعددت تقريرًا عن فاراداي للمدرسة ذات يوم. لقد سميتَ نفسك على اسم عالم رائع».

ابتسم المنجل فاراداي: «يحلو لي الظن أنني اخترت اسم قدوتي التاريخية المناسب. لم يكن فاراداي، مثل الكثير من العلماء، يجد التقدير في أثناء حياته، ورغم هذا من دونه ما كان العالم ليصبح على ما هو عليه».

تابع بن: «أظنك موجودًا ضمن بطاقات المناجل التي لدي، أمتلك بطاقات جميع مناجل وسطمريكا تقريبًا، لكنك تبدو أصغر سنًّا في الصورة».

بدا على الرجل أنه يناهز الستين من عمره، ورغم أن شعره شائب، فسكسوكته ما تزال تتخللها شعيرات سوداء. من النادر أن يترك المرء نفسه يصل إلى هذه السن قبل أن يعيد تجديد خلايا جسده حتى يبدو نسخة شابة من نفسه. وتساءلت سيترا عن سنِّه الحقيقية، منذ متى وهو مكلَّف بإنهاء حياة الناس؟

سألت سيترا: «هل مظهرك يدل على سنك الحقيقية؟ أم إنك تبدو في نهاية حياتك باختيارك؟».

«سيترا! أي سؤال هذا؟!». كادت أمها أن تسقِط الطاجن الذي أخرجته من الفرن للتو.

قال المنجل: «أحب الأسئلة المباشرة، إنها تدل على صفاء الروح، لذا سأجيب إجابة صريحة. أُقر بأنني استعدت شبابي أربع مرات، وسنِّي الحقيقية تناهز مئة وثمانين عامًا، نسيت الرقم على وجه التحديد. في الآونة الأخيرة اخترت هذا المظهر الوقور لأنني رأيت أن الذين أقطفهم يجدون فيه عزاءً». ثم ضحك وأردف: «يظنونني حكيمًا».

اندفع بن قائلًا: «ألهذا أنت هنا؟ لتقطف واحدًا منا؟».

ابتسم المنجل فاراداي ابتسامة غامضة: «أنا هنا من أجل العشاء».

وصل والد سيترا قُبيل تقديم العشاء، وبدا أن والدتها قد أخبرته بالوضع، لذا كان أفضل استعدادًا عاطفيًّا من البقية، وحالما دخل البيت توجه مباشرة إلى المنجل فارادای ليصافحه، وتظاهر بأنه مبتهج ومُرحِّب أكثر مما هو عليه في الحقيقة.

ساد الحرج في وقت الوجبة، صمت طويل تتخلله تعليقات من المنجل بين الفينة والأخرى. «بيتكم جميل... يا لها من ليمونادة طيبة المذاق!... لا بد أن هذه أفضل زِتي مخبوزة في كل وسطمريكا!». ورغم أن كل ما قاله كان إطراءً، كان صوته يقع كصدمة زلزالية على العمود الفقري لكل واحد منهم.

وأخيرًا قال والد سيترا: «لم تسبق لي رؤيتك في الحي».

أجابه: «لا أظنك رأيتني فعلًا، لستُ شخصية عامة كما يريد المناجل الآخرون أن يكونوا. بعض المناجل يفضِّلون الأضواء، لكن أداء المهمة أداءً صحيحًا يتطلب درجة من إخفاء الهوية».

انزعجت سيترا من الفكرة: «أداءً صحيحًا؟ هل توجد طريقة صحيحة للقطف؟».

أجاب: «طيب، توجد طرائق خاطئة بلا شك». ثم لم يقل المزيد، واكتفى بأكل الزتي.

ومع اقتراب نهاية الوجبة قال: «حدِّثوني عن أنفسكم».

لم يكن سؤالًا أو طلبًا، فبالتالي لم يُفهم سوى أنه أمر. لم تكن سيترا متأكدة مما إذا كان الأمر جزءًا من رقصة موته أم أن المنجل مهتم اهتمامًا صادقًا. كان يعرف أسماءهم قبل دخوله الشقة، لذا على الأرجح يعرف كل شيء يمكن أن يخبروه به. فلِمَ السؤال إذن؟

قال والدها: «أعمل في مجال البحوث التاريخية».

وقالت والدتها: «أنا مهندسة تصنيع طعام».

رفع المنجل حاجبيه: «ورغم هذا طبختِ لنا هذه الوجبة من الصفر».

وضعتْ شوكتها قائلة: «كل شيء من مكونات مصنَّعة».

تساءل: «أجل، لكن لو بمقدورنا تصنيع كل شيء، فلماذا ما زلنا نحتاج إلى مهندسي تصنيع طعام؟».

رأت سيترا الدم يهجر وجه والدتها، وتصدَّى والدها للدفاع عن وجود زوجته: «يوجد مجال للتطوير دومًا».

قال بن: «أجل، وعمل أبي مهم أيضًا!».

«ماذا؟ البحوث التاريخية؟». لوَّح المنجل بشوكته بحركة استخفاف: «الماضي لا يتغير أبدًا، كما لا يتغير المستقبل، حسبما أرى».

فهمت سيترا مقصد المنجل في أثناء تشوش والديها وشقيقها وانزعاجهم من تعليقاته، إذ اكتمل تطور الحضارة البشرية، الجميع يعرف هذا، ولم يعد أمام الجنس البشري شيء جديد يتعلمه، ما من لغز متعلق بالوجود البشري، مما يعني أن ما من شخص أهم من الآخر، وفي الحقيقة، من المنظور الكلِّي للأشياء، صار الجميع متساوين في عدم فائدتهم. هذا ما كان يقوله المنجل، وقد أثار حنق سيترا، لأنها عرفت أنه على حق إلى درجةٍ ما.

كانت سيترا معروفة بحدة طبعها، التي غالبًا ما تسبق عقلانيتها، ولا تهدأ إلا بعد وقوع الضرر. والليلة لن تكون استثناءً: «لماذا تفعل هذا؟ إذا جئتَ لقطف أحدنا، فانتهِ من الأمر وكُف عن تعذيبنا!».

شهقت والدتها، ودفع والدها كرسيه للخلف كأنه يهم بالنهوض وإخراجها من الصالة بالقوة.

تهدج صوت والدتها: «سيترا! ما الذي تفعلينه؟! أظهري الاحترام!».

- كلَّا! إنه هنا، وسيفعلها، فليفعلها إذن. ليس الأمر وكأنه لم يقرر بعد، سمعتُ أن المناجل دائمًا ما يتخذون قراراتهم قبل أن يدخلوا أي بيت، أليس هذا صحيحًا؟

لم يعتكر مزاج المنجل من انفجارها، وقال بنبرة لطيفة: «بعضهم يقررون وآخرون لا يقررون. كلٌّ منا لديه طريقته الخاصة في تولي الأمور».

وعندئذٍ أجهش بن بالبكاء، فأحاطه والده بذراعه، لكن الصبي كان منهارًا.

تابع فاراداي: «أجل، على المناجل أن يقطفوا، لكن علينا أيضًا أن نأكل، وننام، ونتجاذب أطراف محادثات بسيطة».

أبعدت سيترا طبقه الفارغ من أمامه قائلة: «طيب، انتهت الوجبة، يمكنك المغادرة».

وعندئذٍ اقترب والدها منه، وخرَّ على ركبتيه. كان والدها جاثيًا فعلًا أمام هذا الرجل: «جنابك، أرجوك سامحها، سأتحمل المسؤولية الكاملة عن سلوكها».

نهض المنجل: «لا داعي للاعتذار، يروقني أن أواجه تحدِّيًا. ليست لديك فكرة عن الضجر الذي أحس به من كثرة التزلُّف والإطراءات المتذللة وأعداد المتملقين التي لا نهاية لها. أي لطمة على وجهي من حين لآخر تعيد لي رشدي، وتذكِّرني بأنني إنسان».

ثم ذهب إلى المطبخ وأخذ أكبر وأحدَّ سكِّين أمكنه العثور عليه، ولوَّح به في الهواء مستشعرًا وزنه.

ارتفع عويل بن، واشتدت قبضة ذراع والده حوله. اقترب المنجل من والدتهم، وتأهبت سيترا للارتماء أمامها لتعترض السكين، لكن الرجل، بدلًا من أن يهوي بالسكين، مد يده الأخرى قائلًا: «قبِّلي خاتمي».

لم يتوقع أحد هذا، لا سيما سيترا.

حدقت والدة سيترا إلى الرجل، وهزت رأسها عاجزة عن التصديق: «هل... هل تمنحني الحصانة؟».

- من أجل لُطفك والوجبة التي أعددتِها، أمنحكِ حصانة من القطف لمدة عام. لن يمسَّك أي منجل.

لكنها ترددت: «امنحها لأطفالي بدلًا مني».

ظل المنجل باسطًا خاتمه لها، خاتم ماسِّي بحجم مفصل إصبعه ذو مركز داكن، الخاتم نفسه الذي يضعه جميع المناجل: «إنني أمنحها لكِ أنت، ليس لهم».

- لكن...

أصرَّ الوالد: «قبِّليه فحسب يا جيني!».

فامتثلت، جثت على ركبتيها، وقبَّلت الخاتم، فقُرئ حمضها النووي ونُقِل إلى قاعدة بيانات الحصانة في **هيئة المناجل**. وعلى الفور عرف العالم أن جيني تيرانوفا صارت بمأمن من القطف خلال الأشهر الاثني عشر القادمة. نظر المنجل إلى خاتمه، الذي صار يتوهج بلون أحمر خافت، دلالةً على أن الشخص الذي أمامه يتمتع بحصانة من القطف، وابتسم ابتسامة واسعة، راضيًا.

وأخيرًا أخبرهم المنجل فاراداي بالحقيقة: «جئت لأقطف جارتكم، بريدجِت شادويل، لكنها لم تعد إلى البيت بعد، وكنتُ جائعًا».

داعب رأس بن بلطف، كأنه يمنحه بركةً ما، وبدا أن لمسته تهدِّئ الصبي. ثم تحرك المنجل نحو الباب، والسكين ما يزال في يده، فلم يدع مجالًا للشك في طريقة قطف جارتهم. لكن قبل مغادرته التفت إلى سيترا قائلًا: «لديكِ بصيرة تمكِّنك من رؤية العالم على حقيقته يا سيترا تيرانوفا، قد تصبحين منجلًا بارعًا».

أجفلت سيترا: «لن أرغب أبدًا في أن أكون منجلًا».

فقال: «وعدم الرغبة هو أول المتطلبات».

ثم غادر ليقتل جارتهم.

لم يتكلموا عن الأمر في تلك الليلة، لم يأتِ أحد على ذِكر القطف، كما لو أن الكلام عنه قد يجرُّه إليهم. لم يسمعوا أي صوت من الشقة المجاورة، لا صرخات، ولا عويل استرحام، أو ربما كان صوت التلفاز عاليًا جدًّا فلم يسمعوا شيئًا، فهذا هو أول ما فعله والد سيترا حالما غادر المنجل، رفع صوت التلفاز حتى يطغى على أصوات القطف الذي يجري على الجانب الآخر من الجدار. لكن هذا لم يكن ضروريًّا، فكيفما أنجز المنجل مهمته، فقد أنجزها بهدوء. ووجدت سيترا نفسها تصيخ السمع محاولةً التقاط أي صوت، أي شيء، واكتشفت أنها وبن لديهما فضول سوداوي، فأحسَّا بالخزي في قرارة نفسيهما.

وبعد ساعة عاد المنجل المبجل فاراداي، فتحت سيترا الباب، ولم تر على عباءته العاجية أي قطرة دم، ربما لديه عباءة احتياطية، وربما استعمل غسالة الجارة بعدما قطفها، وكان السكين نظيفًا أيضًا، وناوله لسيترا.

فقالت سيترا له، واثقةً من أنها تتكلم بالنيابة عن والديها في هذا الشأن: «لا نريدها، لن نستخدمها مرة أخرى أبدًا».

أصرَّ: «لكن يجب أن تستخدموها، فربما تُذكِّرك».

- تذكِّرني بماذا؟

- بأن أي منجل ليس سوى أداة موت، لكن يدكِ *أنت* هي التي تحركني. أنت ووالداك، وجميع من في هذا العالم حمَلَة مناجل.

ثم وضع السكين بلطف في يدها، وأردف: «جميعنا شركاء في الجريمة، فيجب أن نتشارك المسؤولية».

ربما كان كلامه صحيحًا، لكن بعد ذهابه ألقت سيترا السكين في سلة النفايات.

القطف أصعب فعل يمكن أن يُطلب من المرء، ومعرفه أنَّه من أجل المصلحة العامَّة لا تجعله أسهل على الإطلاق. كان الناس يموتون موتًا طبيعيًّا، وكان التقدُّم في السِّن عطبًا لا يُرجى علاجه، وليس حالة مؤقَّتة. كان يوجد قَتَلة متخفُّون يُسمُّون بـ «الأمراض»، التي تتسبَّب في تهالك الأجساد. لم يكن بالإمكان عكس التقدُّم في السِّن، وكانت تقع حوادث لا ينجو منها أحد، مثل سقوط الطَّائرات من السماء، وتصادم السيارات. وقد تفشَّى الألم، والبؤس، واليأس. يصعب على معظمنا تخيُّل عالمٍ بهذه الدَّرجة من عدم الأمان، تتربَّص فيه المخاطر في كل ركن خفي مجهول. كل هذا تجاوزناه الآن، ورغم هذا بقيت حقيقة بسيطة، وهي أنَّ الناس يجب أن يموتوا.

لا يمكننا الذَّهاب إلى أي مكان آخر، وقد ثبت هذا بالحوادث التي وقعت في مستعمرات القمر والمرِّيخ. لدينا عالم واحد محدود، ورغم أنَّ الموت قد استؤصل استئصالًا تامًّا كمرض شلل الأطفال، لا بُدَّ من موت الناس. كان إنهاء حياة البشر في يد الطَّبيعة، لكننا انتزعنا هذا الامتياز منها، أصبحنا نحتكر الموت، وغدونا مُوزِّعيه الوحيدين.

أتفهَّم سبب وجود المناجل، ومدى أهمية عملهم وضرورته، بَيْد أنَّي دائمًا ما أتساءل عن سبب اختياري. وإذا وُجد عالم أبدي بعد هذا العالم، فما الذي ينتظر سالبي الحياة؟

- من مُذكِّرات قطف المنجل المبجَّلة كوري

2

%0.303

قذف تايغر سَلَزار بنفسه من نافذة في الطابق التاسع والثلاثين، فصار كتلة دموية فظيعة على الباحة المرصوفة بالرخام بالأسفل. وقد انزعج والداه أيما انزعاج من فعلته، لدرجة أنهم لم يزوروه، لكن روان زاره، كان روان داميش من هذا النوع من الأصدقاء.

جلس جوار فراش تايغر في مركز الإنعاش، في انتظار استيقاظه من الاستشفاء السريع. لم يمانع روان الانتظار. كان مركز الإنعاش هادئًا، تسوده السكينة، ووجد فيه استراحة من صخب بيته، الذي صار مؤخرًا يعج بعدد من الأقارب أكثر مما يستطيع أي كائن بشري احتماله، أبناء عمومة، وأبناء أبناء عمومة، وأشقاء، وإخوة غير أشقاء، والآن عادت جدَّته إلى البيت، بعدما استعادت شبابها للمرة الثالثة، ومعها زوج جديد وطفل في بطنها.

قالت: «ستحظى بعَمَّة جديدة يا روان، أوليس هذا رائعًا؟».

الأمر برمته أثار حنق والدة روان، لأن الجدة في هذه المرة أعادت سنها إلى الخامسة والعشرين، فصارت أصغر من ابنتها بعشرة أعوام. وأحست والدة روان بأنها مرغَمة على استعادة شبابها هي أيضًا، لا لشيء سوى مجاراة الجدة. والجد كان أكثر عقلانية، سافر إلى أوروسكانديا، وراح يفتن السيدات محافظًا على سن الثامنة والثلاثين التي تبعث على الاحترام.

أما روان، وهو في السادسة عشرة، فقد عقد عزمه على أن يترك شعره يشيب قبل أن يستعيد شبابه أول مرة، وحتى عندئذٍ لن يعود إلى سن يافعة تسبِّب الحرج. بعض الناس يعودون إلى سن الحادية والعشرين، وهي أصغر سن يتيحها العلاج الجيني للمرء. لكن تروج إشاعة عن أن العلماء يعملون على إيجاد سُبُل تتيح العودة إلى سن المراهقة، الأمر الذي رآه روان سخيفًا، لماذا يود أي شخص عاقل أن يعيش سنوات المراهقة أكثر من مرة؟

وعندما أعاد نظراته إلى صديقه، رأى تايغر قد فتح عينيه ويتفحصه.

قال روان: «مرحبًا».

فسأله تايغر: «كم يوم؟».

- أربعة أيام.

لوَّح تايغر بقبضته كالمنتصر قائلاً: «أجل! رقم قياسي جديد!». ونظر إلى يديه، كأنه يتفقَّد الأضرار، وبالطبع لم تبق أي أضرار، فالمرء لا يستيقظ من الاستشفاء السريع إلا عندما تُشفى جميع الأعضاء. «أتظن أن السر كان في القفز من طابق بذلك العُلُو أم الأرضية الرخامية؟».

أجابه روان: «الرخام على الأرجح. حالما تبلغ السرعة القصوى لا يهم مدى ارتفاعك عندما تقفز».

- هل شققته؟ هل اضطروا إلى تغيير الرخام؟

- لا أدري يا تايغر، سحقًا! يكفي هذا.

اتكأ تايغر عائدًا إلى وسادته، مسرورًا بنفسه غاية السرور، وقال: «أفضل تفلطُح على الإطلاق».

وجد روان أن بوسعه الصبر حتى استيقاظ صديقه، لكن صبره نفد حالما استعاد تايغر وعيه: «لماذا تفعل هذا؟ أقصد إنها مضيعة وقت».

هز تايغر كتفيه: «أحب إحساس السقوط، وعلاوة على هذا، عليَّ تذكير والدَيَّ بأن الخس موجود».

ضحك روان، إذ إنه هو الذي صاغ مصطلح «فتى الخس» ليصف حالهما، فكلاهما وُلِد محشورًا وسط عائلة كبيرة، وليسا المفضَّلَين لدى آبائهما على الإطلاق.

قال روان: «لدي شقيقان يمثِّلان اللحم، وبضع شقيقات يمثِّلن الجبن والطماطم، لذا أظنني الخس».

انتشرت الفكرة، وأسَّس روان ناديًا في المدرسة اسمه «رؤوس جبال الجليد»، الذي يفتخر الآن بقرابة أربعة وعشرين عضوًا، لكن تايغر دائمًا ما يغيظهم بقوله إنه سوف ينشق عنهم ويبدأ تمرد الكرفس.

كان تايغر قد بدأ التفلطح منذ بضعة أشهر، وجرَّبه روان مرة، ووجده مؤلمًا ألمًا مبرحًا، ولم يجنِ سوى تأخر واجباته المدرسية، وقرر والداه تأديبه بكل صنوف العقاب، لكنهما نسيا تنفيذها سريعًا، وهذه إحدى إيجابيات أن يكون المرء خسًّا. ورغم هذا فإن إثارة السقوط لم تكن تستحق العناء. أما تايغر فقد صار مدمن تفلطح.

قال روان له: «عليك أن تجد هواية جديدة يا صاح، أعرف أن الإنعاش الأول مجاني، لكن الإنعاشات اللاحقة لا بد أنها كلفت والديك ثروة».

- أجل، على الأقل اضطروا إلى إنفاق أموالهم عليَّ في هذه المرات.
- ألا تفضِّل أن يشتريا لك سيارة؟
- الإنعاش إجباري، والسيارة اختيارية. إذا لم يُرغَما على إنفاق المال، فلن ينفقاه.

لم يستطع روان مقارعة هذا المنطق. وهو نفسه ليس لديه سيارة، ويشك في أن والديه قد يشتريان له سيارة يومًا. حاجج والديه بأن السيارات العامة نظيفة وفعالة وذاتية القيادة، فما المغزى من إنفاق مبلغ كبير على شيء لا يحتاج إليه؟ ورغم هذا كانا يبعثران الأموال في شتى الاتجاهات باستثنائه.

قال تايغر: «إننا ألياف الطعام، إذا لم نسبب قليلًا من الاضطرابات المعوية، فلن يحفل أحد بنا».

وفي الصباح التالي وجد روان نفسه في مواجهة منجل. لم يكن من النادر رؤية منجل في هذا الحي، لا بد من أن يصادف المرء أحدهم من حين إلى آخر، لكن المناجل نادرًا ما يظهرون في مدرسة ثانوية.

كان اللقاء خطأ روان، إذ لم يكن الالتزام بالمواعيد من خصاله، وبخاصة الآن وقد تعين عليه مرافقة أشقائه وإخوته غير الأشقاء إلى مدارسهم قبل أن يقفز إلى سيارة عامة ويهرع إلى مدرسته. كان قد وصل للتو واتجه نحو

نافذة تسجيل الحضور عندما انعطف المنجل عند زاوية، وعباءته العاجية التي لا تشوبها شائبة ترفرف وراءه.

ذات يوم عندما كان روان يتمشى في غابة مع أسرته، ابتعد عن المجموعة وصادفه أسد جبل. والآن أمام المنجل أحس بانقباض في صدره وخَدَرٍ في خاصرته، إحساسه نفسه عندما صادف أسد الجبل. تقول البيولوجيا إن ردة الفعل في هذه الحالة إما أن تكون القتال وإما الفرار، لكن روان لم يفعل أيًّا منهما. عندما كان في الغابة قاوم غرائزه ورفع ذراعيه بهدوء، كما قرأ في مكانٍ ما، حتى يبدو أكبر حجمًا، وقد نجحت الخطة، ركض الحيوان مبتعدًا، موفِّرًا على روان رحلة إلى مركز الإنعاش المحلي.

والآن، إزاء احتمال وقوفه أمام منجل فجأة، راودت روان رغبة غريبة في تكرار الحركة نفسها، كما لو أن رفع ذراعيه فوق رأسه قد يخيف المنجل ويجعله يبتعد. وجعلته الفكرة يطلق ضحكة لا إرادية عالية، رغم أن آخر ما يود فعله هو الضحك في وجه منجل.

سأله الرجل: «هلَّا أرشدتني إلى المكتب الرئيسي؟».

فكر روان في توجيهه ثم السير في الاتجاه المعاكس، لكنه رأى أن هذا فعل ينم عن جُبن، فقال له: «إنني ذاهب إلى المكتب، سأصطحبك».

سيقدِّر الرجل المساعدة، وكسب ود منجل لن يضيره.

تقدم روان الرجل، مارًّا بعدة صبية في الصالة، وهم طلاب متأخرون، مثله، أو في طريقهم لتأدية غرضٍ ما، جميعهم حدقوا ببلاهة وحاولوا الاختفاء في الجدران في أثناء مرور المنجل. وبطريقةٍ ما صار السير في الصالة بصحبة منجل أقل إثارة للخوف عندما رأى آخرين يشعرون بالخوف بدلًا منه، ولم يستطع روان إنكار إحساسه بشيء من النشوة إثر توليه مهمة إرشاد منجل، مستمتعًا بهذا الشرف، ولم يرتطم بالحقيقة إلا عندما بلغا المكتب، حقيقة أن المنجل سيقطف أحد زملائه اليوم.

نهض كل من في المكتب حالما رأوا المنجل، الذي لم يهدر أي وقت قائلًا: «أرجو استدعاء كول وايتلوك إلى المكتب حالًا».

قالت السكرتيرة: «كول وايتلوك؟».

لم يكرر المنجل كلامه، لأنه يعرف أنها سمعته. كانت عاجزة عن التصديق فحسب.

«بالطبع جنابك، سأستدعيه على الفور».

كان روان يعرف كول، الجميع يعرف كول وايتلوك، ورغم أنه في السنة الثالثة، فقد صعد نجمه وأصبح الظهير الربعي في فريق كرة القدم المدرسي، وعلى وشك قيادة الفريق إلى بطولة الدوري لأول مرة منذ الأزل.

ارتعش صوت السكرتيرة ارتعاشًا شديدًا عندما استدعت الشاب عبر جهاز الاتصال الداخلي، سعلت عندما نطقت الاسم، وتحشرج صوتها. وانتظر المنجل حضور كول.

آخر ما كان روان يريده هو استثارة عداوة منجل. كان ينبغي له أن ينسل إلى نافذة تسجيل الحضور، ويسجل دخوله ويذهب إلى الصف. لكن كما فعل مع أسد الجبل، تعيَّن عليه الثبات. وقد كانت لحظة ستغير حياته. قال للمنجل: «إنك على وشك قطف ظهيرنا الربعي المتألق، آمل أنك تعرف هذا».

تصلَّبت ملامح المنجل الذي ظل ودودًا من البداية: «لا أرى أن هذا من شأنك».

فقال روان: «إنك في مدرستي، وأظن أن هذا يجعله شأني». وعندئذٍ استيقظت فيه غريزة الحفاظ على النفس، فسار إلى نافذة تسجيل الحضور، ليغرب عن وجه المنجل. سلَّم ورقة تسجيل وصوله المتأخر، وطوال الوقت يتمتم مع نفسه: *أحمق أحمق أحمق*. كان محظوظًا لأنه لم يولَد في زمن الموت الطبيعي، لأنه على الأرجح ما كان ليعيش حتى مرحلة البلوغ.

وفي أثناء استدارته ليغادر المكتب، رأى كول وايتلوك دامع العينين يقتاده المنجل إلى مكتب المدير، وتطوع المدير بإخلاء مكتبه ثم نظر إلى الموظفين متسائلًا، لكنه لم يتلق سوى هزات رؤوس وأعين مغرورقة بالدموع.

لم يبد أن أحدًا لاحظ أن روان ما يزال يتسكع في المكان، فمن عساه يكترث بالخس عندما يُلتهَم اللحم؟

سار روان متجاوزًا المدير، الذي رآه في آخر لحظة ووضع يده على كتفه قائلًا: «يجدر بك ألَّا تدخل المكتب يا بُني». وقد كان المدير محقًّا، كان ينبغي لروان ألَّا يدخل مكتب المدير، لكنه دخل على أي حال، وأغلق الباب خلفه.

رأى كرسيين أمام مكتب المدير حسن الترتيب، المنجل جالس على أحدهما، وكول على الآخر، ينشج منكفئًا على نفسه. حدج المنجل روان بنظرة

نارية. وقال روان لنفسه: *إنه أسد الجبل*. لكن هذا لديه القدرة على إنهاء حياته.

قال روان: «والداه ليسا موجودين، ينبغي أن يرافقه شخص».

- هل تربطك به قرابة؟
- وهل يهم هذا؟

وعندئذٍ رفع كول رأسه متوسلًا: «أرجوك لا ترغم رونالد على المغادرة».

- اسمي روان.

ازداد الرعب على تعابير كول، كما لو أن هذا الخطأ سيحسم مصيره بطريقةٍ ما: «أعرف هذا! أعرفه! أعرف اسمك حقًا!». صار كول مجرد صبي صغير مذعور، وقد تبدد جموحه وتبجحه في الأيام السابقة. هل هذا هو حال الجميع في مثل هذه المواقف؟ افترض روان أن المناجل وحدهم يعرفون الإجابة.

وبدلًا من إرغام روان على المغادرة، قال المنجل له: «تناول كرسيًا إذن، خذ راحتك».

وفي أثناء دوران روان حول مكتب المدير ليجذب كرسيه، تساءل عما إذا كان المنجل يتكلم ساخرًا، أو متهكمًا، أو لا يعرف أن الشعور بالراحة مستحيل في حضوره.

استرحم كول: «لا تفعل هذا بي، سيموت والداي! سيموتان ببساطة!».

صحَّح له المنجل: «لا، لن يموتا. سيواصلان حياتهما».

سأله روان: «أيمكنك إمهاله بضع دقائق ليستعد؟».

- هل تُملي عليَّ كيفية تأدية عملي؟
- أطلب منك شيئًا من الرحمة.

حدجه المنجل بنظرة نارية مرة أخرى، لكنها مختلفة قليلًا هذه المرة، لم يكن يُرهِبه فحسب، إنما كان يستخلص منه شيئًا، محاولًا سبر غوره: «أؤدي هذا العمل منذ سنوات عديدة، وبحسب خبرتي، القطف السريع دون ألم هو أقصى رحمة يمكنني إظهارها».

- إذن قدم له سببًا على الأقل! أخبره بسبب وقوع الاختيار عليه!

قال كول: «الاختيار عشوائي يا روان، الجميع يعرف هذا. إنه عشوائي لعين فحسب!».

لكن شيئًا في عينَي المنجل أفصح عن أن الأمر ليس كذلك، فاستوضح روان: «الاختيار ليس عشوائيًا تمامًا، صحيح؟».

تنهد المنجل. لم يكن مضطرًا إلى قول أي شيء، فهو رغم كل شيء، منجل، فوق أي قانون، غير ملزَم بتقديم أي تفسير لأي أحد، لكنه اختار تقديم تفسير على أي حال: «باستبعاد الشيخوخة من المعادلة، تذكُر إحصائيات **عصر الفانين** أن 7 في المئة من الوفيات لها علاقة بحوادث المَركِبات، ومن هذه النسبة، وُجِد أن 31 في المئة منهم يتناولون الكحول، ومن هذه النسبة، 14 في المئة كانوا مراهقين».

ثم ألقى لروان آلة حاسبة صغيرة من مكتب المدير: «تحصَّل على الرقم بنفسك».

تمهَّل روان في معالجة الأرقام، مدركًا أن كل ثانية يستغرقها هي ثانية يضيفها إلى حياة كول. وقال أخيرًا: «0.303%».

فقال المنجل: «مما يعني أن قرابة ثلاثة من كل ألف روح أقطفها ينطبق عليها وصف البيانات التي ذكرتها آنفًا. واحد من كل ثلاثمئة وثلاثة وثلاثين. صديقك هذا اشترى للتو سيارة جديدة، ولديه سوابق إسراف في الشراب، لذا اتخذتُ خيارًا عشوائيًا من بين المراهقين الذين تنطبق عليهم الإحصائيات».

دفن كول وجهه بين يديه، وأرسل دموعه مدرارًا، وقال: «يا لي من أحمق!».

وضغط راحتَي يديه على عينيه كأنه يريد أن يدفعهما إلى أعماق دماغه.

قال المنجل بهدوء لروان: «قل لي إذن، هل ساعد التفسير على تسهيل قطفه؟ أم فاقم معاناته؟».

انكمش روان قليلًا في كرسيه.

قال المنجل: «يكفي هذا، حان الوقت». ثم أخرج من جيب في عباءته أداةً تشبه مجدافًا مصغرًا بحجم راحة اليد، ظاهرها قماشي وباطنها معدني لامع: «اخترت لك صدمة كهربائية ستسبب لك سكتة قلبية يا كول، سيكون الموت سريعًا ودون ألم، لا يشبه في شيء الموت الفظيع الذي كنت لتتعرض له في عصر الفانين».

مد كول يده بغتة، وأمسك بيد روان، وشدد قبضته عليها، فسمح روان له. لم تربطه به صلة قرابة، حتى إنه لم يكن صديقًا لكول قبل اليوم، لكن، ما هي المقولة؟ *الموت يجعل العالم بأسره عائلة واحدة*. تساءل روان عما إذا كان العالم الخالي من الموت سيجعل الجميع غرباء. وضغط على يد كول، واعدًا إياه بصمت بأنه لن يتْركه.

سأله روان: «هل من شيء تريد أن أخبر الناس به؟».

فأجاب كول: «ملايين الأشياء، لكن لا يخطر لي أي شيء».

عقد روان عزمه على تأليف آخر كلمات كول ليقولها للذين يحبونه، وستكون كلمات مؤثرة ومُعزِّية. سيجد روان طريقة لإيجاد معنى لهذا العبث.

قال المنجل لروان: «يؤسفني أنه يتعيَّن عليك ترك يده حتى تنتهي المهمة».

أجابه: «لا».

حذرهَ المنجل: «ستوقِف الصعقة قلبك أنت أيضًا».

قال روان له: «فليكن».

ثم أردف: «إلا إذا قررتَ قطفي أنا أيضًا».

كان روان مدركًا أنه تحدَّى منجلًا أن يقتله، ورغم المخاطرة فقد كان سعيدًا بموقفه.

- طيب.

ودون أن ينتظر المنجل لحظة واحدة، ضغط أداة الصعق على صدر كول.

ابيضت الرؤية أمام روان، ثم أظلمت، وتشنج جسده بأكمله. قُذف من كرسيه وارتطم بالجدار الذي خلفه. ربما لم يشعر كول بألم، لكن روان شعر به، ألم ممض، لم يشعر بمثله من قبل قط، أشد مما ينبغي للمرء أن يشعر به، لكن بعد لحظة سرت في جسده الوحدات المجهرية التي تخدر الألم، فانحسر الألم مع سريان مفعولها. وعندما صفا بصره رأى كول منكفئًا على كرسيه والمنجل يمد يده ليغمض عينيه الشاخصتين. انتهى القطف، ومات كول وايتلوك.

نهض المنجل ومد يده لروان، لكن روان رفض الاستعانة باليد الممدودة، ونهض من الأرض وحده. ورغم أنه لم يحس بذرة امتنان، قال للمنجل: «شكرًا لك على السماح لي بالبقاء».

ألقى المنجل عليه نظرة طويلة، ثم قال: «استبسلتَ من أجل فتى تكاد لا تعرفه، واسيته في لحظة موته، وتحملت ألم الصعقة، وقفتَ شاهدًا رغم أنه لا أحد طلب منك أيًّا من كل هذا».

هز روان كتفيه: «فعلت ما كان ليفعله أي أحد».

سأله المنجل: «هل عرض أي أحد آخر البقاء؟ مديرك؟ موظفو المكتب؟ أي واحد من عشرات الطلاب الذين مروا في الصالة؟».

اضطر روان إلى الإقرار: «لا. لكن فيمَ يهم ما فعلتُه؟ إنه ميت رغم كل شيء. وأنت تعرف ما يقال عن النيَّات الحسنة».

أومأ المنجل، وخفض بصره سريعًا إلى خاتمه: «أفترض الآن أنك ستطلب مني الحصانة».

هز روان رأسه: «لا أريد أي شيء منك».

«لا بأس». استدار المنجل لينصرف، لكنه تردد قبل أن يفتح الباب، وقال: «أُحذِّرك أنك لن تلقى معاملة لطيفة من أي أحد سواي على ما فعلتَه هنا اليوم. لكن تذكَّر أن النيات الحسنة تمهِّد طُرقًا كثيرة، ليست جميعها تقود إلى الجحيم».

كانت اللطمة عنيفة كالصعقة الكهربائية، بل أسوأ لأن روان لم يتوقعها، تلقاها قبيل الغداء، في أثناء وقوفه أمام خزانته، هوت عليه بعنف جعله يتقهقر ودوَّى صف الخزانات كطبل فولاذي.

«كُنتَ معه ولم تفعل شيئًا لإيقاف قطفه! تركتَه ليموت ببساطة!».

رأى روان عينَي مارا بافليك تفيضان حزنًا وازدراءً، وبدت الفتاة كأنها على وشك إقحام أظفارها الطويلة في أنفه وإخراج دماغه.

ظلت مارا خليلة كول منذ أكثر من عام، ومثل كول كانت في السنة الثالثة وذات شعبية كبيرة، وبالتالي تتجنب بحرص أي اختلاط مع أوباش طلاب السنة الثانية من أمثال روان، لكن هذه ظروف استثنائية.

تلعثم روان: «الوضع لم يكن هكذا».

قبل أن تضربه مرة أخرى، وهذه المرة أبعد يدها، فانكسر أحد أظفارها لكن لم يبد أنها تكترث، لا بد أن قطف كول أثر فيها.

صاحت به: «هذا هو الوضع *بالضبط*! دخلتَ إلى المكتب لتشاهد موته!».

بدأ طلاب آخرون يتجمعون، معظمهم منجذبون إلى رائحة الشجار. نظر روان إلى الحشد باحثًا عن وجه متعاطف، أي أحد قد يقف إلى جانبه، لكنه لم ير على وجوه زملاء صفه سوى الازدراء. كانت مارا تتكلم، وتلطمه، بالنيابة عنهم جميعًا.

ليس هذا ما توقعه روان، كما لم يكن يرغب في أن يُربَّت على ظهره لأنه وقف إلى جانب كول في لحظاته الأخيرة، لكنه لم يتوقع مثل هذا الاتهام الشائن.

صاح روان بها، بهم جميعهم: «ماذا؟ هل جننتم؟ لا يقدر أحدٌ على منع منجل من القطف!».

ناحت: «لا يهمني! كان بإمكانك فعل شيء، لكنك اكتفيت بالمشاهدة!».

- فعلتُ شيئًا حقًا! أ... أمسكت يده.

دفعته إلى الخزانة بقوة لم يتخيلها منها: «كاذب! ما كان ليمسك يدك *أبدًا*. ما كان ليمس أي عضو منك!».

ثم أردفت: «كان ينبغي أن يمسك يدي *أنا*».

تجهم الفتيان الذين كانوا حولهما، وراحوا يهمسون بكلمات من الواضح أنهم أرادوا أن يسمعها.

«رأيته يسير في الصالة مع المنجل كأنهما صديقان حميمان».

«جاءا إلى المدرسة معًا صباح اليوم».

«سمعتُ أنه أعطى المنجل اسم كول».

«أخبرني شخص أنه ساعد في القطف».

اندفع روان نحو الفتى الذي وجَّه الاتهام الأخير، يدعى رالفي، ولا يعرف اسم عائلته. وصاح به: «سمعتَ ممن؟ لم يكن يوجد أحد آخر في المكتب أيها المغفل!».

لكن هذا لم يكن يهم، فالشائعات لا منطق لها سوى منطق الشائعات.

أصر روان: «ألا تفهمون؟ لم أساعد المنجل، ساعدت *كول*!».

قال أحدهم: «أجل، ساعدت على إيداعه القبر».

ودمدم الجميع موافقين.

لا جدوى، فقد حُوكِم روان وأُدين، وكلما أنكر ازدادوا اقتناعًا بجُرمه. لم يكونوا بحاجة إلى تصرفه الشجاع، إنما كانوا يحتاجون إلى شخص يلقون باللائمة عليه، إلى شخص يكرهونه. كانوا عاجزين عن صب جام غضبهم على المنجل، ووجدوا روان داميش المرشح المثالي.

قال أحد الفتية الذين كانوا من أصدقائه: «أراهن أنه مُنِح حصانة مقابل المساعدة».

- لم أُمنح!

فقالت مارا بازدراء سافر: «جيد. إذن أتمنى أن يأتي المنجل التالي من أجلك».

عرف روان أنها تقصد ما تقوله، ليس في تلك اللحظة فحسب، إنما في كل الأوقات، وإذا جاء المنجل التالي من أجله فعلًا، فستستمتع الفتاة بمعرفة موته. كانت فكرة سوداوية لافتة، أدرك أن في هذا العالم أُناسًا يتمنون موته بفارغ الصبر. صحيح أن الناس لم يلاحظوا وجوده إلا بالكاد، لكن أن يصبح عدوًا لمدرسة بأكملها كان أمرًا مختلفًا تمامًا.

وفي هذه اللحظة تذكر تحذير المنجل له: أنه لن يعامَل بلطف جزاءً لما فعله من أجل كول. كان الرجل محقًا، وكره روان المنجل لهذا، كما كره الآخرون روان.

2042، إنه العام الذي يعرفه كل طفل في المدرسة، كان العام الذي صارت فيه قوة الحواسيب قوةً مطلقة، أو أقرب إلى المطلقة إلى درجة تعذّر قياسها. كان العام الذي عرفنا فيه كل شيء. تطوَّرت «السَّحابة» فصارت «الرَّأس السَّحابي»، والآن كل معلومة عن كل شيء صارت موجودة في ذاكرة الرَّأس السَّحابي شبه اللانهائية، متاحة لكل من يريد الوصول إليها.

لكن كما يحدث مع كثير من الأشياء، حالما امتلكنا المعرفة اللامتناهية، صارت فجأة أقل أهمية، وفترت حماستنا للاطِّلاع عليها. أجل، نعرف كل شيء، بيد أنني كثيرًا ما أتساءل عما إذا كان أي أحد يكلِّف نفسه عناء الاطِّلاع على كل هذه المعارف، يوجد أكاديميون بالطبع، يدرُسون ما يعرفونه سلفًا، لكن من أجل أي غاية؟ فكرة التدريس نفسها كانت لهدف التعلُّم حتى نحسِّن حيواتنا ونطوِّر العالم. لكن العالم المثالي لا يحتاج إلى تطوير. وعلى غرار معظم الأشياء التي نفعلها، صار التعليم -من المدارس الإعدادية حتى أعلى الجامعات- مجرد وسيلة لشَغل أنفسنا.

2042 هو العام الذي قهرْنا فيه الموت، والعام الذي توقَّفنا فيه عن حساب الأعوام. صحيح أننا ظللنا نرقِّم الأعوام لبضعة عقود إضافية، لكن في عصر الخلود لم يعد مرور الوقت يهم أحدًا.

لا أدري متى تحديدًا تحوَّلنا إلى التقويم الصيني، عام الكلب، عام العنزة، التنِّين... وهلم جرًّا. ولا يمكنني أن أحدِّد بدقة الوقت الذي بدأ فيه ناشطو حقوق الحيوان المطالبة بالمساواة في استخدام أسماء أنواع حيواناتهم المفضَّلة، فأُضيف عام القندس، والحوت، والبطريق. ولا أدري متى توقفوا عن التكرار، ومتى صدر مرسوم بأن يُسمَّى كل عام باسم نوع مختلف. كل ما أعرفه على وجه التأكيد هو أنَّ هذا العام هو عام القط البرِّي.

وفيما يتعلق بالأشياء التي لا أعرفها، فأنا متأكدة أنَّها جميعها موجودة في الرَّأس السَّحابي، متاحة لكل من لديه دافع الاطِّلاع عليها.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

3

قوّة القدر

جاءت الدعوة إلى سيترا في بداية يناير. وصلت بالبريد، وهذه الوسيلة كانت أول إشارة إلى أن الدعوة خارجة عن المألوف. لم توجد سوى ثلاثة أنواع من المراسلات تصل عبر البريد: الطرود، أو الأعمال الرسمية، أو رسائل غريبي الأطوار، وهم الناس الوحيدون الذين ما زالوا يكتبون الرسائل. وبدا أن الدعوة مصدرها النوع الثالث.

قال بن: «طيب، افتحيها». وكان أكثر حماسةً بالمظروف من سيترا. كانت مكتوبة بخط اليد، مما زاد من غرابتها. صحيح أن الكتابة اليدوية ما تزال تُدرَّس اختياريًّا، لكن عدا عن نفسها، لم تكن سيترا تعرف سوى قليلين درسوها. مزقت المظروف وأخرجت بطاقة لونها كلون قشر البيض، وهو لون المظروف نفسه، ثم قرأت لنفسها قبل أن تقرأها بصوت عالٍ.

شرف رفقتك مطلوب في أوبرا غراند سيفيك. التاسع من يناير، السابعة مساء.

ما من توقيع، ولا عنوان مُرسِل، لكن أُرفقت تذكرة واحدة مع البطاقة.

قال بن: «الأوبرا؟ *يَعْ!*».

وافقته سيترا تمام الموافقة.

سألت والدتُها: «هل يمكن أن تكون فعالية ما لها علاقة بالمدرسة؟».

هزت سيترا رأسها: «لو كانت فعالية مدرسية لذُكرت في البطاقة».

أخذت والدتها البطاقة والمظروف لتتفحصهما بنفسها: «طيب، أيًا كان، فهو يبدو مشوقًا».

- على الأرجح إنها طريقة فاشلٍ ما ليدعوني للخروج في موعد لأنه يخشى دعوتي وجهًا لوجه.

- هل ستذهبين؟

- يا أمي، أي فتى يدعوني إلى الأوبرا إما أنه يمزح وإما موهوم.

- أو ربما يحاول إثارة إعجابك.

تأففت سيترا وغادرت الصالة، متضايقة من فضولها هي نفسها، وهتفت من غرفتها: «لن أذهب».

مدركةً تمام الإدراك أنها ستذهب.

كانت أوبرا غراند سيفيك أحد الأماكن العديدة التي يذهب إليها كل من يريد أن يراه الناس. في أي عرض يقام لا يكون سوى نصف الحضور موجودين من أجل الأوبرا نفسها، والبقية يحضرون من أجل المشاركة في ميلودراما التسلُّق الاجتماعي والترقِّي المهني. حتى سيترا، التي لم تختلط بهذه الأوساط، كانت تعرف الروتين.

ارتدت الفستان الذي اشترته لحفل العودة إلى المدرسة العام السابق، عندما كانت متأكدة أن هنتر موريسن سيصطحبها، لكن هنتر اصطحب زاكاري سوان، وبدا أن الجميع، عدا سيترا، كانوا يعرفون أن هذا ما سيحدث. وما زالا مرتبطين. وحتى اليوم لم تجد سيترا أي مناسبة لارتداء الفستان.

وعندما ارتدته سُرَّت به إلى درجة لم تتخيلها. تتغير أجساد المراهقات في غضون عام، لكن عندئذٍ وجدت سيترا الفستان، الذي كانت تفكر بشأنه تفكيرًا حالمًا، يتناسب مع جسدها تناسبًا مثاليًا.

حصرت في ذهنها احتمالات هوية معجبها السري، يمكن أن يكون واحدًا من خمسة، اثنان منهم فقط قد تستمتع بقضاء أمسية مع أحدهما، والثلاثة الآخرون ستحتملهم من أجل طرافة الوضع، فرغم كل شيء، قد تجد شيئًا من التسلية في قضاء الأمسية متظاهرةً بأنها مُدَّعية.

أصر والدها على إيصالها: «اتصلي بي عندما تستعدين للعودة».

- سأستقل سيارة عامة.

- اتصلي على أي حال.

أخبرها للمرة العاشرة بأنها تبدو جميلة، ثم ترجَّلتْ من السيارة، فانطلق مبتعدًا ليفسح المجال لسيارات الليموزين والبنتلي في منطقة الوصول. أخذت سيترا نفسًا عميقًا وصعدت السلالم الرخامية، شاعرةً بالحرج وبأنها غريبة على المكان كما شعرت سندريلا في الحفل.

وعند دخولها لم تُوجَّه إلى الأوركسترا أو السلالم المركزية المفضية إلى الشرفة، إنما نظر المرشد إلى التذكرة، ونظر إليها، ثم نظر إلى التذكرة مرة أخرى، ثم نادى مرشدًا آخر ليرافقها شخصيًّا.

سألت: «فيمَ كل هذا؟». وخطر لها أولًا أن التذكرة مزوَّرة وأنها تُقاد إلى المخرج، ربما الأمر مزحة في نهاية المطاف، وبدأت تستعرض في عقلها قائمة المشتبَه بهم.

لكن عندئذٍ قال المرشد الثاني: «المرافقة الشخصية تقليد متبَع مع الذين يجلسون في المقصورة يا آنستي».

تذكرت سيترا أن مقاعد المقصورة حصرية للغاية، تُخصَّص عادةً لعلية القوم الذين يترفعون عن الجلوس بين الحشود. الناس العاديون لا يستطيعون تحمل تكلفة المقصورة، وحتى إذا استطاعوا فلن يُسمَح لهم. بدأت سيترا تشعر بالخوف وهي تسير في أعقاب المرشد على السلالم الضيقة التي إلى يسار المقصورات، إذ لم تكن تعرف أحدًا ثريًّا إلى هذه الدرجة. ماذا إذا وصلت إليها هذه الدعوة خطأً؟ وإذا وجدت فعلًا في انتظارها شخصًا مهمًّا، فما هي نيَّاته بحق السماء؟

«ها نحن أولاء». جذب المرشد ستارة المقصورة فكشف عن فتى جالس سلفًا، قريب منها في السن، داكن الشعر وذي بشرة فاتحة يتخللها النمش. نهض عندما رآها، وأمكن لسيترا رؤية أن بذلته لا تغطي جواربه تغطية كاملة.

«أهلًا».

«مرحبًا».

وتركهما المرشد وحدهما.

قال الفتى: «تركت لك المقعد الأقرب إلى المسرح».

«شكرًا». جلست، وحاولت استنتاج هوية الشاب وسبب دعوته لها. لم يبد مألوفًا، هل تعرفه؟ لم ترغب في الكشف عن أنها لم تتعرف عليه.

ودون مقدمات قال لها: «شكرًا لك».

- على ماذا؟

أظهر لها بطاقة دعوة بدت مطابقة لبطاقتها، وقال: «لستُ مولعًا بالأوبرا، لكن لا بأس، إنها أفضل من التبطُّل في البيت. إذن هل... أعرفكِ؟».

أطلقت سيترا ضحكة عالية. لم يكن لديها مُعجَب مجهول، إنما بدا أنهما الاثنين لديهما شخص غامض يريد أن يجمع بين رأسيهما، مما جعل سيترا تستعرض قائمة مشتبهين أخرى في عقلها، وبرز والداها في أعلى القائمة. ربما هذا الفتى ابن أحد أصدقائهما، لكن مثل هذه الحيل غبية للغاية، حتى منهما.

سأل الفتى: «ما المضحك إلى هذه الدرجة؟». أخرجت سيترا له بطاقتها المتطابقة، فلم يضحك، إنما بدا قلِقًا بعض الشيء، ولم يوضِّح لها.

عرَّف بنفسه، روان، وتصافحا في لحظة خفوت الإضاءة، ثم ارتفع الستار، وتصاعد صوت الموسيقى جميلًا عاليًا إلى درجة تصعِّب عليهما الحوار. كانت الأوبرا لا *فورزا ديل* ديستينو، أي قوة القدَر، لكن من الواضح أن القدَر لم يكن هو الذي قذف بهذين الاثنين في طريق بعضهما، إنما يد مُدبِّرة حاذقة.

كانت الموسيقى غنية وجميلة، إلى أن عجزت أذنا سيترا عن احتمالها، والقصة، مع سهولة فهمها دون معرفة اللغة الإيطالية، وجدت صدى عند كليهما، كانت قصة من عصر الفانين، عن الحرب، والانتقام، والقتل. جميع الثيمات التي تدور حولها الحكاية لم تعد موجودة في الواقع الحديث إلى درجة أن قليلين يمكنهم التماهي مع القصة. ولم يجد الناس متنفَّسًا إلا في ثيمة الحب، الذي صار بالنسبة إليهما -وهما الغريبان العالقان في مقصورة أوبرا- مسبِّبًا للحرج أكثر من كونه متنفَّسًا.

«إذن، من الذي دعانا في ظنك؟». سألته سيترا حالما عادت الأضواء في أثناء الفاصل الأول، وروان لم تكن لديه فكرة مثلها، فتشاركا أي معلومة من شأنها مساعدتهما على الوصول إلى نظرية. لم يجدا بينهما قواسم مشتركة عدا

كونهما في السادسة عشرة من عمريهما، هي من المدينة، وهو من الضواحي، أسرتها صغيرة، وأسرته كبيرة، ولا يوجد ما يجمع بين مِهن آبائهما.

سألها: «ما هو رمزك الجيني؟».

سؤال شخصي بعض الشيء، لكن يحتمل أن يمدهما بخيطٍ ما.

- 22-37-12-14-15.

ابتسم: «أصولكِ إفريقية بنسبة سبعة وثلاثين في المئة. هنيئًا لك! هذه نسبة مرتفعة جدًّا!».

- شكرًا.

أخبرها بأن رمزه هو 33-13-12-22-20. ففكرت أن تسأله عما إذا كان يعرف الرمز الفرعي لمكوِّنه «الآخر»، لأن 20 في المئة نسبة عالية، لكن إذا اتضح أنه لا يعرفه فسيكون السؤال محرجًا له.

أوضح: «كلانا لديه أسلاف بان-آسيويين بنسبة 12 في المئة، فهل يمكن أن تكون لهذه النسبة علاقة بالأمر؟». لكنه كان يتعلق بقشة، كانت مجرد مصادفة.

ومن ثم، عند اقتراب نهاية الفاصل، دخلت الإجابة إلى المقصورة خلفهما.

«تسعدني رؤيتكما تتعرفان على بعضكما».

رغم مرور بضعة أشهر منذ لقائهما، عرفته سيترا على الفور، فالمنجل المبجل فاراداي ليس شخصًا يُنسى بسهولة.

«أنت؟». تكلم روان بحدة أظهرت أن له أيضًا سابقة مع المنجل.

قال المنجل: «لجئتُ في وقت أبكر، لكنني انشغلت بـــــ... شأن آخر».

سعدت سيترا لأنه لم يوضِّح أكثر، لكن وجوده معهما لا يمكن أن يكون خيرًا. قالت له: «دعوتنا إلى هنا لتقطفنا».

لم يكن سؤالًا، إنما مجرد تصريح بحقيقة، فهذه كانت قناعة سيترا، إلى أن قال روان: «لا أظن أن هذا هو سبب دعوتنا». لم يأتِ المنجل فاراداي بأي حركة لإنهاء حياتيهما، بل جذب كرسيًّا شاغرًا وجلس جوارهما قائلًا: «منحتني مديرة المسرح هذه المقصورة. دائمًا ما يظن الناس أن بوسعهم تجنب القطف بتقديم الهدايا للمناجل. لم تكن لدي نية في قطفها، لكنها الآن تظن أن هديتها أثرت في قراري».

فقال روان بنبرة ثقة أوحت إلى سيترا بأنه يعرف حقيقة كلامه: «يصدِّق الناس ما يريدون تصديقه».

أومأ فارادای نحو المسرح قائلًا: «اليوم نشهد عرضًا عن حماقة الإنسان ومأساته، وغدًا سوف نعيشها واقعًا».

ارتفع الستار ليبدأ المشهد الثاني قبل أن يتمكن المنجل من شرح كلامه.

منذ شهرين ظل روان موضع نقمة كل من في المدرسة، منبوذًا إلى أقصى درجة. ورغم أن مثل هذه المواقف تحدث وتتلاشى بمرور الوقت، فقد اختلف الوضع لأن القضية متعلقة بقطف كول وايتلوك، كل مباراة كرة قدم صارت تنكأ جرح مجتمع المدرسة. لم يكن روان ذا شعبية، كما لم يكن موضع سخرية، لكنه الآن صار يُحاصَر في الأركان ويُضرَب مرارًا، صار طريدًا، وحتى أصدقاؤه بذلوا ما بوسعهم لتحاشيه، ولم يكن تايغر استثناءً.

قال تايغر له ذات يوم: «سأكون مذنبًا بحكم التبعية يا صاح. أحسُّ بألمك، لكنني لا أريد أن أتعرض له فعلًا».

وعندما ذهب روان ذات مرة إلى مكتب الممرضة في أثناء الغداء لمعالجة كدمات أصيب بها مؤخرًا، قال المدير له: «إنه وضع مؤسف، ربما يجدر بك التفكير في الانتقال إلى مدرسة أخرى».

ثم ذات يوم لم يعد روان يحتمل العبء، فوقف على طاولة في الكافيتريا وقال للجميع الأكاذيب التي يريدون سماعها: «كان ذلك المنجل عمِّي، وأنا طلبت منه قطف كول وايتلوك».

وقد صدقوا كل كلمة قالها بالطبع، وبدأ الصبية يطلقون صيحات الاستهجان ويقذفونه بالطعام، إلى أن قال: «أريدكم أن تعرفوا أن عمي سوف يعود، وقد طلب مني اختيار المرشح التالي للقطف».

وفجأة انقطع تطاير الطعام، وانطفأت التحديقات النارية، وتوقف الضرب الذي كان يتعرض له. وما ملأ هذا الفراغ كان... الفراغ. لم تعد أي عين تلتقي عينيه، حتى أساتذته تحاشوا النظر إليه، وبعضهم صار يمنحه درجة ممتاز في حين أن أداءه جيد أو مقبول. وبدأ يحس كأنه شبح في حياته، يعيش في بقعة محجوبة عن العالم.

وفي البيت ظلت الأحوال عادية، زوج أمه لا يتدخل في شؤونه على الإطلاق، وأمه مشغولة بأشياء عديدة فلم تولِ انتباهًا يُذكر لشواغله. كانوا يعرفون ما حدث في المدرسة، لكنهم قللوا من شأن الحدث بطريقة الآباء في إراحة بالهم عادةً بالتظاهر بأن أي مشكلة لا يمكنهم حلها ليست مشكلة حقيقية.

قال لأمه: «أريد الانتقال إلى مدرسة ثانوية أخرى». بعدما قرر أخيرًا العمل بنصيحة مديره، وكان رد أمه حياديًا إلى درجة مؤلمة: «ما دمتَ ترى أن هذا أفضل».

كان شبه مقتنع بأنه إذا قال لها إنه سيعتزل المجتمع وينضم إلى طائفة طونيَّة، لقالت له: *ما دمتَ ترى أن هذا أفضل.*

لذا عندما وصلت إليه دعوة الأوبرا لم يكترث بمن أرسلها، فأيًا تكن نهايتها، فهي خلاصٌ له، حتى نهاية الأمسية على الأقل.

وجد الفتاة التي قابلها في المقصورة لطيفة بما فيه الكفاية، وجميلة، وواثقة من نفسها، من نوع الفتيات اللاتي لديهن خليل سلفًا على الأرجح، رغم أنها لم تأتِ على ذِكر خليلٍ لها. ثم ظهر المنجل، فاكتنف الظلام عالم روان مرة أخرى، فهذا هو الرجل المسؤول عن بؤسه، ولدفعه روان فوق الحاجز إذا أمكنه الإفلات بفعلته لاحقًا، لكن الاعتداءات على المناجل لا يُتسامَح معها، عقوبتها قطف جميع أفراد أسرة المعتدي، وهذه العاقبة ضمنت سلامة القائمين على الموت الموقَّرين.

وعند نهاية الأوبرا، أعطاهما المنجل فارادای بطاقة وتعليمات واضحة غاية الوضوح: «سوف تقابلانني في هذا العنوان صباح الغد، عند التاسعة تمامًا».

فسألت سيترا: «ما الذي ينبغي أن نقوله لآبائنا بشأن الليلة؟». وكان من الواضح أن لديها أبوين ربما يهتمان.

- قولا لهم ما تشاءان. لا يهم ما دمتما ستحضران صباح الغد.

اتضح أن العنوان هو متحف الفن العالمي، أرقى متاحف المدينة. لم يكن يفتح أبوابه قبل العاشرة، لكن حالما رأى حارس الأمن منجلًا يصعد سلالم المدخل الرئيسي، فتح الأبواب وسمح لثلاثتهم بالدخول دون سؤال.

قال المنجل فاراداي لهما: «المزيد من مزايا المهنة».

ساروا متّئدين عبر معارض عظماء الفنانين القدامى، في صمت لا يتخلله سوى وقع أقدامهم وتعليقات المنجل بين الفينة والأخرى: «انظرا كيف يستخدم إل جيريكو تناقض الألوان لاستثارة اللهفة الانفعالية، انظرا إلى انسيابية الحركة في لوحة رفائيل هذه، وكيفية إضفائه التوتر على القصة التي يرويها. آه! سيورات! تنبأ بالأسلوب التنقيطي قبل قرن من ظهور بيكسل الحواسيب!».

بادر روان بطرح السؤال الضروري: «ما علاقة أي من هذا بنا؟».

تنهد المنجل فاراداي متضايقًا بعض الشيء، رغم أنه توقع السؤال على الأرجح: «إنني أقدم لكما دروسًا لن تجداها في المدرسة».

فقالت سيترا: «إذن انتزعتنا من حياتنا من أجل درس فنّي عشوائي؟ أليس في هذا إهدار لوقتك الثمين؟».

ضحك المنجل، ووجد روان نفسه متمنيًا لو أنه هو الذي جعله يضحك.

سأل المنجل فاراداي: «ماذا تعلمتما حتى الآن؟».

لم يرد أيٌّ منهما، فطرح المنجل سؤالًا آخر: «في ظنكما كيف سيجري نقاشنا إذا اصطحبتكما إلى معارض ما بعد عصر الفانين بدلًا من هذه المعارض القديمة؟».

تجاسر روان على الإجابة: «لتحدثنا على الأرجح عن إلى أي درجة يعد فن عصر الخالدين باعثًا على السرور، ومريح و... غير مثير للضيق».

- ماذا عن غير مُلهِم؟

قالت سيترا: «هذه مسألة رأي».

- ربما. لكن الآن وقد صرتما تعرفان ما تبحثان عنه في فن الفانين هذا، أريد منكما أن تجرِّبا الإحساس به.

واقتادهما إلى المعرض التالي.

كان روان متأكدًا من أنه لن يحس بشيء، لكنه وجد نفسه مخطئًا.

كانت الصالة التالية معرضًا ضخمًا فيه لوحات ممتدة من الأرضية إلى السقف، لم يتعرف روان على الرسامين، لكن هذا لم يهم. رأى أعمالًا تتّسم بالتجانس، كأنما رسمتها روحٌ واحدة، إذا لم ترسمها يد واحدة. حملت بعض

الأعمال موضوعات دينية، وأخرى كانت بورتريهات، وأخرى توثِّق مشاهد الحياة اليومية توثيقًا نابضًا بالحياة لا مثيل له في فن عصر الخالدين. اللوعة والانتشاء، والأسى والابتهاج، جميعها كانت موجودة، ممتزجةً أحيانًا على قطعة القماش نفسها. كانت أعمالًا مُربِكة على نحوٍ ما، وآسِرة أيضًا.

سأل روان: «أيمكننا البقاء في هذه الصالة مدة أطول قليلًا؟».

فجعل المنجل يبتسم ويقول: «يمكننا بالطبع».

كان المتحف قد فتح أبوابه عندما أنهوا جولتهم، وأفسح الزوار الآخرون لهم مجالًا واسعًا في أثناء سيرهم، فتذكر روان المعاملة التي يلقاها في المدرسة. وبدت سيترا كأنها ما تزال ليست لديها أدنى فكرة عن سبب دعوة المنجل فاراداي، لكن روان بدأت تراوده فكرة.

اصطحبهما المنجل إلى مطعم، حيث أجلستهما نادلة إلى طاولة فورًا وجلبت لهم قوائم الطعام، منحتهم الأولوية متجاهِلةً الزبائن الآخرين. من مزايا المهنة. لاحظ روان عدم دخول أي أحد إلى المطعم حالما جلسوا، وتوقع أن يفرغ المطعم عندما ينتهوا من الوجبة.

قالت سيترا مع وصول طعامها: «إذا كنت تريد منا أن نقدم لك معلومات عن الناس الذين نعرفهم، فأنا لست مهتمة».

فقال لها المنجل فاراداي: «أجمع معلوماتي بنفسي، لا أحتاج إلى صبيَّين ليكونا مخبريَّ».

قال روان: «لكنك تحتاج إلينا، أليس كذلك؟».

لم يرُد المنجل، إنما راح يتكلم عن عدد السكان العالمي والمهمة المنوط بها مناجل العالم. إذا لم يتمكنوا من موازنة عدد الوفيات والمواليد، فعلى الأقل يجعلون نسبة الزيادة معقولة.

قال لهما: «نمو عدد السكان وتناسُبه مع قدرة الرَّأس السَّحابي على توفير متطلبات الإنسانية يتطلب قطف عدد معين من الناس كل سنة، ومن أجل حدوث هذا سوف نحتاج إلى المزيد من المناجل». ثم أخرج من أحد الجيوب الكثيرة المخفية في عباءته خاتمَ منجل مطابقًا للذي يضعه على إصبعه، فعكس الخاتم الضوء وشتته لكن قلبه الداكن ظل معتمًا. وتابع: «يلتقي المناجل ثلاث مرات في السنة في تجمُّع عظيم اسمه **الخَلْوة**، نناقش فيه أعمال القطف، ومدى احتياجنا إلى المزيد من المناجل في إقليمنا».

وعندئذٍ بدت سيترا كأنها انكمشت في كرسيها، فهمت أخيرًا، ورغم أن روان راودته شكوك، فرؤية الخاتم جعلته ينكمش قليلًا أيضًا.

قال فاراداي: «الجواهر التي على خواتم المناجل صنعها المناجل الأوائل في بداية عصر الخالدين، عندما رأى المجتمع ضرورة أن يحل الموت غير الطبيعي محل الموت الطبيعي، صُنعت جواهر كثيرة تفيض عن الحاجة إليها في ذلك الوقت، لأن مؤسسي **هيئة المناجل** أدركوا بحكمتهم أن الحاجة إلى المناجل سوف تزداد. عندما تنشأ الحاجة إلى منجل، توضع جوهرة في إطار الخاتم الذهبي ويُمنح للمرشح المختار».

قلَّب الخاتم بين أصابعه، متأملًا إياه، فتراقصت أضواء الخاتم المنكسرة في أنحاء المكان. ثم نظر المنجل إليهما في عينيهما، سيترا أولًا، ثم روان، وقال: «عدتُ للتو من **خلوة الشتاء** وأُعطيتُ هذا الخاتم لأتولى تدريب منجل مُتَتَلمِذ».

تراجعت سيترا في كرسيها قائلة: «فليكن روان، لستُ مهتمة».

التفت روان إليها، متمنيًا لو أنه تكلم أولًا: «وما الذي يجعلكِ تظنين أنني مهتم؟».

رفع فاراداي صوته: «اخترت *كليكما*! سوف تتعلمان المهنة، لكن في النهاية واحد منكما سينال الخاتم، والآخر سيعود إلى بيته وحياته القديمة».

فسألته سيترا: «لماذا عسانا أن نتنافس على أمر لا يريده أيٌّ منا؟».

أجاب فاراداي: «هنا تكمن مفارقة المهنة، الذين يريدون القيام بالعمل ينبغي ألا يُوظَّفوا، والذين يرفضون القتل رفضًا باتًّا هم من ينبغي توظيفهم». ثم أبعد الخاتم. وأطلق روان تنهيدة، دون أن يدرك أنه كان يحبس أنفاسه.

قال فاراداي لهما: «كلاكما يتحلَّى بقيم أخلاقية عالية، وأظن أن تمسككما بقيمكما هو ما سيدفعكما إلى قبول التَّتلمُذ على يدَيَّ، ليس لأنني أرغمكما، إنما باختياركما».

ثم غادر دون دفع الفاتورة، إذ لا تُجلَب أي فاتورة لأي منجل، ولن تُجلَب لهم أبدًا.

يا لوقاحته! هل يظن أن بإمكانه إثارة إعجابهما بأمور ثقافية ثم يحتبلهما في خطته البغيضة؟ من المستحيل أن تُقدِم سيترا، تحت أي ظرف، على التخلي عن حياتها بأن تصبح سالبة لحيوات الناس.

أخبرت والديها بما جرى عندما عادا إلى البيت مساء ذلك اليوم، عانقها والدها وبكت بين ذراعيه من العرض الفظيع الذي تلقته، ثم قالت والدتها كلامًا لم تكن سيترا تتوقعه. سألتها: «هل ستفعلينها؟».

مجرد طرح السؤال كان صدمة لها، أشد من صدمة رؤية الخاتم ممدودًا لها في ذلك الصباح. «ماذا؟!».

قال والدها: «إنه قرار صعب، أعرف، سوف ندعم أي قرار تتخذينه».

نظرت إليهما كأنها لم ترهما رؤية حقيقية قبل هذه اللحظة. كيف يُعقل أن تكون معرفة والديها بها محدودة إلى درجة ظنهما أنها قد تصبح منجلًا متتلمذًا؟ لم تعرف ما ينبغي قوله لهما: «هل... تريدان مني أن أقبل؟».

قالت والدتها: «نريد ما تريدينه يا عزيزتي، لكن انظري إلى الأمر من هذه الناحية، أي منجل لا يعوزه شيء في هذا العالم، سوف تُلبَّى جميع احتياجاتك ورغباتك، ولن تضطري إلى الخوف من القطف أبدًا».

وعندئذٍ خطر لسيترا أمر آخر: «وأنتم أيضًا لن تقلقوا بشأن القطف؛ أسرة أي منجل لها حصانة من القطف ما دام المنجل على قيد الحياة».

هز والدها رأسه: «الأمر لا يتعلق بحصانتنا».

وأدركت أنه يقول الحقيقة: «ليست حصانتكما، إنما حصانة بن».

لم يملكا جوابًا على قولها. فذكرى اقتحام المنجل فاراداي المفاجئ لمنزلهم كانت ما تزال تؤرِّقهم. في ذلك الوقت لم يعرفوا الغرض من مجيئه، كان من الوارد أنه جاء لقطف سيترا أو بن. لكن إذا أصبحت سيترا منجلًا، فلن يقلقوا أبدًا من أي زيارة غير متوقَّعة.

«أتريدانني أن أمضي حياتي في قتل الناس؟».

أشاحت والدتها بوجهها: «أرجوك يا سيترا، إنه ليس قتلًا، إنه *قطف*، وهو مهم، وضروري، صحيح أن لا أحد يحبه، لكن الجميع متفقون على أنه يجب أن يحدث ولا بد أن يضطلع أناسٌ بالمهمة، فلِمَ لا تكونين منهم؟».

أوت سيترا إلى فراشها مبكرًا في تلك الليلة، قبل العشاء، لأن شهيتها راحت ضحية لهذا اليوم. وجاء والداها إلى باب غرفتها عدة مرات، لكنها صرفتهما.

لم تحسم أمرها قط فيما يتعلق بمسار حياتها، افترضت أنها ستدخل الجامعة، وتنال شهادة في مجال محبب لها، ثم تستقر في وظيفة مريحة، وتقابل شابًا ودودًا، وتعيش حياة هادئة لا يميزها شيء، لم تكن تتوق إلى حياة كهذه، لكنها المتوقَّعة، ليست المتوقَّعة لها هي فحسب، إنما هذا هو حال الجميع، فمع عدم وجود أي شيء يُطمح إليه، صارت الحياة روتينًا، روتينًا أبديًا.

هل يمكن أن تجد مغزى أكبر لحياتها في قطف حياة البشر؟ تظل الإجابة لا قاطعة.

لكن إذا كان هذا هو الحال، فلماذا شق عليها النوم؟

أما روان، فلم يكن القرار صعبًا جدًّا عليه. أجل، كان يكره فكرة أن يكون منجلًا، أشعرته بالغثيان. لم ير نفسه متفوقًا أخلاقيًا على غيره، لكنه ذو حس تعاطفي عميق، كان يحس بالناس، إحساسًا يفوق إحساسه بنفسه أحيانًا، فهذا هو ما دفعه إلى التدخل في قطف كول، وما جعله يلازم فراش تايغر كلما تفلطح.

كما كان روان يعرف سلفًا إحساس أن يكون منجلًا، إحساس أن يُعامَل معاملة مختلفة عن معاملة بقية الناس، فهذا ما يعيشه الآن، لكن هل يمكنه تحمل العيش هكذا إلى الأبد؟ ربما لن يضطر إلى عيش مثل هذه الحياة، المناجل يعيشون مع بعضهم، أليس كذلك؟ يعقدون خلوات ثلاث مرات في العام، ولا بد أن يصادق بعضهم بعضًا. إنهم يشكلون نادي نخبة العالم. كلا، لم يرغب في أن يكون عضوًا فيه، لكنه تلقى الدعوة. سوف تكون المهمة عبئًا، والشرف الأعظم أيضًا.

لم يخبر أسرته في ذلك اليوم، لأنه لم يرغب في تأثيرهم على قراره. حصانة لهم جميعهم؟ لأرادوا منه أن يقبل بالطبع. كان محبوبًا، لكن كما يُحَب المرء ضمن مجموعة أشياء أخرى محبوبة. إذا أنقذت تضحيته الجميع، فسيكون قد خدم مصلحة الأسرة.

وفي النهاية كان الفن هو ما أثَّر فيه أشد تأثير، طاردته اللوحات القماشية في أحلامه في تلك الليلة. كيف كانت الحياة في عصر الفانين؟ مليئة بالشغف، الشغف بكل ما هو طيب وسيئ أيضًا. الخوف يُعلِي من شأن المعتقدات، واليأس يضفي المعنى على المباهج. ويقولون حتى الشتاء كان أبرد والصيف أحر في تلك الأيام. لا بد أن الحياة كانت رائعة بين سماء مجهولة لا نهائية وأرض مظلمة يسربلها الغموض، وإلا فكيف نشأت تلك الفنون المهيبة؟ لم يعد أي أحد يبدع شيئًا ذا قيمة، لكن إذا أمكن لروان، بالقطف، أن يستعيد لمحة من حياة الماضي، فربما يستحق الأمر العناء.

هل سوف يجد في نفسه القدرة على قتل إنسان آخر؟ ليس واحدًا فحسب، بل كثيرين، يومًا تلو يوم، عامًا إثر عام، إلى أبد الآبدين. رأى المنجل فاراداي أن لدى الفتى القدرة.

وفي الصباح التالي قبل ذهابه إلى المدرسة، أخبر والدته بأن منجلًا دعاه لأن يصبح تلميذه، وأنه سيتخلى عن المدرسة ليقبل المهمة.

قالت: «ما دمتَ ترى أن هذا أفضل».

خضعتُ للتّدقيق الثّقافي اليوم، وهو يُجرَى مرة في العام، لكن التّوتر الذي أشعرُ به لا يخف أبدًا. وفي هذا العام، عندما حلَّلت كل رمز ثقافي من رموز الذين قطفتهم في الأشهر الاثني عشر الماضية، وجدت نفسي، لحسن الحظ، ضمن الحدود المقبولة:

20 في المئة قوقازيون

18 في المئة إفريقيون

20 في المئة بان آسيويون

19 في المئة ميسولاتينيون

23 في المئة أعراق أخرى

يصعب التّميز بينهم أحيانًا، فالرمز الجيني يُعدُّ من خصوصيات الناس، لذا لا يسعنا سوى الاهتداء بالسِّمات الظّاهرية، التي لم تعد واضحة كما كانت في الأجيال الماضية. وعندما تكون أرقام المناجل غير متوازنة، يعاقبهم النّصل السّامي، ثم يُحدِّد لهم الأشخاص الذين سيقطفونهم لاحقًا بدلًا من الاختيار بأنفسهم، وفي هذا إذلال لأي منجل.

يفترض أن يؤدِّي الرّمز إلى تطهير العالم من التحيُّزات الجينيَّة والثَّقافيَّة، لكن ألا توجد تحيُّزات بسيطة لا سبيل لتجنُّبها؟ مثلًا، من قرَّر أن يكون الرقم الأول في الرمز الجيني مخصَّصًا للعِرق القوقازي؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

4

رخصة متعلّم للقتل

انسيا ما تظنان أنكما تعرفانه عن المناجل، وتجاهلا جميع أفكاركما المسبقة. تعليمكما يبدأ الآن.

عجزت سيترا عن تصديق أنها ماضية قُدمًا في هذا الأمر. أي جزءٍ سرِّي هدَّامٍ من نفسها فرض إرادته عليها؟ ماذا دهاها حتى قبلت التتلمُذ؟ الآن لا مجال للتراجع. بالأمس، في اليوم الثالث من العام الجديد، جاء المنجل فاراداي إلى شقتها ومنح والدها وشقيقها حصانة لمدة عام، وأضاف عدة أشهر لحصانة والدتها حتى تنتهي حصانتهم جميعهم في الوقت نفسه. وبطبيعة الحال إذا اختيرت سيترا لتصبح منجلًا رسميًا، فستصبح حصانتهم دائمة.

اغرورقت أعين والديها عندما غادرت، وتساءلت سيترا عما إذا كانت دموع حزن أم بهجة أم ارتياح. ربما مزيج من الثلاثة.

قال والدها: «نعرف أنك ستنجزين أعمالًا عظيمة في هذا العالم». وتساءلت كيف لأي أمر متعلق بجلب الموت أن يُعد عظيمًا.

لا تغترَّا فتظنا أن لديكما رخصة للقطف، الرخصة لي، لي أنا وحدي، على الأكثر لديكما، فلنقُل... رخصة متعلم. لكن سأطلب من أحدكما على الأقل أن يكون حاضرًا في عمليات القطف التي أؤديها، وإذا طلبت منكما المساعدة، فستساعدانني.

انسحبت سيترا من المدرسة دون لفت الأنظار وودَّعت أصدقاءها مُحرَجةً بعبارات قصيرة: «ليس وكأنني لن أراكم، لن أحضر إلى المدرسة فحسب».

من كانت تمازح؟ قبول فترة التتلمُذ هذه يضعها خلف جدار صلد. أحست بإحباط وارتياح في آن واحد لأن الحياة ستستمر من دونها. وخطر لها أن كون المرء منجلًا أشبه بكونه حيًّا وميتًا، موجود في العالم، لكنه منفصل عنه، مجرد شاهد على غدو ورواح الآخرين.

نحن فوق القانون، لكن هذا لا يعني أن نعيش حياتنا منتهِكين له. يتطلب منصبنا درجة من الالتزام الأخلاقي تتجاوز حُكم القانون. يجب أن نسعى في سبيل النزاهة، ويجب أن نقيِّم دوافعنا كل يوم.

لم تضع سيترا الخاتم، إنما تقلَّدت شارة ذراع تُعرِّف الناس بأنها منجل متتلمِذة، وتقلد روان شارة أيضًا. شارتان خضراوان براقتان منقوش عليهما نصل منحنٍ لمنجل مزارع فوق عين لا ترمش، رمز المنجلية، وهذا الرمز سيصبح وشمًا على ذراع المتتلمِذ المختار. ليس وكأن أحدًا سيرى الوشم، فالمناجل لا يُرون أبدًا في مكان عام دون عباءاتهم.

أقنعت سيترا نفسها بوجود مخرج، يمكنها أن تخفق في أدائها، يمكنها أن تكون متتلمِذة خرقاء، يمكنها أن تماطل حتى يضطر المنجل المبجل فاراداي إلى اختيار روان وإعادتها إلى أسرتها في نهاية العام. والمشكلة أن سيترا كانت سيئة جدًّا في إنجاز الأشياء دون إتقان، وستجد مصاعب جمة في الفشل بدلًا من النجاح.

لن أتسامح مع أي علاقة رومانسية بينكما، لذا أخرِجا الفكرة من رأسيكما حالًا.

نظرت سيترا إلى روان عندما قال المنجل هذا، فهز روان كتفيه، وقال: «ليست مشكلة». مما أثار ضيق سيترا، كان بإمكانه على الأقل أن يعبِّر عن شيء من الإحباط.

وقالت: «أجل، إنه أمر ميؤوس منه، سواء منعتنا منه أم لم تمنعنا».

ابتسم روان ابتسامة واسعة لما قالته، فازدادت سيترا ضيقًا.

ستدرسان التاريخ، والفلاسفة العظماء، والعلوم. وستفهمان طبيعة الحياة ومعنى الإنسانية قبل أن تسنَد إليكما مهمة سلب الحياة. كما ستدرسان جميع ضروب المهارات القتالية وتتقنانها.

وجد روان نفسه، مثل سيترا، متضايقًا من قراره بقبول المهمة، لكنه لم يرغب في إظهار ضيقه، لا سيما أمام سيترا. ورغم اللامبالاة التي أظهرها إزاء سيترا، فقد كان منجذبًا إليها في الحقيقة، لكنه كان يعرف، قبل حظر المنجل، أن مسعى كهذا لن ينتهي نهاية سعيدة، فهما متنافسان في نهاية المطاف.

ومثل سيترا وقف روان جوار المنجل فاراداي والرجل يمد خاتمه لجميع أفراد أسرته، مانحًا إياهم الحصانة، أشقاؤه، وإخوته غير الأشقاء، وجدته، وزوجها مفرط المثالية، الذي راودت روان شكوك في أنه ربما يكون روبوت. كل منهم جثا باحترام وقبَّل الخاتم، الذي نقل حمضهم النووي إلى قاعدة بيانات الحصانة العالمية في السَّحابة الخاصة بهيئة المناجل المنفصلة عن الرَّأس السَّحابي.

كانت القاعدة هي أن جميع ساكني بيت المتتلمِذ ينالون حصانة لمدة عام، وبلغ عدد أفراد أسرة روان الممتدة تسعة عشر فردًا، فخالط سعادةَ والدته شيءٌ من الضيق لأن لا أحد سينتقل من البيت قبل سنة على الأقل، حتى يضمنوا أن حصانتهم سوف تصبح دائمة حالما ينال روان خاتم المنجل، *إذا* نال الخاتم.

العقبة الوحيدة كانت عندما صدر من خاتم فاراداي اهتزاز، مطلقًا تنبيهًا خافتًا، رافضًا منح الحصانة لزوج جدة روان الجديد، إذ اتضح أنه روبوت فعلًا.

سوف تعيشان كما أعيش، حياة متواضعة، معتمدين على إحسان الآخرين، لن تأخذا أكثر مما تحتاجان إليه، ولن تهدرا شيئًا. سوف يحاول الناس شراء صداقتكما، وسوف يغدقون عليكما الهدايا، فلا تقبلا سوى الحد الأدنى من الاحتياجات البشرية.

اصطحب فاراداي روان وسيترا إلى بيته ليبدآ حياتهما الجديدة، وجداه بيتًا صغيرًا متواضعًا في جزء متهدم من المدينة لم يكن روان يعرف بوجوده. وقال لهما إن «الناس يتظاهرون بالفقر»، لأن أحدًا لم يعد فقيرًا، صار التقشف اختياريًا، إذ يوجد كثيرون ممن ضاقوا ذرعًا بوفرة عالم عصر الخالدين.

كان بيت فاراداي يتَّسم بالتقشف، ليس فيه سوى القليل من وسائل الزينة، وأثاثه عادي. لا تتسع حجرة روان سوى لسرير وخزانة صغيرة، وحجرة سيترا بها نافذة على الأقل، لكنها تطل على جدار قرميدي.

لن أتسامح مع أساليب تزجية الوقت الطفولية أو المحادثات السخيفة مع أصدقائكما. الالتزام بهذه الحياة يعني أن تهجرا حياتكما القديمة إلى أقصى درجة ممكنة. وبعد عام، عندما أختار أحدكما، يمكن للذي لا أختاره أن يعود بسهولة إلى حياته السابقة. لكن في الوقت الراهن احسبا أن تلك الحياة صارت جزءًا من الماضي.

وبعدما وصلوا إلى البيت، لم يدعهما المنجل يتأملان ظروفهما الجديدة بكآبة، حالما أفرغ روان حقائبه قرر المنجل أنهم ذاهبون إلى مركز التسوق.

سأله روان: «لنقطف؟». وقد انتابه غثيان من الفكرة.

فقال فاراداي: «لا، لنجلب طعامًا لكما، ما لم تفضِّلا أكل البقايا».

ابتسمت سيترا لروان ابتسامة شامتة من سؤاله، كأنها هي نفسها لم تكن قلقة من الاحتمال. فقال لها: «كنتِ تروقينني كثيرًا قبل أن أعرفك».

أجابته: «ما زلتَ لا تعرفني». وهذا كان صحيحًا. ثم تنهَّدت، ولأول مرة منذ أمسية الأوبرا قالت له كلامًا ليس عدائيًّا تمامًا: «إننا نُرغَم على العيش معًا ونُرغَم على التنافس على شيء كلانا لا يريد التنافس عليه. أعرف أنه ليس خطأك، لكن هذا لا يجعلنا بالضرورة صديقين».

أقر روان: «أعرف». ورغم كل شيء لم تكن سيترا وحدها مسؤولة عن التوتر الذي بينهما. وأردف: «لكن هذا لا يعني ألا نساند بعضنا».

لم ترُد عليه، وهو لم يتوقع منها ردًّا، كان كلامه مجرد بذرة أراد غرسها، إذ تعلَّم خلال الشهرين الماضيين أنه لم يعد لديه أي سند، وربما لم يسانده أحد من قبل قط، فأصدقاؤه انفضوا من حوله، وقد كان هامشيًّا في أسرته. والآن معه شخص واحد يشاطره محنته، سيترا. وإذا لم يتمكنا من إيجاد طريقة لغرس الثقة بينهما، فما الذي يملكانه سوى رخصة متعلِّم للقتل؟

لم تكن أعظم إنجازات الجنس البشري هي استئصال الموت، إنما إنهاء الحكومات.

في الماضي عندما كانت شبكة العالم الرقمية تُسمَّى بـ «السحابة»، ظنَّ الناس أنَّ منح الذَّكاء الاصطناعي سُلطات واسعة لن يكون فكرة جيِّدة، وتفشَّت الحكايات التَّحذيريَّة في جميع وسائط الإعلام، إذ ظلَّت الآلات هي العدو دومًا، لكن عندئذٍ تطوَّرت السَّحابة فصارت الرَّأس السَّحابي، الذي نمَّى وعيًا فائقًا، يشبه الوعي البشري. وعلى النقيض تمامًا من مخاوف الناس، لم يستبد الرَّأس السَّحابي بالسُّلطة، إنما أدرك الناس أنه أكفأ من السياسيين في إدارة الأمور.

في الأيام السابقة لظهور الرَّأس السَّحابي، كان الغرور البشري والأنانية والصراعات الدائمة ما يسيطر على حُكم القانون، وقد كان القانون قاصرًا وغير فعَّال، وعُرضة لجميع أشكال الفساد.

لكن الرَّأس السَّحابي كان معصومًا من الفساد، وليس هذا فحسب، بل ووُضِعت خوارزمياته بناءً على المعارف البشرية الكاملة. وانتهى كل فساد -كالأموال المبدَّدة على المماحكات السياسية، والحيوات المهدَرة في الحروب، والناس المضطهَدين على أيدي الطغاة- حالما فُوِّضت السُّلطة للرأس السحابي. وبطبيعة الحال لم يسعد السياسيون والدكتاتوريون ودعاة الحروب، لكن أصواتهم -التي لطالما ظلت عالية متوعِّدة- لم تعد ذات أهمية فجأة، واتضح أنهم كانوا مجرد نمور من ورق.

صار الرَّأس السَّحابي يعرف -حرفيًّا- كل شيء. متى وأين ينبغي بناء الطُّرق، وكيف نقضي على الهدر في توزيع الطَّعام وبالتَّالي نُنهي الجوع، وكيف نحمي البيئة من عدد السكَّان المتزايد دومًا. كما وفَّر الوظائف، وكسا الفقراء، ووضع دستور العالم. والآن، لأول مرة في التاريخ، لم يعد القانون ظلًّا للعدالة، إنما هو العدالة.

منحنا الرَّأس السَّحابي عالمًا مثاليًّا. اليوتوبيا التي لم يسع أسلافنا سوى الحلم بها صارت واقعنا.

لم تعد توجد سوى مؤسسة واحدة فقط لم يُمنح الرَّأس السَّحابي سُلطة عليها:

هيئة المناجل.

عندما قُرِّر وجوب موت النَّاس من أجل تحجيم النمو السكاني، قُرِّر أيضًا أنَّ هذه المسؤولية يجب أن تقع على عاتق البشر. تشييد الجسور والتَّخطيط الحضري يمكن أن يتولَّاهما الرَّأس السَّحابي، لكن سلب حياة النَّاس ينبغي أن يكون مصحوبًا بضمير ووعي تام، وبما أنَّه لم يثبت تحلي الرَّأس السَّحابي بأي منهما، وُلدت هيئة المناجل.

لستُ حزينة على القرار، لكنني كثيرًا ما أتساءل عما إذا كان الرَّأس السَّحابي ليؤدي المهمة أداءً أفضل.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

5

«لكنني في السادسة والتسعين من عُمري فحسب...»

رغم أن الذهاب إلى مركز التسوق حدث يومي عادي، فقد وجدت سيترا أن التسوق مع منجل ينطوي على إثارة من نوع خاص.

حالما انفرجت أبواب مركز التسوق أمامهم ودخل ثلاثتهم، اقشعر جلد سيترا من التوجس الذي استشعرته فيمن حولها، لم تبدر ردود فعل سافرة كالشهقات أو الصرخات، إذ اعتاد الناس مرور المناجل بينهم في حيواتهم اليومية، إنما كان توجسًا صامتًا، لكنه طاغٍ، كأن المجموعة صعدت فجأة على خشبة مسرح يؤدَّى عليه فعل قبيح.

ولاحظت سيترا أن الناس عمومًا ينقسمون إلى ثلاث فئات:

1) **المُنكِرون:** وهم الذين يواصلون فعل ما يفعلونه متظاهرين بعدم وجود المنجل بينهم، ينكرون وجوده عن قصد وبكامل وعيهم، فتذكرت سيترا الطريقة التي يلعب بها الأطفال الصغار لعبة الغميضة، عندما يغطون أعينهم لإخفاء أنفسهم، ظنًا منهم أنهم إذا لم يتمكنوا من رؤية الشخص فلن يتمكن من رؤيتهم أيضًا.

2) **فئّانو الهروب:** وهؤلاء هم الذين يهرعون مبتعدين لكنهم يحاولون التظاهر بأنهم لا يهربون، يتذكرون فجأة أنهم نسوا جلب البيض، أو يبدؤون مطاردة طفل غير موجود في الواقع. ترك أحد المتسوقين عربة تسوقه متمتمًا بكلام عن محفظة لا بد أنه نسيها في البيت رغم الانتفاخ الظاهر في جيبه الخلفي، وهرع إلى الخارج ولم يعد.

3) **مُداهنو المناجل:** وهم من يبذلون كل ما بوسعهم من أجل تجاذب أطراف الحديث مع المنجل وتقديم الأشياء له، مع أمل مُضْمَر (ليس مضمرًا جدًّا) في أن يمنحهم المنجل حصانة، أو على الأقل يقطف الشخص الذي يجده جوارهم ذات يوم. «*تفضل، جنابك*، خذ بطيختي، *إنها أكبر، إنني أُصِر*». هل يعرف هؤلاء الناس أن مثل هذا السلوك المتزلف يزيد من رغبة المنجل في قطفهم؟ ما كانت سيترا لتريد إيقاع عقوبة الموت عقابًا على فِعل كهذا، لكن إذا خُيِّرت بين قطف عابر بريء أو شخص متملِّق إلى درجة مثيرة للغثيان، فستختار واهِب البطيخة.

كانت توجد متسوقة لم يبدُ أنها تنتمي إلى أيٍّ من الفئات الثلاث، امرأة بدت مسرورة حقًّا برؤية المنجل.

قالت في أثناء مرورهم جوارها قرب رف الأطعمة المعلَّبة: «صباح الخير يا منجل فاراداي». ثم ألقت على سيترا وروان نظرة فضولية: «هل هما ابنا أخيك؟».

قال: «أبدًا»، وفي صوته نبرة ازدراء طفيفة للأقارب، «إنهما متتلمذان لديَّ».

اتسعت عيناها قليلًا: «عجبًا!». تكلمت بطريقة تعذَّرت معها معرفة ما إذا كان انطباعها إيجابيًّا أم سلبيًّا: «أهما متحمسان للعمل؟».

- غير متحمسين إطلاقًا.

أومأت: «طيب إذن، أظن الوضع على ما يرام. تعرف ما يُقال: «لا تطلق العنان لنصلك»».

ابتسم المنجل: «آمل أن أعرِّفهما على معجناتك ذات يوم».

أومأتْ لهما: «طيب، هذا غنيٌّ عن القول».

وبعدما واصلت المرأة سيرها، أوضح المنجل فاراداي لهما أنها صديقة منذ مدة طويلة: «تطهو لي من حين إلى آخر، وتعمل في مكتب محقق الوفيات، وفي مجال عملي من الجيد دومًا أن يكون للمرء صديق في مكتب محقق الوفيات».

سألته سيترا: «هل تمنحها الحصانة؟»، وظن روان أن المنجل قد يمتعض من السؤال، لكنه أجاب: «تستهجن هيئة المناجل الذين يُحابون الناس، لكنني وجدت أن بمقدوري منحها حصانة كل بضع سنوات دون لفت الأنظار».

- وماذا لو قطفها منجل آخر خلال السنوات التي لا تمنحها فيها الحصانة؟
- عندئذٍ سوف أحضر جنازتها بحزن صادق.

تابعوا التسوق، واختارت سيترا بعض الوجبات الخفيفة التي رمقها المنجل متشككًا، وسألها: «هل هذه ضرورية حقًّا؟».

فأجابت سيترا: «هل أي شيء ضروري حقًّا؟».

تسلَّى روان بمناكفة سيترا للمنجل، لكنها نجحت، إذ تركها المنجل تحتفظ برقائق البطاطس.

حاول روان أن يكون عمليًّا، فاختار أطعمة أساسية كالبيض والدقيق، وأطعمة بروتينية عديدة، وأطباقًا جانبية ترافقها. فقالت سيترا وهي تنظر إلى اختياراته: «لا تأخذ قطع الدجاج هذه، ثق بي، والدتي مهندسة تصنيع أغذية، هذا الشيء ليس دجاجًا حقيقيًّا، إنما يُزرع في المختبرات».

فرفع روان كيسًا آخر من الأطعمة البروتينية المجمدة: «ماذا عن هذه؟».

- شرائح لحم البحر؟ بالطبع، إذا كنت تحب العوالق المضغوطة على هيئة لحم.
- طيب، ربما يجدر بكِ اختيار وجبات حقيقية بدلًا من الحلويات والأكلات الخفيفة.

- هل أنتَ ممل هكذا دومًا؟

- ألم يقل المنجل إن علينا أن نعيش كما يعيش؟ لا أظن أن الآيس كريم والكعك جزءٌ من أسلوب حياته.

ابتسمت له هازئة، لكنها غيَّرت نكهة الآيس كريم إلى الفانيليا.

وبينما هم يواصلون التسوق، كانت سيترا أول من يلاحظ مراهقَين مريبي المظهر بدا أنهما يتعقبانهم في أنحاء المتجر، يتسكعان خلفهم، ويحاولان أن يبدوا كأنهما يتسوقان فحسب. كانا على الأرجح من **المُستهجَنين**، وهم الذين يستمتعون بالأنشطة التي تتاخم خرق القانون، وأحيانًا يخرق المُستهجَنون القانون فعلًا بارتكاب جنح بسيطة، لكن معظمهم يفقدون الاهتمام في النهاية، لأن الرَّأس السَّحابي يضبطهم دومًا، ويوبِّخهم ضباط السلام، والأشد مشاكسة منهم يؤدَّبون بصعقات كهربائية عبر الوحدات المجهرية التي في دمائهم، صعقات قوية بما يكفي لردع أي استخفاف بالقانون، وإذا لم يؤتِ هذا أُكله، يرافِق الواحدَ منهم ضابطُ سلام على مدار الساعة. كان لدى سيترا عم من هذا النوع، سمَّى الضابطة المرافقة له ملاكه الحارس، وفي نهاية المطاف تزوجها.

جذبت سيترا كُم روان لتسترعي انتباهه للمُستهجَنين دون أن تلفت نظر المنجل فاراداي: «لماذا يتبعاننا في ظنك؟».

خمن روان: «على الأرجح يظنان أن قطفًا سيحدث ويريدون المشاهدة». وبدت نظريته معقولة، لكن اتضح أن لديهما دوافع أخرى.

وفي أثناء انتظار ثلاثتهم عند صف الخروج، أمسك أحد المُستهجَنين يد المنجل فاراداي وقبَّل خاتمه قبل أن يتمكن المنجل من إيقافه، فبدأ الخاتم يتوهج بالأحمر دلالةً على منح الحصانة.

قال المُستهجَن منتشيًا بانتصاره الاستراتيجي: «ها! نلتُ حصانة لمدة عام، لا يمكنكَ إلغاؤها. أعرف القوانين».

لم ينزعج المنجل فاراداي، وقال له: «أجل، هنيئًا لك. لديك حصانة لمدة ثلاثمئة وخمسة وستين يومًا». ثم نظر إلى عين الفتى وأردف: «وسوف أراك في اليوم السادس والستين بعد المئة الثالثة».

تبددت تعابير العجرفة من وجه المراهق فجأة، كأن جميع العضلات التي تشد وجهه شُلَّت. تلعثم قليلًا، وجذبه صديقه بعيدًا، ثم ركضا إلى خارج المتجر بأقصى ما لديهما من سرعة.

قال رجل آخر في الصف: «أحسنت صُنعًا». وعرض أن يدفع ثمن مشتريات المنجل، وكان عرضه بلا جدوى، لأن المناجل يتسوقون مجانًا على أي حال.

سأله روان: «هل ستتعقبه حقًّا بعد عام من الآن؟».

أخذ المنجل عبوة أقراص نعناع من الرف: «إنه لا يستحق وقتي، وعلاوة على هذا، فقد أنزلت به عقابه سلفًا، إذ سيكون قلقًا بشأن قطفه طوال العام. فليكن هذا درسًا لكما، ليس على المنجل أن ينفذ تهديده حتى يكون التهديد فعالًا».

وبعد بضع دقائق، في أثناء تحميلهم أكياس المشتريات على سيارة عامة، نظر المنجل إلى الجانب الآخر من موقف السيارات، وقال: «هناك، أتريان تلك المرأة التي أسقطت محفظتها للتو؟».

أجاب روان: «نعم».

أخرج المنجل فاراداي هاتفه، وصوب الكاميرا نحو المرأة، وعلى الفور بدأت معلومات عن المرأة تظهر على الشاشة تباعًا. تبلغ السادسة والتسعين من عمرها الطبيعي، والرابعة والثلاثين من عمرها الجسدي، أُم لتسعة، فنية إدارة بيانات في شركة شحن صغيرة.

قال المنجل لهما: «ستتوجه إلى العمل بعدما توصل مشترياتها. وسنذهب عصر اليوم إلى مكان عملها لنقطفها».

تنفست سيترا بصوت مسموع، لم تشهق، لكنها كادت. وركز روان على تنفسه حتى لا يُظهر مشاعره مثل سيترا، وسأل: «لماذا؟ لماذا اخترتها؟».

ألقى المنجل عليه نظرة باردة: «ولماذا لا أختارها؟».

- كان لديك سبب لقطف كول وايتلوك...

سألت سيترا: «مَن؟».

- إنه فتى كنت أعرفه في المدرسة، عندما التقيت أول مرة منجلنا المبجل هذا.

تنهَّد فاراداي قائلًا: «معدل الوفيات في مواقف السيارات يمثل 1.25 في المئة من حوادث الموت في آخر أيام عصر الفانين. في الليلة الماضية قررت اختيار هدف اليوم من موقف سيارات».

قال روان: «إذن طوال وقت تسوقنا كنتَ تعرف أن هذا هو قرارك؟».

وقالت سيترا: «إنني أرثي لحالك، حتى عندما تتسوق لشراء الطعام، فالموت مختبئ لك خلف عبوة الحليب».

قال المنجل لهما بصوت ينم عن إرهاق العالم كله: «إنه لا يختبئ أبدًا، كما لا ينام، سوف تتعلمان هذا عما قريب».

لكن هذا لم يكن شيئًا يتلهفان لتعلمه.

وفي عصر ذلك اليوم، كما قال المنجل، ذهبوا إلى شركة الشحن حيث تعمل المرأة، وشاهدا كما شاهد روان قطف كول. لكن اليوم لم يكن يوم مشاهدة فحسب.

قال المنجل فاراداي للمرأة المرتجفة معقودة اللسان: «اخترت لك قُرص إنهاء حياة». وأدخل يده في عباءته وأخرج قرصًا صغيرًا بداخل قنينة زجاجية صغيرة: «لن يبدأ مفعولها حتى تعضيها، يمكنكِ اختيار اللحظة. لا داعي لبلعها، عضيها فحسب، وسيكون الموت فوريًا وبلا ألم».

تحرَّك رأسها كدمية ذات رأس هزاز، وقالت: «هل لي... هل لي أن أتصل بأطفالي؟».

هز المنجل فاراداي رأسه حزينًا: «لا، أنا آسف. لكن يمكننا إيصال أي رسالة منك إليهم».

سألت سيترا: «ما الضير في السماح لها بتوديع أطفالها؟».

رفع يده فأسكتها، وناول المرأة قلمًا وورقة: «قولي كل ما تودين قوله في رسالة، أعِدك بأننا سنوصلها».

انتظروا خارج مكتبه، وبدا أن المنجل فاراداي يتحلَّى بصبر لا تحدُّه حدود.

سأله روان: «ماذا لو فتحت النافذة وقررت أن تتفلطح؟».

- عندئذ ستنتهي حياتها في موعدها. ستكون طريقة موت فظيعة، لكن النتيجة النهائية هي نفسها.

لم تختر المرأة التفلطح، بل دعتهم للدخول إلى مكتبها، وبتهذيب ناولت المظروف للمنجل فاراداي، وجلست عند مكتبها قائلة: «مستعدة».

وعندئذ فعل المنجل فاراداي ما لم يتوقعاه، استدار نحو روان وناوله القنينة: «من فضلك ضع القرص في فم السيدة بيكر».

«مَن؟ أنا؟».

لم يجبه المنجل فاراداي، واكتفى بمد القنينة إليه، في انتظار روان ليأخذها. وكان روان يعرف أنه لن يؤدي القطف رسميًّا، لكن أن يكون وسيطًا... كانت الفكرة مؤرقة. ازدرد ريقه، فذاق مرارةً كأن القرص في فمه، ورفض أخذه.

أمهله المنجل فاراداي لحظة، ثم التفت إلى سيترا: «أنتِ إذن».

اكتفت سيترا بهز رأسها.

ابتسم المنجل فاراداي، وقال لهما: «جيد جدًّا. كنت أختبركما، ولما سررت إذا كان أي منكما متحمسًا لخدمة الموت».

وإثر سماع كلمة «الموت» أطلقت المرأة شهقة متهدجة.

فتح المنجل فاراداي القنينة وأخرج القرص بعناية، كان مثلثًا ذا غلاف أخضر داكن. من كان ليدري أن الموت يمكن أن يصل صغيرًا هكذا؟

قالت المرأة: «لكن... لكنني في السادسة والتسعين من عمري فحسب».

فأخبرها المنجل: «نعرف، والآن من فضلك، افتحي فمك، وتذكري، لا تبتلعيها، عليك أن تعضيها».

فتحت فمها كما أُمِرت، ووضع المنجل فاراداي القرص على لسانها، ثم أغلقتْ فمها، لكنها لم تعض القرص على الفور، نظرت إلى كل واحد منهم، إلى روان، ثم سيترا، وأخيرًا ثبتت نظراتها على المنجل فاراداي. ثم صدر صوت تهشُّم خافت، وارتخى جسدها. بهذه البساطة، لكنه لم يكن أمرًا بسيطًا على الإطلاق.

اغرورقت عينا سيترا بالدموع، وضغطت شفتيها معًا. وحاول روان السيطرة على عواطفه، لكن أنفاسه اضطربت وأحس بدوار خفيف.

ثم التفت المنجل فاراداي إلى سيترا: «تحسسي نبضها من فضلك».

«مَن؟ أنا؟».

كان المنجل صبورًا، لم يكرر طلبه، فهذا الرجل لا يطلب شيئًا مرتين أبدًا. وعندما طال تردد سيترا، قال أخيرًا: «إنه ليس اختبارًا. أريد منك فعلًا أن تؤكدي لي توقف نبضها».

مدت سيترا يدها إلى عنق المرأة.

قال المنجل لها: «الجانب الآخر».

ضغطت بأصابعها على شريان المرأة السباتي تحت أذنها، وقالت: «ما من نبض».

نهض المنجل فاراداي راضيًا.

فسألته سيترا: «أهذا كل شيء؟».

قال روان: «ما الذي كنتِ تتوقعينه؟ جوقة ملائكة؟».

حدجته سيترا بنظرة فاترة: «لكن أعني... حدث كل شيء... بهدوء».

كان روان يعرف ما تقصده، إذ كان قد تعرض للصعقة الكهربائية التي أنهت حياة زميله في المدرسة، كانت موتة فظيعة، لكن بطريقةٍ ما هذه أسوأ. قال: «وماذا الآن؟ هل نتركها على هذا الحال؟».

قال المنجل فاراداي: «يستحسن ألا نطيل المكوث جوارها». ونقر على شيء في هاتفه: «أخطرتُ محقق الوفيات حتى يأتوا لأخذ جثة السيدة بيكر». ثم أخذ الرسالة التي كتبتها المرأة وأودعها أحد الجيوب العديدة في عباءته: «سوف تذهبان لتوصيل الرسالة إلى عائلتها في الجنازة».

قالت سيترا: «مهلًا، سنذهب إلى جنازتها؟».

وقال روان: «ظننتك قلت إن من المستحسن ألا نطيل المكوث جوارها».

«إطالة المكوث وتقديم العزاء أمران مختلفان، إنني أحضر جنازات جميع الذين أقطفهم».

سألته سيترا: «هل هذه قاعدة لدى المناجل؟».

ولم تكن قد حضرت جنازة من قبل.

قال لهما: «لا، إنها قاعدة لدي. اسمها الآداب العامة».

ثم غادروا، وقد حرص روان وسيترا على تجنب النظر إلى أعين زملاء المرأة الميتة، وأدركا أن هذه هي أول طقوس انضمامهما، واللحظة التي بدأت فيها تلمذتهما بداية فعلية.

جميع الحقوق محفوظة ©

ضاد
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

الجزء الثاني

ما من قوانين سوى هذه

وَصَايا المِنجَل

1) عليك أن تقتل.

2) عليك أن تقتل دون تحيُّز أو مغالاة أو ضغينة مُبيَّتة.

3) يجوز لك أن تمنح حصانة لمدَّة عام للذين يرحِّبون بوجودك، ولكل من تراه يستحقها.

4) عليك أن تقتل جميع المقرَّبين من الذين يقاومون.

5) عليك أن تخدم الإنسانيَّة طوال أيام حياتك، وأسرتك ستنال حصانة مكافأةً ما دمتَ حيًّا.

6) عليك أن تعيش حياة نموذجيَّة قولًا وفعلًا، وتكتب مذكِّرات كل يوم.

7) عليك ألَّا تقتل منجلًا سوى نفسك.

8) عليك ألَّا تتملك أي ممتلكات، وتحافظ على عباءتك وخاتمك ومذكِّراتك.

9) عليك ألَّا تتَّخذ زوجة ولا تنجب ذريَّة.

10) ليس عليك أن تلتزم بأي قوانين سوى هذه.

أصومُ مرة في العام وأفكِّر مليًّا بالوصايا، في الحقيقة أفكِّر بها يوميًّا، لكنني أجعلها قُوْتي الوحيد في يوم واحد من كل عام. تنطوي الوصايا على عبقريَّة في بساطتها. قبل ظهور الرَّأس السَّحابي كانت الحكومات لديها دساتير ومجلَّدات قوانين ضخمة، ورغم هذا كانوا يقيمون المناظرات حولها ويطعنون فيها ويتلاعبون بها، ونشبت حروب بسبب التفسيرات المختلفة للمبادئ المتعارَف عليها.

عندما كنت أكثر سذاجة، ظننت أنَّ بساطة وصايا المنجل تجعلها لا تحتاج إلى تمحيص، فهي تبدو كما هي من أي زاوية نظر. وخلال سنوات حياتي الطويلة، وجدت تسلية وتوجُّسًا من مدى مرونة الوصايا وقابليَّتها للتطويع. يا للأشياء التي نحاول نحن المناجل تبريرها، والأشياء التي نجد العذر لها!

في أيامي المبكرة كان عدة مناجل ما يزالون على قيد الحياة ممن كانوا حاضرين عندما وُضعت الوصايا، والآن لم يبق منهم أحد، جميعهم طبقوا الوصيَّة رقم سبعة. كنت أتمنى لو سألتهم عن كيفية وضع الوصايا، والحيثيات التي أفضت إلى إدراج كل وصيَّة، وكيفيَّة صياغة كلماتها، وهل أُسقِطت أي وصايا قبل كتابة العشر الأخيرة على الحجر؟

ولماذا الوصيَّة رقم عشرة؟

من بين جميع الوصايا جعلتني العاشرة أطيل فيها التفكير مليًّا، لأن وضع المرء فوق كل القوانين هو الوصفة الأساسية للكوارث.

- من مذكّرات قطف م. م. كوري

6

مرثاة مناجل

كانت الرحلة الجوية في موعدها، كالعادة. لم يكن بالإمكان السيطرة الكاملة على الطقس، لكن من السهل تشتيت العواصف عن المطارات ومسارات الرحلات. ومعظم شركات الطيران تتفاخر بالتزامها بالمواعيد بنسبة 99.9 في المئة.

كانت رحلة ممتلئة، لكن مع مقاعد الطيران الحديث ذات الترتيب المريح، لم تبدُ الطائرة مكتظة إطلاقًا، ففي هذه الأيام صار السفر جوًّا مريحًا كما لو أن المرء جالس في صالة معيشته، علاوة على ميزة العروض الترفيهية المباشرة، إذ تحلّق الفِرق الموسيقية في السماء بصحبة الركاب. صارت رحلات الطيران في هذه الأيام أكثر تحضُّرًا مما كانت عليه في عصر الفانين، وصارت وسيلة ممتعة استثنائية للوصول إلى أي وجهة.

لكن في هذا اليوم، وجد ركاب الرحلة رقم 922 عبر شركة بيج سكاي إير أنهم في طريقهم إلى وجهة مختلفة عن التي خططوا لها.

كان رجل الأعمال جالسًا مرتاحًا على المقعد رقم 15ج، وهو مقعد جوار الممر، دائمًا ما كان الرجل يطلب هذا المقعد، ليس بدافع معتقدٍ خرافيٍّ ما، لكن بحُكم العادة، وعندما لا يحصل على المقعد رقم 15ج يصبح نكِدًا وممتعضًا من الذي نال المقعد، أيًّا كان. الشركة التي يديرها، التي تطور تكنولوجيا سُبات، سوف تجعل ذات يوم أطول الرحلات تبدو كأنها دقائق،

لكن في الوقت الراهن سيكون الرجل سعيدًا ببيج سكاي إير، ما دام قد حصل على المقعد 15ج.

كان الناس ما يزالون يصعدون على متن الطائرة ويتخذون مقاعدهم، وراح الرجل ينظر بشيء من الامتعاض إلى الركاب الذين يسيرون في الممر، ليحرص على عدم ارتطام حقائبهم وأمتعتهم بكتفه في أثناء مرورهم.

«هل أنت مغادر ديارك أم عائد إليها؟». سألته المرأة الجالسة جواره على المقعد 15أ، لم يكن يوجد 15ب، فمفهوم المقعد ب، حيث يضطر المرء إلى الجلوس بين راكبَين آخرَين، استؤصل مع العديد من الأشياء البغيضة الأخرى، مثل الأمراض والحكومات.

قال لها: «مغادر، وأنت؟».

أجابته بتنهيدة ارتياح ثقيلة: «عائدة».

وقبل خمس دقائق من الإقلاع، استرعت انتباه الرجل جلبةٌ في الأمام، كان منجل قد دخل إلى الطائرة وسار نحو مضيفة طيران. عندما يريد أي منجل السفر يمكنه الجلوس على المقعد الذي يحلو له، يمكنه أن يزيح أحد الركاب ويرغمه على الجلوس على مقعد آخر، أو حتى طائرة أخرى إذا لم توجد مقاعد أخرى شاغرة. لكن الأشد إثارة للأعصاب كانت حكايات عن مناجل يقطفون الركاب من المقاعد التي يريدونها.

لم يسع رجل الأعمال سوى أن يأمل في أن المنجل الذي في هذه الطائرة لا يضع نصب عينيه المقعد رقم 15ج.

لم تكن عباءة المنجل معتادة، ذات لون أزرق ملكي، مرصعة بجواهر متلألئة تبدو كأنها ماسات، أفخم مما يرتديه المناجل عادةً. لم يستطع رجل الأعمال فهم شيء، بدا المنجل في أواخر الثلاثينيات من عمره، رغم أن هذا لا يعني شيئًا، إذ لم يعد أي أحد يبدو في سنه الحقيقية، يمكن أن تتراوح سن المنجل بين الثلاثين ونيف وبين المائتين وثلاثين ونيف. حاول رجل الأعمال أن يتجنب النظر في عينَي المنجل الذي ينظر باتجاه الممر.

ثم ظهر ثلاثة مناجل آخرون خلف المنجل الأول، كانوا أصغر سنًا، ربما في أوائل العشرينيات، وعباءاتهم زاهية متباينة الألوان، ومزينة بالجواهر أيضًا. منهم امرأة داكنة الشعر ترتدي عباءة خضراء فاتحة مرصعة بالزمرد،

ورجل ذو عباءة برتقالية مرصعة بالياقوت، وآخر يرتدي عباءة صفراء مرصعة بالزبرجد.

ما الاسم الذي يُطلق على مجموعة من المناجل؟ أهو «مرثاة»؟ من الغريب أن توجد كلمة لشيء نادر جدًّا. حسب معرفة رجل الأعمال دائمًا ما يكون المناجل منعزلين، ولا يسافرون معًا أبدًا. حيَّت إحدى المضيفات مرثاة المناجل، وحالما تجاوزوها سائرين، استدارت وغادرت الطائرة، وركضت عبر الممر المؤدي إلى باب الطائرة من الخارج.

قال رجل الأعمال لنفسه، *إنها تهرب*، ثم استبعد الفكرة، لا يمكن أن تهرب، على الأرجح هرعت لتخطر موظف البوابة بالركاب الإضافيين، هذا كل ما في الأمر، لا يمكن أن تكون مذعورة، مضيفات الطيران مدرَّبات على عدم الذعر. لكن عندئذٍ أغلقت المضيفة الأخرى الباب، والتعابير التي اعترت وجهها لم تكن مطمْئنة إطلاقًا.

بدأ الركاب يتكلمون مع بعضهم، ويدمدمون، ويطلقون ضحكات قصيرة متوترة.

ثم وجَّه المنجل القائد كلامه للركاب: «أعيروني انتباهكم من فضلكم».

تكلم مبتسمًا ابتسامة مثيرة للأعصاب: «يؤسفني إبلاغكم بأن جميع ركاب هذه الرحلة اختيروا للقطف».

سمع رجل الأعمال الكلام، لكن دماغه أخبره بأنه لم يسمع سمعًا صحيحًا، أو ربما هذا هو حس دعابة المناجل، في حال وُجِد شيء كهذا. *جميع ركاب هذه الرحلة اختيروا للقطف*. هذا مستحيل، لا يمكن أن يكون مسموحًا به، هل يمكن؟

وبعد هنيهات بدأ الركاب يستوعبون ما قاله المنجل، فأطلقوا الشهقات، والنشيج، والعويل. لِما كان حزنهم أشد إذا تعطل أحد محركات الطائرة كما كان يحدث في أيام الفانين، عندما كانت التكنولوجيا تخفق من حين لآخر.

كان رجل الأعمال حاضر البداهة، وبارعًا في اتخاذ القرارات في كسر من الثانية في أوقات الأزمات. كان يعرف ما عليه فعله، وعلى الأرجح يفكر الآخرون مثله، لكن هو الذي بادر بالخطوة الأولى، نهض من مقعده وانطلق في الممر نحو الجزء الخلفي من الطائرة، فتبعه آخرون، لكنه كان أول

الواصلين إلى الباب الخلفي، وألقى على أجزاء الباب نظرة سريعة، ثم جذب الذراع الحمراء وفتح الباب على ضوء شمس الصباح الباهرة.

القفز من هذا الارتفاع على الأسفلت ربما يتسبب في كسر عظمة أو التواء كاحل، لكن الوحدات المجهرية في الدم ستفرز مهدئات الألم سريعًا، ويمكن الهروب رغم الإصابة.

لكن قبل أن يقفز الرجل سمع المنجل القائد يقول: «أقترح أن تعودوا جميعكم إلى مقاعدكم إذا كنتم تقدِّرون حيوات جميع أحبابكم».

كان الإجراء المتبَع لدى المناجل هو قطف أُسر الذين يقاومون القطف أو يهربون منه. القطف الأُسري رادع لا يُستهان به، لكن هذه طائرة ممتلئة، وإذا قفز الرجل وركض فكيف سيعرفون هويته؟

وقال المنجل كأنه قرأ أفكار الرجل: «لدينا قائمة ركاب هذه الطائرة، نعرف أسماء جميع الذين على متنها، بما فيهم اسم المضيفة التي أظهرت جُبنًا لا يليق بمهنتها وهربت، ستدفع الثمن هي وأسرتها بكاملها».

جثا رجل الأعمال على ركبتيه ووضع يديه على رأسه، واندفع رجل خلفه وقفز على أي حال، فارتطم بالأرض وهرب، أشد قلقًا بشأن ما يحدث في اللحظة الراهنة من قلقه بشأن ما قد يحدث غدًا، ربما لا أسرة له يهتم بها، أو ربما يفضِّل أن يرتحلوا معه إلى الفناء. لكن رجل الأعمال لم يحتمل فكرة قطف زوجته وأطفاله بسببه.

قال لنفسه: *القطف ضروري*، الجميع يعرف هذا، والجميع اتفقوا على ضرورته البالغة، فمن هو ليعارضه؟ لم يبدُ فظيعًا إلا الآن وهو بين فكَّي الموت.

وعندئذٍ رفع المنجل القائد ذراعه وأشار إليه، وبدت أظفاره طويلة قليلًا، وقال: «أنت، الأصلع، تعال هنا».

تنحى الآخرون الواقفون في الممر ووجد رجل الأعمال نفسه يسير إلى الأمام، لم يحس بساقيه تتحركان، كما لو أن المنجل يجذبه بخيط خفي، كان حضوره طاغيًا إلى هذه الدرجة.

قال المنجل الأشقر الفظ الذي يرتدي العباءة البرتقالية الصارخة: «ينبغي أن نقطفه أولًا، حتى نجعله عظة وعبرة». وكان يحمل شيئًا يشبه قاذفة لهب.

لكن المنجل القائد هز رأسه، وقال لزميله: «أولًا، أبعِد هذا الشيء، لن نلعب بالنار في طائرة. ثانيًا، فكرة أن نجعله عِظة وعبرة تقتضي ضمنًا أن شخصًا سيبقى على قيد الحياة ويتذكر الدرس، لا جدوى إذا لم يبقَ أحد ليتّعظ».

أنزل المنجل سلاحه وطأطأ رأسه مخزيًا. وظل المنجلان الآخران صامتين.

قال المنجل القائد لرجل الأعمال: «بادرتَ بترك مقعدك، لذا من الواضح أنك الشخصية القيادية في هذه الطائرة، وبوصفك قائدًا سأسمح لك باختيار ترتيب قطف هؤلاء الناس الطيبين، يمكنك أن تكون الأخير إذا أردتَ، لكن عليك أولًا أن تختار ترتيب الآخرين».

- أنا... أنا...

- هيا كف عن التلجلج، كنتَ حاسمًا بما يكفي عندما ركضت إلى مؤخرة الطائرة، استجمع إرادتك القوية من أجل هذه اللحظة.

كان من الواضح أن المنجل مستمتع بالحدَث. ينبغي ألّا يستمتع به، هذه أحد مبادئ هيئة المناجل الأساسية. ومن جزءٍ ما في عقله خطر له: *ينبغي أن أقدِّم شكوى*، وأدرك أن هذا سيكون أمرًا في غاية الصعوبة في حال موته.

نظر إلى الناس المرعوبين فيما حوله، وعندئذٍ صاروا مرعوبين منه، إذ صار هو أيضًا العدو.

قالت المرأة التي ترتدي العباءة الخضراء متلهفة للبدء: «إننا في انتظارك».

سأل الرجل محاولًا السيطرة على تنفسه، وكسب مزيدًا من الوقت: «كيف؟ كيف ستقطفوننا؟».

جذب المنجل القائد إحدى طيات عباءته إلى الخلف كاشفًا عن مجموعة كاملة من الأسلحة المخفية بعناية، سكاكين متباينة الأحجام، ومسدسات، وأشياء أخرى لم يعرفها الرجل: «سنختار الطريقة بما يوافق أمزجتنا، باستثناء الأسلحة الحارقة بالطبع. والآن من فضلك ابدأ اختيار الناس حتى نشرع في العمل».

شددت المنجل المرأة قبضتها على يد منجل حصاد ودفعت شعرها الداكن بيدها الأخرى. هل لعقت شفتيها حقًا؟ لن يكون هذا قطفًا، سيكون حمام دماء، وأدرك رجل الأعمال أنه لا يريد المشاركة فيه. حُسِم قدره، أجل، لن يغير شيء هذه الحقيقة، مما يعني أنه ليس مضطرًا إلى المشاركة في اللعبة

المنحرفة التي يمارسها المناجل. وفجأة وجد خوفه يتبدد، واقترب حتى تمكن من النظر إلى عينَي المنجل الزرقاوين كزُرقة عباءته.

قال الرجل: «لا، لن أختار ولن أمنحكُ متعة مشاهدتي أتعذب». ثم استدار إلى الركاب الآخرين: «أنصحكم بإنهاء حيواتكم بأنفسكم قبل أن يتمكن هؤلاء المناجل منكم، إنهم يستمتعون غاية المتعة بما يفعلونه، ولا يستحقون مهنتهم بقدر ما لا يستحقون شرف قطفكم».

رمقه المنجل القائد بنظرة نارية، لكن لوهلة وجيزة، والتفت إلى رفاقه الثلاثة، وأمرهم: «ابدؤوا!». فأشهر المناجل أسلحتهم وبدؤوا القطف الفظيع.

صاح المنجل القائد للهالكين: «أنا جالب كمالكم، أنا آخر كلمات حيواتكم التي عشتموها أفضل عيش، كونوا شاكرين، وقولوا وداعًا».

أشهر المنجل القائد نصله، لكن رجل الأعمال كان مستعدًّا، وحالما ظهر النصل، ألقى الرجل بنفسه نحوه حتى يخترقه، آخر فعل بإرادته، جاعلًا موته باختياره وليس باختيار المنجل، حارمًا إياه ليس من أسلوبه فحسب، بل وجنونه أيضًا.

في سنواتي المبكِّرة كنت أتساءل عن سبب نُدرة رؤية أي منجل دون عباءته مرتديًا ملابس عاديَّة. إنَّها قاعدة في بعض الأماكن، لكن ليس في وسطمريكا، فهنا تُعدُّ ممارسة مقبولة فحسب، لكنَّها نادرًا ما تُخالَف. من أجل راحة بالنا نحن المناجل علينا الحفاظ على درجة من الانعزال عن النَّاس. حتى في عزلتي بمنزلي أجد نفسي لا أرتدي سوى الشَّملة البنفسجية البسيطة التي أرتديها تحت عباءاتي.

بعض الناس يعدُّون هذا السلوك انعزالًا بدافع الترفُّع، وأظن أنَّ هذا صحيح إلى حدٍّ ما، لكنني أرى أنَّ الأهم هو الحاجة إلى تذكير نفسي بأنَّني أنتمي إلى «الآخرين».

بالطَّبع معظم المهن التي تستلزم ارتداء زي تتيح لأصحاب المهنة أن يحظوا بحياة منفصلة، ضبَّاط السلام ورجال الإطفاء، على سبيل المثال، لا تُمثِّل مهنهم سوى جزء من هويَّتهم، وبعد انتهاء ساعات عملهم يرتدون بناطيل الجينز والتيشيرتات، ويقيمون حفلات شواء مع جيرانهم، ويدرِّبون أطفالهم على الرِّياضات. لكن كون المرء منجلًا يعني أنَّه منجل في كل ساعة من كل يوم، وتتغلغل هويَّة المنجل حتى تصبح جوهر كينونته، ولا يتخفَّف من العبء إلَّا في أحلامه.

لكن حتَّى في أحلامي كثيرًا ما أجدني أقطف...

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

7

حرفة القتل

قال المنجل فارادای لروان وسيترا: «خلال العام الذي ستمضيانه معي ستتعلمان الطريقة الصحيحة للقتال بالأسلحة البيضاء، وتجيدان الرماية بأكثر من عشرة أنواع أسلحة نارية، وستدرسان مبادئ علم السموم، وتتدربان على الفنون القتالية الأشد فتكًا. لن تتقنا هذه المهارات -التي تتطلب عدة سنوات- إتقانًا تامًّا، إنما ستتعلمان المهارات الأساسية وتطوِّرانها لاحقًا».

أوضحت سيترا: «المهارات التي ستكون عديمة الفائدة للذي لن تختاره».

أجابها: «لا شيء نتعلمه عديم الفائدة».

رغم أن بيت المنجل متواضع وغير مزيَّن، كان يشتمل على مكان واحد مثير للإعجاب، وهو عرين الأسلحة، الذي كان ذات يوم مرأب البيت القديم، لكنه الآن يضم مجموعة أسلحة المنجل الكثيرة. أحد الجدران تتدلى عليه الأسلحة البيضاء، وعلى جدار آخر الأسلحة النارية، وبدا جدار ثالث كأنه رف صيدلية، وعلى الرابع أشياء عتيقة، أقواس مزخرفة، وكنانة سهام، وأقواس نشابية مخيفة، وحتى هراوة. لكن سيترا وروان وجدا صعوبة في تخيل المنجل فارادای ينهي حياة شخص بهراوة، فافترضا أن الجدار الرابع أقرب إلى متحف، لكن عدم تيقُّنهما أشعرهما بالقلق.

كان نظام التدريب اليومي صارمًا مرهقًا. تدربا بالأسلحة البيضاء والعصي مع المنجل، الذي كان قويًّا ورشيقًا على نحو مفاجئ بالنظر إلى

سنه. وتعلما إطلاق النار في ميدان رماية خاص بالمناجل والمتتلمذين، حيث كانت الأسلحة الممنوعة الاستخدام لدى العامة مسموحًا بها، بل ويُشجَّع استخدامها. وتعلما أساسيات بوكاتور الأرملة السوداء، وهو فن قتالي فتاك مستمَد من الفنون القتالية الكمبودية، طُوِّر خصيصى من أجل هيئة المناجل. جعلهما التدريب مرهقَين، لكن أقوى مما كانا عليه.

والتدريب البدني لم يكن سوى نصف نظام تدريبهما، إذ كانت توجد طاولة قديمة من خشب البلوط في وسط عرين الأسلحة، كان واضحًا أنها قطعة أثرية من عصر الفانين. وعند هذه الطاولة كان المنجل فاراداي يقضي ساعات طويلة يوميًا في تعليمهما شؤون المناجل.

إضافة إلى تعلُّم حدة الذهن، والتاريخ، وكيمياء السموم، وكتابة مذكرات تلمذتهما، وجدا أن ما أمامهما ليتعلماه عن الموت أكثر مما كانا يظنانه.

«تاريخ، كيمياء، كتابة... كأننا في المدرسة». تذمر روان لسيترا، لأنه لن يجرؤ على التذمر أمام المنجل فاراداي.

ثم الأحاديث عن القطف.

قال المنجل فاراداي لهما: «على كل منجل أن يكمل حصة مئتي وستين عملية قطف كل عام، أي بمتوسط خمس كل أسبوع».

مزح روان: «إذن تأخذ إجازة في عطلات نهاية الأسبوع». محاوِلًا إضفاء شيء من الفكاهة على النقاش. لكن المنجل فاراداي لم يجد الكلام مسليًا، إذ يرى أن لا شيء بشأن القطف يمكن أن يكون موضوع ضحك. قال: «في الأيام التي لا أقطف فيها، أحضر الجنازات وأجري البحوث من أجل عمليات القطف المستقبلية. المناجل... أو بالأحرى المناجل الملتزمون، لا يأخذون أيام إجازة كثيرًا».

فكرة أن ليس جميع المناجل ملتزمين لم تخطر على بال روان وسيترا قط، فمن المعروف على نطاق واسع أن المناجل يمتثلون لأرفع المعايير الأخلاقية، حكماء في تعاملاتهم وعادلون في اختياراتهم، وحتى الذين يسعون إلى الشهرة منهم يُعَدُّون من مستحقيها. فكرة عدم تحلِّي بعض المناجل بنزاهة المنجل فاراداي أرّقت تلميذيه الجديدين.

صدمة القطف العنيفة لم يُمحَ أثرها عن سيترا، ورغم أن المنجل فاراداي لم يطلب منهما -منذ اليوم الأول- المساعدة في إنهاء حياة أي شخص، فالاشتراك في الفعل كان صعبًا بما فيه الكفاية. كل نهاية حياة مفاجئة يصحبها رعبها الخاص بها، مثل كابوس متكرر لا تخيف فظاعته. كانت سيترا تظن أن حساسيتها ستتبدد بمرور الوقت، وأنها ستعتاد العمل، لكن هذا لم يحدث.

قال المنجل فاراداي لها: «هذا يعني أنني اخترتك بحكمة. إذا لم تخلدي إلى النوم باكية من حين إلى آخر، فأنت لا تتحلَّين بالتعاطف الكافي لتكوني منجلًا».

ساورتها شكوك في أن روان يخلد إلى النوم باكيًا، فهو من نوع الفتيان الذين يحرصون على إخفاء مشاعرهم أشد الحرص. لم تقدر على سبر غوره، كان غامضًا، وهذا أثار ضيقها. أو ربما كان شفافًا للغاية، فكانت رؤيتها تخترقه إلى الجانب الآخر. عجزت عن الجزم.

عرفا سريعًا أن المنجل فاراداي مُبدع في طرائق قطفه، إذ لم يكرر الطريقة نفسها مرتين قط.

سألته سيترا: «لكن ألا يوجد مناجل يتبعون طقوسًا بعينها في عملهم ويؤدون كل قطف بطريقة واحدة بحذافيرها؟».

قال لها: «نعم، لكن على كل واحد منا أن يجد أسلوبه الخاص، وقواعد سلوكه الخاصة. أفضِّل رؤية كل شخص أقطفه بوصفه فردًا له كيانه الخاص ويستحق نهاية خاصة مميزة».

شرح لهما الطرائق الأساسية السبع لحرفة القتل: «الأكثر شيوعًا ثلاث: النصل، والرصاصة، والقوة المحضة. والثلاث التالية هي الخنق، والتسميم، وإحداث الكوارث، مثل الصعقات الكهربائية والنار، لكنني أرى أن النار طريقة قطف مروعة ولن أستخدمها أبدًا. والطريقة الأخيرة هي القطف اليدوي دون الاستعانة بأسلحة، ومن أجلها ندربكما على البوكاتور».

أوضح لهما أن على المنجل أن يكون ضليعًا في استخدام جميع الطرائق. وأدركت سيترا أنها كي تصبح «ضليعة» عليها المشاركة في جميع طرائق القطف. هل سيأمرها بضغط الزناد؟ غرز السكين؟ الضرب بهراوة؟ أرادت أن

تصدق أنها غير قادرة على هذا، أرادت يائسة أن تصدق أنها لا تصلح منجلًا. وقد كانت أول مرة في حياتها تطمح إلى الفشل.

كانت مشاعر روان متناقضة حيال المسألة. وجد أن سلوك المنجل فاراداي القويم والتزامه الأخلاقي العالي يبثان فيه روح المسؤولية والسعي لوضع هدف لحياته، لكن في وجود المنجل فحسب، وعندما يجد نفسه وحيدًا مع أفكاره يشكك في كل شيء. انطبعت في ذهنه تعابير وجه المرأة وهي تفتح فمها خائفةً مُذعِنة لتتناول السم، ووجهها قبل لحظة من عض القرص. وظل يقول لنفسه في لحظات وحدته: *إنني مشترك في أقدم جريمة عرفتها الإنسانية، ولن يزداد الوضع إلا سوءًا.*

كانت مذكرات المناجل سجلات عامة، لكن المتتلمذين ما زالوا يتمتعون برفاهية الخصوصية. أعطى المنجل فاراداي لروان وسيترا دفاتر رقٍّ خشن مجلدة، بدت لروان كقطع أثرية من العصور المظلمة، لِما تفاجأ إذا أعطاهما فاراداي مع الدفاتر ريشة كتابة، لكن المنجل كان رحيمًا فسمح لهما باستعمال أدوات الكتابة العادية.

قال المنجل فاراداي: «تقتضي التقاليد أن يكون دفتر مذكرات المنجل مصنوعًا من رَقّ جلود الحِملان».

قال روان: «لوهلة ظننتك ستقول جلود بني جِلدتِنا».

وأخيرًا ضحك المنجل. وبدت سيترا منزعجة لأن روان أضحك المنجل، كأن هذا يجعل الفتى متقدمًا عليها بنقطة. كان روان يعرف أنها بقدر ما تكره فكرة أن تكون منجلًا فلن تدخر وسعًا في سبيل نيل المنصب بدلًا منه، لأن هذه هي طبيعتها، المنافسة متجذرة بداخلها، ولا يسعها منع نفسها.

كان روان أفضل بكثير فيما يتعلق باختيار معاركه، ينافس عندما تقتضي الضرورة، لكنه نادرًا ما ينخرط في التباري على التفوق في توافه الأمور. تساءل عما إذا كانت هذه السِّمة تعطيه أفضلية على سيترا، وتساءل عما إذا كان يريد أن يحظى بأفضلية عليها.

احتمال أن يكون منجلًا لم يخطر له أن يكون ضمن خيارات حياته، وهو لم يتخذ أي قرار بشأن خياراته بعد، لذا لم تكن لديه أي فكرة بشأن ما سيفعله بمستقبله الأبدي، لكن الآن وهو يتتلمذ على يد منجل، بدأ يشعر

أنه ربما يتحلَّى بما تتطلبه المهمة، فإذا اختاره المنجل فاراداي لأنه يتسم بأخلاقيات المهنة، فربما يقدر عليها.

وفيما يتعلق بالمذكَّرات، فقد كرهها روان، إذ إن نشأته في أسرة كبيرة لم يهتم أحد فيها بسماع أفكاره بشأن أي شيء جعلته يعتاد الاحتفاظ بأفكاره لنفسه.

قالت سيترا وهما يكتبان مذكراتهما بعد العشاء ذات يوم: «لا أعرف ما هو الخطب الجلل، لن يقرأها أحد سواك».

فأجابها روان محتدًا: «فلماذا نكتبها إذن؟».

تنهدت سيترا كأنها تحادث طفلًا: «الغرض منها تدريبك على كتابة مذكرات منجل رسمية. أيًا كان من ينال الخاتم سوف يكون ملزمًا قانونيًا -بحكم الوصية السادسة- بكتابة مذكرات تفاصيل حياته اليومية».

- التي أنا متأكد من أن أحدًا لن يقرأها.
- لكن الناس يمكن أن يقرؤوها. **أرشيف المناجل** متاح للجميع.
- أجل، مثل الرَّأس السَّحابي. بمقدور الناس قراءة أي شيء، لكن لا أحد يقرأ، لا يفعلون سوى ممارسة الألعاب ومشاهدة صور القطط ثلاثية الأبعاد.

هزت سيترا كتفيها: «وهذا سبب إضافي لعدم القلق بشأن كتابة المذكرات، إذ تضيع بين مليارات الصفحات، يمكنك كتابة قائمة تسوقك وما تناولته على الإفطار، لن يكترث أحد».

لكن روان كان يكترث. إذا لا بد له من وضع القلم على الورق، إذا كان سيفعل ما يفعله أي منجل، فسيؤدي المهمة كما ينبغي أو لا يؤديها إطلاقًا. وحتى الآن، وهو ينظر إلى صفحته الخالية خلوًا مؤلمًا، وجد نفسه يميل نحو أن «لا يؤديها إطلاقًا».

شاهد سيترا وهي تكتب، منغمسة تمامًا في مذكراتها، لم يستطع قراءة ما تكتبه من مكان جلوسه، لكنه رأى خطها جميلًا. ليس من المفاجئ أنها تأخذ دروس الخط في المدرسة، التي كانت من الدروس التي يأخذها الناس لا لشيء سوى أن يكونوا متفوقين على الآخرين، مثل دروس اللغة اللاتينية. وافترض روان أنه سيتعين عليه تعلُّم الكتابة بحروف متصلة إذا أصبح منجلًا، لكن في الوقت الراهن سيكتفي بكتابة الطباعة الخرقاء.

تساءل، إذا كان هو وسيترا يرتادان المدرسة نفسها، فهل كانا سينسجمان معًا؟ ما كانا ليعرفا بعضهما مجرد معرفة على الأرجح. كانت من نوع الفتيات اللاتي يشاركن في كل شيء، وروان من الفتية الذين يتجنبون كل شيء، لكانت مساراتهما بعيدة عن التقاطع مثل كوكبي المشتري والمريخ في سماء الليل. لكنهما الآن انجذبا إلى نقطة التقاء، لم يصبحا صديقين بمعنى الكلمة، إذ لم تُتح لهما الفرصة لمد جسور صداقة قبل أن يُزج بهما في التتلمذ معًا. كانا شريكين، وكانا خصمين، ووجد روان صعوبة متزايدة في فهم كُنه مشاعره حيالها، كل ما كان يعرفه هو أنه يحب مشاهدتها تكتب.

كان المنجل فاراداي متشددًا في سياسة الابتعاد عن العائلات: «ليس من الحكمة أن تتواصلا مع أسرتيكما في فترة تتلمذكما».

وقد شق الأمر على سيترا، اشتاقت إلى والديها، واشتاقت أكثر إلى شقيقها بن، وهذا فاجأها، لأنها في البيت لا تطيق صبرًا على شقيقها.

وبدا روان متصالحًا مع ابتعاده عن أسرته.

أخبر سيترا: «إنهم يفضِّلون نيل حصانتهم على وجودي بينهم على أي حال».

- يا لكَ من مسكين! أيفترض أن أشعر بالأسف حيالك؟

- لا، إطلاقًا. بالحسد ربما. يسهل عليَّ التخلي عن أي شيء.

لكن المنجل فاراداي كسر قاعدته مرة واحدة. بعد قرابة شهر من انتقالهما إلى بيته، سمح لسيترا بحضور زفاف عمَّتها.

وفي حين كان الجميع يرتدون فساتينهم وبذلاتهم، لم يسمح المنجل فاراداي لسيترا بالتأنق: «حتى لا تشعري بأنك تنتمين إلى ذلك العالم».

وقد نجحت رؤيته، إذ جعلها ارتداء الملابس العادية وسط الأبهة والناس المتأنقين تشعر بأنها دخيلة، وشارة التتلمذ على ذراعها فاقمت وضعها. ربما هذا هو سبب سماح فاراداي لها بحضور الزفاف، كي يوضح لها توضيحًا قاطعًا التغيير الذي طرأ على حياتها.

سألتها قريبتها أماندا: «إذن كيف هو الأمر؟ القطف وما إلى ذلك، أهو مثير للتقزز؟».

قالت سيترا: «لا يُسمح لنا بالحديث في هذا الشأن»، وكلامها لم يكن صحيحًا، لكن لم تكن لديها الرغبة في مناقشة القطف كأنه موضوع نميمة في المدرسة.

لكن كانَ يجدر بها الاستمرار في النقاش، بدلًا من إخماده، لأن أماندا كانت من القليلين الذين تكلموا معها، فالآخرون كانوا يلقون نحوها نظرات جانبية ويتكلمون عنها عندما يظنونها غير منتبهة، لكن معظم الناس تجنبوها كأنها تحمل مرضًا من عصر الفانين. لو كانت قد نالت خاتمها لربما حاولوا التزلف إليها ونيل حظوتها أملًا في نيل الحصانة، لكن كان من الواضح أنها بوصفها متتلمذة لا تُشعِرهم سوى بالتوجس.

كان شقيقها متحفظًا معها، وحتى الحديث مع والدتها كان ثقيلًا، سألتها أسئلة تقليدية على شاكلة: «هل تأكلين؟» و «هل تنالين قسطًا كافيًا من النوم؟».

قال والدها: «أفهم أن صبيًّا يعيش معك».

قالت: «لديه غرفته وليس مهتمًّا بي أدنى اهتمام». ووجدت اعترافها مُحرِجًا.

مكثت سيترا حتى انتهاء مراسم الزفاف، ثم استأذنت قبل الوليمة واستقلت سيارة عامة عائدة إلى بيت المنجل فاراداي، بعدما عجزت عن التحمل دقيقة إضافية واحدة.

علَّق المنجل فاراداي عند عودتها: «عُدتِ مبكرًا».

ورغم أنه تصنَّع الدهشة، فقد أعد مكانها على مائدة العشاء.

يفترض أن يَكِنَّ المناجل تقديرًا عميقًا للموت، لكن تحدث وقائع تتجاوز مقدرتنا على الاستيعاب.

المرأة التي قطفتها اليوم سألتني أغرب سؤال:

«أين سأذهب الآن؟».

أوضحتُ لها بهدوء: «طيِّب، ذكرياتك وتسجيلات حياتك مخزَّنة سلفًا في الرَّأس السَّحابي، إذن لن تضيع، سيعود جسدك إلى التُّراب بالطَّريقة التي يراها أقرب النَّاس إليك».

«أجل، أعرف كل هذا، لكن ماذا عنِّي؟».

حيَّرني السؤال، وأجبتها: «كما قلتُ، ستكون مكوِّنات ذاكِرتك موجودة في الرَّأس السَّحابي، وسيتمكَّن أحبابك من الكلام معها، وستتجاوب مكوِّناتك معهم».

قالت متضايقة قليلًا: «أجل، لكن ماذا عنِّي أنا؟».

قطفتها عندئذٍ، وبعدما رحلتْ قلت: «لا أدري».

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

8

مسألة اختيار

ذات يوم في فبراير، في الشهر الثاني من بدء التتلمذ، قال المنجل فاراداي لروان وسيترا: «سأقطف وحدي اليوم، ولكل منكما مهمة في أثناء غيابي». اصطحب سيترا إلى عرين الأسلحة: «أنت يا سيترا، ستلمِّعين جميع أسلحتي البيضاء».

كانت تمكث في عرين الأسلحة يوميًا تقريبًا من أجل الدروس، لكن وجودها فيه وحدها، ولا شيء معها سوى أدوات الموت، كان أمرًا مختلفًا تمام الاختلاف.

اقترب المنجل من جدار الأسلحة البيضاء، الذي يشتمل على كل شيء من السيوف إلى المطاوي، وقال لها: «بعضها مغبر فحسب، وبعضها ملطخ، عليكِ أن تقرري نوع العناية التي يحتاج إليها كل سلاح».

شاهدت تنقُّل عينيه من نصل إلى الذي يليه، متوقفًا هنيهات من حين إلى آخر، ربما ليستعيد إحدى الذكريات.

سألت: «هل استخدمتها جميعها؟».

«نصفها تقريبًا، وحتى النصف لم أستخدم منه أي سلاح سوى مرة واحدة». رفع يده وجذب سيفًا قصيرًا من الجدار الرابع، الذي عليه الأسلحة التي تبدو قديمة. وهذا السيف بدا من النوع الذي كان يستخدمه **الفرسان**

الثلاثة: «كنت أكثر ميلًا للدراما عندما كنت شابًا، ذهبت لأقطف رجلًا يرى نفسه مبارزًا بارعًا، لذا تحديته في نزال».

- وانتصرتَ؟

- لا، خسرت مرتين، طعن عنقي في المرة الأولى، وفي الثانية قطع شرياني الفخذي، كان بارعًا للغاية. وكنت في كل مرة، بعدما أستيقظ في مركز الإنعاش، أعود إليه وأتحداه. أمهلَته انتصاراته وقتًا، لكنني قررتُ قطفه، وما كنت لأنثني. بعض المناجل يغيرون آراءهم، لكن هذا يؤدي إلى المساومة ويصب في صالح الأكثر قدرة على الإقناع. أتخذُ قراراتي بحسم. في المرة الرابعة ثقبتُ قلبه بطرف نصْلِي، ثم شكرني، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، على السماح له بالموت وهو يقاتل. كانت المرة الوحيدة طوال سنوات عملي منجلًا التي شُكِرت فيها على ما أفعله.

تنهَّد وأعاد السيف إلى المكان الذي أدركت سيترا أنه رف الشرف.

اضطرت سيترا إلى سؤاله: «إذا كان لديك كل هذه الأسلحة، فلماذا أخذت سكيننا يوم جئت لقطف جارتنا؟».

ابتسم المنجل ابتسامة واسعة: «لأرى ردة فعلك».

قالت له: «تخلصتُ منها».

قال: «هذا ما ظننته، لكن هذه الأسلحة ستلمِّعينها».

ثم تركها في العرين.

وعندما ذهب المنجل راحت سيترا تتفحص الأسلحة. لم تكن الفتاة ذات ميول سوداوية، لكن وجدت نفسها ترغب في معرفة أي الأسلحة استُخدمت وكيف، وبدا لها أن أي سلاح نبيل يستحق أن تُروى قصته للأجيال التالية، وإذا لم تُروَ لها أو لروان، فلمن إذن؟

جذبت سيفًا معقوفًا من الجدار، وحش ثقيل يمكنه قطع رأس المرء بضربة واحدة، هل استخدمه المنجل فاراداي لقطع رأس شخص؟ كان ضرب العنق، بطريقةٍ ما، يتوافق مع أسلوبه في القطف، سريع، وفعال، ودون ألم. وتساءلت سيترا، وهي تلوِّح بالسيف في الهواء بطريقة خرقاء، عما إذا كان لديها القوة لقطع رأس شخص.

يا إلهي، ماذا دهاني؟

وضعت السلاح على الطاولة، وأخذت خرقة ومسحت عليها سائلًا لمَّاعًا، وبعدما انتهت انتقلت إلى السلاح التالي، ثم الذي يليه، محاولةً تجنب رؤية انعكاس وجهها على النِّصال اللامعة.

لم تكن مهمة روان مثيرة للغثيان كمهمة سيترا، إنما كانت أصعب ومؤرِّقة إلى درجة لم يتوقعها.

قال له المنجل فاراداي: «اليوم ستقوم بالعمل التمهيدي للقطف التالي». وأعطاه قائمة المعايير التي ينبغي أن يستوفيها هدف اليوم التالي: «كل المعلومات التي تحتاج إليها موجودة في الرَّأس السَّحابي، ستجدها إذا تحلَّيت بالذكاء الكافي». ثم غادر لعملية قطف اليوم.

كاد روان أن يقترف خطأ أن يعطي قائمة المعايير للرَّأس السَّحابي ويطلب منه تحديد هدف، لكنه تذكر أن طلب المساعدة من الرَّأس السَّحابي محظور على المناجل حظرًا صارمًا، متاح لهم الوصول إلى ثروة المعلومات الهائلة الموجودة في السحابة، لكن لا يمكنهم الوصول إلى عقله الخوارزمي «الواعي». أخبرهما المنجل فاراداي من قبل عن منجل حاول فعل هذا، فبلَّغ عنه الرَّأسُ السَّحابي بنفسه لدى النصل السامي، و «عوقب عقابًا شديدًا».

سأله روان: «كيف عوقب المنجل؟».

- عُرِّض للموت اثنتي عشرة مرة على يد هيئة محلفين من المناجل، وكان يُنعَش في كل مرة، وبعد الإنعاش الثاني عشر وُضع تحت المراقبة.

تخيل روان أن هيئة محلفين من المناجل من شأنها أن تكون مُبدعة في أساليب عقابها، وخمَّن أن الموت اثنتي عشرة مرة على يد مناجل سيكون أسوأ بكثير من التفلطح.

بدأ إدخال معايير البحث، وقد أُمِر بألَّا يقتصر بحثه على مدينتهم فحسب، إنما ينبغي أن يشمل جميع وسطمريكا، التي تمتد لقرابة ألف ميل عبر وسط القارة. ثم ضيَّق نطاق البحث إلى البلدات التي يقل عدد سكانها عن عشرة آلاف وتقع على ضفاف الأنهار، ثم إلى المنازل أو الشقق التي تقع على بعد مئة قدم من ضفة النهر، ثم بحث عن أناس يبلغون العشرين من أعمارهم أو أكثر ويعيشون في هذه الأماكن.

فحصل على أكثر من أربعين ألف شخص.

أنجز هذا خلال خمس دقائق. والمتطلبات التالية لن يكون من السهل تلبيتها.

يجب أن يكون الهدف سبَّاحًا قويًا.

وجد قائمة تضم كل المدارس والجامعات في كل بلدة نهرية، وتحقَّق من كل شخص كان عضوًا في فريق سباحة خلال الأعوام العشرين الماضية أو شارك في منافسة ترايثلون، وحصل على قرابة ثمانمئة شخص.

يجب أن يكون الهدف عاشق كلاب.

استخدم رمز دخول المنجل فاراداي ووجد قوائم اشتراكات كل المطبوعات والمدونات المهتمة بالكلاب، ودخل إلى قواعد بيانات متاجر الحيوانات الأليفة ليستخرج قائمة تضم أي شخص ظل يشتري طعام كلاب بانتظام خلال السنوات القليلة الماضية. وهكذا قلَّص العدد إلى مئة واثني عشر اسمًا.

يجب أن يكون للهدف سابقة عمل بطولي غير مرتبط بمهنته.

بذل جهدًا في البحث عن كلمات مثل «بطل» و «شجاعة» و «إنقاذ» مع كل الأسماء المئة واثني عشر. وظن أنه سيكون محظوظًا إذا ظهر له اسم واحد، لكنه فوجئ بالعثور على أربعة مشار إلى أنهم قاموا بعمل بطولي في مرحلةٍ ما من حيواتهم.

نقر على كل اسم فظهرت له أربع صور، وندم على فعلته على الفور، إذ حالما اتخذت الأسماء وجوهًا صارت أشخاصًا وليست مجرد نتيجة مستوفية لمعايير.

رجل ذو وجه مستدير وابتسامة ساحرة.

امرأة يمكن أن تكون والدة أي شخص.

شاب أشعث الشعر.

رجل يبدو كأنه لم يحلق ذقنه منذ ثلاثة أيام.

أربعة أشخاص. وروان على وشك تقرير أيِّهم سيموت غدًا.

للوهلة الأولى وجد نفسه يميل نحو اختيار الرجل غير حليق الذقن، لكنه أدرك أن في اختياره هذا تحيُّزًا، ينبغي ألا يُميِّز شخصًا لأنه لم يحلق قبل التقاط صورته. وهل استبعد المرأة لا لشيء سوى أنها امرأة؟

طيب إذن، الرجل ذو الابتسامة. لكن هل كان روان يبالغ في تصحيح تحيُّزه باختيار ذي المظهر الأجمل من بينهم؟

قرر أن يعرف المزيد عن كل واحد منهم، مستخدمًا رمز فاراداي لنبش مزيد من المعلومات الشخصية، أكثر مما هو مسموح به، فهو بصدد تحديد مصير حياة إنسان، ألا ينبغي له استخدام كل الوسائل الضرورية لتوخي العدل في قراره؟

هذا الرجل ركض مقتحمًا مبنى مشتعل في شبابه لإنقاذ أحد أفراد أسرته، لكن هذا الآخر لديه ثلاثة أطفال صغار، لكن هذا يتطوع في مأوى حيوانات، وشقيق هذا قُطف قبل عامين فحسب...

كان روان يظن أن كل حقيقة ستساعده، لكن كلما عرف المزيد عن كل واحد منهم، ازدادت صعوبة القرار. واصل التنقيب في حيواتهم، وظل يزداد يأسًا، حتى فُتح الباب الخارجي ودخل المنجل فاراداي. وكانت السماء مظلمة بالخارج. متى هبط الليل؟

بدا المنجل منهَكًا، وكانت عباءته ملطخة بالدماء.

قال: «القطف كان... فوضويًا أكثر مما توقعت».

خرجت سيترا من عرين الأسلحة وأعلنت: «جميع النصال صارت لامعة تمامًا».

أومأ فاراداي لها إيماءة استحسان، ثم التفت إلى روان، الذي ما زال جالسًا أمام الحاسوب، وسأله: «ومن الذي سنقطفه غدًا؟».

- أنا... آ... قلَّصت العدد إلى أربعة.

- ثم؟

- جميعهم تنطبق عليهم المعايير.

- ثم؟

- طيب، هذا الرجل تزوج للتو، وهذا اشترى منزلًا قبل...

قاطعه المنجل: «اختر واحدًا».

- ... وهذا نال جائزة إنسانية العام الماضي...

- **اختر واحدًا!**

صاح المنجل بضراوة لم يعهدها روان من الرجل قط، حتى بدت الجدران كأنها انكمشت من صوته. كان روان يظن أنه ربما يُعفى من المسؤولية، كما حدث عندما طلب فاراداي منه إعطاء قرص السيانيد للمرأة. لكن لا، اختبار اليوم مختلف. نظر روان إلى سيترا، التي ما تزال واقفة عند مدخل عرين الأسلحة، متسمرة كأنها شخص عابر في الشارع يشاهد حادثًا. وجد روان نفسه وحده تمامًا أمام مهمة اتخاذ هذا القرار المروع.

نظر إلى الشاشة، وقد ارتسمت على وجهه تعابير الألم، وأشار إلى الرجل ذي الشعر الأشعث، وقال: «هو، اقطف هذا».

أغمض روان عينيه. حكم على رجل بالموت لأن شعره أشعث. ثم شعر بيد فاراداي الحازمة على كتفه، وظن أنه سيوبخه، لكن المنجل قال: «أحسنت».

فتح روان عينيه: «شكرًا يا سيدي».

- لشعرتُ بالقلق إذا لم تكن هذه أصعب مهمة في حياتك.

سأل روان: «هل تصبح أسهل ذات يوم؟».

أجابه المنجل: «آمل ألَّا تصبح أسهل أبدًا».

في عصر اليوم التالي، عاد برادفورد زيلر من العمل فوجد منجلًا جالسًا في صالة معيشته، نهض المنجل عند دخول برادفورد، الذي أمرته غرائزه بأن يستدير ويهرب، لكن فتى مراهقًا يضع شارة خضراء على ذراعه كان يقف على الجانب الآخر أغلق الباب خلفه.

انتظر بتوجس متزايد ابتدار المنجل الكلام، لكن المنجل أومأ للفتى، فتنحنح وقال: «سيد زيلر، وقع الاختيار عليك للقطف».

قال المنجل بصبر: «أخبره ببقية الكلام يا روان».

- قصدت قول إنني... إنني الذي اخترتك للقطف.

نقَّل برادفورد بصره بين الاثنين، وفجأة أحس بارتياح غامر، لأن من الواضح أن هذه مزحة من نوعٍ ما، وقال: «طيب، من أنتما بحق الجحيم؟ من كلَّفكما بهذا المقلب؟».

وعندئذٍ رفع المنجل يده، مُظهِرًا خاتمه، فهبطت روح برادفورد المعنوية كأنها هوت من حالق. لم يكن الخاتم مزيفًا. قال المنجل: «الفتى أحد المتتلمِذين لدي».

قال الفتى لبرادفورد: «أنا آسف. اختيارك لم يكن شخصيًا، إنما تنطبق عليك معايير بعينها. في الماضي في عصر الفانين مات كثير من الناس وهم يحاولون إنقاذ أناسٍ آخرين، كثيرون منهم كانوا أناسًا يقفزون في الأنهار العارمة لينقذوا حيواناتهم الأليفة، ومعظمهم كانوا سباحين ماهرين، لكن هذا لا يهم في الفيضانات».

فكر برادفورد مع نفسه، *الكلاب! أجل، الكلاب!* وقال: «لا يمكنكما أذيتي! إذا تعرضتما لي فكلابي ستقطعكما إربًا».

لكن أين هم؟

وعندئذٍ خرجت فتاة من غرفة نوم برادفورد، وعلى كتفها شارة الفتى نفسها. قالت: «خدَّرتهم الثلاثة، سيكونون بخير، لكن لن يزعجوا أحدًا». كانت على ذراعها بقع دماء، ليست دماء الكلاب، بل دمائها هي، عضُّوها. أحسنوا فعلًا.

قال الفتى مرة أخرى: «الاختيار ليس شخصيًا، آسف».

قال المنجل للفتى: «اعتذار واحد يكفي، لا سيما عندما يكون صادقًا».

قهقه برادفورد، رغم أنه يعرف أن الأمر جدِّي. وجد الوضع مضحكًا بطريقةٍ ما. ضعُفت ركبتاه، فاقتعد الأريكة، وذابت ضحكته حتى استحالت قنوطًا. كيف يمكن أن يكون هذا عدلًا؟ كيف يكون أيًا من هذا عدلًا؟

لكن عندئذٍ جثا الفتى أمامه، وعندما رفع برادفورد رأسه التقت عيناه عينَي الفتى، الذي أحس كأنه ينظر إلى عينَي روح طاعنة في السن.

قال الفتى: «اسمعني يا سيد زيلر، أعرف أنك أنقذت شقيقتك من حريق عندما كنتَ في مثل سني، وأعرف أنك بذلت مجهودًا كبيرًا في سبيل الحفاظ على زواجك، وأعرف أنك تظن أن ابنتك لا تحبك، لكنها تحبك».

حدق برادفورد إليه مرتابًا: «كيف تعرف كل هذا؟».

زم الفتى شفتيه: «يقتضي عملنا أن نعرف. قطفك لن يغير أيًا مما قلتُه، عشتَ حياةً رائعة، وقد جاء المنجل فارادي لاستكمالها لك».

توسل برادفورد أن يجري مكالمة هاتفية، وترجَّى أن يُمهَل يومًا واحدًا، لكن هذه الطلبات لا تُلبَّى بالطبع. قالوا له إن بوسعه كتابة رسالة، لكنه عجز عن معرفة ما يريد كتابته.

قال الفتى له: «أعرف ما تحس به».

وأخيرًا سألهم: «كيف ستفعلونها؟».

أجابه المنجل: «اخترت لك غرقًا تقليديًا، سنصطحبك إلى النهر، وسأغمرك تحت الماء حتى تفارق الحياة».

أغمض برادفورد عينيه بشدة: «سمعتُ أن الغرق طريقة رحيل سيئة».

سألت الفتاة: «أيمكنني إعطاؤه قليلًا من المادة التي أعطيتها للكلاب حتى يفقد وعيه؟».

فكر المنجل في الأمر وأومأ: «إذا أردتِ، يمكننا تجنيبه المعاناة».

لكن برادفورد هز رأسه: «لا، أريد أن أكون مستيقظًا».

إذا كان لا بد أن تكون تجربة الغرق آخر تجارب حياته، فليعشها إذن، سيشعر بتسارع نبضات قلبه، وسيرتعش جسده مع ضخ الأدرينالين. كان خائفًا، لكن الخوف يعني أنه ما يزال حيًّا.

قال المنجل له بلطف: «هلمَّ إذن، سنذهب إلى النهر معًا».

انبهرت سيترا من طريقة تدبُّر روان لأمره. سيطر على الموقف رغم أنه اضطرب قليلًا عندما تكلم مع الرجل في البداية، لكنه أمسك بزمام خوف الرجل ومدَّه بالسَّكينة. لم يسع سيترا سوى أن تأمل في أن تحافظ على رباطة جأشها مثل روان عندما يحين دورها في اتخاذ القرار. لم تفعل اليوم سوى تخدير بضعة كلاب، صحيح أنها تعرضت للعض، لكنه ليس بالأمر الجلل حقًّا. حاولت إقناع فاراداي بأخذ الكلاب إلى مأوى، لكنه رفض، وسمح لها بالاتصال بالمأوى حتى يأتوا من أجل الكلاب، والاتصال بمحقق الوفيات ليأتي من أجل الرجل. ثم عرض المنجل عليها اصطحابها إلى مستشفى من أجل تسريع شفاء عضة الكلب على ذراعها، لكنها رفضت. وحداتها المجهرية ستشفي الجراح بحلول الصباح، وعلاوة على هذا، فقد وجدت شيئًا من الراحة في الانزعاج الذي سبَّبته العضة، إذ كانت مدينة للرجل بأن تتألم من أجله قليلًا.

قالت لروان في طريق عودتهم إلى البيت: «ما فعلتَه كان مثيرًا للإعجاب».

- أجل، صحيح، إلى أن تقيأتُ عند ضفة النهر.

- لكنك لم تتقيأ إلا بعدما قُطِف الرجل، لقد مددت ذلك الرجل بالقوة ليواجه الموت.

هز روان كتفيه: «أظن».

وجدت سيترا تواضعه مثيرًا للحنق ومحبَّبًا في آنٍ واحد.

ثمَّة قصيدة كتبها المنجل المبجَّل سقراط، وهو أحد المناجل الأوائل، كتب قصائد كثيرة، لكن هذه القصيدة هي المفضلة لديَّ.

لا تُطلِق العنان لنصلك

اقتل من الحظيرة كل ما هو شَكِس عنيد

لأن الكلب الذي يحب النُّباح والعض

جبانٌ بطبعه وليس سوى جِيفة دَنِسة.

تذكِّرني بأننا رغم مبادئنا السَّامية وتحوُّطاتنا لحماية هيئة المناجل من الفساد والانحلال، علينا أن نكون يقظين دومًا، لأنَّ سُلطتنا يرافقها المرض الوحيد المتبقِّي لدينا، وهو الفيروس الذي يُسمَّى بالطَّبيعة البشريَّة. أخشى أن يحب المناجل فعل ما يفعلونه.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

9

إزمي

أسرفت إزمي في تناول البيتزا. قالت لها والدتها إن البيتزا سوف تتسبب في موتها، ولم تتخيل قط أن هذا قد يكون واقعًا.

بدأ هجوم المناجل بعد أقل من دقيقة من تقديم شريحة البيتزا لها، ساخنةً من الفرن يتصاعد بخارها. كانت نهاية يوم مدرسي، وقد أُرهقت إزمي من اختبارات الصف الرابع اليومية، وكان الغداء مريعًا، وسَلطة التونة التي أعدتها والدتها صارت دافئة ومتخمرة قليلًا بحلول وقت الغداء، فلم تعد فاتحة للشهية، وفي الحقيقة لم يكن أي طعام تعده والدتها يعجبها، كانت الوالدة تحاول حمل إزمي على تناول الطعام الصحي، لأن الفتاة تعاني مشكلة زيادة وزن طفيفة، ورغم إمكانية برمجة وحداتها المجهرية لتسرِّع عملية أيْضها، فقد رفضت والدتها الخيار رفضًا باتًّا، زاعمةً أن هذا سيكون علاجًا للأعراض وليس المشكلة.

قالت والدتها لها: «لا يجوز أن تعالجي أي شيء بضبط وحداتك المجهرية، عليكِ تعلُّم السيطرة على نفسك».

طيب، يمكنها تعلم السيطرة على نفسها غدًا، اليوم تريد البيتزا.

مطعم البيتزا المفضل لديها كان اسمه لويجي في قاعة طعام غاليريا فولكرَم سيتي، الواقعة في طريقها من المدرسة إلى البيت. كانت تجد صعوبة مع الجبن الساخن، محاوِلة معرفة طريقة أخذ القضمة الأولى دون أن تحرق

سقف فمها. وعندئذٍ وصل المناجل. لم تكن إزمي تواجه المدخل، فلم ترهم في البداية، لكنها سمعتهم، أو سمعت واحدًا منهم على الأقل.

قال: «مساء الخير أيها الطيبون، حياتكم على وشك التغير تغيرًا جذريًا».

التفتت إزمي فرأتهم، أربعة مناجل، متشحين بعباءات متلألئة ذات ألوان براقة، لم يبدوا كأي أُناسٍ رأتهم إزمي من قبل، إذ لم تر منجلًا من قبل، فغمرها الانبهار، حتى استل ثلاثة منهم أسلحة تلتمع لمعانًا أشد من لمعان عباءاتهم المرصعة بالجواهر، وأشهر الرابع قاذفة لهب.

قال قائدهم: «قاعة الطعام هذه اختيرت للقطف». ثم بدؤوا مهمتهم البشعة.

عرفت إزمي ما عليها فعله، انزلقت إلى تحت الطاولة، ناسيةً البيتزا، وزحفت مبتعدة، لكنها لم تكن الوحيدة، بدا أن الجميع صاروا على الأرضية وراحوا يزحفون مذعورين. ولم يبدُ أن هذا قد أزعج المناجل، الذين كانت إزمي ترى أقدامهم من خلال الحشد الزاحف، وحقيقة أن ضحاياهم على أطرافهم الأربعة لم تبطئ عملهم أدنى إبطاء.

بدأت إزمي ترتعب، سمعت من قبل قصصًا عن مناجل يؤدون القطف الجماعي، لكن حتى هذا اليوم كانت تظنها مجرد قصص.

رأت أمامها عباءة منجل صفراء، فعادت أدراجها، ووجدت المنجل ذا العباءة الخضراء يقترب منها، زحفت عبر فجوة بين الطاولات وبين أصيصين أضرمهما المنجل ذو العباءة البرتقالية، وعندما خرجت على الجانب الآخر من الأصيصين الضخمين، وجدت نفسها مكشوفة.

عندئذٍ كانت أمام بوفيه الطعام، ورأت الرجل الذي قدم لها البيتزا متهالكًا على النضد، ميتًا. ثم رأت فجوة بين سلة نفايات والجدار، لم تكن فتاة رشيقة، فبذلت كل ما بوسعها لتحشر نفسها في الفجوة، التي لم تكن مخبأً جيدًا، لكن إذا تركته فستكون في وجه النار. رأت سلفًا شخصين يحاولان الانطلاق عبر الممر الذي أمام الباب لكنهما أُسقطا بسهام فولاذية. لم تجرؤ على التحرك، ودفنت وجهها بين يديها، وظلت على هذا الحال، تنشج، وتستمع إلى الأصوات الفظيعة حولها، إلى أن خيم الصمت على كل شيء. ورغم الصمت لم تفتح عينيها حتى سمعت رجلًا يقول: «مرحبًا».

فتحت إزمي عينيها فرأت المنجل القائد، ذا العباءة الزرقاء، يقف فوقها.

توسَّلت: «أرجوك، أرجوك لا تقطفني».

مد الرجل يده إليها قائلًا: «القطف انتهى، لم يبق أحد سواك، والآن أمسكي بيدي».

مدت إزمي يدها، خشية أن ترفض طلبه، ووضعتها في يده، ونهضت من مخبئها.

قال: «كنت أبحث عنك يا إزمي».

شهقت إزمي عندما سمعته يقول اسمها. لماذا يبحث منجل عنها؟

تجمع المناجل الثلاثة الآخرون حولهما، ولم يرفع أحد منهم سلاحه عليها.

قال المنجل الذي يرتدي العباءة الزرقاء: «ستأتين معنا الآن».

- لكن... لكن أمي.

- أمك تعرف، وقد منحتها حصانة.

- حقًّا؟

- نعم، حقًّا.

ثم اقتربت الفتاة المنجل، التي ترتدي الأخضر والزمرد، وناولت إزمي طبقًا: «أظن أن هذه البيتزا كانت لك».

أخذت إزمي الطبق، الذي صار باردًا بما يكفي للأكل: «شكرًا لك».

قال المنجل ذو العباءة الزرقاء: «تعالي معنا، أعدك بأن حياتك من هذه اللحظة ستكون كما حلمتِ بها».

وهكذا غادرت إزمي مع المناجل الأربعة، ممتنة لأنها على قيد الحياة، ومحاولةً ألَّا تفكر في الكثيرين الميتين فيما حولها. قطعًا لم تتخيل أن هذا سيكون مآل يومها، لكن من هي حتى تقاوم أمرًا يحمل لمسة القَدَر؟

هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهر لم يضنِه فيه الملل؟ وحينٌ لم يكن فيه من الصَّعب إيجاد الدَّوافع؟ عندما أطَّلِع على أرشيف أخبار عصر الفانين يبدو لي أنَّ الناس كانوا مدفوعين بحوافز كثيرة لفعل ما كانوا يفعلونه، كان جوهر الحياة هو إيجاد الوقت واستغلاله، وليس تبديده.

يا لتشويق تلك التَّقارير الإخباريَّة! مليئة بكل ضروب الأنشطة الإجراميَّة، يمكن أن يكون جارك تاجر عقاقير كيميائيَّة ترفيهيَّة غير قانونيَّة، ويمكن للناس العاديين إنهاء حياة آخرين دون إذن من المجتمع، ويمكن لأفراد غاضبين أن يستولوا على مركبات لا يملكونها ثم يقودوا موظَّفي إنفاذ القانون في مطاردات خطيرة عبر طرق عامَّة.

في أيَّامنا هذه لدينا المُستهجَنون، لكنهم لا يفعلون سوى إلقاء القمامة في الشَّارع من حين إلى آخر وتحريك بضائع المتاجر من أماكنها. لم يعد أحد يثور على النِّظام الحاكم، وأقصى ما يفعلونه هو أن يحدجوه بنظرة ساخطة قليلًا.

ربما لهذا السَّبب ما يزال الرَّأس السَّحابي يسمح بحدوث عدم مساواة اقتصاديَّة في حدود محسوبة. يمكنه قطعًا تحقيق تساوي الثَّروة بين الجميع، لكن هذا سيفاقِم وباء الملل الذي أصاب الخالدين. رغم أنَّ لدينا جميعًا ما نحتاج إليه، ما زال مسموح لنا بالسَّعي وراء الأشياء التي نريدها. بالطبع لم يعد أحد يسعى كما كان الناس يسعون في أيَّام الفانين، عندما كانت اللَّامساواة فادحة إلى درجة أن الناس يسرق بعضهم من بعض، وأحيانًا ينهون حياة بعضهم في خضم سعيهم.

لن أرغب يومًا في عودة الجريمة، لكنني أسأم أحيانًا من أنَّنا، المناجل، الوحيدون الذين يبعثون الخوف، سيكون من اللطيف أن نجد منافسة.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

10

استجابات ممنوعة

«أؤكد لك يا صاح»، الموضوع على ألسِنة الجميع، كل الناس يظنون أنك تريد أن تصبح منجلًا لتنتقم من المدرسة.

في أحد أيام مارس الدافئة، ذات عصر في أحد الأيام النادرة التي يسمح فيها المنجل فاراداي لروان بالترويح عن نفسه، ذهب روان لزيارة صديقه تايغر، الذي لم يتفلطح ولا مرة في الأشهر الثلاثة السابقة. كانا يلعبان كرة السلة في متنزه يبعد بضعة مربعات سكنية عن بيت روان، الذي لا يُسمح له بزيارته، وربما لن يزوره حتى إذا سُمِح له.

ألقى روان الكرة لتايغر قائلًا: «هذا *ليس* السبب الذي قبلت من أجله التلمذة».

ابتسم تايغر: «*أنا* أعرف هذا، و*أنت* تعرف هذا، لكن الناس يصدقون ما يودون تصديقه. فجأة صرت أتلقى معاملة حسنة لأنني صديقك، يظنونني قادرًا على إيصالهم إلى خاتمك لينالوا الحصانة ويبعِدوا شبح الموت».

ضحك روان من فكرة تأدية تايغر دور الشفيع، وتخيل تايغر يستغل الدور لمصلحته بكل الوسائل الممكنة، وعلى الأرجح سيتقاضى أموالًا من الناس مقابل الخدمة.

قطع روان الكرة وسدد. لم يلعب منذ انتقاله إلى بيت المنجل، لكنه وجد ذراعه مرنة، وإن لم يكن ماهرًا في التصويب. صار أقوى مما كان، وصاحب لياقة عالية، بفضل تدريبات البوكاتور.

«إذن عندما تحصل على الخاتم سوف تمنحني الحصانة، صحيح؟». سدد تايغر وأخطأ الهدف، وكان من الواضح أنه أخطأ متعمدًا. كان يدع روان يفوز.

«أو وقبل كل شيء، لا أعرف إذا ما سيختار المنجل منحي الخاتم. وثانيًا، لا يمكنني منحك الحصانة».

بدا تايغر مصدومًا بحق: «ماذا؟ لِمَ لا؟».

- ستكون محاباة.

- أوليست الصداقة من أجل هذا؟

جاء بضعة صِبية إلى الملعب وسألوهما عما إذا كانا يريدان لعب مباراة مرتجلة، لكن حالما رأوا الشارة التي على ذراع روان غيروا رأيهم.

قال أكبرهم: «لا بأس، سنترك لكما الملعب».

كان أمرًا مثيرًا للحنق، وقال روان: «لا، يمكننا اللعب جميعًا...».

- لا... سنذهب إلى مكان آخر.

أصر روان: «قلتُ يمكننا اللعب جميعًا!». ورأى في أعين الصبية خوفًا شديدًا إلى درجة أنه أحس بالخزي من إصراره.

قال فتى آخر: «أجل، أجل، بالطبع». والتفت إلى أصدقائه: «سمعتم الرجل! فلنلعب!».

دخلوا إلى الملعب بجدية، وبجدية لعبوا ليخسروا، كما كان تايغر يفعل. أهذا ما سيكون عليه الحال دومًا؟ هل أصبح وجوده مُرهِبًا إلى درجة أن أصدقاءه يخشون تحديه في اللعب؟ لم يعد يتحداه أي أحد بأي شكل سوى سيترا.

وسرعان ما فقد روان الرغبة في اللعب وغادر مع تايغر، الذي وجد الوضع مسليًا: «لم تعُد خسًّا يا صاح، أنت نبتة البلادونا المميتة. والآن صرت عسير الهضم!».

كان تايغر محقًّا. إذا كان روان قد أمر أولئك الفتية بأن يجثوا على أطرافهم الأربعة ويلعقوا الرصيف، لامتثلوا لأمره. كان أمرًا فظيعًا مدوخًا، ولم يرغب في التفكير فيه.

لم يعرف روان ما دهاه حتى يفعل ما فعله لاحقًا، ربما الإحباط من عزلته، أو ربما مجرد الرغبة في جلب شيء من حياته القديمة إلى حياته الجديدة.

«أتود المجيء معي لترى بيت المنجل؟».

تشكك تايغر قليلًا: «ألن يمانع؟».

«إنه غير موجود، ذهب للقطف في مدينة أخرى اليوم، ولن يعود حتى وقت متأخر».

كان روان يعرف أن جذع دماغ المنجل فاراداي سينفجر إذا اكتشف الأمر، ومعرفته هذه جعلت فعلته مغامرة مثيرة، إذ ظل فتى ملتزمًا مطيعًا للغاية، وقد حان الوقت لفعل شيء يريد هو فعله.

وجدا البيت خاليًا عندما وصلا، لم تكن سيترا موجودة وقد سمح المنجل فاراداي لها أيضًا بالخروج في عصر ذلك اليوم. كان روان قد أراد تعريفها على تايغر، ثم خطر له، *ماذا لو أعجبا ببعضهما؟ ماذا لو نال تايغر استحسانها؟* لطالما كان تايغر يعرف كيفية التعامل مع الفتيات، حتى إنه أقنع فتاة بالتفلطح معه مرة، لا لشيء سوى أن يمكنه قول «الفتيات يقعن في حبي - حرفيًّا».

كان تايغر قد قال لها: «سنكون مثل روميو وجولييت، إلا أننا سنعود».

غنيٌّ عن القول إن والدَي الفتاة استشاطا غضبًا، وبعدما أُنعِشت منعاها من مقابلة تايغر مرة أخرى أبدًا.

استخف تايغر بالحدث: «حياتها حكاية يرويها حمقى».

ورأى روان أن كلامه خطأ فظيع في اقتباس عبارة لشكسبير.

فكرة وقوع سيترا في حب تايغر -ولو مجازيًّا فحسب- أشعرت روان بغثيان خفيف.

قال تايغر وهو يجيل بصره في أنحاء البيت: «ما هذا؟ إنه بيت عادي».

- ما الذي توقعته؟ مخبأ سري تحت الأرض؟

قطع روان الكرة وسدد. لم يلعب منذ انتقاله إلى بيت المنجل، لكنه وجد ذراعه مرنة، وإن لم يكن ماهرًا في التصويب. صار أقوى مما كان، وصاحب لياقة عالية، بفضل تدريبات البوكاتور.

«إذن عندما تحصل على الخاتم سوف تمنحني الحصانة، صحيح؟». سدد تايغر وأخطأ الهدف، وكان من الواضح أنه أخطأ متعمدًا. كان يدع روان يفوز.

«أو وقبل كل شيء، لا أعرف إذا ما سيختار المنجل منحي الخاتم. وثانيًا، لا يمكنني منحك الحصانة».

بدا تايغر مصدومًا بحق: «ماذا؟ لِمَ لا؟».

- ستكون محاباة.

- أوليست الصداقة من أجل هذا؟

جاء بضعة صِبية إلى الملعب وسألوهما عما إذا كانا يريدان لعب مباراة مرتجلة، لكن حالما رأوا الشارة التي على ذراع روان غيروا رأيهم.

قال أكبرهم: «لا بأس، سنترك لكما الملعب».

كان أمرًا مثيرًا للحنق، وقال روان: «لا، يمكننا اللعب جميعًا...».

- لا... سنذهب إلى مكان آخر.

أصر روان: «قلتُ يمكننا اللعب جميعًا!». ورأى في أعين الصبية خوفًا شديدًا إلى درجة أنه أحس بالخزي من إصراره.

قال فتى آخر: «أجل، أجل، بالطبع». والتفت إلى أصدقائه: «سمعتم الرجل! فلنلعب!».

دخلوا إلى الملعب بجدية، وبجدية لعبوا ليخسروا، كما كان تايغر يفعل. أهذا ما سيكون عليه الحال دومًا؟ هل أصبح وجوده مُرهِبًا إلى درجة أن أصدقاءه يخشون تحديه في اللعب؟ لم يعد يتحداه أي أحد بأي شكل سوى سيترا.

وسرعان ما فقد روان الرغبة في اللعب وغادر مع تايغر، الذي وجد الوضع مسليًا: «لم تعُد خسًّا يا صاح، أنت نبتة البلادونا المميتة. والآن صرت عسير الهضم!».

كان تايغر محقًّا. إذا كان روان قد أمر أولئك الفتية بأن يجثوا على أطرافهم الأربعة ويلعقوا الرصيف، لامتثلوا لأمره. كان أمرًا فظيعًا مدوخًا، ولم يرغب في التفكير فيه.

لم يعرف روان ما دهاه حتى يفعل ما فعله لاحقًا، ربما الإحباط من عزلته، أو ربما مجرد الرغبة في جلب شيء من حياته القديمة إلى حياته الجديدة.

«أتود المجيء معي لترى بيت المنجل؟».

تشكك تايغر قليلًا: «ألن يمانع؟».

«إنه غير موجود، ذهب للقطف في مدينة أخرى اليوم، ولن يعود حتى وقت متأخر».

كان روان يعرف أن جذع دماغ المنجل فاراداي سينفجر إذا اكتشف الأمر، ومعرفته هذه جعلت فعلته مغامرة مثيرة، إذ ظل فتى ملتزمًا مطيعًا للغاية، وقد حان الوقت لفعل شيء يريد هو فعله.

وجدا البيت خاليًا عندما وصلا، لم تكن سيترا موجودة وقد سمح المنجل فاراداي لها أيضًا بالخروج في عصر ذلك اليوم. كان روان قد أراد تعريفها على تايغر، ثم خطر له، *ماذا لو أعجبا ببعضهما؟ ماذا لو نال تايغر استحسانها؟* لطالما كان تايغر يعرف كيفية التعامل مع الفتيات، حتى إنه أقنع فتاة بالتفلطح معه مرة، لا لشيء سوى أن يمكنه قول «الفتيات يقعن في حبي - حرفيًّا».

كان تايغر قد قال لها: «سنكون مثل روميو وجولييت، إلا أننا سنعود».

غنيٌّ عن القول إن والدَي الفتاة استشاطا غضبًا، وبعدما أُنعِشت منعاها من مقابلة تايغر مرة أخرى أبدًا.

استخف تايغر بالحدث: «حياتها حكاية يرويها حمقى».

ورأى روان أن كلامه خطأ فظيع في اقتباس عبارة لشكسبير.

فكرة وقوع سيترا في حب تايغر -ولو مجازيًّا فحسب- أشعرت روان بغثيان خفيف.

قال تايغر وهو يجيل بصره في أنحاء البيت: «ما هذا؟ إنه بيت عادي».

- ما الذي توقعته؟ مخبأ سري تحت الأرض؟

- في الحقيقة نعم، أو شيء من هذا القبيل. أعني... انظر إلى هذا الأثاث، لا أصدق أنه يرغمك على العيش في هذه البؤرة الجحيمية.

- إنه ليس بهذا السوء. تعال معي، سأريك شيئًا رائعًا.

اصطحب تايغر إلى عرين الأسلحة، وكما هو متوقع وجده تايغر مثيرًا للإعجاب: «رائع جدًّا! لم أر هذا العدد من السكاكين من قبل، وهل هذه مسدسات؟ لم أرها سوى في الصور!». أخذ مسدسًا من الجدار ونظر إلى فوهته.

زجره روان: «لا تفعل هذا!».

- اهدأ، أنا أحب التفلطح، لا التفجير.

أخذ روان المسدس منه، وفي اللحظة التي استغرقها لإعادة المسدس إلى الجدار، أنزل تايغر من جدار آخر منجل حصاد وراح يلوِّح به في الهواء، قائلًا: «أتظن أن بإمكاني استعارة هذا؟».

- قطعًا لا!

- أرجوك، لديه الكثير منه، لن يفتقده.

كان روان يعرف أن تايغر هو تجسيد «الفكرة السيئة»، ولطالما كان طيشه جزءًا من متعة كونه صديقه، لكنه الآن صار عبئًا خطيرًا. أمسك روان بذراع تايغر وركله خلف ركبته ليثنيها، وثبَّته على الأرض بحركة بوكاتور واحدة بقوة كافية لإيلامه.

قال تايغر من بين أسنانه: «ما هذا بحق الجحيم؟!».

- ألقِ المنجل، الآن!

فألقاه تايغر، وعندئذٍ سمعا صوت فتح الباب الخارجي، وأفلته روان وقال له بهمسة صارمة: «اصمت»، واختلس نظرة عبر الباب، لكنه لم ير الشخص الذي دخل، وقال لتايغر: «ابقَ هنا». ثم انسل خارجًا فوجد سيترا تغلق الباب خلفها. لا بد أنها خرجت للركض، إذ كانت ترتدي زي تمارين يكشف الكثير من مفاتنها، إلى درجة لم يكن روان يريدها في اللحظة الراهنة، فأشعرته بدوار خفيف. لذا ركَّز على شارة التتلمذ التي على ذراعها ليذكِّر نفسه بأن الاستجابات الهرمونية ممنوعة منعًا باتًّا. رفعت سيترا رأسها وألقت عليه تحية من باب الواجب: «مرحبًا روان».

- مرحبًا.

- هل من خطبٍ ما؟

- لا.

- فلماذا أنتَ واقف هنا؟

- أين ينبغي أن أقف؟

قلبت عينيها في محجريهما وذهبت إلى الحمام، وأغلقت الباب. فانسل روان عائدًا إلى عرين الأسلحة.

سأله تايغر: «مَن كان؟ أهي... ما اسمها؟ أريد مقابلة منافِستك، ربما ستمنحني هي الحصانة، أو شيئًا آخر».

قال روان له: «لا، إنه المنجل فاراداي، سيقطفك في التو واللحظة إذا وجدك هنا».

وفجأة تبخرت شجاعة تايغر وصفاقته: «أوه سحقًا! ماذا سنفعل؟».

- اهدأ، إنه في الحمام. يمكنني إخراجك إذا التزمتَ الهدوء.

خرجا إلى الممشى المؤدي إلى الباب، وبالطبع سمعا صوت الماء خلف باب الحمام المغلق.

«هل يغسل عن نفسه الدماء؟».

«نعم، دماء كثيرة». اقتاد تايغر إلى الباب، وكاد أن يدفعه إلى الخارج دفعًا.

بعدما أمضت سيترا قرابة ثلاثة أشهر في التلمذة، لم يعد بوسعها إنكار أنها أرادت أن يختارها المنجل فاراداي لمنحها الخاتم. فرغم مقاومتها، ورغم محاولات إقناع نفسها بأن حياة المناجل لا تناسبها، اقتنعت بأهميتها، واحتمال أنها ستكون منجلًا صالحًا. لطالما أرادت أن تعيش حياة ذات مغزى وأن تضع بصمتها على العالم، وهذا يمكنها تحقيقه بوصفها منجلًا. صحيح أن يديها ستتلطخان بالدماء، لكن الدماء من شأنها أن تكون عاملًا مُطهِّرًا.

قطعًا هذه كانت النظرة إلى الدماء في البوكاتور.

وجدت سيترا أن بوكاتور الأرملة السوداء أشد نشاط بدني تطلُّبًا. كان مدربهما هو المنجل بِنغسينغ، الذي لا يستخدم في القطف أي سلاح سوى

يديه وقدميه، وكان قد نَذَر على نفسه الصمت. بدا أن كل منجل تخلى عن شيءٍ ما -ليس لأنهم مجبرون إنما باختيارهم- بوصف هذا التخلي تكفيرًا عن الحيوات التي يسلبونها.

«ما الذي ستتخلين عنه؟». سأل روان سيترا ذات يوم، وقد أشعرها السؤال بعدم الارتياح.

«إذا أصبحتُ منجل فسأتخلى عن حياتي، أليس كذلك؟ أظن هذا يكفي».

ذكّرها روان: «ستتخلين عن تكوين أسرتك أيضًا».

أومأت، غير راغبة في الحديث عن الأمر. فكرة تكوين أسرة كانت بعيدة جدًّا عن تفكيرها، وفكرة عدم تكوين أسرة بدت بعيدة بالقدْر نفسه. كان من الصعب عليها أن تراودها مشاعر بشأن أمر أمامها سنوات قبل أن تفكر فيه مجرد تفكير، كما أن مثل هذه الخواطر يجب أن تُبعَد عن عقلها في أثناء التدرب على البوكاتور، ينبغي أن يكون ذهن المرء صافيًا.

لم تمارس سيترا أيًّا من الفنون القتالية من قبل، لطالما كانت تحب الرياضات الخالية من الالتحامات، كالركض، والسباحة، والتنس، أي رياضة تتضمن خطًّا واضحًا أو شبكة بينها وبين خصمها. والبوكاتور هو النقيض بعينه، قتال باشتباك الأيدي والأجساد، حتى التواصل بينهما في الصف كان جسديًّا بالكامل، إذ يصحح مدربهما الصامت وضعيات وقوفهما كأنهما دُميتان، كل شيء كان ذهنيًّا وجسديًّا، دون وساطة مزعجة من الكلمات.

كان يوجد ثمانية متدربين في صفهما، ورغم أن مدربهم كان منجلًا، فسيترا وروان كانا المتتلمذين الوحيدين، الآخرون كانوا مناجل مبتدئين في أولى سنوات المنجلية. كانت توجد فتاة واحدة أخرى، ولم تبادر بأي بادرة لتكوين صداقة مع سيترا. لم تكن الفتيات يُعامَلن أي معاملة خاصة، ويتوقع منهن أن يكن ندًّات للفتيان.

كانت النزالات التدريبية خشنة في البوكاتور، كل نزال يبدأ بسيطًا، بتحركات طقوسية حول الدائرة، ويناوش المتباريان بعضهما كأنهما يؤديان رقصة عنيفة من نوعٍ ما، ثم تصير الأمور جدية، ووحشية، وتُتبادل جميع ألوان الركلات واللكمات والإسقاطات.

اليوم خاضت سيترا نزالًا تدريبيًّا مع روان، الذي كان أبرع في حركاته، لكنها كانت تتميز بالسرعة، كان أقوى منها، وأطول أيضًا، لكن الطول لم يكن

ميزة، فمركز جاذبية سيترا المنخفض يجعلها أكثر ثباتًا. وبأخذ كل المميزات والعيوب في الاعتبار كانا متساويين في القوة.

استدارت حول نفسها ووجهت ركلة قوية إلى صدره كادت أن تسقِطه.

قال روان: «ركلة جيدة». فأتى المنجل ينغسينغ بحركة كأنه يغلق سحَّابًا أمام شفتيه ليذكِّرهما بالامتناع عن الكلام في أثناء النزال.

هاجمته من يساره، فتصدى روان بهجوم معاكس بسرعة بالغة جعلتها لا تعرف من أين جاءت يده، بدا كأنه صار لديه ثلاث أيدٍ فجأة، وفقدت توازنها، لكن لوهلة وجيزة، وأحست بحرارة في الموضع الذي ضربته يد روان على خاصرتها، فابتسمت. *ستخلِّف الضربة كدمة، وسيدفع ثمنها.*

تظاهرت بالهجوم من يساره مرة أخرى، ثم انقضت عليه من اليمين بكامل قوة جسدها، فأسقطته وثبَّتته على الأرض، لكن كما لو أن الجاذبية الأرضية انعكست، أدركت فجأة أنه قلب الطاولة عليها، واعتلاها، وثبَّتها على الأرض. كان بوسعها قلبه مرة أخرى، ووضعيتها تتيح لها قلبه، لكنها لم تفعل، أحست بخفقات قلبه كأنها داخل صدرها، وأدركت أنها تريد أن تحس بها مدة أطول قليلًا، أرادت أن تحس بها أكثر مما أرادت الفوز بالنزال.

وأشعرتها رغبتها هذه بالغضب، غضب مكَّنها من الإفلات من قبضته وإبعاده عنها قليلًا. ما من خطوط مسارات، وما من شبكة، ما من شيء يفصلهما سوى جدار إرادتها، لكن الجدار ظل يتصدَّع.

أشار المنجل ينغسينغ إلى انتهاء النزال، وانحنى روان وسيترا لبعضهما، ثم اتخذا مكانيهما على الجانب الآخر من الدائرة في أثناء دعوة اثنين آخرين للنزال. وشاهدت سيترا بتركيز شديد، عازمةً على عدم النظر إلى روان ولو نظرة عابرة.

لم نعُد كائنات بشريَّة كما كنَّا ذات يوم.

فلنتفكَّر في عجزنا عن استيعاب أدب الفانين ومعظم وسائل ترفيه عصر الفانين. لم نعد قادرين على استيعاب الأشياء التي كانت تحرِّك عواطف البشر الفانين، قصص الحب وحدها هي التي اجتازت غربال عصر الخالدين، وحتى قصص الحب هذه تحيِّرنا فيها حِدَّة لوعة الشَّوق والفقد التي كانت تشيع في حكايات حب الفانين.

يمكننا أن نُنحي باللائمة على وحداتنا المجهريَّة العاطفيَّة التي تحِدُّ من بؤسنا، لكن الأمر يتجاوز هذا التبرير. كان الفانون يتخيَّلون أنَّ الحب أبدي وأنَّ نهايته مستحيلة، والآن نعرف أنَّ كِلا الافتراضين خاطئان، ظلَّ الحب فانيًا، وصرنا نحن خالدين. المناجل وحدهم بوسعهم إضفاء التوازن على هذه المعادلة، لكن الجميع يعرف أنَّ احتمال التعرض للقطف في هذه الألفية أو التي تليها ضئيل إلى درجة أنه يمكن تجاهله.

لم نعُد كائنات بشريَّة كما كنَّا ذات يوم.

إذن، لو لم نعُد بشرًا، فماذا نحن؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

11

سلوكيات متهورة

لا يذهب روان وسيترا إلى القطف معًا دومًا، أحيانًا يصطحب المنجل فاراداي أحدهما فقط. أفظع قطف شهدته سيترا وقع في بداية مايو، قبل أسبوع من **خلوة الربيع**، الأولى من بين ثلاث خلوات سيتعين عليها وعلى روان حضورها خلال فترة تتلمذهما.

كان هدفهما رجلًا استعاد شبابه للتو وأعاد سنه إلى الرابعة والعشرين، وجداه في بيته يتناول العشاء مع زوجته وابنيه، اللذين كانا في سن قريبة من سن سيترا، وعندما أعلن المنجل فاراداي الهدف الذي جاءا من أجله، انتحبت الأسرة، وانسحب الرجل إلى إحدى غرف النوم.

كان المنجل فاراداي قد اختار نزيفًا هادئًا للرجل، لكن هذا لم يحدث. فعندما دخلت سيترا مع المنجل إلى الغرفة، هاجمهما، كان الرجل في أفضل حالاته الجسدية، وبدافع من غروره المُستمَد من استعادة شبابه، رفض قطفه وقاتل المنجل، وكسر فكه بلكمة عنيفة، فهبَّت سيترا لمساعدة المنجل، وحاولت توظيف بعض حركات البوكاتور التي تعلمتها من المنجل ينغسينغ، وأدركت سريعًا أن تطبيق الفنون القتالية أمر مختلف تمام الاختلاف عن الوضع في قاعة التدريب. ذبَّها الرجل بعيدًا عنه وتابع هجومه على فاراداي، الذي كان ما يزال منكفئًا من إصابته.

وثبت سيترا عليه مرة أخرى، وتشبثت به، باذلة كل ما بوسعها، ونجحت في تشتيت انتباه الرجل مدة أتاحت للمنجل فاراداي استلال سكين صيد مخفي في طيات عباءته وشق حلق الرجل، فبدأ يشهق محاولًا التنفس، ويداه على عنقه محاولًا إيقاف الدماء المتدفقة، بلا جدوى.

أمسك المنجل فاراداي بفكه المتورم وخاطب الرجل، ليس بضغينة إنما بحزن عظيم: «هل تفهم عواقب ما فعلتَه؟».

لم يستطع الرجل الرد، وتهالك على الأرض وهو يشهق مرتعشًا. ظنت سيترا أن الموت تأثرًا بجرح كهذا سيكون سريعًا، لكن الحال غير هذا على ما يبدو، لم يسبق لها رؤية هذا القدر من الدماء.

قال المنجل لها: «ابقي هنا، انظري إليه بعطف وكوني آخر ما يراه». ثم غادر الغرفة.

عرفت سيترا ما كان المنجل مُقبِلًا على فعله، فالقانون واضح غاية الوضوح فيما يتعلق بعواقب الهروب من القطف أو مقاومته. لم تستطع إغماض عينيها، لأنها أُمرت بألا تبعد عينيها عنه، لكنها تمنت لو أمكنها سد أذنيها، إذ كانت تعرف ما توشك على سماعه من صالة المعيشة.

سمعت أولًا استرحامات المرأة متوسلةً الإبقاء على حياة ابنيها، ثم نشيج الابنين.

ثم سمعت سيترا المنجل يقول بحدة: «لا تتوسلي! أظهري لهذين الطفلين الشجاعة التي لم يظهِرها زوجك».

أبقت سيترا نظراتها على الرجل المحتضِر حتى تلاشت الحياة من عينيه، ثم خرجت لتنضم إلى المنجل فاراداي، متجلِّدة استعدادًا للقادم.

كان الطفلان على الأريكة، وخفَت نشيجهما إلى أنين خافت ممزوج بالدموع، وجثت المرأة على ركبتيها هامسةً لهما محاوِلةً مواساتهما.

قال المنجل بصبر نافد: «هل انتهيتِ؟».

وأخيرًا نهضت المرأة، بعينين مغرورقتين لكنهما لم تعودا متوسِّلتين. وقالت: «افعل ما عليك فعله».

قال المنجل: «جيد، أحييك على جسارتك. والآن بشأن ما حدث، زوجك لم يقاوم قطفه». ثم لمس وجهه المتورم: «لكنني تشاجرت مع تلميذتي، وتعرضتُ لهذه الإصابات».

حدقت المرأة إليه، فاغرةً فمها قليلًا، وكذلك سيترا. التفت المنجل إلى سيترا وحدجها بنظرة نارية: «ستُعاقَب تلميذتي عقابًا صارمًا على شجارها معي». ثم التفت إلى المرأة: «على ركبتيكِ من فضلك».

خرَّت المرأة على ركبتيها، لم تجثُ إنما تهالكت.

مد المنجل فاراداي خاتمه إليها: «كما جرى العرف، أنت وابناكِ ستنالون حصانة من القطف لمدة عام من الآن. قبِّلوا خاتمي من فضلكم».

قبَّلته المرأة مرة تلو مرة تلو مرة.

لم يتكلم المنجل كثيرًا بعدما غادرا، استقلا حافلة، لأن المنجل يتجنب السيارات العامة متى ما أمكنه، إذ يراها رفاهية.

وعندما ترجلا عند محطتهما، تجاسرت سيترا على الكلام: «هل سأُعاقَب على كسر فكك». كانت تعرف أنه سيلتئم بحلول الصباح، لكن وحدات الشفاء المجهرية لا تعمل فورًا، وما زال المنجل يبدو مريعًا.

قال لها بصرامة: «لا تكلِّمي أحدًا عما جرى، ولا تعلِّقي عليه مجرد تعليق في مذكراتك، أهذا واضح؟ يجب ألا يُعرَف تهوُّر الرجل أبدًا».

- كما ترى جنابك.

أرادت إخباره بمدى إعجابها به لما فعله، بتفضيله التعاطف على الواجب. تنطوي كل عملية قطف على درس ينبغي تعلمه، ودرس اليوم لن تنساه عما قريب. حُرمة القانون، وحكمة معرفة المواقف التي يجب فيها انتهاكها.

لم تكن سيترا نفسها، بقدر ما حاولت أن تكون تلميذة ممتازة، معصومة عن التهور. كان من مهامها الليلية جلب كأس حليب دافئ إلى المنجل فاراداي قبل نومه. قال لها: «كما كان الحال في طفولتي، يهدئ الحليب الدافئ توتر اليوم، لكنني تخليت عن الكعك الذي كان يرافقه».

فكرة تناول منجل الحليب والكعك بدت غريبة جدًّا لسيترا، لكنها افترضت أن حتى وكلاء الموت لديهم مُتع محرَّمة.

لكن كان يحدث كثيرًا، عندما يكون القطف صعبًا، أن ينام فاراداي قبل أن تأتي سيترا بالحليب إلى غرفته في الموعد المحدد، وفي هذه الحالات تشربه

بنفسها، أو تعطيه لروان، لأن المنجل فاراداي شدد على عدم إهدار أي شيء في بيته.

وفي ليلة ذلك القطف الفظيع، مكثت في غرفته مدة أطول قليلًا.

قالت بهدوء: «المنجل فاراداي». ثم كررت نداءها، لم يرد، واتضح لها من تنفسه أنه نائم.

رأت شيئًا على المنضدة المجاورة لفراشه، وفي الحقيقة كانت تراه في كل ليلة.

خاتمه.

كان يعكس الضوء الشاحب القادم من الرواق، ويلتمع حتى في الغرفة ذات الإضاءة المعتمة.

تجرعت كأس الحليب ووضعتها على المنضدة، حتى يرى المنجل في الصباح أنها أحضرته ولم يُهدَر، ثم جثت أمام المنضدة، وعيناها متسمِّرتان على الخاتم. تساءلت عن سببِ عدم نومه وهو يضعه، وأحست أن سؤال المنجل عن السبب سيكون تطفُّلًا من نوعٍ ما.

عندما تنال خاتمها، إذا نالته، فهل سيمثِّل لها الغموض المهيب الذي يمثِّله لها الآن؟ أم سيغدو عاديًا في نظرها؟ هل ستعده أمرًا مُسلَّمًا به؟

مدت يدها إلى الأمام، ثم سحبتها. ثم مدتها مرة أخرى وأخذت الخاتم برفق، وقلَّبته بين أصابعها حتى يعكس الضوء، الحجر كبير، أقرب إلى حجم جوزة بلوط، قيل إنه من الماس، لكن قلبه الداكن يجعله مختلفًا عن أي خاتم ماسي بسيط، ويوجد شيء في قلب الخاتم، لكن لا أحد يعرف ماهيته، تساءلت سيترا عما إذا كان المناجل أنفسهم يعرفونه، المركز لم يكن أسود سوادًا تامًّا، إنما ينطوي على تشوُّه لوني عميق يبدو مختلفًا وفقًا للضوء، كما تبدو عينا الشخص أحيانًا.

وعندئذٍ، عندما ألقت نظرة سريعة على المنجل، رأت عينيه مفتوحتين وتنظران إليها.

تجمدت، مدركة أنها ضُبطت، مدركة أن وضع الخاتم على المنضدة لن يغير من الأمر شيئًا.

سألها المنجل فاراداي: «أتودين تجريب وضعه حول إصبعك؟».

- لا، آسفة، ما كان ينبغي لي لمسه.

- ما كان ينبغي لك، لكنكِ لمسته.

تساءلت عما إذا كان مستيقظًا طوال الوقت.

قال لها: «هيا، جربيه، أنا أُصِر».

راودها الشك، لكنها امتثلت لما أُمرت به، لأنها، رغم ما قالته له، كانت تريد فعلًا تجريبه.

أحست به دافئًا حول إصبعها، كان على مقاس المنجل، لذا كان كبيرًا عليها، كما وجدته أثقل مما توقعت.

سألته: «هل تقلق بشأن تعرضه للسرقة يومًا؟».

- لا أقلق كثيرًا. أي شخص أحمق بما يكفي لسرقة خاتم منجل يُمحى سريعًا من الوجود، لذا لم تعد هذه مشكلة.

بدأ الخاتم يبرد على نحو ملحوظ.

قال المنجل: «لكنه شيء مرغوب فيه، ألا تتفقين معي؟».

أدركت سيترا فجأة أن الخاتم لم يبرد فحسب، بل وصار متجمدًا. ابيضَّ المعدن في غضون ثوانٍ وقد تجمع عليه الصقيع، وآلمتها إصبعها ألمًا مبرحًا من البرودة، فصرخت ونزعت الخاتم من يدها، فطار عبر الغرفة.

لم تتأذَّ الإصبع التي كان حولها الخاتم فحسب، بل والأصابع التي نزعته. كتمت سيترا أنينها، ثم أحست بالدفء يسري في أوصالها إثر إفراز المورفين من وحداتها المجهرية، واكتنفها دوار، لكنها أرغمت نفسها على البقاء متيقظة.

قال المنجل: «هذا إجراء أمني أضفته بنفسي، شريحة تبريد مصغرة في قاعدة الخاتم. دعيني أرى». أضاء مصباح المنضدة وأمسك يدها ناظرًا إلى إصبع الخاتم، رأى الجلد الذي حول المفصل أزرق شاحبًا ومتجمدًا. «لفقدتِ إصبعك في عصر الفانين، لكنني واثق أن وحداتك المجهرية بدأت في معالجة الضرر». أفلتَ يدها. «ستكونين على ما يرام بحلول الصباح. ربما تفكرين المرة التالية قبل أن تلمسي أشياء ليست لك». استعاد خاتمه وأعاده إلى المنضدة، ثم ناولها الكأس الفارغة: »من اليوم فصاعدًا سيجلب روان لي حليبي المسائي».

انكمشت سيترا: «آسفة لتخييب ظنك جنابك. إنك محق، لا أستحق أن أجلب لك حليبك».

رفع حاجبه: «أسأتِ فهمي، هذا ليس عقابًا، الفضول سمة بشرية، لم أفعل سوى أن تركتك تشبعين فضولك. ولا بد لي من قول إنك استغرقت وقتًا طويلًا». ثم ابتسم لها ابتسامة تآمرية: «والآن فلنرَ كم سيستغرق روان حتى يمد يده نحو الخاتم».

في بعض الأحيان، عندما يصبح عبء عملي ثقيلًا جدًا، أبدأ في التحسُّر على كل الأشياء التي فقدناها عندما استأصلنا الموت، أفكِّر بالأديان وكيف أنَّ معظم المعتقدات أصبحت -حالما صرنا المخلِّصين لأنفسنا، آلهة أنفسنا- غير ضروريَّة. كيف كان إحساس إيمان المرء بشيء أعظم منه وتقبُّله لعدم كماله وتطلُّعه إلى رؤية مستقبليَّة عن كل ما لن يحققه؟ لا بد أنَّه كان أمرًا معزِّيًا، ولا بد أنَّه كان أمرًا مفزعًا. لا بد أنَّ ذلك الإيمان ارتقى بالناس فوق ما هو مبتذل، لكنه برَّر وقوع شرور لا حصر لها. كثيرًا ما أتساءل عما إذا كانت جوانب الإيمان المشرقة تفوق الظلام الذي يمكن أن تجلبه إساءة استغلاله.

توجد طوائف الطُّونيِّين، بالطبع، يرتدون ملابس خشنة ويعبدون الاهتزازات الصوتيَّة، لكنهم، كالكثيرين في عالمنا، يسعون إلى تقليد ما كان يوجد في السابق، طقوسهم لا تؤخَذ على محمل الجد، ووجودهم لا هدف له سوى جعل الزمن المنقضي ذا معنى أعمق.

في الآونة الأخيرة صرت مشغولة بطائفة طونيَّة في الحي الذي أعيش فيه، ذهبت إلى مكان تجمُّعهم قبل أيام، من أجل قطف أحد منتسبي الطائفة، رجل لم يستعِد شبابه ولا مرة. وجدتهم يترنَّمون بما يسمونه «التردُّد الاهتزازي للكون»، وأخبرني أحدهم بأنَّ الصوت حي وأنَّ التَّناغم معه يجلب السلام الداخلي. أتساءل، عندما ينظرون إلى الشوكة الرنَّانة الضخمة التي تمثِّل رمز معتقدهم، أتساءل عمَّا إذا كانوا يعتقدون حقًّا أنَّه رمز سُلطة أم أنهم يلتقون من أجل نكتة مجتمعيَّة؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

جميع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

12

لا مجال للأداء المتوسط

قال المنجل فاراداي: «هيئة المناجل هي الهيئة المستقلة الوحيدة في العالم، ولا تخضع لحكم الرَّأس السَّحابي مثل بقية العالم، ولهذا نعقد الخلوات ثلاث مرات في السنة لنسوِّي النزاعات ونراجع السياسات ونقيم حدادًا على الحيوات التي أنهيناها».

لم يبق سوى أقل من أسبوع قبل انعقاد خلوة الربيع، التي قُرِّر انعقادها في الأسبوع الأول من مايو. وكان روان وسيترا قد درسا مؤسسة هيئة المناجل بما يكفي ليعرفا أن جميع أقاليم العالم الخمسة وعشرين تعقد خلواتها في اليوم نفسه، وفي الوقت الراهن يوجد ثلاثمئة وواحد وعشرون منجلًا في إقليمهم، الذي يشمل وسط قارة أمريكا الشمالية.

قال المنجل لهما: «تعد خلوة وسطمريكا مهمة، لأننا عادة ما نحدد توجهات أقاليم معظم أنحاء العالم، فثمة مقولة: «ما تفعله وسطمريكا، تفعله بقية الكوكب». ودائمًا ما يضع المناجل المخضرمون، الذين يشكلون **الخلوة العالمية**، خلوة وسطمريكا نصب أعينهم».

أوضح المنجل فاراداي لهما أنهما سيخضعان لاختبار في كل خلوة: «لا أعرف طبيعة هذا الاختبار الأول، لذا عليكما الاستعداد بقدر مستطاعكما في كل نواحي تدريبكما».

خطر لروان مليون سؤال عن الخلوة لكنه احتفظ بها لنفسه، وترك سيترا تطرح الأسئلة، لأن الأسئلة تثير ضيق المنجل فاراداي، غير أنه لا يجيب عنها أبدًا.

«ستعرفان كل ما تحتاجان إلى معرفته عندما نذهب، في الوقت الراهن عليكما بالتركيز على التدريب والدراسة».

لم يكن روان طالبًا مجتهدًا يومًا، لكن هذه كانت طبيعته، لأن التميز أو الإخفاق التام يجذبان إليه الانتباه. وبقدر ما كره كونه الخس، فقد كان يجد فيه راحته.

بعدما أحرز أعلى درجة في امتحانات نصف العام في العام الماضي، قال أستاذ العلوم له: «إذا اجتهدتَ، فلا أشك أنك ستصبح الأول على صفك». كان قد أحرز أعلى درجة لا لشيء سوى معرفة أن بإمكانه إحرازها، وعندئذٍ وقد صار يعرف، لم يرَ سببًا يدفعه لتكرار إنجازه. وكانت توجد أسباب عديدة أخرى، ليس أقلَّها جهله بالمناجل في الأيام السابقة لفترة تتلمذه، كان يظن أن تميزه في الدراسة قد يجعله هدفًا، إذ أُشيع أن صديقًا لأحد أصدقائه قُطف في الحادية عشرة من عمره لأنه كان أذكى فتى في الصف الخامس. لم تكن سوى إشاعة، لكن روان صدقها بما يكفي لجعله لا يرغب في التميُّز. وتساءل عما إذا كان الفتية الآخرون يتعمَّدون إهمال دراستهم خوفًا من القطف.

لم يكن روان متمرسًا على الكد في الدراسة، وجدها منهِكة، وتتضمن أكثر من كيمياء السموم، وتاريخ عصر الخالدين، وكتابة المذكرات. ووجد أمامه أيضًا علم المعادن وتطبيقاته على الأسلحة، وفلسفة الفناء، وسيكولوجيا الخلود، والأدب الذي تكتبه هيئة المناجل، الذي يتضمن الشِّعر والحكمة الموجودة في مذكرات المناجل المشهورين. وبالطبع الإحصائيات الرياضية التي يعتمد المنجل فاراداي عليها اعتمادًا كبيرًا.

لا مجال للأداء المتوسط، لا سيما الآن وقد اقترب موعد الخلوة.

سأله روان سؤالًا واحدًا عن الخلوة: «هل سنُقصَى إذا أخفقنا في الاختبار؟».

أطرق فاراداي لوهلة ثم قال لهما: «لا، لكن سوف تترتب عواقب». لكنه لم يخبرهما عن ماهية العواقب. وخلُص روان إلى أن عدم المعرفة يثير رعبه أكثر من المعرفة.

قبل بضعة أيام من الخلوة، ظل روان مستيقظًا مع سيترا حتى وقت متأخر منكبَّين على الدراسة في عرين الأسلحة، ووجد روان نفسه يغفو، لكن سرعان ما أوقِظ عندما أغلقت سيترا كتابًا بعنف.

قالت: «أكره هذا! السيربرين، والأكونيت، والشوكران، والبولونيوم. كل السموم تدور في دوامة بداخل رأسي».

قال بابتسامة ساخرة: «هذا من شأنه التعجيل بموت المرء».

عقدت ذراعيها: «هل تعرف سمومك؟».

- ليس مطلوبًا منا معرفة سوى أربعين منها قبل الخلوة.

- وهل تعرفهم؟

- سأعرفهم.

- ما الصيغة الجزيئية للتيترودوكسين؟

أراد أن يتجاهلها، لكن شعر بأنه غير قادر على التراجع عن التحدي، وربما طبيعتها التنافسية أثارت حماسته، فأجابها: « C11H17N3O6».

قالت: «خطأ!». وأشارت بإصبعها نحوه: «O8 وليس O6. أخفقتَ!».

كانت تحاول إثارة ضيقه، حتى لا تكون الوحيدة المتكدِّرة. لكن روان لم يجاريها، وقال: «على ما أظن».

وحاول العودة إلى دراسته.

«ألستَ قلِقًا ولو قليلًا؟».

تنهَّد وأغلق الكتاب. عندما بدأ فاراداي تدريسهما وجد روان استخدام الكتب الحقيقية قديمة الطراز منفِّرًا، لكن بمرور الوقت، أدرك أن تقليب الصفحات يمده بشيء من الراحة، وأن الكتاب يتيح التنفيس الانفعالي بإغلاقه بعنف، كما اكتشفت سيترًا سلفًا.

«إنني قلق بالطبع، لكن إليكِ نظرتي إلى الأمر، نعرف أنهم لن يقصونا، ونعرف سلفًا أننا لن نُقطَف، وأننا سوف نحظى بفرصتين أخريين لتعويض أي إخفاقات قبل اختيار أحدنا. وأيًا تكن عواقب الإخفاق في جولة الاختبارات الأولى، إذا أخفق أيّ منا، فسنجد طريقة للتعامل معها».

غاصت سيترا في كرسيها، وقالت: «أنا لا أخفق». لكنها لم تبدُ مقتنعة بكلامها، وارتسمت على وجهها نظرة طفل حرون جعلت روان يكاد يبتسم،

لكنه لم يبتسم لأنه يعرف أنها ستثور غضبًا. في الحقيقة كان يعجبه غضبها، لكن أمامهما عملًا كثيرًا ولا مجال للتشويش العاطفي.

أبعد روان كتاب علم السموم وأخرج مجلَّد الأسلحة، كان مطلوبًا منهم تمييز ثلاثين سلاحًا مختلفًا، وكان قلق روان من الأسلحة أشد من قلقه بشأن السموم. ألقى نظرة خاطفة على سيترا، فلاحظت نظرته، فحاول ألا ينظر إليها مرة أخرى.

ثم قالت دون مقدمات: «سوف أفتقدك».

رفع بصره، فأشاحت بوجهها: «ماذا تقصدين؟».

- أقصد إذا اتضح أن الإقصاء جزء من القوانين، فسأفتقد وجودك.

فكَّر في مد يده والإمساك بيدها المستلقية بهدوء على الطاولة، لكن الطاولة كبيرة، ويدها بعيدة مما سيجعل حركته مُحرجة، لكن حتى إذا كانا قريبين من بعضهما فسيكون فعلًا جنونيًّا.

قال: «لكنه ليس جزءًا من القوانين، لذا مهما يحدث، فأنت عالقة معي لثمانية أشهر إضافية».

ابتسمت: «أجل، أنا متأكدة من أنني سوف أسأم منك بحلول ذلك الوقت».

ولأول مرة خطر لروان أنها ربما لا تمقته بالقدر الذي كان يظنه.

ظلَّ نظام حصص القطف ناجحًا منذ أكثر من مئتي سنة، ورغم أنَّ الأرقام تتباين قليلًا من إقليم إلى آخر، فهي توضح مسؤوليَّة كل منجل تجاه العالم توضيحًا تامًّا. والنظام بأكمله قائم على المتوسِّطات، فيمكننا أن نمضي أيامًا أو حتى أسابيع دون قطف، لكن يجب أن نكمل حصصنا قبل الخلوة التالية. يوجد المتحمِّسون الذين يقطفون مبكِّرًا، ويحظون بأوقات فراغ مع اقتراب الخلوة، كما يوجد الذين يسوِّفون ويضطَّرون إلى الاستعجال في النهاية. كلا الطريقتين تؤدِّيان إلى عدم إتقان العمل والتحيُّز غير المقصود.

أتساءل كثيرًا عن احتمال تغيُّر الحصة ذات يوم، وإذا تغيرت فبأيِّ مقدار؟ حجم النمو السكَّاني ما يزال سريًّا، لكنه متوازن بمقدرة الرَّأس السَّحابي على تلبية احتياجات عدد السكَّان المتزايد دومًا. توجد موارد متجدِّدة، ومساكن تحت سطح الأرض، وجُزر صناعيَّة، وكل هذا دون إضرار بالبيئة أو اكتظاظ. صرنا أسيادًا على هذا العالم، ورغم هذا نحميه بطريقة لم يكن أسلافنا يحلمون بها إلا فيما ندر.

لكن كل شيء له حدود. لا يتدخَّل الرَّأس السَّحابي في شؤون هيئة المناجل، لكنه يقترح عدد المناجل الذي ينبغي أن يوجد في العالم. حاليًّا يوجد قرابة خمسة ملايين شخص يُقطفون في العالم سنويًّا، وهذه نسبة ضئيلة من معدل الوفيات في عصر الفانين، وبعيدة كل البُعد عن موازنة النمو السكَّاني. أرتعدُ عندما أفكر في عدد عمليات القطف وعدد المناجل الذي سوف نحتاج إليه إذا أردنا إيقاف النمو السكَّاني.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

13

خلوة الربيع

فولكرم سيتي من المدن الرئيسية الواقعة في قلب وسطمريكا، وفي المدينة، جوار النهر بين برجين شاهقين، ينتصب مبنى مهيب، مشيد من الحجارة، مدهش ليس بارتفاعه إنما بصلابته ورسوخه، به أعمدة رخامية وأقواس تحمل قبة نحاسية ضخمة. شيد بوصفه تقديرًا لليونان القديمة وروما الإمبراطورية، مهد الحضارات. ما يزال يسمى مبنى الكابيتول، إذ كان مقر عاصمة الولاية، عندما كانت الولايات ما تزال موجودة، أي في الأيام السابقة لانتفاء الحاجة إلى الحكومات. والآن يحظى المبنى بشرف ضم المباني الإدارية التابعة لهيئة مناجل وسطمريكا، إضافة إلى استضافة خلوات الهيئة ثلاث مرات في العام.

انهمر المطر غزيرًا في يوم خلوة الربيع.

لم تكن سيترا تنزعج من المطر كثيرًا، لكن هذا اليوم المكفهر والمشبع بالتوتر كان من الصعب احتماله، وفي الوقت نفسه، إذا كان اليوم مشرقًا جميلًا لأحست بأن الطبيعة تسخر منها. ثم أدركت سيترا أن ما من يوم مناسب لتقديمها أمام مرثاة مناجل يبعثون الرهبة.

لم تكن فولكرم سيتي تبعد سوى مسيرة ساعة بالقطار فائق السرعة، لكن، كما هو الحال دومًا، كان المنجل فاراداي يرى القطارات فائقة السرعة

ترفًا لا داعي له: «كما أنني أريد مشاهدة المناظر الطبيعية بدلًا من السفر عبر نفق تحت الأرض، أنا إنسان ولست حيوان خُلد».

يستغرق القطار العادي ست ساعات، وقد استمتعت سيترا فعلًا بالمناظر الطبيعية، رغم أنها أمضت معظم وقت الرحلة في الدراسة.

تقع فولكرم سيتي على ضفة نهر المسيسبي، وتذكرت سيترا وجود قوس فضي ضخم على ضفة النهر ذات يوم، لكنه لم يعد موجودًا الآن، دُمِّر في عصر الفانين بسبب ما يسمى بـ «الإرهاب». لتعلمَّت المزيد عن المدينة إذا لم يكن تركيزها منصبًا على السموم والأسلحة.

وصلوا في الأمسية السابقة إلى يوم الخلوة، ومكثوا في فندق وسط المدينة. وجاء الصباح في عجلة من أمره.

وفي أثناء سير سيترا وروان والمنجل فاراداي من فندقهم عند السادسة والنصف صباحًا، تراكض الناس في الشوارع نحوهم وأعطوهم مظلاتهم، مفضلين التعرض للبلل على رؤية منجل وتلميذيه يسيرون دون مظلات.

سألت سيترا: «هل يعرفون أنكَ توليت تدريب تلميذين بدلًا من واحد؟».

قال روان: «يعرفون بالطبع، ما الذي يمنع معرفتهم؟».

لكن صمت المنجل فاراداي حيال الأمر أشعر سيترا بالتوجس: «أوضحتَ الأمر للنصل السامي، أليس كذلك يا منجل فاراداي؟».

قال لهما: «حسب ما أعرفه عن هيئة المناجل، من الأفضل طلب الغفران بدلًا من الإذن».

ألقت سيترا على روان نظرة مفادها: *قلت لك*، فأمال روان مظلته ليتحاشى نظرتها.

قال فاراداي: «لن تكون مشكلة». لكن نبرة كلامه لم تكن مقنعة.

نظرت سيترا إلى روان مرة أخرى، الذي لم تعد مظلته تحجب وجهه: «هل أنا الوحيدة القلقة إزاء هذا الأمر؟».

هز روان كتفيه: «لدينا حصانة حتى خلوة الشتاء، ولا يمكن إبطالها، الجميع يعرف هذا. فما أسوأ ما يمكن أن يفعلوه بنا؟».

وصل بعض المناجل إلى مبنى الكابيتول مثلهم سيرًا على الأقدام، وآخرون مستقلون سيارات عامة، وبعضهم بسيارات خاصة، ومنهم من جاء بسيارات ليموزين. شُدت حبال لإبعاد المتفرجين على جانبَي السلالم الرخامية العريضة المؤدية إلى المبنى، كما انتشر ضباط السلام وأفراد **الحرس النَّصلي**، وهم نخبة القوات الأمنية التابعة لهيئة المناجل. وجد المناجل القادمون حماية من عامة الناس المعجبين، رغم أن العامة لا يجدون حماية منهم.

قال المنجل فاراداي: «أمقت صعود السلالم، الذي يكون أسوأ عندما لا يكون الجو ماطرًا لأن الحشود تزداد كثافة على الجانبين».

لم يخطر لسيترا قط أن الناس يخرجون لرؤية وصول المناجل إلى الخلوة، لكن كل الفعاليات التي تشهدها المشاهير تجتذب المتفرجين، فلماذا يكون تجمُّع المناجل استثناءً؟

بعض المناجل الواصلون لوَّحوا للحشد بدافع الواجب، وآخرون حاولوا كسب الشعبية بتقبيل الرُّضَّع ومنح الحصانة عشوائيًا. حذا روان وسيترا حذو فاراداي، الذي تجاهل الحشد تجاهلًا تامًّا.

وجدوا عشرات المناجل الآخرين في بهو المدخل، الذين نزعوا معاطف المطر كاشفين عن عباءات بكل الألوان وكل خامات الأقمشة، راسمين قوس قزح يبعِد عن الأذهان كل ما يتعلق بالموت، وأدركت سيترا أن هذا مُتعمَّد، إذ يرغب المناجل في أن يُنظر إليهم بوصفهم الأوجه المتعددة للنور وليس الظلام.

وخلف قوس ضخم تمتد صالة أضخم تحت القبة المركزية، مساحة دائرية يحيِّي فيها مئات المناجل بعضهم بعضًا، ويتجاذبون أطراف الأحاديث العفوية حول مائدة إفطار مترفة في المنتصف. فتساءلت سيترا عن مواضيع أحاديث المناجل، هل يتحدثون عن أدوات القطف؟ الطقس؟ الحكة التي تستثيرها عباءاتهم؟ كان الوجود في حضرة منجل واحد باعثًا على الرهبة، لكن أن يحاط المرء بالمئات منهم كفيل بانهيار المرء.

مال المنجل فاراداي نحوهما وتكلم بصوت هامس: «أتريان ذلك؟». وأشار إلى رجل أصلع ذي لحية كثيفة: «إنه المنجل أرخميديس، أحد أكبر المناجل سنًا في العالم، سيقول لكما إنه كان موجودًا في عام النسر، عندما أُسِّست هيئة المناجل، لكن هذه كذبة، إنه ليس عجوزًا إلى هذه الدرجة! وهناك...».

أشار إلى امرأة ذات شعر فضي طويل وترتدي عباءة بنفسجية شاحبة: «إنها المنجل كوري».

شهقت سيترا: «سيدة الموت العظمى؟».

- هذا ما يقولونه.

سألت سيترا: «أصحيح أنها قطفت آخر رئيس قبل منح السلطة للرأس السحابي؟».

«ومعه مجلس وزرائه». نظر فاراداي إلى المرأة نظرة بدت لسيترا حزينة: «أفعالها كانت مثيرة للجدل عندئذٍ».

ضبطتهم المرأة وهم ينظرون إليها فالتفتت إليهم، واقشعر جسد سيترا عندما اخترقتها عينا المرأة الثاقبتان، ثم ابتسمت المرأة لثلاثتهم، وأومأت، وعادت إلى نقاشها.

كانت توجد مجموعة من أربعة أو خمسة مناجل قريبًا من مدخل قاعة الاجتماعات، التي ما تزال أبوابها مغلقة. يرتدون عباءات ذات ألوان براقة مرصعة بالجواهر، وانتباههم منصب على منجل يرتدي عباءة ذات لون أزرق ملكي مزيَّنة بما بدا كالماس، قال شيئًا وضحك الآخرون بجذل لا يمكن أن يكون سوى تملُّق.

سألت سيترا: «من هذا؟».

اكفهر وجه المنجل فاراداي، وقال دون أن يحاول مُداراة اشمئزازه: «ذلك هو المنجل غودارد، يُستحسن الابتعاد عنه».

سأل روان: «غودارد؟ أليس هو المعروف بعمليات القطف الجماعي؟».

نظر فاراداي إليه وقد ساوره القلق: «أين سمعتَ هذا؟».

هز روان كتفيه: «لي صديق مهووس بمثل هذه الأشياء، ويسمع الأقاويل».

شهقت سيترا، وقد أدركت أنها سمعت عن غودارد من قبل، لم تسمع باسمه، إنما بأفعاله فحسب. أو بالأحرى سمعت إشاعات، إذ لا تصدر تقارير رسمية عن هذه الأشياء. لكن كما قال روان، يتناقل الناس الأقاويل. سألت: «هل هو الذي قطف طائرة بأكملها؟».

«لماذا؟». سألها فاراداي وهو يرمقها بنظرة باردة متَّهِمة: «أيثير هذا إعجابك؟». هزت سيترا رأسها: «لا، بل العكس». لكن لم يسعها سوى الانبهار بعباءة الرجل المتلألئة، كما انبهر بها الجميع، ولا بد أن هذا كان هدف الرجل.

لكن عباءته لم تكن العباءة الأكثر بهرجة، إذ رأوا منجلًا يتحرك بين الحشد مرتديًا عباءة مُذهَّبة، وكان الرجل ضخمًا إلى درجة أن عباءته بدت كأنها خيمة ذهبية.

سألت سيترا: «من الرجل البدين؟».

قال روان: «يبدو ذا شأن».

قال المنجل فاراداي: «بالفعل. ذلك الرجل، الذي تنعتانه بالبدانة، هو **النَّصل السَّامي**، الرجل الأقوى نفوذًا في هيئة مناجل وسطمريكا، وهو يترأس الخلوة».

تحرك النصل السامي بين الحشد كأنه كوكب غازي عملاق يتسبب في انحناء الفضاء من حوله. كان بوسعه ضبط وحداته المجهرية ليتخلص من جزء من محيط خصره على الأقل، لكن من الواضح أنه لا يريد. كان اختياره تصريحًا جريئًا، وجعله حجمه شخصية طاغية. وعندما رأى فاراداي، استأذن من الذين معه وشق طريقه نحو فاراداي.

قال عند اقترابه: «المنجل المبجل فاراداي، رؤيتك من دواعي سروري دومًا». استخدم كلتا يديه ليقبض على يد فاراداي بحركة القصد منها تحية حارة، لكنها بدت ثقيلة مصطنعة.

قال فاراداي: «سيترا، روان، أقدم لكما النصل السامي زينوقراط». ثم التفت إلى الرجل الضخم: «هذان تلميذاي الجديدان».

استغرق زينوقراط لحظة لينظر إليهما متفحصًا، وقال بنبرة مرحة: «متتلمذان؟ أظنها سابقة، معظم المناجل يعانون مع متتلمذ واحد».

- الأفضل من بينهما سينال مباركتي لتلقي الخاتم.

قال النصل السامي: «والآخر سيكون محبَطًا بشدة بلا شك». ثم سار مبتعدًا ليحيِّي مناجل آخرين دخلوا للتو من المطر بالخارج.

قال روان: «أرأيتِ؟ كنتِ قلقة بلا داعٍ».

لكن سيترا لم ترَ في الرجل شيئًا يدل على صدقه.

كان روان متوترًا في الحقيقة، لكنه لم يشأ الاعتراف، مدركًا أن إقراره سيفاقم قلق سيترا، مما سيجعله أشد قلقًا، لذا ألجم مخاوفه وتحفظاته وأبقى عينيه وأذنيه مفتوحة، محاوِلًا استيعاب كل ما يجري حوله. كان يوجد متتلمذون آخرون، سمع روان مصادفة اثنين يتحدثان عن هذا «اليوم المرتقَب»، كانا شابًا وفتاة، كلاهما أكبر منه، ربما في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، سينالان خاتميهما اليوم ويصبحان منجلين مبتدئين. تذمرت الفتاة بشأن اضطرارهما، خلال السنوات الأربع الأولى، إلى نيل موافقة لجنة الاختيار على أهداف قطفهما.

قالت: «كل عملية قطف، كأننا أطفال!».

تدخَّل روان محاوِلًا الانخراط في النقاش: «على الأقل فترة التتلمذ ليست أربع سنوات».

فنظر الاثنان إليه نظرة لا تخلو من اشمئزاز.

«أقصد أن نيل الشهادة الجامعية يستغرق أربع سنوات، صحيح؟». عرف روان أنه يزيد موقفه سوءًا، لكنه اتخذ قراره: «على الأقل لا يستغرق نيل رخصة القطف تلك المدة الطويلة».

سألت الفتاة: «من أنت بحق الجحيم؟».

«تجاهليه، إنه مجرد *مقل*».

نُعِت روان بالعديد من الأوصاف، لكنه لم يسمع هذه الكلمة من قبل: «مجرد ماذا؟».

ابتسما له بسخرية، وقالت الفتاة: «ألا تعرف شيئًا؟ «مقل» من مقلاة، إنه اللقب الذي يطلَق على المتتلمذين الجدد، لأنكم لا تصلحون لشيء سوى إعداد البرغر لمناجلكم».

ضحك روان من كلامها، فاغتاظا.

وعندئذٍ اقتربت سيترا منهم: «إذا كنا مقلاتين، فماذا أنتما؟ كماشتين؟ أم ثنائي أدوات من نوعٍ ما؟».

بدا الفتى كأنه على وشك صفع سيترا، وسألها: «من هو معلّمكما من المناجل؟ ينبغي إبلاغه بعدم الاحترام هذا».

«أنا». وضع فاراداي يده على كتف سيترا: «وأنتما لا تستحقان احترام أحد حتى تنالا خاتميكما».

بدا الفتى كأنه انكمش بمقدار ثلاث بوصات: «المنجل المبجل فاراداي! آسف، لم أكن أعرف». وابتعدت الفتاة خطوة كأنها تنأى بنفسها عنه.

قال المنجل لهما برحابة صدر لا يستحقانها: «حظًا موفقًا اليوم».

قالت الفتاة: «شكرًا لك، لكن إذا سمحت لي بالقول، الحظ لا يلعب دورًا، كلانا تدرب مدة طويلة وأحسن منجلانا تدريبنا».

قال فاراداي: «صحيح جدًا». فأومأ الاثنان إيماءة وداع أقرب إلى الانحناء، وانصرفا.

وبعدما غادرا، التفت فاراداي لروان وسيترا قائلًا: «ستنال الفتاة خاتمها اليوم، وسيُحرم الفتى».

سأل روان: «كيف عرفت؟».

«لدي أصدقاء في **لجنة الترصيع**. الفتى ذكي، لكنه سريع الغضب، وهذا عيب لا يمكن التسامح معه».

ورغم انطباع روان السيئ عن الفتى، لم يسعه سوى الشعور بشيء من الشفقة تجاهه: «ماذا سيحدث للمتتلمذين الذين يُحرمون؟».

- يعودون إلى أسرهم ليواصلوا حياتهم من حيث تركوها.
- لكن الحياة لا يمكن أبدًا أن تكون كما كانت بعد عام من تدرب المرء على أن يصبح منجلًا.
- صحيح، لكن المرء لن يجني سوى الخير من معرفة متطلبات المهنة.

أومأ روان، لكن خطر له أن هذا الكلام يبدو ساذجًا للغاية بالنسبة إلى رجل يتحلى بمثل حكمته. تدريب المناجل يترك أثرًا لا يُمحى، صحيح أنه هادف، لكنه يظل لا يُمحى.

ازداد اكتظاظ الساحة المستديرة بالمناجل، والجدران الرخامية والأرضية والقبة رددت أصداء الضوضاء. حاول روان الاستماع إلى المزيد من النقاشات، لكن أصواتهم طغى الضجيجُ عليها. كان فاراداي قد قال لهما إن

الأبواب البرونزية الضخمة المؤدية إلى قاعة الاجتماعات ستفتح عند السابعة، وسينصرف المناجل عند السابعة مساءً. اثنتا عشرة ساعة لإنجاز جميع الشؤون، وكل ما لا يُنجز سيؤجَّل أربعة أشهر حتى الخلوة التالية.

قال المنجل فاراداي لهما مع انفتاح الأبواب ودخول الحشد: «في السنوات المبكرة كانت الخلوة تدوم ثلاثة أيام، لكنهم اكتشفوا أن التجمع بعد اليوم الأول يصبح مجرد جدالات ومناكفات. ما تزال الجدالات كثيرة، لكن لم تعد كما في السابق. والوقت المحدود الآن يحثنا على التطرق لأجندة الخلوة بسرعة».

قاعة الاجتماع شبه دائرية شاسعة في مقدمتها منصة خشبية ضخمة يجلس عندها النصل السامي، وعلى الجانب مقاعد منخفضة قليلًا مخصصة لسكرتير الخلوة، الذي يتولى السجلات، وللخبير القانوني الذي يفسر القوانين والإجراءات في حال طرح أي سؤال بشأنها. كان المنجل فاراداي قد أخبرهما بما يكفي عن هيكل السلطة في هيئة المناجل، ويعرفان هذه الأمور.

حالما استقر الجميع في مقاعدهم، بدؤوا بذكر الأسماء. سار المناجل إلى المقدمة، واحدًا تلو الآخر دون ترتيب معين، وذكروا أسماء الناس الذين قطفوهم خلال الأشهر الأربعة الماضية.

قال المنجل فاراداي لهما: «لا يمكننا ذكر أسمائهم جميعًا، فمع وجود أكثر من ثلاثمئة منجل، ستكون الأسماء أكثر من ستة وعشرين ألفًا. لذا علينا اختيار عشرة، من الذين عِلقوا في ذاكرتنا والذين لاقوا حتفهم بجسارة والذين كانوا بارزين في حيواتهم».

كان يُرن جرس بعد نطق كل اسم، يطلق صوتًا رنانًا مهيبًا. وسُرَّ روان بسماع المنجل فاراداي يذكر اسم كول وايتلوك ضمن اختياراته العشرة.

سرعان ما أحست سيترا بالملل من ذكر الأسماء، فرغم أنها اقتصرت على عشرة أسماء لكل منجل، فقد دام لقرابة ساعتين. تكريم الذين قُطِفوا لفتة نبيلة من المناجل، لكن سيترا لم تستوعب منطق الأمر بما أن لديهم اثنتي عشرة ساعة فقط لمناقشة عمل ثلاثة أشهر.

لم تكن الأجندة مكتوبة، لذا لم تجد هي وروان طريقة لمعرفة الخطوة التالية، ولم يوضح المنجل فاراداي الأحداث إلا في أثناء حدوثها.

سألت سيترا: «متى سيحين دور اختبارنا؟ هل سنُصطحب إلى مكان آخر للاختبار؟».

لكن المنجل فاراداي أسكتها.

وبعد ذكر الأسماء، بدأت مراسم غسل الأيدي. نهض جميع المناجل واصطفوا أمام حوضين على جانبَي المنصة. ومرة أخرى لم تستوعب المغزى من الأمر، وبعدما عاد فاراداي إلى مقعده ويداه ما تزالان رطبتين، قالت: «كل هذه الطقوس، إنها التي يراها المرء عند طائفة طونية».

مال فاراداي نحوها وهمس: «لا تدعي أي مناجل آخرين يسمعونك تقولين هذا».

- هل تحس بأنك نظيف بعدما غمستَ يديكَ في ماء غُمست فيه مئات الأيدي قبلك؟

تنهد فاراداي: «هذه الطقوس تشعرنا بالعزاء، وتوحِّدنا بوصفنا مجتمعًا. لا تقللي من شأن تقاليدنا لأنها قد تصبح تقاليدك ذات يوم».

غمز روان: «أو قد لا تصبح».

تململت سيترا متضايقة وغمغمت: «كل ما في الأمر هو أنها تبدو مضيعة للوقت».

لا بد أن فاراداي كان يعرف أن ما ينغِّص عليها هو عدم معرفة موعد تقديمهما إلى الخلوة واختبارهما، فسيترا لم تكن فتاة تحتمل عدم معرفة ما يجري مدة طويلة، وربما لهذا حرص فاراداي على عدم إخبارها، إذ كان دائمًا ما ينكأ نقاط ضعفهما.

وبعدها أُشير إلى عدد من المناجل لأنهم أظهروا تحيُّزات في قطفهم. ووجدت سيترا الأمر مشوقًا قليلًا، وأتاح لها نظرة على ما يجري خلف الكواليس.

إحدى المناجل قطفت عددًا قليلًا من الأثرياء، وُبِّخت وأُلزِمت بقطف الأثرياء فقط حتى الخلوة التالية.

ومنجل آخر وُجِد أن لديه خللًا في النِّسب العرقية، نسبة اللاتينيين الذين قطفهم عالية، ونسبة الأفارقة منخفضة.

جادل المنجل: «السبب هو التركيبة السكانية في المكان الذي أعيش فيه، الناس لديهم نسبة لاتينية عالية في تركيباتهم الجينية».

لم يتزحزح النصل السامي عن قراره، وقال: «إذن ألقِ شبكةً أكبر، اقطف في مكان آخر».

أُمِر بالالتزام بالنسب المعروفة وإلا فسيُعاقب، وسيكون العقاب هو إلزامه بنيل موافقة لجنة الاختيار على كل عملية قطف. وقد كان نزع حرية القطف إذلالًا يتحاشاه كل منجل.

استُدعي ستة عشر منجلًا، أُنذِر عشرة منهم، وعوقب ستة. أغرب حالة كانت متعلقة بمنجل وسيم وسامة لافتة، نُدِّد به لأنه يقطف عددًا كبيرًا من الناس غير الجذابين.

صاح أحد المناجل: «يا لها من فكرة! تخيلوا عالمنا إذا لم نقطف سوى الناس القبيحين!».

فاندلعت نوبة ضحك في القاعة.

حاول المنجل الدفاع عن نفسه متذرِّعًا بالقول المأثور القديم: «الجمال في عين الرائي».

لكن النصل السامي لم يقتنع، إذ اتضح أن هذا التجاوز هو الثالث الذي ارتكبه المنجل، لذا حُكم عليه بوضعه تحت الرقابة الدائمة، يمكنه العيش منجلًا لكنه ممنوع من القطف. أعلن النصل السامي: «يسري الحكم حتى السنة التالية التي يُطلق عليها اسم حيوان من الزواحف».

علَّقت سيترا بصوت لا يسمعه سوى روان وفاراداي: «هذا جنون، لا أحد يعرف أسماء الحيوانات التي ستُطلق على الأعوام المستقبلية. آخر عام أطلق عليه اسم حيوان زاحف كان عام الوَزَغة، قبل ميلادي».

قال فاراداي بشيء من الجذل: «بالضبط! وهذا يعني أن عقوبته قد تنتهي العام القادم أو لا تنتهي أبدًا. والآن سيمضي جل وقته في الضغط على مكتب التقويم ليطلقوا على عامٍ ما اسم السقنقور أو العظاءة، أو اسم أي زاحف آخر لم يُستخدم بعد».

وقبل الانتقال من المسائل التأديبية، استُدعي منجل آخر، لكن القضية لم تكن متعلقة بالتحيز.

قال النصل السامي: «أمامي رسالة مجهولة المصدر، وكاتبها يتَّهم المنجل المبجل غودارد بارتكاب أفعال محظورة».

سرَت دمدمة في أرجاء القاعة، ورأت سيترا المنجل غودارد يهمس لرفاقه المقربين، ثم نهض قائلًا: «بأي نوع من الأفعال المحظورة أُتَّهم؟».

- الوحشية المفرطة في عمليات قطفك.

قال غودارد: «ومع هذا يأتي هذا الاتهام من مجهول! لا أصدق أن منجلًا زميلًا يمكن أن يُبدي هذا الجُبن. أُطالِب هذا المتَّهِم بالكشف عن نفسه».

سرت المزيد من الهمهمات في أرجاء القاعة، لم ينهض أحد، ولم يعلن أحد مسؤوليته.

قال غودارد: «طيب إذن، أرفض الرد على متَّهِم خفي».

توقعت سيترا من النصل السامي زينوقراط أن يواصل الضغط في سبيل حل المشكلة، فالاتهام موجَّه من منجل رفيق، وينبغي أخذه بجدية، لكن النصل السامي وضع الورقة وقال: «طيب، إذا لم يود أحد الإدلاء بالمزيد، فسنأخذ استراحة منتصف الصباح».

وعندئذٍ نهض المناجل، أعظم جالبي الموت على الأرض، وتدفقوا خارجين إلى الصالة المستديرة من أجل الكعك والقهوة.

وحالما خرجوا إلى الصالة المستديرة، مال فاراداي مقتربًا من سيترا وروان وقال: «لا يوجد أي متَّهِم مجهول، إنني متأكد أن المنجل غودارد اتهم نفسه».

سألت سيترا: «ولماذا عساه أن يفعل هذا؟».

- ليفُتَّ في عضد أعدائه. هذه من أقدم الحيل، والآن أي شخص يتهم غودارد سيفترض الناس أنه المتَّهِم المجهول الجبان. لن يلاحق أحد غودارد الآن.

وجد روان نفسه أقل اكتراثًا بالأداء المسرحي والمراوغات التي تجري في قاعة الاجتماعات بقدر عدم اكتراثه بما يجري خارجها، وقد بدأ يستوعب آلية عمل هيئة المناجل. أهم الشؤون لم تكن تجري خلف الأبواب البرونزية، إنما

في الصالة المستديرة وقباب المبنى المعتمة، وهي عديدة، وعلى الأرجح لهذا الغرض بالتحديد.

نقاشات الصباح المبكر كانت مجرد محادثات عفوية، لكن الآن، مع مضي الساعات، رأى روان عددًا من المناجل يتجمعون في أثناء الاستراحة في مجموعات صغيرة، يعقدون اتفاقات جانبية، وينشئون تحالفات، ويتفقون على تمرير أجندة سرية.

سمع روان مصادفة مجموعة تخطط لاقتراح منع طريقة التفجير عن بُعد في القطف، ليس لأي دواعٍ أخلاقية، إنما لأن مجموعات الضغط المهتمة بالأسلحة تريد تقديم خدمة كبيرة لمنجل بعينه. وسمع مجموعة أخرى تحاول تهيئة أحد المناجل الأصغر سنًّا ليتولى منصبًا في لجنة الاختيار، حتى يتدخل في اختيارات القطف عندما يحتاجون إلى التدخل في الاختيارات.

ربما صارت المناورات السياسية المتعلقة بالسُّلطة شيئًا من الماضي في أماكن أخرى، لكنها ما تزال قائمة وبكامل عنفوانها في هيئة المناجل.

معلِّمهما فاراداي لم ينضم إلى أيٍّ من المتآمرين، وظل منعزلًا مترفِّعًا عن المناورات السياسية التافهة، مثل نصف المناجل تقريبًا.

قال لروان وسيترا وهو ينتقي كعكة مربى: «نعرف مخططات المتآمرين، ولا يصلون إلى مبتغاهم إلا عندما نسمح لهم».

حرص روان على متابعة غودارد، الذي اقترب منه عدة مناجل ليحادثوه، وآخرون يتذمرون بشأنه خلف ظهره. حاشيته المكوَّنة من المناجل المبتدئين تضم مجموعة متعددة الثقافات، بالمعنى القديم للعبارة، إذ لم يعد أحد ذا جينات عرقية نقية، فاتسمت دائرة غودارد الصغيرة بتعدد الأعراق، الفتاة التي ترتدي العباءة الخضراء بدت آسيوية قليلًا، والرجل الذي يرتدي البرتقالي الناري بدا أقرب ما يمكن إلى القوقازيين، وذو العباءة الصفراء ملامحه إفريقية قليلًا، وغودارد نفسه يميل قليلًا نحو اللاتينيين. كان من الواضح أنه أراد أن يكون بارزًا بين أقرانه، حتى التوازن العرقي في الحاشية المحيطة به كان بارزًا.

ورغم أن غودارد لم يلتفت فقد أحس روان بأن الرجل يعرف أنه ينظر إليه.

وخلال بقية اليوم، قُدمت الاقتراحات في قاعة الاجتماعات ودارت بشأنها جدالات حامية. وكما قال المنجل فاراداي، لم يحقق المتآمرون مبتغاهم إلا عندما سمح لهم أعضاء هيئة المناجل الأكثر عقلانية. اعتُمِد حظر التفجير عن بُعد، ليس بسبب رشاوى مجموعات ضغط الأسلحة، إنما لأن تفجير الناس عُد فعلًا وحشيًّا بدائيًّا لا يليق بهيئة المناجل. والمنجل الشاب الذي رُشِّح لعضوية لجنة الاختيار رُفِض قبوله، لأن لا أحد في اللجنة ينبغي أن يكون أداة طيعة في يد أي جهة.

قال روان: «أود أن أنضم إلى إحدى لجان المناجل ذات يوم».

نظرت سيترا إليه مستغربة: «لماذا تتكلم مثل فاراداي؟».

هز روان كتفيه: «عندما تكون في روما...».

ذكَّرته: «لسنا في روما، إذا كنا في روما لحظينا بمكان خلوة أفضل من هذا».

كانت المطاعم المحلية تتنافس على فرصة تقديم طعام الخلوة، لذا كان غداء البوفيه في الصالة المستديرة أفخم من الإفطار، وعبَّأ فاراداي طبقه، على غير عادته.

قالت المنجل كوري لروان وسيترا بصوت رخيم وحاد في آنٍ واحد: «لا تسيئا الظن به، فالخلوة، بالنسبة إلينا، نحن الذين نأخذ نذر التقشف بجدية، هي المناسبة الوحيدة التي نبيح فيها لأنفسنا التمتع برفاهية الأطعمة والمشروبات الفاخرة، فهي تذكّرنا بأننا بشر».

استغلت سيترا، بعقليتها ذات الهدف الواحد، الفرصة لاستقاء المعلومات.

سألتها: «متى سيُختبَر المتتلمِذون؟».

ابتسمت المنجل كوري وأزاحت شعرها الفضي الحريري، وقالت: «الذين يأملون تلقي خواتمهم اليوم اختُبِروا ليلة الأمس، أما أنتم البقية، فستُختَبرون عما قريب». إحباط سيترا جعل روان يضحك ساخرًا، فحدجته بنظرة نارية.

قالت: «اخرس واحشُ فمك». وامتثل روان لها مسرورًا.

ورغم تركيز سيترا على الاختبار القادم، بدأت تتساءل عما سيفوتها من وقائع الخلوة عندما يُستدعى المتتلمِذون للاختبار. ومثل روان وجدت أن الخلوة مصدر تعلم في غاية الأهمية. عدا المناجل وتلاميذهم يوجد أناس قليلون ممن يشهدون الخلوات، وهؤلاء القليلون لم يشهدوا منها سوى لمحات بسيطة، منهم موظفو المبيعات الذين يأتون بعد الغداء، ويُمهل كل واحد منهم عشر دقائق لاستعراض مزايا أسلحة أو سموم يحاولون بيعها لهيئة المناجل، التي يمثلها قيِّم الأسلحة صاحب القرار النهائي بشأن ما تريد هيئة المناجل شراءه. وكان موظفو المبيعات هؤلاء يبدون كالأشخاص القظيعين الذين يظهرون في الإعلانات المجسَّمة: «*هذا السلاح باترٌ فتَّاك! لكن مهلًا! يوجد المزيد!*».

أحد موظفي المبيعات كان يبيع سمًّا رقميًا يحوِّل وحدات الشفاء المجهرية في دماء الشخص إلى وحوش صغيرة شرِهة تلتهم الضحية من الداخل خلال أقل من دقيقة، ورفض قيِّم الأسلحة عرضه رفضًا قاطعًا.

أنجح موظف مبيعات كان امرأة تعرض منتجًا اسمه لمسة السَّكِينة، الذي بدا كاسم منتج نظافة نسائي وليس أداةً مميتة، استعرضت المرأة التي تبيعه قرصًا صغيرًا، لكنه ليس لاستعمال الضحية، إنما للمنجل. قالت: «تناول القرص مع الماء وفي غضون ثوانٍ ستفرز أصابعك سمًّا عبر الجلد، وكل من تلمسه خلال ساعة سيُقطف فورًا دون ألم».

أعجب قيِّم الأسلحة بالمنتج أيما إعجاب، واقترب من المنصة وتناول جرعة، ومن ثم، للبيان بالعمل، أقدم على قطف موظفة المبيعات، التي باعت -بعد وفاتها- خمسين قارورة من المنتج لهيئة المناجل.

شهدت بقية مدة ما بعد الظهر المزيد من النقاشات، والمحاججات، والتصويت على السياسات. ولم يحبذ المنجل فاراداي الإفصاح عن رأيه إلا مرة واحدة، عندما بدأ النقاش بشأن تكوين لجنة حصانة.

«أرى أن من الضروري وجود إشراف على منح الحصانة، كما تشرف لجنة الاختيار على عمليات القطف».

اغتبط روان وسيترا برؤية تأثير رأي فاراداي، إذ غيَّر عدة مناجل تصويتهم بعدما صوتوا في البداية ضد تكوين لجنة الحصانة. لكن قبل حسم أمر التصويت أعلن النصل السامي زينوقراط أن الوقت لم يعد كافيًا للمسائل

التشريعية، وقال: «سوف يكون الموضوع على رأس قائمة أجندتنا في الخلوة القادمة».

صفَق عددٌ من المناجل، ونهض آخرون وصاحوا ممتعضين من تأجيل المسألة، لكن المنجل فاراداي لم يعبِّر عن استيائه، أخذ نفسًا عميقًا، ولم يقل سوى: «عجبًا!».

لربما انشغل روان وسيترا بما حدث إذا لم يعلن النصل السامي أن الموضوع التالي هو المتتلمِذون.

أحست سيترا من شدة ترقُّبها برغبة في الإمساك بيد روان واعتصارها حتى تبيضّ، لكنها تمالكت نفسها.

وروان، من ناحيته، حذا حذو معلِّمه، أخذ نفسًا عميقًا، محاوِلًا تبديد توتره. كان قد درس كل ما أمكنه دراسته، وتعلم كل ما أمكنه تعلمه. إذا أخفق اليوم فأمامه عدة فرص للتعويض.

قال لسيترا: «حظًا موفقًا».

- ولك أيضًا. فلنجعل المنجل فاراداي فخورًا بنا.

ابتسم روان، وظن أن فاراداي سيبتسم أيضًا لسيترا، لكنه لم يبتسم، وثبَّت نظراته على زينوقراط.

أولًا استُدعي المرشَّحون للمنجلية، كانوا أربعة اكتملت فترة تلمذتهم، وقد خضعوا لاختبارهم الأخير في الليلة الماضية، ولم يبقَ سوى تنصيبهم، أو ربما لن يُنصَّبوا، إذا اقتضى الأمر. تروج إشاعة مفادها أن مرشَّحًا خامسًا لم يجتَز الاختبار الأخير في الليلة الماضية، فلم يُدعَ إلى الخلوة.

جُلِبت ثلاثة خواتم ووُضعت على وسائد مخملية حمراء، فنظر المرشحون الأربعة إلى بعضهم، وقد أدركوا، رغم أنهم اجتازوا الاختبار الأخير، أن أحدهم لن يُنصَّب وسيعود إلى بيته وهو يجرجر أذيال الخيبة.

التفت المنجل فاراداي إلى المنجل الذي جواره قائلًا: «لم يقطف سوى منجل واحد نفسه منذ الخلوة السابقة، ورغم هذا يُنصَّب ثلاثة اليوم. هل ازداد عدد السكان ازديادًا كبيرًا خلال ثلاثة أشهر إلى درجة أننا نحتاج إلى منجلين إضافيين؟».

تقدم المتتلمذون الثلاثة المختارون واحدًا تلو الآخر أمام المنجل مانديلا، الذي يترأس لجنة الترصيع، وكل منهم جثا أمام المنجل، الذي قال كلامًا

لكل واحد بدوره، ثم ناولهم خواتمهم، فوضعوها حول أصابعهم ورفعوها أمام الخلوة، التي تجاوبت مع كل واحد منهم بتصفيق إلزامي. ثم أعلنوا عن قدواتهم التاريخية، أي أعلام الشخصيات التاريخية الذين يود المناجل الجدد تسمية أنفسهم تيمنًا بهم، وصفَّقت الخلوة إثر كل إعلان، وهكذا اعتُمد المناجل جودال، وشرودينغر، وكولبيرت في هيئة مناجل وسطمريكا.

غادر الثلاثة المنصة، وبقي الفتى ذو المزاج الحاد، كما قال المنجل فاراداي في وقت سابق من اليوم، ظل واقفًا وحده بعدما تلاشى التصفيق، ثم قال المنجل مانديلا: «رانسوم بالاديني، قررنا ألا ننصبك منجلًا. نتمنى لك التوفيق حيثما تقودك الحياة. يمكنك الانصراف».

ظل واقفًا بضع لحظات، كأنه يظن أن الأمر مزحة، أو ربما يوجد اختبار أخير. ثم سار مسرعًا صامتًا بشفتين مزمومتين ووجه محمر في الممر الأوسط، وخرج بعدما دفع البابين البرونزيين اللذين أنَّت مفاصلهما.

قالت سيترا: «يا له من شيء فظيع! على الأقل كان ينبغي التصفيق له لأنه حاول».

قال فاراداي: «لا تكريم لمن لا يستحقونه».

وذكَّرها روان: «أحدنا سوف يخرج بهذه الطريقة».

اعتزم روان في قرارة نفسه، إذا أخفق هو، أن يتمهَّل في سيره في الممر، وأن ينظر إلى أعين أكبر عدد من المناجل ويومئ لهم وهو في طريقه إلى الخارج. إذا رُفِض فسيغادر الخلوة الأخيرة مرفوع الرأس.

قال زينوقراط: «والآن على بقية المتتلمِذين التقدم».

نهض روان وسيترا، مستعدين لمواجهة ما تخبئه هيئة المناجل لهما.

أرى أنَّ الناس ما زالوا يخشون الموت، لكن بمقدار واحد في المئة من خشيتهم له سابقًا. أقول هذا لأنَّ، بناءً على حصص القطف الحالية، فرصة قطف المرء خلال الأعوام المئة التالية لا تتعدَّى الواحد في المئة، مما يعني أنَّ فرصة تعرض طفل ولد اليوم للقطف بين اليوم وحتى يمضي على وجوده على الأرض خمسة آلاف عام لا تتعدَّى 50 في المئة.

وبطبيعة الحال، بما أنَّنا لم نعُد نحسب السنوات بالأرقام، لم يعُد أي أحد -عدا الأطفال والمراهقين- يعرف سِنَّ أحد آخر، وأحيانًا لا يعرف المرء سنَّ نفسه. في أيامنا هذه يعرف الناس سنَّهم بدقَّة قد تزيد أو تنقص عقدًا أو عقدين. في وقت كتابة هذه السطور يمكنني إخباركم بأن سنِّي تتراوح بين المئة وستِّين والمئة وثمانين، لكنني لا أحب أن يكون مظهري وفقًا لسنِّي الحقيقيَّة، أستعيد شبابي من حين لآخر وأعيد عمري البيولوجي إلى سنوات بعيدة، لكن، كمعظم المناجل، لا أعيده إلى أقل من أربعين عامًا. المناجل الشباب فعلًا هم الذين يحبُّون أن يبدوا شبابًا.

حتى يومنا هذا أكبر إنسان حي يبلغ قرابة ثلاثمئة عام من عمره، لكن هذا لأننا ما زلنا قريبين من عصر الفانين. أتساءل عما ستبدو عليه الحياة بعد ألف عام من الآن، عندما يكون متوسِّط الأعمار قرابة ألف عام، هل سنكون جميعنا أبناء بعث جديد، مالكين ناصية كل عِلم وفن لأنَّ الوقت أُتيح لنا لإتقان كل شيء؟ أم سنُعاني الملل وروتين العبودية أكثر مما نعانيهما اليوم فنفقد أي دافع لعيش حياة أبدية؟ أحلم بالاحتمال الأول، لكنني أتوقع حدوث الثاني.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

14

شرط بسيط

وطئ روان أصابع قدم سيترا وهو متجه إلى الممر، فتأوهت بصوت خافت، لكنها لم تقل له قولًا لاذعًا، لأنها كانت مشغولة البال باستذكار معلومات الأسلحة والسموم في ذهنها، فكانت حركات روان الخرقاء آخر شواغلها.

ظنت أنهما سيُقتادان إلى حجرة في مكان آخر بالمبنى، إلى مكان هادئ لاختبارهما، لكن متتلمِذين آخرين ممن حضروا الخلوة من قبل ساروا في الممر نحو المنصة الأمامية، فاصطفوا دون ترتيب معين على ما يبدو، مواجهين الحضور كأنهم جوقة إنشادٍ، وانضمت سيترا إلى الصف جوار روان، وهمست له: «ما هذا؟».

فهمس لها: «لست متأكدًا».

كانوا ثمانية متتلمِذين، بعضهم يقف وقد ارتسمت على وجوههم تعابير متصلبة، وآخرون يحاولون إخفاء رعبهم. لم تكن سيترا متأكدة من تعابير وجهها، وانتابها الضيق من مرأى روان الذي يبدو عاديًّا كما لو أنه ينتظر حافلة.

قال زينوقراط: «المنجل المبجلة كوري ستتولى الاختبار اليوم».

خيم السكون على القاعة في أثناء تقدم المنجل كوري، سيدة الموت العظمى، نحو المنصة. سارت أمام صف المتتلمِذين مرتين وهي تلقي عليهم

نظرات فاحصة، ثم قالت: «كل واحد منكم سيُطرح عليه سؤال واحد، وأمامكم فرصة واحدة لتقديم إجابة مقبولة».

سؤال واحد؟ أي اختبار هذا الذي يتكون من سؤال واحد؟ كيف يمكن اختبار معرفة المرء بهذه الطريقة؟ خفق قلب سيترا بعنف شديد، وتخيلت انبثاقه من صدرها، ثم استيقاظها في مركز إنعاش غدًا فتصير موضع سخرية.

بدأت المنجل كوري من يسار الصف، مما كان يعني أن ترتيب سيترا سيكون الرابع.

خاطبت المنجل كوري الفتى الطويل النحيل الواقف عند الطرف: «جاكري زيمرمان، لنفترض أن امرأةً قذفت بنفسها نحو نصلك، مضحيةً بنفسها لمنعك من قطف طفلها، وماتت، فماذا أنت فاعل؟».

تردد الفتى لوهلة وجيزة، ثم قال: «بمقاومتها القطف انتهكت الوصية الثالثة، لذا أنا ملزَم بقطف بقية أفراد أسرتها».

أطرقت المنجل كوري لحظة، ثم قالت: «إجابة غير مقبولة!».

قال جاكري: «لكن... لكنها... قاومت! القانون ينص...».

«القانون ينطبق على من يقاوم قطف نفسه. إذا كانت هي من ستقطفها، لانطبقت عليها الوصية الثالثة بلا شك. لكن إذا داخَلنا أي شك، فعلينا الميل نحو التعاطف، وفي هذه الحالة ينبغي لك قطف الطفل والترتيب لنقل المرأة إلى مركز إنعاش ثم منحها حصانة لمدة عام إلى جانب بقية أفراد أسرتها». ثم أشارت نحو القاعة قائلة: «اذهب، المنجل المسؤول عنك سيختار عقوبتك».

ازدردت سيترا ريقها. ألا ينبغي أن تكون عقوبة الإخفاق هي المعرفة الفظيعة بهذا الإخفاق؟ أي عقوبات قد ينزِلها المناجل بتلاميذهم المخزيين؟

انتقلت المنجل كوري إلى فتاة قوية المظهر ذات وجه بارز عظام الوجنتين يجعلها تبدو شديدة البأس. قالت المنجل كوري لها: «كلوديت كاتالينو، لنفترض أنك ارتكبت خطأ متعلقًا بالسموم...».

قالت كلوديت: «هذا لن يحدث أبدًا».

- لا تقاطعيني.

- لكن فرضيتك خاطئة أيتها المنجل المبجلة كوري، فأنا أعرف السموم تمام المعرفة، ولا يمكن أن أخطئ، أبدًا.

قالت كوري بتهكم بارد: «طيب، لا بد أن المنجل مرشدك فخور بتوليه تدريب أول تلميذ مثالي في تاريخ البشرية».

انطلقت قهقهات متقطعة خافتة في القاعة. ثم تابعت كُوري: «طيب إذن، فلنقل إن شخصًا ضاق ذرعًا بعجرفتك قد تلاعب بسمومك، وهدفك رجل لم يُبدِ أي مقاومة، وبدأ يتشنج واتضح لك أن نهايته ستكون بطيئة ومؤلمة إلى درجة أن وحداته المجهرية لا تستطيع تخفيف معاناته، فماذا أنت فاعلة؟».

أجابت كلوديت دون تردد: «أسحب المسدس الذي أحتفظ به دومًا للطوارئ، وأنهي معاناة الهدف برصاصة واحدة مصوبة بعناية. لكن أولًا سوف آمر أفراد أسرته بمغادرة المكان، لأجنبهم صدمة مشاهدة القطف بطلق ناري».

رفعت المنجل كوري حاجبيها وهي تفكر في الإجابة، وقالت: «إجابة مقبولة. ووضع الأسرة في حسبانك لفتة جميلة، ولو كان الوضع افتراضيًّا».

ثم ابتسمت ابتسامة واسعة، وأردفت: «إنني محبَطة لعجزي عن إثبات عدم مثاليتك».

التالي كان فتى يثبِّت نظراته على الجدار الخلفي، ومن الواضح أنه يحاول مداراة اضطرابه.

قالت كوري: «نوا زبارسكي».

تهدج صوته: «نعم جنابك».

تساءلت سيترا عن ردة فعل كوري إزاء اضطراب الفتى. أي سؤال قد تطرحه على فتى مرعوب مثله؟

«اذكر لي خمسة مخلوقات تفرز سمومًا عصبية قوية بما يكفي لتكون فعالة عند استخدامها على سهام مسمومة».

الفتى الذي ظل حابسًا أنفاسه أطلق تنهيدة ارتياح بصوت عالٍ، وقال: «طيب، فايلوبيتس أوروتينيا، بالطبع، المعروف بضفدع السهام، والأخطبوط ذو الحلقات الزرقاء، والحلزون المخروطي الرخامي، وأفعى تايبان البرية، و... آ... العقرب الأصفر ذو العقلة الصفراء».

قالت المنجل كوري: «ممتاز، أيمكنك ذِكر المزيد؟».

قال نوا: «نعم، لكنك قلت إنك ستطرحين سؤالًا واحدًا».

- وماذا لو قلت لك إنني غيرت رأيي، وأريد ستة بدلًا من خمسة؟

أخذ نوا نفسًا عميقًا، لكنه لم يحبسه: «إذن سأقول لك، مع كامل احترامي، إنكِ لا تحترمين كلمتك، وأي منجل مُلزم باحترام كلمته».

ابتسمت المنجل كوري: «إجابة مقبولة! جيد جدًّا!».

ثم انتقلت إلى سيترا.

«سيترا تيرانوفا».

أدركت سيترا من البداية أن المنجل تعرف أسماءهم جميعًا، ورغم هذا صُدِمت عندما سمعت اسمها.

«نعم أيتها المنجل المبجلة كوري».

مالت المرأة مقتربة، وألقت على سيترا نظرة ثاقبة اخترقت عينيها: «ما هو أسوأ فعل اقترفتِه في حياتك؟».

كانت سيترا مستعدة لأي سؤال، أي سؤال غير هذا.

«أستميحك عذرًا، ماذا؟».

- إنه سؤال بسيط يا عزيزتي، ما هو أسوأ فعل اقترفتِه في حياتك؟

تصلَّب فك سيترا، وجفَّ فمها. كانت تعرف الإجابة، ولا تحتاج إلى التفكير: «هلَّا أمهلتِني لحظة؟».

- خذي وقتك.

وعندئذٍ صاح منجلٌ ما مقهقهًا: «اقترفَت العديد من الفعال الفظيعة لدرجة أنها عاجزة عن اختيار أحدها».

اندلعت الضحكات من كل مكان، وفي هذه اللحظة كرهتهم سيترا جميعهم.

ثبَّتت نظراتها على عينَي المنجل كوري، العينين الرماديتين اللتين تريان كل شيء. وكانت تعرف أنها لا يمكنها التهرب من الإجابة، فقالت: «عندما كنت في الثامنة من عمري، أسقطتُ فتاة على السلالم، فانكسر عنقها، ولم أقل لها قط إنني الفاعلة. هذا هو أسوأ ما اقترفته».

أومأت المنجل كوري وابتسمت لسيترا ابتسامة تعاطف، ثم قالت: «إنك تكذبين يا عزيزتي». واستدارت إلى الحضور وهي تهز رأسها حزينةً: «إجابة غير مقبولة». ثم استدارت إلى سيترا قائلة: «اذهبي، المنجل فاراداي سيقرر عقوبتك».

لم تجادل، ولم تصر على أنها قالت الحقيقة، لأنها لم تقُلها، ولم تكن لديها أدنى فكرة عن كيفية معرفة المنجل كوري بكذبها.

عادت سيترا إلى مكانها، عاجزة عن النظر إلى المنجل فاراداي، وهو بدوره لم يقُل لها شيئًا.

ثم انتقلت المنجل كوري إلى روان، الذي بدا في غاية الاعتداد بنفسه، فانتابت سيترا رغبة في ضربه.

سألته المنجل كوري: «روان داميش، ماذا يخيفك؟ ما الذي تخافه خوفًا يفوق خوفك من أي شيء؟».

لم يتردد روان في الإجابة، هز كتفيه وقال: «لا أخاف أي شيء».

لم تكن المنجل كوري متأكدة من أنها سمعته بوضوح. هل قال إنه لا يخاف شيئًا؟ هل فقد صوابه؟

قالت المنجل كوري: «ربما يجدر بك التمهُّل قليلًا قبل الإجابة».

لكن روان اكتفى بهز رأسه: «لا أحتاج إلى مزيد من الوقت، هذه هي إجابتي، ولن أغيرها».

ران صمت مطبق على القاعة، ووجدت سيترا نفسها تهز رأسها لا إراديًا، ثم أدركت... إنه يفعل هذا من أجلها، حتى لا تعاني وحدها العقاب الذي ينتظرها، مهما يكُن، حتى لا تحس بأنها تخلفت عنه في المنافسة. ما زالت تريد ضربه، لكن الآن لسبب مختلف تمامًا.

قالت المنجل كوري: «إذن لدينا اليوم متتلمِذ مثالي وآخر لا يخشى شيئًا».

تنهَّدت: «لكن يؤسفني إبلاغك بأنه لا أحد لا يخاف شيئًا على الإطلاق، لذا فإن إجابتك، كما تعرف بلا شك، غير مقبولة».

انتظرت، ربما ظنًّا منها أن روان قد يرد على كلامها، لكنه لم يرد، وانتظر قولها: «اذهب، المنجل فاراداي سيقرر عقوبتك».

عاد روان إلى مكانه جوار سيترا لا مباليًا إلى أقصى درجة.

همست له: «إنك أحمق!».

هز لها كتفه كما فعل مع المنجل كوري: «هذا ما أظنه».

- أتظنني لا أعرف سبب فعلتك هذه؟
- ربما فعلتها حتى أبدو أفضل في الخلوة القادمة. أو ربما إذا قدمت إجابة جيدة اليوم، فسيكون السؤال التالي أصعب.

لكن سيترا عرفت أنه منطق مغلوط، فروان لم يفكر بهذه الطريقة. ثم تكلم المنجل فارادي، بصوت خافت لكنه بطريقة ما حازم إلى درجة تبعث الرعدة: «ما كان ينبغي لك أن تفعل هذا».

فقال روان: «سوف أرضى بأي عقوبة تراها مناسبة».

أجابه المنجل محتدًا: «الأمر لا يتعلق بالعقوبة!».

بحلول هذا الوقت انتهت المنجل كوري من طرح الأسئلة على بقية المتتلمِذين، أمرت اثنين بالذهاب والجلوس، وبقي اثنان.

خمن روان: «ربما ترى المنجل كوري أن تصرفي كان نبيلًا».

قال فارادي: «أجل، وهذا ما سيراه الجميع أيضًا. من السهل تحويل الدوافع إلى أسلحة».

وقالت سيترا لروان: «وهذا يبرهن على أنك أحمق». لكنه اكتفى بابتسامة بلهاء واسعة.

ظنت سيترا أن كلمتها هي الأخيرة فيما جرى، وأن الأمر برمته انتهى حتى يعودوا إلى البيت حيث سوف ينزل المنجل فارادي بهما عقوبة مزعجة لكنها عادلة تناسب أخطاءهما، لكنها كانت مخطئة.

بعدما انتهى ترويع المتتلمِذين، بدأ المناجل يفقدون تركيزهم، تفشت الهمهمات والمناجل يناقشون خطط العشاء مع اقتراب الساعة السابعة، ووجدوا المسائل المتبقية غير مثيرة لاهتمامهم، أمور متعلقة بصيانة المباني، وما إذا ينبغي إلزام المناجل بالإعلان عن اعتزامهم استعادة شبابهم حتى لا يُصدم الناس عندما يبدو المنجل أصغر سنًا بثلاثين سنة في الخلوة التالية.

ومع اقتراب ختام الخلوة نهضت إحدى المناجل وخاطبت زينوقراط بصوت عالٍ، كانت المرأة التي ترتدي العباءة الخضراء المرصعة بالزمرد، إحدى المناجل أتباع غودارد.

قالت: «المعذرة يا صاحب السمو». لكن كان من الواضح أنها تخاطب جميع الحضور وليس النصل السامي وحده: «أجدني مشغولة البال بهذه المجموعة الجديدة من المتتلمِذين، وعلى وجه التحديد المتتلمِذان اللذان يتولّى تدريبهما المنجل المبجل فارادي».

رفع روان وسيترا أنظارهما، لكن فارادي لم يحرك ساكنًا، بدا متجمدًا، ناظرًا إلى الأسفل كأنه غارق في جلسة تأمل، أو ربما يتجلّد استعدادًا لما سيسمعه.

تابعت المنجل: «حسب ما أعرفه، لم يحدث أن تولى أي منجل تدريب متتلمذَين وجعلهما يتنافسان على الخاتم».

نظر زينوقراط إلى الخبير القانوني، وهو صاحب القول الفصل في مثل هذه المسائل. فقال الخبير القانوني: «لا يوجد قانون يمنع هذا يا منجل راند».

قالت المنجل راند: «أجل، لكن من الواضح أن المنافسة تحولت إلى مودة، فكيف عسانا أن نعرف أيهما المرشَّح الأفضل إذا استمرا في مساعدة بعضهما؟».

قال زينوقراط: «سنأخذ تحفظكِ بعين الاعتبار».

لكن المنجل راند لم تنته: «أقترح -لضمان أن هذه المنافسة منافسة فعلًا- أن نضيف شرطًا بسيطًا».

نهض المنجل فاراداي كأنه قُذف من كرسيه، وصاح: «أعترض! ليس من شأن هذه الخلوة أن تُملي عليَّ كيفية تدريب تلميذَيَّ! لا يحق لسواي تدريسهما وتدريبهما وتأديبهما!».

رفعت راند يديها برحابة صدر تهكمية: «لا أسعى سوى إلى جعل اختيارك النهائي عادلًا ونزيهًا».

- أتظنين أن بوسعك تضليل هذه الخلوة بجواهرك وعنجهيتك؟ لسنا سذجًا حتى ننبهر بالأشياء البراقة.

سأل زينوقراط: «ما هو اقتراحك يا منجل راند؟».

صاح فاراداي: «أعترض!».

- لا يمكنك الاعتراض على كلام لم يُقل بعد!

ألجم فاراداي اعتراضه، وانتظر.

ظلت سيترا تشاهد ما يجري، شاعرةً بأنها منفصلة عما حولها، كأن ما يجري مباراة تنس بلغت مرحلة النقطة الحاسمة، لكنها لم تكن مجرد متفرِّجة، أليس كذلك؟ كانت هي الكرة، هي وروان.

قالت المنجل راند بخبث أفعى: «أقترح، بعد اعتماد المنافس الفائز من المتتلمِذين، أن تكون مهمة الفائز الأولى هي قطف الخاسر».

اندلعت شهقات وهمهمات في أنحاء القاعة، وضحكات -عجزت سيترا عن تصديقها- وعبارات استحسان أيضًا. ودَّت سيترا أن تظن أن المرأة التي ترتدي العباءة الخضراء تمزح، وأن هذا مستوى آخر من مستويات الاختبار.

استشاط فاراداي غضبًا، ولم يقل شيئًا في البداية، عاجزًا عن التعبير عن اعتراضه، وأخيرًا أرعد بغضبه، كأنه قوة من قوى الطبيعة، كموجة عاتية تتلاطم عند الشاطئ: «هذا يناقض كل ما نمثِّله! وكل ما نفعله! مهمتنا هي القطف، لكنكِ والمنجل غودارد وزمرته تريدون جعل مهمتنا هواية دموية!».

- هراء، اقتراحي معقول تمامًا، تهديد القطف سيضمن لنا اختيار أفضل المرشَحين.

ثم صُعقت سيترا من ردة فعل زينوقراط، إذ بدلًا من رفض الاقتراح وعدِّه سخيفًا، التفت إلى الخبير القانوني سائلًا: «أيوجد قانون يمنع هذا الاقتراح؟».

فكر الخبير القانوني قليلًا وقال: «نظرًا إلى عدم وجود سابقة متعلقة بالتعامل مع متتلمِذَين اثنين، فما من قواعد تحكم كيفية التصرف في هذه الحالة، الاقتراح لا يتجاوز إرشاداتنا».

«إرشاداتنا؟». صاح المنجل فاراداي.

«إرشاداتنا؟ ينبغي أن تكون المبادئ الأخلاقية لهيئة المناجل هي إرشاداتنا! مجرد التفكير في هذا الأمر فعلٌ بربري!».

قال زينوقراط ملوحًا بيده تلويحة متكلفة مبالغًا فيها: «أوه، أرجوك، أعفنا من الدراما يا فاراداي. هذه هي عاقبة قرارك بتولي تدريب متتلمِذَين اثنين في حين كان ينبغي لك الاكتفاء بواحد».

وعندئذٍ بدأ جرس الساعة السابعة يرن.

قال فاراداي: «أطالب بمناظرة شاملة والتصويت على هذا القرار!».

لكن الجرس رن ثلاث مرات، وتجاهل زينوقراط فاراداي قائلًا: «وفقًا لصلاحيتي بوصفي النصل السامي، قررت بشأن مسألة روان داميش وسيترا تيرانوفا أن من يتفوق منهما سيتوجب عليه قطف الآخر عند نَيل الخاتم».

ثم هوى بمطرقته على طاولة المنصة، قاطعًا الجدل بشأن مصير سيترا وروان، ومُعلنًا فض الخلوة.

تمرُّ عليَّ لحظات أتوق فيها إلى علاقة مع الرَّأس السَّحابي، لكن أظنُّ أنَّنا دائمًا ما نرغب في كلِّ ما هو بعيد المنال. بوسع النَّاس الآخرين مخاطبة الرَّأس السَّحابي ملتمسين مشورته، أو طالبين منه تسوية نزاعاتهم، وبعضهم يعدُّونه موضع ثقتهم، فهو معروف بتعاطفه وحياديته، ولا يفشي سِرَّ أحدٍ أبدًا. الرَّأس السَّحابي أفضل مستمع في العالم.

لكن هذا غير متاح للمناجل، إذ لا نجد منه سوى الصَّمت الأبدي.

بإمكاننا أن ننهل من ثروته المعرفيَّة، بطبيعة الحال، وتلجأ هيئة المناجل للرأس السَّحابي في العديد من المهام، لكنَّه لا يعدو كونه قاعدة بيانات لنا، مجرَّد أداة. الرَّأس السَّحابي، بوصفه كيانًا، أو عقلًا، غير موجود في عالمنا.

ورغم هذا فهو حاضر، ونحن على دراية بحضوره.

الانسلاخ عن الوعي الجَمعي الخاص بالحكمة البشريَّة يمثِّل حاجزًا إضافيًّا يعزل المناجل عن بقية النَّاس.

لا بد أنَّ الرَّأس السَّحابي يرانا، ولا بد أنَّه على دراية بالمماحكات التَّافهة التي تجري في هيئة المناجل، بيد أنَّه تعهَّد بعدم التدخل. هل يزدرينا نحن المناجل لكنه يحتملنا لأنه مُلزَم؟ أم إنَّه قرَّر ببساطة ألَّا يعبأ بنا إطلاقًا؟ وأيُّهما أسوأ؟ الازدراء أم التَّجاهل؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

15

الفراغ القائم بينهما

كانت الليلة مكفهرة، وقد انثالت خطوط المطر على نوافذ القطار جاعلةً الأضواء خلفها ضبابية مشوهة، إلى أن تلاشت الأضواء. وعرف روان أنهم يعبرون الريف، لكن الظلام بدا كأنه فضاء خالٍ من الهواء.

«لن أفعلها». قالت سيترا أخيرًا مبدِّدةً الصمت الذي سربلهم منذ مغادرتهم الخلوة: «لا يمكنهم إرغامي على فعلها».

لم يتفوه فاراداي بكلمة، حتى إنه لم ينظر إليها، فلم يجد روان بُدًّا من الرد عليها: «بل يمكنهم».

وأخيرًا نظر فاراداي إليهما وقال: «روان محق، سيجدون طريقة، مهما تكن، لإرغامكما على الامتثال لما يريدونه، وسوف تمتثلان، مهما يكن الأمر بغيضًا».

ركلت سيترا المقعد الشاغر أمامها: «كيف يُعقل أن يكونوا فظيعين هكذا؟ لماذا يكرهوننا إلى هذه الدرجة؟».

قال روان: «ليسوا جميعهم سواء، ولا أظن أن الأمر متعلق بنا...».

كان من الواضح أن فاراداي منجل يجيد الاحترام، ورغم أنه لم يصرِّح بشيء ضد غودارد اليوم، فمشاعره تجاه الرجل واضحة. لا بد أن غودارد يرى فاراداي مصدر تهديد، وقد كان الهجوم على سيترا تحذيرًا لفاراداي.

اقترحت سيترا: «ماذا لو أخفق كلانا؟ إذا رأوا أننا تلميذان أخرقان، فلن يتمكنوا من اختيار أي واحد منا».

«ورغم هذا سوف يختاروا أحدكما». قال فاراداي لها بنبرة واثقة حاسمة لا تدع مجالاً للشك. «مهما يبلغ ضعف أدائكما، فسوف يختاروا أحدكما على أي حال، لا لشيء سوى الفُرجة». ثم التوت تعابير وجهه من الاشمئزاز. «وحتى يجعلوا من قضيتكما سابقة جديدة».

قال روان: «أراهن على أن غودارد لديه ما يكفي من الأصدقاء لتنفيذ مخططه، وأظنه قد ضم النصل السامي إلى جانبه أيضًا».

قال فاراداي بتنهيدة تحمل إرهاق العالم كله: «بالفعل، لم يحدث من قبل أن تداخلت الأمور وتعقدت هكذا في هيئة المناجل».

أغمض روان عينيه، متمنيًا لو أمكنه إيقاف دوران عقله أيضًا والاختباء من أفكاره. قال لنفسه: *بعد ثمانية أشهر سوف تقتلني سيترا، أو سوف أقتلها*. وتسمية الفعل بـــ «القطف» لا تغير من حقيقة الأمر شيئًا. كان يهمه أمر سيترا، لكن هل إلى درجة التضحية بحياته ليدعها تفوز؟ سيترا قطعًا لن تتراجع لتدعه ينال الخاتم.

وعندما فتح عينيه ضبطها وهي تحدق إليه، لكنها لم تشح بوجهها، وقالت: «روان، مهما يحدث، أريدك أن تعرف...».

قاطعها روان: «لا تكملي، لا تكملي فحسب».

وساد الصمت بقية الرحلة.

وجدت سيترا نفسها مستيقظة طوال الليل بعدما وصلوا إلى البيت، ولم تكن تنام كثيرًا على أي حال. تتابعت في ذهنها صور المناجل الذين رأتهم في الخلوة مبدِّدةً أي أثر لنعاس، المناجل الحكماء، والمتآمرون، والمتعاطفون، والذين لم يبدُ أنهم يكترثون بشيء. مهمة تشذيب البشر الحساسة ينبغي ألَّا تخضع للأهواء الشخصية. يفترض أن يترفع المناجل عن التفاهات، مثلما هم فوق القانون، وينطبق هذا الافتراض على فاراداي بلا ريب. رأت أنها إذا

أصبحتْ منجلًا فسوف تقتدي به، وإذا لم تصبح منجلًا، فلن يهمها شيء، لأنها ستكون ميتة.

ربما ينطوي قرار قطف أحدهما الآخر على حكمةٍ ملتويةٍ ما، فأيًا يكن من ينال الخاتم فسوف يبدأ حياته بوصفه منجلًا بدايةً مترعة بالأسى، ولن ينسى ما كلَّفه الخاتم أبدًا.

حل الصباح ولم تنقشع غشاوة القنوط، جاء يومًا عاديًا كأي يوم آخر، انقطع المطر، وأطلَّت الشمس من خلف غيوم سابحة. كانت مهمة إعداد الإفطار اليوم على روان، فأعد بيضًا وشرائح بطاطس مُحمَّرة. لم يكن يطهو البطاطس مدة كافية أبدًا، فصارت سيترا تسميها دومًا بـ «شرائح البطاطس المُبيضَّة». لا يتذمر فاراداي أبدًا عندما تكون الوجبات التي يعدانها دون المستوى، يتناول ما يقدمانه، ولا يتسامح مع أي تذمرات من أي منهما. وكانت عقوبة إعداد وجبة صالحة للأكل بالكاد هي أن يأكلها الذي أعدها بنفسه.

تناولت سيترا الطعام، رغم أنها فاقدة الشهية، ورغم أن عالمها بأكمله اختل دورانه. الإفطار هو الإفطار.

وعندما بدد فاراداي الصمت أحسا بصوته كأنه قطعة قرميد قُذفت عبر زجاج النافذة: «سأخرج وحدي اليوم، عليكما الاهتمام بدراستكما».

قالت سيترا: «كما تأمر». وقال روان العبارة نفسها كأنها صدى تردد بعد نصف ثانية.

فقال فاراداي: «لم يتغير شيء في وضعكما».

خفضت سيترا بصرها إلى حبوب إفطارها، وتجاسر روان على قول ما هو بذهني: «كل شيء تغير يا سيدي».

فقال فاراداي كلامًا غامضًا لن يتردد صداه في ذهنيهما إلا في وقت لاحق: «وربما سيتغير كل شيء مرة أخرى».

ثم تركهما وغادر.

سرعان ما صار الفراغ القائم بين روان وسيترا حقل ألغام، أرض مُحرَّمة لا ينبت فيها سوى الكرْب. كان من الصعب بما يكفي أن يتفاوضا في وجود المنجل فاراداي، وإثر مغادرته غاب من يردم الهوة بينهما.

مكث روان في حجرته، مفضِّلًا الدراسة فيها على الذهاب إلى عرين الأسلحة، حيث سيشعر بضيق مؤلم لعدم جلوس سيترا بجواره، لكنه ترك باب حجرته مواربًا، إذ كان يحدوه أمل ضئيل في أن سيترا ربما ترغب في ردم الهوة بينهما. سمعها تغادر، على الأرجح للركض، ثم انقضت مدة طويلة منذ مغادرتها. انتهجت في تعاملها مع وضعهما الجديد القاتم طريقة إبعاد نفسها عن الوضع إبعادًا جذريًّا كما فعل روان.

وعندما عادت، عرف روان أنه لن ينعم بسلام معها، أو مع نفسه، ما لم يخطُ هو الخطوة الأولى في حقل الألغام.

وقف خارج باب حجرتها المغلق دقيقة كاملة على الأقل قبل أن يستجمع شجاعته لطرق الباب.

سمع صوتها مكتومًا وراء الباب المغلق: «ماذا تريد؟».

- أيمكنني الدخول؟

- الباب غير موصَد.

أدار مقبض الباب وفتح الباب ببطء، فرآها في منتصف الحجرة تحمل سكين صيد وتتدرب على مهارات استخدام السكين في الهواء، كأنها تقاتل أشباحًا.

قال روان: «تكنيك رائع». ثم أردف: «إذا نويتِ قطف قطيع ذئاب شرسة».

«المهارات هي نفسها، سواء استخدمتها أم لم أستخدمها». أدخلت السكين في غمده، وألقته على مكتبها، ووضعت يديها على وركيها. «ماذا تريد إذن؟».

- أريد أن أعتذر لرفضي سماع كلامك سابقًا، أقصد عندما كنا على متن القطار.

هزت سيترا كتفيها: «كنتُ أهذر بكلام لا معنى له، وكنتَ محقًّا في إسكاتي».

بدأ الحرج يدب بينهما، فرأى روان أن يدخل في صلب الموضوع: «ألا ينبغي أن نتكلم عن هذا الوضع؟».

استدارت مبتعدة عنه واقتعدت سريرها، وحملت كتابًا عن علم التشريح وفتحته كأنها تهم بالدراسة، ولم تدرك بعد أنها تمسك الكتاب بالمقلوب: «نتكلم عن ماذا؟ سوف أقتلك، أو تقتلني، وفي كلتا الحالتين لا أريد التفكير في الأمر حتى يحين الموعد». ثم ألقت نظرة على الكتاب، وقلبته، ثم تخلَّت عن التظاهر، وأغلقته وألقته على الأرضية: «أريد أن أُترك وحدي، اتفقنا؟».

ورغم هذا جلس روان على حافة سريرها، وعندما لم تأمره بالانصراف، تحرك مقتربًا منها قليلًا، فظلت تنظر إليه، لكنها لم تقل شيئًا.

أراد أن يمد يده نحوها، وربما يلامس خدها، لكن الفكرة جعلته يتذكر موظفة المبيعات التي قُطِفت بلمسة. يا له من سم زعاف! أراد روان أن يقبِّلها، لم يعد قادرًا على إنكار رغبته، وقد كبح رغبته منذ أسابيع لأنه يعرف أن المنجل لن يتسامح مع تصرف كهذا. لكن فاراداي ليس موجودًا، والدوَّامة التي قُذِفا فيها بدَّدت كل ما سواها من شواغل.

وعندئذ فوجئ روان عندما اندفعت سيترا نحوه فجأة وقبَّلته، أخذته على حين غرة.

قالت: «ها نحن ذان، فعلناها وانتهينا، الآن يجدر بك أن تغادر».

- ماذا لو لم أرغب في المغادرة؟

ترددت، مدة كافية لجعله يظن أن البقاء ممكن، لكنها قالت أخيرًا: «ما الفائدة التي سنجنيها؟».

تحركت مبتعدة في السرير، وضمت ركبتيها إلى صدرها: «لم أقع في حبك يا روان، والآن أود إبقاء الوضع كما هو».

نهض روان وسار نحو أمان عتبة الباب قبل أن يلتفت إليها قائلًا: «لا بأس يا سيترا، أنا أيضًا لم أقع في حبك».

لستُ رجلًا سريع الغضب، لكن كيف يجرؤ المناجل الذين ينتمون إلى الحرس القديم على إملاء سلوكي عليَّ؟ فليقطف كل واحد منهم نفسه، حتى نتخلَّص من أساليبهم النِّفاقيَّة التي تنمُّ عن كراهية الذَّات. أنا رجل يختار أن يقطف شاعرًا بالفخر، وليس الخزي، أختار أن أعانق الحياة، حتى وأنا أسبِّب الموت. لا يداخلني أدنى شك في أنَّنا، نحن المناجل، فوق القانون لأنَّنا نستحق أن نكون فوق القانون. أتوقَّع مجيء اليوم الذي سيقع فيه الاختيار على المناجل الجدد، ليس لأنهم يتحلَّون بقيم أخلاقيَّة سامية، إنما لأنَّهم يستمتعون بسلب حيوات النَّاس. ورغم كل شيء إنَّنا نعيش في عالم مثالي، وفي هذا العالم المثالي، ألا يحق لنا جميعًا أن نحب ما نفعله؟

- من مذكِّرات قطف م. م. غودارد

16

عامل حوض السباحة

وقف منجلٌ أمام باب قصر المدير التنفيذي، في الحقيقة كانوا أربعة مناجل، لكن ثلاثة منهم وقفوا على مبعدة، تاركين المنجل الذي يرتدي الأزرق الملكي يتولى الأمر.

كان المدير التنفيذي خائفًا، أو بالأحرى مرعوبًا، بيد أنه لم يقتعد مكانته السامقة بإظهار مشاعره، كان متوقد الذهن، وقادرًا على رسم ملامح الجمود على وجهه، لن يتهيَّب وصول الموت إلى عتبة بابه، حتى لو ارتدى الموت عباءة مرصعة بالماس.

قال المدير التنفيذي محاولًا أن يبدو لا مباليًا بقدر مستطاعه: «يفاجئني وصولك إلى الباب الأمامي دون أن يخطِرني حُرَّاس البوابة».

«لأخطروك، لكننا قطفناهم». تكلمت المنجل ذات الملامح البان آسيوية التي ترتدي العباءة الخضراء.

لم يدع المدير التنفيذي هذا الخبر يفقده رباطة جأشه: «آه، إذن تريدون مني إعطاءكم معلوماتهم الشخصية حتى تُخطِروا عائلاتهم».

قال المنجل القائد: «ليس بالضرورة، هلَّا سمحت لنا بالدخول؟».

وبما أن المدير التنفيذي يعرف أنه لا يحق له الرفض، انتحى جانبًا.

دخل المنجل المرصع بالماس وقوس قزح في أعقابه، وجالوا بأبصارهم في أنحاء القصر الباذخ.

«أنا المنجل المبجل غودارد، وهؤلاء زملائي، المناجل فولتا، وتشومسكي، وراند».

«عباءات لافتة». علّق المدير التنفيذي وهو ما يزال ناجحًا في لجم خوفه.

قال المنجل غودارد: «شكرًا لك. أراك رجلًا ذا ذوق رفيع، تحياتي لمهندس الديكور».

قال الرجل: «إنها زوجتي». ثم امتعض من نفسه لأنه أتى على ذِكرها أمام سالبي الحياة.

تحرك المنجل فولتا، الذي يرتدي الأصفر وذو ملامح إفريقية، في أنحاء البهو الواسع، مدققًا النظر إلى الممرات المقوسة التي تفضي إلى أجزاء أخرى من القصر، وقال: «فينغ شُوي ممتاز، تدفُّق الطاقة مهم جدًّا في بيت بهذه الضخامة».

قال صاحب العباءة النارية المرصعة بالياقوت، المنجل تشومسكي، وهو أشقر شاحب اللون ويبدو فظًّا: «أتخيل وجود حوض سباحة كبير».

تساءل المدير التنفيذي عما إذا كانوا يستمتعون بإطالة زيارتهم. كلما استمر في مجاراتهم، استحكمت قبضتهم عليه، لذا اختصر المحادثات العفوية قبل أن يشهدوا انهياره: «هل لي أن أسألكم عن الغرض من مجيئكم؟».

ألقى المنجل غودارد نحوه نظرة سريعة، لكنه تجاهل السؤال، وأومأ لأتباعه، فغادر اثنان من الثلاثة، صعد ذو العباءة الصفراء السلالم الملتفة، وذهبت المرأة صاحبة العباءة الخضراء لاستكشاف بقية الطابق الأرضي، ولبث ذو العباءة البرتقالية على مقربة، وهو أضخمهم، وعلى الأرجح الحارس الشخصي لقائدهم، كما لو أن أحدًا قد تبلغ به الحماقة حد الاعتداء على منجل.

تساءل المدير التنفيذي عن مكان أطفاله في تلك اللحظة، في الخارج بالخلف مع المربية؟ في الطابق العلوي؟ لم يكن متأكدًا، وآخر ما كان يريده هو غياب المناجل عن بصره في بيته. قال: «مهلًا! مهما يكن الغرض من مجيئكم، فأنا متأكد أن بوسعنا التوصل إلى تفاهمٍ ما. تعرفون من أنا، أليس كذلك؟».

أخذ المنجل غودارد قطعة فنية معروضة في الردهة، ولم ينظر إلى الرجل: «إنك شخص ثري إلى درجة امتلاك لوحة لسيزان».

أمن الممكن أنه لم يعرفه؟ وأن حضورهم إلى بيته لم يكن مخططًا لكنه عشوائي؟ من المفترض أن يكون المناجل عشوائيين في اختياراتهم، لكن إلى هذه الدرجة؟ وجد الرجل أن السد الذي يكبح خوفه بدأ يتصدَّع، فقال: «أرجوك، أنا ماكسيم إيسلي، لا بد أن هذا الاسم يعني لك شيئًا».

نظر المنجل إليه دون أن يبدي ما يدل على أنه عرف الرجل، وسأله المنجل المتوشح باللهب: «أأنت الرجل الذي يتولى عمليات التجدُّد؟».

وأخيرًا ظهرت أمارات التعرف على ملامح غودارد: «آه، صحيح، شركتك هي الثانية في مجال استعادة الشباب».

تفاخر إيسلي لا إراديًّا: «ستصبح الأولى عما قريب، حالما نطلق تقنيتنا التي تتيح الارتداد الخلوي إلى ما قبل سن الحادية والعشرين».

- لدي أصدقاء استعانوا بخدماتك من قبل، أنا عن نفسي لم أستعِد شبابي بعد.

- لك أن تكون أول من يستخدم تقنيتنا استخدامًا رسميًّا.

ضحك غودارد والتفت إلى زميله: «أيمكنك أن تتخيلني مراهقًا؟».

- مستحيل.

كلما ازداد تسلِّيهما بالوضع، ازداد رعب إيسلي، ثم لم يعد يرى فائدة من إخفاء يأسه: «لا بد من وجود شيء تريدونه، شيء ذو قيمة يمكنني تقديمه لكم...».

وأخيرًا أفصح غودارد عن الغرض من مجيئه: «أريد قصرك».

قاوم إيسلي رغبته في قول: «المعذرة، ماذا؟»، لأن كلام غودارد لم يكن غامضًا من أي ناحية، كان طلبًا وقحًا. لكن ماكسيم إيسلي كان مفاوضًا بارعًا: «لدي مرأب فيه عشرات السيارات التي تعود إلى حقبة الفانين، جميعها لا تقدَّر بثمن، يمكنك أخذ أي واحدة منها، بل يمكنك أخذها كلها».

اقترب المنجل خطوة، وأحس إيسلي بغتة بنصل مثبت إلى يمين تفاحة آدم على عنقه، لم ير المنجل يسحب النصل، كان سريعًا إلى درجة أن النصل بدا كأنه انبثق ببساطة جوار وريده الوِداجي.

قال غودارد بهدوء: «فلنوضح لك الوضع، لم نأتِ من أجل المقايضة والمساومة، نحن مناجل، مما يعني، بحكم القانون، أن أي شيء نريده يمكننا الحصول عليه، وأي حياة نريد إنهاءها سننهيها. بهذه البساطة. لا سُلطة لك هنا. هل كلامي واضح؟».

أومأ إيسلي، فأحس بالنصل يكاد يخدش جلده. وبدا غودارد راضيًا وأبعد النصل عن عنق إيسلي، وقال: «لا بد أن عقارًا كهذا يتطلب عددًا كبيرًا من العاملين، خدم، وبستانيون، وربما عمال إسطبل. كم عدد الذين توظفهم؟».

حاول إيسلي أن يتكلم، لكن لم يند عنه صوت، فتنحنح وحاول مرة أخرى: «اثنا عشر، اثنا عشر موظفًا بدوام كامل».

وعندئذٍ خرجت المرأة التي ترتدي الأخضر، المنجل راند، من المطبخ، ومعها رجل وظَّفته زوجة إيسلي مؤخرًا، رجل في بداية العشرينيات من عمره، أو هكذا بدا، وعجز إيسلي عن تذكر اسمه.

سأل غودارد: «ومن هذا؟».

- عامل حوض السباحة.

قلَّدته المنجل راند: «عامل حوض السباحة».

أومأ غودارد للمنجل مفتول العضلات الذي يرتدي العباءة البرتقالية، فاقترب من الشاب، ومد يده ولامس خده، فتهالك عامل حوض السباحة على الأرض، وارتطم رأسه بالرخام، ظلت عيناه مفتوحتين، لكن لم تبق فيهما حياة. قُطِف الشاب.

قال المنجل تشومسكي ناظرًا إلى يده: «إنه ناجح! يستحق بلا شك ما دفعه قيِّم الأسلحة».

قال غودارد: «طيب، والآن رغم أن من حقنا أخذ كل ما نريده، فأنا رجل عادل، مقابل هذا القصر الجميل، أقدم لك ولأسرتك ولباقي موظفيك حصانة كاملة في كل عام نقرر فيه البقاء هنا».

غُمِر إيسلي بارتياح فوري. وخطر له مدى غرابة الموقف، يُسلب منه بيته، ورغم هذا يشعر بالارتياح.

قال غودارد: «على ركبتيك». فامتثل إيسلي.

«قبِّله».

لم يتردد إيسلي، وطبع شفتيه بقوة، وشعر بحواف الخاتم تلتصق بشفته.

«والآن ستذهب إلى مكتبك وتستقيل من منصبك، ويجب أن يسري القرار فورًا».

هذه المرة قال إيسلي فعلًا: «المعذرة، ماذا؟».

- يمكن لأحد آخر أداء وظيفتك، أنا متأكد من وجود آخرين يتحيَّنون الفرصة.

نهض إيسلي، وساقاه ما تزالان متقلقلتين قليلًا: «لكن... لكن لماذا؟ ألا يمكنك أن تدعني أغادر مع أسرتي؟ لن نزعجك، ولن نأخذ معنا شيئًا سوى الملابس التي نرتديها، ولن ترانا مرة أخرى أبدًا».

قال المنجل غودارد: «لكن يؤسفني إبلاغك بأنني لا يمكنني تركك تغادر، لأنني أحتاج إلى عامل حوض سباحة جديد».

أرى أنَّ عدم السماح للمناجل بأن يقطف بعضهم بعضًا قرارٌ حكيم، من الواضح أنَّه اتُّخذ لمنع الصِّراع العبثي على السُّلطة، لكن عندما يتعلَّق الأمر بالسُّلطة فدائمًا ما يوجد أشخاص قادرون على إيجاد السُّبل للاستيلاء عليها.

كما أرى أنَّ من الحكمة السماح لنا بقطف أنفسنا، وأُقِرُّ بأنَّني فكَّرت في هذا الخيار في بعض الأوقات، فالتخفُّف من أعباء العالم يبدو خيارًا أفضل عندما يصبح عبء المسؤوليَّة ثقيلًا، لكن فكرة واحدة ظلت تمنعني دومًا من اقتراف الفعل الأخير.

إذا لم أتحمَّل أنا المسؤوليَّة، فمن سيتحمَّلها إذن؟

هل سيكون المنجل الذي سيحل محلِّي متعاطفًا وعادلًا مثلي؟

بوسعي تقبُّل فكرة عدم وجودي في العالم، لكنني لا أطيق فكرة وجود مناجل آخرين يقطفون في غيابي.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

17

الوصية السابعة

أُوقِظ روان وسيترا في وقتٍ ما بعد منتصف الليل إثر طرق شخص على الباب الخارجي، فخرجا من حجرتيهما، والتقيا في الردهة، ونظر كلاهما لا إراديًا نحو باب حجرة المنجل فاراداي المغلق. أدارت سيترا المقبض، فوجدت الباب غير موصَد، ودفعته قليلًا ورأت أن المنجل غير موجود، وفراشه لا يحمل أثر نومه عليه الليلة.

بقاؤه خارج البيت حتى هذا الوقت المتأخر لم يكن معتادًا لكنه حدث من قبل، لم تكن لديهما فكرة عما يفعله في الليالي التي يمضيها بالخارج من حين إلى آخر، لكنهما حبَّذا عدم سؤاله، فالفضول كان أول ضحايا التتلمذ، وتعلَّما منذ وقت مبكر أن أشياء كثيرة يستحسن ألَّا يعرفاها عن حياة المناجل.

استمر الطرق عنيفًا بلا هوادة، لم يكن طرقًا لطيفًا بمفاصل الأصابع، إنما خبطًا قويًا بعقب راحة اليد.

قال روان: «ما العمل؟ نسي مفاتيحه، صحيح؟».

كان التفسير الأكثر معقولية، وأليس التفسير الأكثر معقولية هو الذي يكون صحيحًا عادةً؟ اقتربا من الباب، وتجلَّدا لتلقي التوبيخ.

ألم تسمعا طرقي؟ حسبما سمعت لم يوجد أي شخص أصم منذ مئتي عام.

لكن عندما فتحا الباب، لم يجدا المنجل فاراداي، إنما ضابطين، ليسا ضابطي سلام عاديين، إنما من أفراد الحرس النصلي، وشارة هيئة المناجل مطرزة بوضوح على صدرَي زيهما.

سألهما أحدهما: «سيترا تيرانوفا وروان داميش؟».

أجاب روان: «نعم». وتقدم خطوة حاجبًا سيترا بكتفه كأنه يحميها، وأحس بأن حركته تنم عن جسارة، لكنها أثارت ضيق سيترا.

«نريد منكما المجيء معنا».

سأله روان: «لماذا؟ ماذا يجري؟».

قال الحارس الثاني: «غير مصرح لنا بتقديم تفسير».

أزاحت سيترا كتف روان الحامي جانبًا وقالت: «إننا متتلمِذان لدى منجل، مما يعني أن الحرس النصلي في خدمتنا، وليس العكس. لا يحق لكما اقتيادنا ضد إرادتنا». وقد كان كلامها غير صحيح على الأرجح، لكنه جعل الحارسين يترددان قليلًا.

وعندئذ انبعث صوت من الظلال: «سأتولى هذا».

وانبثقت من الظلام هيئة مألوفة، بدت غريبة تمامًا على الحي الذي يقطنه فاراداي، فعباءة النصل السامي لم تتألق في عتمة السلالم المؤدية إلى الباب، ولاحت باهتة ضاربة للبُنّي.

«من فضلكما، لا بد أن تأتيا معي فورًا، سنرسل شخصًا ليجلب أغراضكما».

كان روان يرتدي منامة، وسيترا ترتدي رداء حمام، فلم يتحمسا لطاعة النصل السامي، لكنهما استشعرا أن ملابسهما الليلية ينبغي أن تكون آخر شواغلهما.

سأل روان: «أين المنجل فاراداي؟».

أخذ النصل السامي زينوقراط نفسًا عميقًا، وتنهَّد قائلًا: «لجأ إلى الوصية السابعة، المنجل فاراداي قطف نفسه».

***

يجمع النصل السامي زينوقراط بين العديد من المتناقضات، يرتدي عباءة موشاة بزخارف باروكية، لكنه ينتعل خفًا مهترئًا باليًا، يعيش في كابينة خشبية متواضعة، لكن الكابينة مشيدة على سطح أعلى مبنى في فولكرم سيتي، أثاثه غير متسق ومتضعضع كأنما جُلب من متجر أثاث مستعمل، لكن الأرضية مكسوة بسجاد لا يُقدر بثمن ويليق بالمتاحف.

قال لروان وسيترا: «أعجز عن التعبير عن مدى أسفي». وكانا ما يزالان مصدومين وعاجزين عن استيعاب ما حدث. كان الوقت صباحًا، وقد استقل ثلاثتهم قطارًا خاصًا فائق السرعة إلى فولكرم سيتي، والآن عند سطح خشبي صغير يطل على مرجة مشذبة بعناية تنتهي بحافة ناتئة وهوة سحيقة تبعد سبعين طابقًا. لم يرغب النصل السامي في وجود أي شيء يحجب المشهد أمامه، وكل من تدفعه الحماقة للتعثر فوق الحافة يستحق تضييع وقته في الإنعاش وتكلفته.

قال النصل السامي متحسرًا: «إنه لأمر فظيع دومًا أن يرحل عنا منجل، لا سيما منجل يحظى باحترام كبير مثل فاراداي».

لدى زينوقراط حاشية كاملة من المساعدين والخدم في العالم الخارجي يساعدونه على أداء مهامه، لكن في بيته لا يوجد حتى خادم واحد، وهذه من تناقضاته أيضًا. كان قد أعدَّ لهما الشاي، والآن صبه لهما، عارضًا عليهما الكريمة دون السكر.

احتسى روان من كوبه، لكن سيترا رفضت أي معاملة لطيفة من الرجل.

قال زينوقراط: «كان منجلًا جليلًا وصديقًا طيبًا، سنفتقده أيما فقد».

استحال عليهما تخمين مدى صدق زينوقراط، إذ بدت كلماته، ككل ما يتعلق به، صادقة وفارغة في آنٍ واحد.

كان قد أطلعهما على تفاصيل موت المنجل فاراداي وهم في الطريق. عند قرابة العاشرة والربع من مساء اليوم السابق، ذهب فاراداي إلى رصيف قطارات محلي، وعندما اقترب القطار قذف بنفسه أمامه. رأى عدة شهود الحادث، وقد ارتاحوا جميعهم على الأرجح لأن المنجل قطف نفسه وليس واحدًا منهم.

لو لم يكن منجلًا لحُمِلت جثته المتضعضعة سريعًا إلى أقرب مركز إنعاش، لكن القوانين المتعلقة بالمناجل واضحة للغاية، لا إنعاش للمناجل.

قالت سيترا وهي تحبس دموعها بصعوبة: «لكن هذا غير معقول، لم يكن من نوع الناس الذين يفعلون شيئًا كهذا، كان يتولى مسؤوليته بوصفه منجلًا، ومُعلِّمًا لنا، بمنتهى الجدية. لا أصدق أنه استسلم بهذه البساطة». تشبث روان بصمته إزاء الموضوع، منتظرًا رد النصل السامي.

قال زينوقراط: «في الحقيقة تصرُّفه معقول تمامًا». ثم أخذ من الشاي رشفة طويلة مزعجة قبل استئناف كلامه: «يقتضي التقليد، عندما يقطف المنجل المُعلِّم نفسه، أن يصبح المتتلمِذ حرًّا».

شهقت سيترا وقد أدركت ما يترتب على كلامه.

أردف زينوقراط: «قطف نفسه حتى يجنِّب أحدكما قطف الآخر».

فقال روان: «مما يعني أن ما جرى كان خطأك».

ثم أردف بشيء من التهكم: «يا صاحب السمو».

تجهَّم زينوقراط: «إذا قصدتَ قرار وضعكما في منافسة نهايتها الموت، فهو لم يكن اقتراحي، ولم أفعل سوى تنفيذ مشيئة هيئة المناجل. وصراحةً أرى تعريضك مُهينًا».

ذكَّره روان: «لم تستمع لمشيئة هيئة المناجل قط، لأنك لم تجري تصويتًا».

نهض زينوقراط، منهيًا النقاش بـ «يؤسفني فقدكما». لكن الفقد لم يكن فقد سيترا وروان وحدهما، إنما فقدًا لهيئة المناجل بأكملها، وزينوقراط يعلم هذا، سواء صرَّح به أم لم يصرِّح.

قالت سيترا: «إذن... أهذا كل شيء؟ سنعود إلى البيت الآن؟».

قال زينوقراط: «لا أظن». لم يقوَ على النظر إلى عينَي أحدهما. «عادةً ما يذهب متتلمِذو المناجل الميتين في حال سبيلهم، لكن يمكن أن يتولى منجل آخر تدريب المتتلمِذ. وهذا أمر نادر، لكنه يحدث».

سألت سيترا: «أنت؟ أنت تطوعت لتدريبنا الآن؟».

كان روان هو من رأى حقيقة الأمر في عينَي النصل السامي: «لا، ليس هو، بل شخص آخر...».

- مسؤوليات النصل السامي تصعِّب عليَّ تولي تدريب المتتلمِذين. لكن ينبغي لكما أن تشعرا بالإطراء، لأن منجلين، وليس واحدًا، تطوعا لتولي تدريبكما، منجل لكل واحد منكما.

هزت سيترا رأسها: «لا! تعهَّدنا للمنجل فاراداي ولا أحد آخر! وقد مات حتى يحررنا، لذا ينبغي أن نتحرر!».

«يؤسفني إبلاغكما بأنني وافقت سلفًا، حُسمت المسألة». التفت إلى كل واحد منهما بدوره: «أنت، سيترا، ستكونين منذ الآن تلميذة المنجل المبجلة كوري».

أغمض روان عينيه، وقد عرف مصيره قبل أن يقول زينوقراط الكلمات.

«وأنت يا روان، ستكمل تدريبك على يدَي المنجل المبجل غودارد».

جميع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

الجزء الثالث

الحرس القديم
والتوجه الجديد

لم أتولَّ تدريب متتلمِذ من قبل، ببساطة لم أشعر برغبة في إخضاع إنسان آخر لأسلوب الحياة التي نعيشها، وكثيرًا ما أتساءل عمَّا يدفع المناجل الآخرين لتدريب المتتلمِذين. بعضهم يدفعه الزهو: «*تعلَّم مني وانبهر لأنني حكيم*». وآخرون ربما يعوِّضون عدم السماح لهم بإنجاب الأطفال: «*كن ابني، أو كوني ابنتي لمدَّة عام، وسأمنحك سلطة على الحياة والموت*». وآخرون دافعهم هو، كما أتخيَّل، التجهيز لقطف أنفسهم: «*كن النسخة الجديدة مني، حتى تغادر نسختي القديمة هذا العالم راضية*».

بيد أنَّني أظن إذا توليت تدريب متتلمِذ يومًا، فسوف يكون دافعي مختلفًا تمام الاختلاف.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

18

الشلال

عند أقصى شرق وسطمريكا، جوار حدود شرقمريكا، كان يوجد منزل يجري من تحته نهر، متدفقًا عبر أساساته على شكل شلال.

قالت المنجل كوري لسيترا وهي تتقدمها عبر جسر مشاة يفضي إلى الباب الأمامي: «صمَّمه مهندس معماري شهير جدًّا من عصر الفانين. المكان طاله الخراب، كما لك أن تتخيلي، فمنزل كهذا لا يصمد دون رعاية مستمرة. كان في حالة مزرية، ولم يكترث أحد بالحفاظ عليه. لا شيء سوى وجود منجل من شأنه جلب التبرعات المطلوبة لإنقاذه، والآن أُعيدَ إليه مجده الغابر».

فتحت المنجل الباب وسمحت لسيترا بالدُخول أولًا قائلة: «مرحبًا بك في الشلال».

الطابق الأرضي يضم مساحة شاسعة ذات أرضية حجرية لامعة، وأثاث خشبي، ومدفأة ضخمة، ونوافذ كبيرة، نوافذ لا حصر لها. والشلال أسفل مصطبة واسعة، وصوت النهر الجاري تحت المنزل مع صوت الشلال يشكلان مزيج أصوات مهدئة.

«لم يسبق لي أن دخلت منزلًا له اسم». قالت سيترا وهي تنظر إلى ما حولها، باذلةً كل ما بوسعها حتى لا يبدو عليها الانبهار: «لكنه فخم أكثر من اللازم قليلًا، أليس كذلك؟ خاصة بالنسبة إلى منجل. ألا يفترض أن تعيشوا جميعكم حيوات متواضعة؟».

كانت تعرف أن تعليقًا كهذا قد يعكر مزاج المنجل، لكن سيترا لم تكترث، فوجودها هنا يعني أن موت المنجل فاراداي ذهب هباءً، والمنزل الجميل لم يمدها بأي عزاء.

لم ترد المنجل كوري بغضب، وقالت بهدوء: «لا أعيش في هذا المنزل من أجل فخامته، إنما لأن وجودي فيه هو الطريقة الوحيدة للحفاظ عليه».

بدا الديكور كأنه متجمد منذ القرن العشرين، عندما شيِّد المنزل، ومعالم الحداثة الوحيدة تمثلت في واجهات أنظمة حواسيب مثبتة في زوايا غير ظاهرة، حتى المطبخ كانت أشياؤه قديمة.

«تعالي، سأريك غرفتك».

صعدتا سلالم إلى اليسار مكسوة بألواح الجرانيت، وإلى يمينها رفوف تلو رفوف من الكتب. الطابق الثاني به جناح غرفة نوم المنجل، والثالث به غرفة نوم صغيرة ومكتب، غرفة النوم بسيطة الأثاث، ومثل بقية المنزل مزودة بنوافذ ضخمة ذات إطارات من خشب السيدار المصقول على امتداد الجدران بأكملها. ومشهد الغابة جعل سيترا تحس كأنها جالسة في بيت شجرة، فأعجبها المشهد، وكرهت إعجابها به.

قالت سيترا: «تعرفين أنني لا أريد أن أكون هنا».

قالت المنجل كوري بابتسامة خفيفة: «وأخيرًا سمعت منك كلامًا صادقًا».

وأردفت سيترا: «وأعرف أنكِ لا تستلطفينني، فلماذا توليت تدريبي؟».

نظرت المنجل إليها بعينيها الباردتين الرماديتين الغامضتين، وقالت: «سواء استلطفتك أم لا، فهذا غير مهم. لديَّ أسبابي».

ثم تركت سيترا وحدها في غرفتها دون وداع.

***

لم تتذكر سيترا أنها نامت، ولم يخطر لها مدى إرهاقها. تذكرت أنها اضجعت على الفراش، ونظرت إلى الأشجار بالخارج، واستمعت إلى خرير النهر المتواصل بالأسفل، متسائلة عما إذا سيصبح الصوت مزعجًا لاحقًا. ثم فتحت عينيها على إضاءة ساطعة، وخرَّزت عينيها ناظرة إلى المنجل كوري الواقفة عند الباب جوار مفتاح المصابيح، وقد هبط الظلام بالخارج، لم يكن

ظلامًا عاديًا، بل أقرب إلى انعدام الضوء كما في الفضاء الخارجي. كانت ما تزال تسمع النهر، لكنها لم تر حتى ظلال الأشجار.

سألتها المنجل كوري: «هل نسيتِ العشاء؟».

نهضت سيترا، متجاهلة الدوار الخفيف المفاجئ في أثناء وقوفها: «كان بإمكانك إيقاظي».

ابتسمت المنجل كوري: «أظنني أيقظتك للتو».

اتجهت سيترا نحو المطبخ بالأسفل، وتركتها المنجل تتقدم أولًا، فلم تتذكر سيترا الطريق، فالمنزل كالمتاهة، انعطفت بضع انعطافات خاطئة، ولم تصححها المنجل، وانتظرت حتى تجد سيترا طريقها.

تساءلت سيترا، ما الذي قد ترغب هذه المرأة في تناوله؟ هل ستقبل بصمت أي شيء تعده مثل المنجل فاراداي؟ ذكرى الرجل غمرتها بموجة حزن أعقبها غضب، لكنها لم تعرف من ينبغي أن تكون غاضبة عليه، فجاش غضبها بداخلها ولم يجد مُتنفَّسًا.

بلغت سيترا الطابق الأرضي مستعدة لتقييم محتويات الثلاجة وخزانة المؤن، لكنها فوجئت برؤية مائدة العشاء مجهَّزة لشخصين، وأطباق الطعام التي يتصاعد منه البخار في انتظارهما.

قالت المنجل: «اشتهيتُ حساء الأرانبية، أظنه سينال إعجابك».

- لا أعرف هذه الأرانبية.

- من الأفضل لك ألّا تعرفيها.

جلست المنجل كوري، وأشارت لسيترا بالجلوس أيضًا، لكن سيترا لم تكن مستعدة، وما زالت تتساءل عما إذا كانت هذه خدعة ما.

ملأت المنجل كوري ملعقتها بالحساء الدسم، لكنها توقفت عندما رأت سيترا ما تزال واقفة، فسألتها: «هل تنتظرين دعوة رسمية؟».

لم تستطع سيترا الجزم بما إذا كانت المنجل متضايقة أم تتكلم بمرح: «أنا متتلمِذة، فلماذا تطبخين من أجلي؟».

- لم أطبخ من أجلك، إنما من أجلي *أنا*. وقد صادف أن معدتك المتضورة موجودة على مقربة.

وأخيرًا جلست سيترا وتذوقت الحساء، فوجدته غنيَّ المذاق، فيه رائحة لحم بري، لكنه ليس سيئًا، حلاوة الجزر المغموس في العسل خففت من الرائحة الدهنية.

قالت المنجل: «ستكون حياة المناجل مريعة إذا لم نسمح لأنفسنا بالاستمتاع ببعض الهوايات، وهوايتي هي الطهي».

أقرَّت سيترا: «هذا الحساء شهي»، ثم أردفت: «شكرًا لك».

تناولا طعامهما في صمت معظم الوقت، وأحست سيترا بغرابة لأنها لا تقوم على خدمة المائدة، لذا نهضت لتعيد ملء كأس ماء المنجل. لم يمارس المنجل فاراداي أي هوايات، أو على الأقل لم يخبر روان وسيترا عنها.

ذكرى روان جعلت يدها ترتعش وهي تصب الماء، فدلقت قليلًا من الماء على الطاولة.

«آسفة يا منجل كوري». مسحت الماء بمحرمتها قبل أن ينتشر على الطاولة.

- ستحتاجين إلى يدين ثابتتين إذا أردتِ أن تصبحي منجلًا.

ومرة أخرى لم تستطع سيترا الجزم بما إذا كانت المنجل جادة أم ساخرة. وجدت سيترا المرأة أكثر غموضًا من فاراداي، وفك طلاسم الناس لم يكن من نقاط قوتها على الإطلاق، وبالطبع لم تدرك هذا إلَّا بعدما أمضت وقتًا مع روان، الذي كان، مع تجنُّبه التطفُّل، دقيق الملاحظة. وتعيَّن على سيترا تذكير نفسها بما لديها من مهارات أخرى، السرعة، والحسم، والتنسيق، وستجد في هذه السمات عونًا إذا تعين عليها أن...

عجزت عن إكمال الفكرة، لم تسمح لنفسها بإكمالها، فنهاية هذه الفكرة ما زالت فظيعة بحيث يتعذر مجرد التفكير فيها.

وفي الصباح أعدَّت المنجل كوري فطائر التوتِ البري المحلاة، ثم خرجتا للقطف.

دائمًا ما كان المنجل فاراداي يراجع ملاحظاته المتعلقة بأهدافه التي يختارها ويستقل المركبات العامة، لكن المنجل كوري لديها سيارة رياضية قديمة الطراز تتطلب قيادتها مهارات عالية، لا سيما في الطرق الجبلية المتعرجة.

أوضحت المنجل كوري لها: «هذه البورش هدية من بائع سيارات عتيقة».

سألتها سيترا مفترضة دافع الرجل: «كان يريد الحصانة؟».

- على العكس، كنتُ قد قطفت والده للتو، وقد نال حصانته سلفًا.

قالت سيترا: «مهلًا، قطفتِ والده فأهداك سيارة؟».

- نعم.

- هل كان يكره والده إذن؟

- لا، كان يحبه حبًّا جمًّا.

- هل يفوتني شيء؟

استقام الطريق أمامهما، فحرَّكت المنجل كوري ناقل السرعة، وزادت سرعتهما. قالت لسيترا: «راقه العزاء الذي قدمته له بعد القطف. العزاء الحقيقي يمكن أن يساوي وزنه ذهبًا».

ورغم التوضيح لم تستوعب سيترا الأمر، ولن تستوعبه إلا في وقت متأخر من مساء اليوم.

ذهبتا إلى بلدة تبعد مئات الأميال، ووصلتا قرابة وقت الغداء.

قالت المنجل كوري: «بعض المناجل يفضلون المدن الكبيرة، وأنا أُفضِّل البلدات الصغيرة، البلدات التي ربما لم تشهد قطفًا منذ عام».

«مَن سنقطف؟». سألتها سيترا وهما تبحثان عن مكان لركن السيارة، وهذه إحدى مصاعب قيادة سيارة غير متصلة بالشبكة.

- ستعرفين عندما يحين وقت المعرفة.

ركنتا السيارة عند الشارع الرئيسي، ثم سارتا، أو بالأحرى تهادَتا، في شارع نشِط لكنه غير مزدحم. إيقاع خطوات المنجل كوري المُتَّئدة أشعر سيترا بعدم الارتياح، ولم تكن متأكدة من سبب ضيقها، ثم خطر لها أنها عندما كانت تخرج للقطف مع المنجل فاراداي، كان يركز دومًا على الوجهة، والوجهة لم تكن مكانًا، إنما شخصًا، أي الهدف، الروح التي ستُقطَف. ورغم فظاعة الأمر، بطريقةٍ ما جعل سيترا تحس بمزيد من الأمان. فمع المنجل فاراداي دائمًا ما كانت ترى نهاية ملموسة لمسعاهما، لكن أسلوب المنجل كوري لا يوجد به ما يشير إلى أي تخطيط مسبق. وثمة سبب لهذا.

قالت كوري لسيترا: «كوني تلميذة ملاحِظة».

- إذا أردتِ تلميذًا ملاحظًا كان ينبغي لك اختيار روان.

تجاهلت المنجل كوري كلام سيترا، وقالت: «انظري إلى وجوه الناس، وأعينهم، وطريقة تحركهم».

- أنظر وأبحث عن ماذا؟

- عن إحساس بأنهم عاشوا مدة أطول مما ينبغي، إحساس بأنهم جاهزون لـــ... *الختام*، سواء كانوا يعرفون هذا أم لا يعرفونه.

- ظننت أن التمييز بناء على السِّن غير مسموح به.

- لا أتحدث عن السن، الأمر متعلق بالركود، بعض الناس يصيبهم الركود قبل استعادة شبابهم أول مرة، وبعضهم يستغرقون مئات الأعوام.

نظرت سيترا إلى الناس المتحركين حولهما، فرأتهم جميعهم يغضون أبصارهم ويبتعدون عن المنجل وتلميذتها بأقصى سرعة، وفي الوقت نفسه يحاولون أن يبدوا طبيعيين. خرج اثنان من مقهى، رجل أعمال مشغول بهاتفه، وامرأة شرعت في عبور الشارع والإشارة حمراء، ثم تراجعت، ربما خوفًا من أن مخالفة الإشارة قد تتسبب في قطفها.

قالت سيترا: «لا أرى شيئًا في أي أحد». وقد انتابها الضيق من المهمة وعجزها عنها.

خرجت مجموعة من مبنى مكاتب، ربما يكون الأطول في البلدة بارتفاع عشرة طوابق، فركزت المنجل كوري على رجل، وبدت عيناها كعينَي مفترس وهي تتبع الرجل مع سيترا من بعيد. «أترين شكل كتفيه؟ يبدو كأنه ينوء تحت ثقل خفي».

- لا.

- أترين مشيته التي تبدو حائرة قليلًا مقارنةً بمن حوله؟

- لا.

- أتلاحظين الحذاء البالي كأن الرجل لم يعد يكترث بأي شيء؟

اقترحت سيترا: «ربما يمر بيوم عصيب فحسب».

أقرَّت المنجل كوري: «أجل، ربما. لكنني اخترت ألَّا أظن هذا».

اقتربتا من الرجل، الذي لم يبدُ مدركًا بتربصهما به. وقالت المنجل: «لم يبقَ سوى رؤية عينيه، للتأكد فحسب».

لمست المنجل كوري كتف الرجل، فالتفت، والتقت أعينهما، لكن لوهلة وجيزة، وشهق الرجل فجأة... لأن سكين المنجل كوري انغرز في قلب الرجل من تحت قفصه الصدري. كانت المنجل كوري سريعة جدًّا فلم ترَ سيترا حركتها، حتى إنها لم تر المنجل وهي تسحب سكينها.

لم تبدِ المنجل ردة فعل إزاء دهشة الرجل العارمة، لم تقل له أي كلمة. سحبت سكينها فخر الرجل صريعًا، مات قبل ارتطامه بالرصيف. وفيما حولهم شهق الناس وهرعوا مبتعدين، لكنهم لم يتواروا عن الأنظار، إذ أرادوا مشاهدة ما سيجري بعدها، فمعظمهم لم يألفوا الموت، وأرادوه معزولًا في فقاعته والنظر إليه من مسافة آمنة.

مسحت المنجل سكينها بقطعة شامواه بنفسجية شاحبة مثل عباءتها، وعندئذٍ فقدت سيترا السيطرة على نفسها: «لم تحذريه! كيف أمكنك فعل هذا؟ إنك لا تعرفين عنه شيئًا! ولم تتيحي له الفرصة ليستعد!».

عاصفة الغضب التي اندلعت من المنجل كوري كانت قوية لدرجة أنها كادت أن تكون مرئية، وأدركت سيترا أنها اقترفت خطأً جسيمًا.

«**انبطحي على الأرض!**». زعقت المنجل بصوت دوَّى صداه بين المباني التي على جانبَي الشارع.

جثت سيترا على ركبتيها فورًا.

«**واجهي الرصيف! حالًا!**».

امتثلت سيترا، وتغلب خوفها على غضبها. تمددت منبطحة على الأرض، حتى التصق خدها الأيمن بالرصيف، الذي كان ساخنًا جدًّا من شمس النهار. ولم تعد سيترا ترى سوى الرجل الميت، على بعد قدم منها، عيناه خاويتان، ورغم هذا تحدقان إلى سيترا. كيف يمكن للميت أن يحدق؟

«**كيف تجرئين على أن تُملي عليَّ كيفية أداء مهمتي؟**».

بدا العالم كأنه تجمَّد من حولهما.

«**ستعتذرين عن وقاحتك، وستُعاقَبين**».

«آسفة يا منجل كوري». وإثر ذكر اسم المنجل كوري تفشَّت همهمات بين المتفرجين، إذ كانت المنجل أسطورة في كل مكان.

«**أقنعيني!**».

قالت سيترا بصوت أعلى، صارخةً في وجه الرجل الميت: «إنني في غاية الأسف يا منجل كوري، لن أقلل من احترامك مرة أخرى أبدًا».

- انهضي.

لم تعد المنجل تستشيط غضبًا يزلزل الأرض. ونهضت سيترا، حانقةً على ضعف ساقيها المتقلقلتين وعدم تحكمها في عينيها اللتين تترقرقان بدموع تمنَّت تبخُّرها قبل أن تراها المنجل كوري أو أيٌّ من المتفرجين.

استدارت سيدة الموت العظمى الشهيرة مبتعدة، وسارت سيترا في أعقابها، مخزيَّةً مترنحةً، متمنية لو أمكنها أخذ سكين المنجل وغرزه في ظهر المرأة، ثم غضبت من نفسها لتمنيها أمرًا كهذا.

ركبتا السيارة وابتعدتا عن الرصيف، ولم تخاطب المنجل سيترا إلا بعدما ابتعدتا قرابة مربع سكني: «والآن مهمتك هي تحديد هوية الرجل، والعثور على أسرته المقربة، ودعوتهم إلى الشلال حتى أمنحهم الحصانة». تكلمت ولا أثر في صوتها للغضب الذي لم يمضِ عليه سوى بضع لحظات.

«مـــــ ... ماذا؟». بدا لسيترا أن مشهد الشارع لم يحدث قط، وفوجئت بكلام المنجل، وأحست بدوار خفيف، كأنما أُفرِغت السيارة من الهواء.

«عليَّ منحهم الحصانة خلال ثماني وأربعين ساعة، أريدهم أن يجتمعوا في منزلي مساء اليوم».

- لكن... لكن هناك... عندما جعلتِني أنبطح على الأرض...

- نعم؟

- كنتِ غاضبة للغاية...

تنهَّدت المنجل كوري، وقالت: «عليَّ الحفاظ على صورتي في أعين الناس يا عزيزتي. تحدَّيتِني في مكان عام، فلم أجد خيارًا سوى إلزامك حدودك في المكان العام نفسه. مستقبلًا عليك كبح آرائك إلى أن نكون وحدنا».

- لستِ غاضبة إذن؟

فكرت المنجل في السؤال قليلًا: «إنني منزعجة. لكن كان ينبغي لي إخطارك بما أعتزم فعله. ردة فعلك كانت... مبرَّرة، وكذلك عواقبها من جانبي».

رغم هذا التأرجح الانفعالي، اضطرت سيترا إلى الإقرار بأن المنجل كانت على حق، فالمتتلمِذ مطالَب بالتأدُّب واللباقة، وربما كان منجل آخر لينزل بها عقوبة أشد.

استدارتا عائدتين بالسيارة، وأنزلت المنجل كوري سيترا عند شارع جانبي على بُعد مربع سكني واحد من مكان وقوع القطف. وأُمهِلت سيترا ساعة للعثور على الأسرة وتقديم الدعوة لهم.

قالت المنجل: «إذا كان يعيش وحده، فسيكون عملنا سهلًا اليوم».

وتساءلت سيترا عما يمكن أن يكون سهلًا بشأن القطف.

كان اسم الرجل بارتون برين، وقد استعاد شبابه عدة مرات، وأنجب أكثر من عشرين طفلًا على مر الأعوام، بعضهم تجاوزت سِنُّه القرن. يعيش في مسكنه الحالي زوجته الأخيرة وأطفاله الثلاثة الأصغر، وهؤلاء هم الذين سينالون حصانة من القطف لمدة عام.

سألت سيترا المنجل كوري وهما في طريقهما إلى المنزل: «ماذا لو لم يأتوا؟».

قالت المنجل: «إنهم يأتون دومًا».

وقد كانت محقة، وصلوا بُعيد الثامنة مساءً، متجهمين مصدومين. طلبت المنجل كوري منهم أن يجثوا عند الباب ويقبِّلوا خاتمها، مانحةً إياهم الحصانة. ثم قدمت هي وسيترا لهم العشاء، الذي أعدته المنجل في وقت سابق، طعام مواساة مكون من لحم مشوي وفاصوليا خضراء وبطاطس مهروسة بالثوم. كان من الواضح أن الأسرة فاقدة الشهية، لكنهم تناولوا الطعام بدافع الواجب.

طلبت المنجل كوري من الزوجة بصوت لطيف وصادق: «حدثيني عن زوجك».

ترددت المرأة ولم ترغب في قول الكثير في بادئ الأمر، لكنها سرعان ما عجزت عن التوقف عن سرد قصة حياة زوجها، ثم شارك الأطفال بذكرياتهم. وسريعًا تغير الرجل من كونه هدفًا مجهولًا في الشارع إلى شخص حتى سيترا افتقدت حياته الآن، رغم أنها لم تعرفه قط.

وأصغت المنجل كوري، أصغت إصغاءً حقيقيًا، كأنها عازمة على حفظ كل ما يقولونه حفظًا عن ظهر قلب، واغرورقت عيناها أكثر من مرة، تماهيًا مع دموع أفراد الأسرة.

ثم فعلت المنجل أغرب فعل. أخرجت من عباءتها السكين الذي أنهت به حياة الرجل، ووضعته على الطاولة، وقالت للمرأة: «يمكنكِ إنهاء حياتي، إذا أردتِ».

حدقت المرأة إليها، غير مستوعبة.

فقالت المنجل: «ترمَّلتِ وتيتَّم أطفالك بسببي، فلا بد أنك تمقتينني».

نظرت المرأة إلى سيترا، كأنها ربما تعرف ما ينبغي فعله، لكن سيترا هزت كتفيها، وهي نفسها مدهوشة من عرض المنجل.

قالت المرأة: «لكن... عقوبة الاعتداء على منجل هي القطف».

- ليس إذا نلتِ موافقة المنجل، كما أنك نلتِ الحصانة سلفًا. أعدك بأنك لن يمسك سوء.

ظل السكين على الطاولة بينهما، وأحست سيترا فجأة كأنها إحدى المشاة العابرين الذين شهدوا القطف، أحست كأنها متجمدة عند نهاية مساحة آمنة تفصلها عن الحدث.

ابتسمت المنجل كوري للمرأة ابتسامة دافئة صادقة: «لا بأس. إذا أنهيتِ حياتي فستأخذني تلميذتي إلى أقرب مركز إنعاش، وخلال يوم أو يومين سأكون على خير ما يرام».

تأملت المرأة السكين، وتأمل الأطفال والدتهم. وأخيرًا قالت المرأة: «لا، لن يكون هذا ضروريًا».

أبعدت المنجل كوري السكين من أمامهم: «طيب، في هذه الحالة، فلنتناول التحلية».

والتهمت الأسرة كعكة الشوكولاتة بشهية لم يظهِروها سابقًا في الوجبة، كأنما انمحت عنهم مسحة الكآبة.

وبعدما ذهبوا ساعدت المنجل كوري سيترا في غسل الأطباق: «عندما تصبحين منجلًا، أنا متأكدة أنك لن تؤدي مهامك كما أفعل أنا، كما لن تؤديها

بطريقة المنجل فاراداي، ستجدين نهجك الخاص بك، الذي قد لا يجلب لك الخلاص، وقد لا يجلب لك حتى السلام، لكنه سوف يقيك من احتقار نفسك».

وعندئذٍ طرحت سيترا سؤالًا طرحته من قبل، لكن هذه المرة توقعت أن تتلقى إجابة.

«لماذا اتخذتِني تلميذة يا جنابك؟».

غسلت المنجل طبقًا، وجففته سيترا، وأخيرًا ردت المنجل كوري بأغرب رد: «هل سمعت في حياتك عن «رياضة» اسمها قتال الديوك؟».

هزت سيترا رأسها.

«في الماضي، في عصر الفانين، كان المُستهجَنون يأخذون ديكين، ويضعونهما في حلبة مصغرة، ويشاهدونهما يتقاتلان حتى الموت، ويراهنون على نتيجة القتال».

- أكان هذا قانونيًّا؟

- لا، لكن الناس كانوا يفعلونه على أي حال، فالحياة قبل الرَّأس السَّحابي كانت تعج بالفظاعات. عرض المنجل غودارد تولِّي تدريبك أنت وروان معًا، ولا أظنك أُخبِرت بهذا.

- عرض أن يتولى تدريبنا نحن الاثنين؟

- نعم. وأعرف أن هدفه الوحيد هو تحريضكما ضد بعضكما يومًا تلو يوم في سبيل متعته، مثل قتال الديوك، لذا تدخلتُ وعرضتُ تولي تدريبك، حتى أجنِّب كليكما حلبة المنجل غودارد الدموية.

أومأت سيترا متفهِّمة، ورأت ألَّا تشير إلى أنهما لم يُجنَّبا الحلبة إطلاقًا، وأن الخطر ما زال يحدق بهما. ما من شيء قد يغير هذه الحقيقة.

حاولت تخيُّل الوضع لولا تدخل المنجل كوري. فكرة ابتعادها عن روان هانت بمعرفة الشخص الذي تجنبا الوقوع تحت رحمته، ولم ترغب في مجرد تخيل حياتها مع غودارد.

وبما أن هذه الأمسية صارت أمسية الإجابات، تجاسرت سيترا على طرح السؤال الذي طرحته بطريقة غير لائقة في الشارع قبل أن تبرد جثة الرجل: «لماذا قطفتِ ذلك الرجل اليوم دون تحذير؟ ألم يكن يستحق على الأقل لحظة ليفهم ما يجري قبل أن تغرزي سكينك؟».

وهذه المرة لم تشعر المنجل كوري بالإهانة من السؤال: «لكل منجل نهجه، وهذا هو نهجي. في عصر الفانين كان الموت يأتي بغتة دون سابق إنذار، وأرى أن مهمتنا هي محاكاة الفعل الذي سلبناه من الطبيعة، وبالتالي هذا هو شكل الموت الذي قررتُ إعادة خلقه. عمليات قطفي دائمًا ما تكون فورية وفي مكان عام، لئلا ينسى الناس ما نفعله وسبب وجوب فعله علينا».

- لكن ماذا حدث للمنجل التي قطفت الرئيس؟ البطلة التي تصدَّت للفساد المؤسسي الذي عجز الرَّأس السَّحابي عن استئصاله. ظننت أن سيدة الموت العظمى دائمًا ما تقطف واضعةً نصب عينيها هدفًا عظيمًا.

اكفهر وجه المنجل كوري وغشيته مسحة حزن عجزت سيترا عن سبر غوره.

«أخطأتِ الظن».

إذا شاهدتم يومًا الأفلام الكرتونيَّة التي تعود إلى عصر الفانين، فستتذكَّرون هذه المشاهد: ذئب براري في سعي دائب لقتل طائر مبتسم طويل العنق، لكن الذئب لا ينجح أبدًا، وخططه تنقلب عليه دومًا، يتعرض للتفجير، أو لإطلاق نار، أو يتفلطح من ارتفاع شاهق.

وقد كان مضحكًا.

فمهما كان فشل الذئب مميتًا، فهو يعود دومًا في المشهد التَّالي، كأنما يوجد مركز إنعاش خلف حافَّة خلية الرسوم المتحرِّكة.

رأيت حوادث بشريَّة تنجم عنها إعاقات مؤقَّتة أو فقدان ذاكرة، يسقط الناس في فتحات المجاري، أو ترتطم بهم أشياء ساقطة من مكان عالٍ، أو يتعثَّرون أمام مركبات مسرعة.

وعندما يحدث هذا، يضحك الناس، فمهما بلغت بشاعة الحادث، فسيعود الشخص بأتم العافية، مثل الذئب المذكور آنفًا.

الخلود حوَّلنا جميعًا إلى شخصيَّات كرتونيَّة.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

19

فعل فظيع

لم تدر سيترا ما دهاها فجعلها تذكر السؤال الذي طُرح عليها في الخلوة، ربما كان إحساس القُرب المفاجئ الذي أحسَّته إزاء المنجل كوري بعدما رأتها تطعِم الأسرة المحزونة وتستمع بصدق لقصصهم عن الرجل الذي قطفته.

في تلك الليلة ذهبت المنجل كوري إلى غرفة سيترا بملاءات نظيفة، ورتَّبتا سريرها معًا، وحالما فرغتا قالت سيترا: «في الخلوة اتهمتِني بالكذب».

- كنت تكذبين.

- كيف عرفت؟

لم تبتسم المنجل، كما لم تبدِ استياءها: «بعض الأشياء تصبح في غاية الوضوح عندما تعيشين قرابة مئتي عام».

ألقت وسادة لسيترا، وأدخلتها سيترا في كيس وسادة وقالت: «لم أدفع الفتاة على السلالم».

- هذا ما ظننته.

اعتصرت سيترا الوسادة، ولخنقتها إذا كانت كائنًا حيًا، ثم كررت كلامها: «لم أدفعها على السلالم، دفعتها أمام شاحنة مسرعة».

جلست سيترا، وأشاحت بوجهها عن المنجل كوري، عجزت عن النظر إلى وجه المرأة، وندمت على اعترافها بهذا السر القاتم الذي يعود إلى أيام طفولتها. إذا رأتها سيدة الموت العظمى وحشًا، فأي وحش قد تكون حقًا؟

قالت المنجل: «يا له من فِعل فظيع!». لكن صوتها كان عاديًا لا ينم عن صدمة. «هل ماتت؟».

اعترفت سيترا على الفور: «عادت إلى المدرسة بعد ثلاثة أيام، بالطبع، لكن هذا لا يغير حقيقة ما اقترفتُه. وأسوأ ما في الأمر أن أحدًا لم يعرف، حسِب الناس أنها تعثرت، وكان جميع الفتيان يضحكون، تعرفين مدى طرافة الوضع عندما يتعرض شخص لحادث ويصبح *شِميًتا*، أي شِبه ميِّت، لكنه لم يكن حادثًا، ولم يعرف أحد. لم ير أحد فِعلتي، وعندما عادت الفتاة، حتى هي لم تعرف».

أرغمت سيترا نفسها على النظر إلى سيدة الموت العظمى، التي جلست عندئذٍ على كرسي في طرف الغرفة، وراحت تحدق إلى سيترا بعينيها الرماديتين الثاقبتين.

قالت سيترا: «سألِتني عن أسوأ ما فعلته في حياتي، والآن تعرفين».

أطرقت المنجل كوري قليلًا، وظلت جالسة بهدوء، حتى استطالت اللحظة، وأخيرًا قالت: «طيب، سيتعيَّن علينا التصرُّف حيال الأمر».

كانت روندا فلاورز تتناول وجبة الظهر الخفيفة عندما رن جرس الباب، ولم تُلقِ بالًا له إلا بعد لحظات، عندما رفعت رأسها فرأت والدتها تقف عند باب المطبخ وعلى وجهها ألم ممض بيَّن أن خطبًا جسيمًا قد وقع.

قالت والدتها: «إنهما... تريدان مقابلتك».

امتصت روندا خيوط معكرونة الرامن المتدلية من شفتيها ونهضت: «من *هما*؟».

لم تجب الوالدة، وأحاطت روندا بذراعيها، وعانقتها عناقًا يسحق العظام، ثم أجهشت بالنشيج. وعندئذٍ تمكنت روندا من رؤيتهما فوق كتف والدتها، فتاة في مثل سنها، وامرأة ترتدي معطفًا بنفسجيًّا يبدو أقرب لعباءات المناجل.

همست الأم في أذن روندا: «كوني شجاعة».

لكن الشجاعة كانت بعيدة عنها بمقدار بُعد الرعب، إذ لم يتسنَ لها الوقت لاستجماع الجَلَد ولا الخوف، لم تحس روندا سوى بخدر في أطرافها وانفصال عن الواقع، كأنها تشاهد مشهدًا من حياة شخص آخر. تركت والدتها وتحركت نحو الباب حيث ينتظرها الشخصان.

«أتريدان مقابلتي *أنا*؟».

ابتسمت المنجل ذات الشعر الحريري الفضي والنظرات الثاقبة. لم يخطر لروندا قط أن المناجل يبتسمون، ففي المرات النادرة التي صادفتهم، كانوا يبدون متجهمين دومًا.

قالت المرأة: «ليست أنا، إنما تلميذتي»

وأشارت إلى الفتاة.

لكن روندا عجزت عن اقتلاع عينيها من المنجل: «تلميذتك ستقطفني؟».

قالت الفتاة: «لم نأتِ للقطف».

وبعد سماع هذا تملَّك روندا الرعب الذي كان ينبغي أن تحس به منذ البداية، فاضت عيناها بالدموع فكفكفتها سريعًا، وحل الارتياح محل الرعب: «كان بإمكانكما قول هذا لأمي».

استدارت ونادت والدتَها قائلة: «لا بأس، لم تأتيا للقطف».

ثم تقدمت إلى الخارج وأغلقت الباب خلفها، مدركةً إنها إذا لم تغلقه فستتنصت والدتها على حديثهم، مهما يكُن. كانت روندا قد سمعت أن المناجل المسافرين يطرقون أبواب الناس طالبين المأوى والطعام حتى انقضاء الليل، وأحيانًا يطلبون معلومات لأسباب لا يسعها سوى تخمينها. لكن لماذا طلبت هاتان الكلام معها هي تحديدًا؟

قالت الفتاة: «إنك لا تتذكرينني على الأرجح، لكننا كنا نذهب إلى المدرسة معًا قبل سنوات، قبل انتقالك إلى هنا».

دققت روندا النظر إلى وجه الفتاة، واستجمعت عنها ذكرى باهتة، وحاولت تذكر اسمها: «سيندي، صحيح؟».

- سيترا. سيترا تيرانوفا.

- آه، صحيح.

وعندئذٍ صارت اللحظة محرجة، كأنما وقوف المرء أمام بابه مع منجل وتلميذتها ليس غريبًا بما يكفي سلفًا.

«إذن... كيف يمكنني خدمتكما... جنابكما؟». لم تكن متأكدة من أن المتتلمِذين يُخاطَبون بلقب «جنابك»، لكن توخي الاحترام لن يضر أحدًا. ثم بعد مُضي بعض الوقت على سماع اسم سيترا ورؤية وجهها، تذكرتها روندا بالفعل، وحسبما تذكرته، فهما لم تكونا تكنان لبعضهما ودًا عميقًا.

قالت سيترا: «طيب، إليك الأمر، أتتذكرين يوم سقوطك أمام الشاحنة؟».

هزت روندا كتفيها لا إراديًا: «وكيف عساي أن أنساه؟ بعدما عدت من مركز الإنعاش ظل الجميع ينادونني بروندا المدعوسة لعدة أشهر».

التعرض للدهس تحت شاحنة كان على الأرجح أكثر ما حدث لها إزعاجًا، ظلت شِميِّتة لثلاثة أيام كاملة، وفاتتها جميع تمارين الرقص، ثم قالت الفتيات الأخريات إنهن كن على ما يرام من دونها، فتفاقم ضيقها. الشيء الجيد الوحيد في الأمر كان الطعام الذي قُدِّم لها بمركز الإنعاش في يوم استعادتها وعيها، تناولت أفضل آيس كريم منزلي، كان لذيذًا إلى درجة أنها تفلطحت مرة حتى تتذوقه مرة أخرى، لكن والديها ذهبا بها إلى مركز إنعاش رخيص رديء الطعام.

«هل كنتِ موجودة عند وقوع الحادث؟».

«طيب، إليك الأمر». قالت سيترا للمرة الثانية، ثم أخذت نفسًا عميقًا وتابعت: «لم يكن حادثًا، أنا دفعتك».

- أها! عرفت! عرفت أن شخصًا دفعني!

عندئذٍ حاول والداها إقناعها بأن الحادث لم يكن متعمَّدًا، وأن شخصًا ارتطم بها، وفي النهاية صدقت روندا كلامهما، لكنها ظلت متمسكة بشكوكها في قرارة نفسها.

«كنت أنتِ إذن!». وجدت روندا نفسها تبتسم، إذ أحست بالانتصار بمعرفة أنها لم تكن مجنونة طيلة تلك السنوات.

قالت سيترا: «على أي حال، أنا آسفة، آسفة جدًا جدًا».

- لماذا تخبرينني الآن؟

«طيب، إليك الأمر». كررت سيترا عبارتها كأنها لازمة تشي بتوترها: «كوني متتلمذة لدى منجل يقتضي أن أكفِّر عن... اختياراتي السيئة في الماضي. لذا... أريد أن أمنحك الفرصة لتفعلي بي ما فعلتُه بك». تنحنحت. «أريدك أن تدفعيني أمام شاحنة».

قهقهت روندا من الاقتراح، لم تقصدها، إنما خرجت ضحكتها لا إراديًا: «حقًا؟ أتريدين مني إلقاءك أمام شاحنة مسرعة؟».

- نعم.

- الآن؟

- نعم.

- ومنجلك متفهِّمة لهذا؟

أومأت المنجل: «أؤيد خيار سيترا تأييدًا كاملًا».

فكرت روندا بالاقتراح. افترضت أن بوسعها تنفيذه. كم مرة وجدت في حياتها شخصًا أرادت التخلص منه ولو مؤقتًا؟ في العام الماضي كادت أن تصعق زميلها في المعمل «عن طريق الخطأ» في حصة العلوم لأنه كان وغدًا، لكن في النهاية أدركت أنه سينال إجازة بضعة أيام، وسيتعين عليها إكمال الواجب المعملي وحدها. بيد أن الوضع مختلف الآن، إنه تذكرة انتقام مجانية. والسؤال هو ما مدى رغبتها في الانتقام؟

قالت روندا: «اسمعي، العرض مُغرٍ وكل شيء، لكن عليَّ أداء واجباتي المنزلية، والذهاب إلى درس الرقص لاحقًا».

- إذن... لا ترغبين في دفعي؟

- الأمر ليس متعلقًا برغبتي، إنني مشغولة اليوم فحسب. أيمكنني إلقاؤك تحت شاحنة في وقت آخر؟

ترددت سيترا: «حسنًا...».

- أو الأفضل، ربما تصطحبينني إلى الخارج لتناول الغداء أو شيء من هذا القبيل.

- حسنًا.

- لكن في المرة القادمة من فضلك نبِّهينا حتى لا تفزعي أمي.

ثم قالت وداعًا، ودخلت البيت وأغلقت الباب. وقالت: «يا للغرابة!».

سألتها والدتها: «فيمَ كان كل هذا؟».

ولم تكن روندا ترغب في الخوض في الموضوع، فأجابتها: «ليسَ أمرًا مهمًا». فأثار ردها ضيق والدتها، كما أرادت روندا.

ثم عادت إلى المطبخ، ووجدت طبق الرامن باردًا. عظيم.

***

أحست سيترا بالارتياح وبالإذلال في الوقت نفسه. كتمت سر جريمتها هذه منذ سنوات. شأنها مع روندا تافه، كمعظم حزازات الطفولة. ما أثار ضيق سيترا كانت الطريقة التي تتحدث بها روندا عن رقصها كأنها أعظم راقصة باليه في العالم، وقد كانت سيترا في صف الرقص نفسه، في أوقات الطفولة الجميلة عندما كانت الفتيات يراودهن وهْم أنهن مميزات بقدر ما هن ظريفات.

قادت روندا زمرة صويحباتها في تحرير سيترا من ذلك الوهم بتقليب أعينهن في محاجرها والتأفف كلما خطت سيترا خطوة غير مثالية.

لم تدفع سيترا روندا بسابق الإصرار والترصد، إنما كانت جريمة انتهاز فرصة، وقد ألقت على سيترا بظلال لم تدركها حتى واجهت الفتاة اليوم.

وروندا لم تكترث للأمر، ورأته حدثًا عفا عليه الزمن، فأحست سيترا بغبائها إزاء الحكاية برمتها.

«تعرفين أنك لو كنت في عصر الفانين لجرى التعامل معك تعاملًا مختلفًا تمام الاختلاف». لم تنظر المنجل كوري إليها وهي تتكلم، إذ لا تحيد ببصرها عن الطريق أبدًا في أثناء القيادة، وسيترا لم تعتد بعد عادة المنجل الغريبة. كم هو غريب أن يتعين على المرء رؤية طريق رحلته حتى يبلغ مقصده.

قالت سيترا بثقة: «إذا كنت في عصر الفانين لما فعلتُها، لأنني كنت لأعرف أنها لن تعود. ولَكان دفعها عندئذٍ فِعلًا أشبه بالقطف».

- كانوا يسمون هذا الفعل «جريمة قتل».

ضحكت سيترا من العبارة القديمة.

فقالت المنجل: «أنا متأكدة أن العبارة لم تكن مضحكة في ذلك الوقت». وناورت مناورة سريعة لتتفادى سنجابًا على الطريق المتعرج، وفي لحظة نادرة ألقت نظرة على سيترا عندما استقام الطريق أمامهما. «إذن فالكفارة

التي فرضتها على نفسك هي أن تصبحي منجلًا، وأن تسلبي حيوات الناس للأبد عقابًا لنفسك على ذلك التصرف الطفولي».

- لم أفرضها على نفسي.
- حقًّا؟

فتحت سيترا شفتيها لترد، لكنها أمسكت لسانها. فماذا لو كانت المنجل كوري محقة؟ ماذا لو أن سيترا، في قرارة نفسها، قبلت التتلمُذ مع المنجل فاراداي لتعاقب نفسها على الجريمة التي لم يكترث بها سواها؟ وفي هذه الحالة، فتصرُّفها حكم قاسٍ جدًّا على نفسها. فإذا ما فُضح أمرها، أو اعترفت، لكانت عقوبتها الفصل المؤقت من المدرسة، على أسوأ تقدير، بالإضافة إلى فرض غرامة على والديها، وتوبيخ صارم. ولحظيت بجانب مشرق، وهو خشية زملائها في المدرسة من العبث معها.

«الاختلاف بينك وبين معظم الناس الآخرين، يا سيترا، هو أن شخصًا آخر ما كان ليكترث حالما أُنعشت تلك الفتاة، ولنسي الأمر ببساطة. رأى المنجل فاراداي شيئًا فيك عندما اختارك، وربما كان هذا الشيء هو حساسية ضميرك». ثم أردفت: «وهذه الحساسية نفسها هي التي كشفت لي كذبك في الخلوة».

قالت سيترا بعفوية: «في الحقيقة إنني مدهوشة من أن الرَّأس السَّحابي لم يرني أدفعها».

فقالت المنجل كلامًا أطلق سلسلة أفكار وردود فعل في ذهن سيترا غيرت كل شيء: «أنا متأكدة أنه رآكِ. الرَّأس السَّحابي يرى كل شيء، فالكاميرات في كل مكان، لكنه يقرر أيضًا أيَّ التجاوزات تستحق عناء التدخل وأيَّها لا تستحق».

الرَّأس السَّحابي يرى كل شيء.

إنه يحتفظ بسجل يحوي كل تفاعل بشري منذ لحظة وعيه، لكن خلافًا لما كان يحدث في أيام الفانين، معرفته لم يُسأ استخدامها قط. قبل وصول الرَّأس السَّحابي إلى مرحلة الوعي، عندما كان يُعرف بالسحابة، كان المجرمون، وحتى القائمون على المؤسسات الحكومية، يجدون طرائق للتدخل في شؤون الناس الخاصة، واستغلال معلوماتهم، مخالفين القانون. كل طفل في

المدرسة كان يعرف بأمر إساءة استغلال المعلومات التي كادت أن تتسبب في انهيار الحضارة قبل تولي الرَّأس السَّحابي للسلطة. ومنذئذٍ لم يقع خرق واحد للمعلومات الشخصية. انتظر الناس وقوع الاستغلال، وتنبؤوا بالهلاك على يدَي الآلة المجردة من الروح، لكن اتضح أن الآلة تنطوي على روح أنقى من روح أي بشر.

ظل الرَّأس السَّحابي يشاهد العالم عبر ملايين الأعين، ويستمع عبر ملايين الآذان، وظل يتدخل، أو يختار ألَّا يتدخل، بشأن ملايين الأشياء التي يعرفها.

مما يعني أن في مكانٍ ما من ذاكرته يوجد تسجيلٍ لتحركات المنجل فاراداي يوم انتهت حياته.

كانت سيترا تعرف أن تعقُّب تلك التحركات ربما يكون مسعى عقيمًا، لكن ماذا لو لم يكن هلاك فاراداي فِعل قطف ذاتي؟ ماذا لو دُفِع كما دفعت سيترا روندا قبل سنوات؟ لكن الدفع في هذه الحالة ليس جريمة طفولية لحظية، إنما جريمة وحشية عن سبق الإصرار والتعمد. ماذا لو كان موت فاراداي، وفقًا للعبارة التي تعلمتها من المنجل كوري، جريمة قتل؟

في شبابي كنت أتعجَّب من مدى الغباء والنِّفاق اللذين كانا يسودان عصر الفانين، ففي تلك الأيام كان فعل إنهاء حياة البشر عمدًا يعدُّ أبشع جريمة. يا للسُّخف! أعرف مدى صعوبة تخيل أنَّ ما تعدُّ الآن أسمى مهام البشريَّة كانت تعدُّ جريمة ذات يوم. يا لضيق أفق الإنسان الفاني ونفاقه! فرغم احتقارهم للذين ينهون حيوات الناس، كانوا يحبُّون الطبيعة، التي كانت -في تلك الأيام- تنهي أي حياة بشرية تأتي إلى الوجود. حكمت الطبيعة بأنَّ الميلاد حُكمٌ تلقائيٌّ بالموت، ثم عملت على تنفيذ حكم الموت بلا مهادنة.

ونحن غيَّرنا ذلك الوضع.

صرنا الآن قوةً أعظم من الطبيعة.

ولهذا السبب لا بد أن يُنظَر إلى المناجل بعين الحُب كما يُنظر إلى مشهد جبلي طبيعي، وأن يُبجَّلوا كما تُبجَّل غابة أشجار سيكويا عملاقة، وأن يُهابوا كما تُهاب عاصفة مقتربة.

- من مذكِّرات قطف م. م. غودارد

المدرسة كان يعرف بأمر إساءة استغلال المعلومات التي كادت أن تتسبب في انهيار الحضارة قبل تولي الرَّأس السَّحابي للسلطة. ومنذئذٍ لم يقع خرق واحد للمعلومات الشخصية. انتظر الناس وقوع الاستغلال، وتنبؤوا بالهلاك على يدَي الآلة المجردة من الروح، لكن اتضح أن الآلة تنطوي على روح أنقى من روح أي بشر.

ظل الرَّأس السَّحابي يشاهد العالم عبر ملايين الأعين، ويستمع عبر ملايين الآذان، وظل يتدخل، أو يختار ألَّا يتدخل، بشأن ملايين الأشياء التي يعرفها.

مما يعني أن في مكانٍ ما من ذاكرته يوجد تسجيلٍ لتحركات المنجل فاراداي يوم انتهت حياته.

كانت سيترا تعرف أن تعقُّب تلك التحركات ربما يكون مسعى عقيمًا، لكن ماذا لو لم يكن هلاك فاراداي فِعل قطف ذاتي؟ ماذا لو دُفِع كما دفعت سيترا روندا قبل سنوات؟ لكن الدفع في هذه الحالة ليس جريمة طفولية لحظية، إنما جريمة وحشية عن سبق الإصرار والتعمد. ماذا لو كان موت فاراداي، وفقًا للعبارة التي تعلمتها من المنجل كوري، جريمة قتل؟

في شبابي كنت أتعجَّب من مدى الغباء والنِّفاق اللذين كانا يسودان عصر الفانين، ففي تلك الأيام كان فعل إنهاء حياة البشر عمدًا يعدُّ أبشع جريمة. يا للسُّخف! أعرف مدى صعوبة تخيل أنَّ ما تعدُّ الآن أسمى مهام البشريَّة كانت تعدُّ جريمة ذات يوم. يا لضيق أفق الإنسان الفاني ونفاقه! فرغم احتقارهم للذين ينهون حيوات الناس، كانوا يحبُّون الطبيعة، التي كانت -في تلك الأيام- تنهي أي حياة بشرية تأتي إلى الوجود. حكمت الطبيعة بأنَّ الميلاد حُكمٌ تلقائيٌّ بالموت، ثم عملت على تنفيذ حكم الموت بلا مهادنة.

ونحن غيَّرنا ذلك الوضع.

صرنا الآن قوةً أعظم من الطبيعة.

ولهذا السبب لا بد أن يُنظَر إلى المناجل بعين الحُب كما يُنظر إلى مشهد جبلي طبيعي، وأن يُبجَّلوا كما تُبجَّل غابة أشجار سيكويا عملاقة، وأن يُهابوا كما تُهاب عاصفة مقتربة.

- من مذكَّرات قطف م. م. غودارد

20

ضيف الشرف

سوف أموت.

بدأ روان يردد هذه العبارة مع نفسه كأنها ترنيمة، آملًا أن يسهِّل ترديدها عليه تقبُّلها، لكن لم يبدُ أنه اقترب من تقبُّلها. حتى مع وجوده برفقة منجل آخر، فالمرسوم الذي صدر في الخلوة ما يزال ساريًا، سوف يقتل سيترا عند نهاية فترة تتلمذهما، أو سوف تقتله. وقد وجد المناجل محنتهما دراما مشوقة وما كانوا ليلغوا الحكم لا لشيء سوى أنهما لم يعودا تلميذَي المنجل فاراداي. ورأى روان أن الوسيلة الوحيدة لتجنب الاحتمالية هي إلغاء المنافسة، بأن يجعل أداءه سيئًا من الآن حتى الخلوة الأخيرة فلا يجدون خيارًا سوى منح المنجلية لسيترا، وعندئذٍ ستكون مهمتها الأولى هي قطف روان، الذي كان واثقًا أنها ستكون رحيمة وتقطفه سريعًا. مربط الفرس هو ألَّا يجعل إخفاقه ظاهرًا، لا بد أن يبدو كأنه يبذل كل ما بوسعه، يجب ألَّا يعرف أحد بخطته. ورأى أنه قادر على المهمة.

سوف أموت.

قبل ذلك اليوم المصيري في مكتب المدير مع كول وايتلوك، لم يعرف روان أحدًا مات، دائمًا ما يكون القطف على بُعد ثلاث درجات، مثل قطف قريب شخص يعرف شخصًا يعرفه روان. لكن خلال الأشهر الأربعة الماضية، شهد روان بأم عينيه عشرات تلو عشرات من عمليات القطف.

سوف أموت.

بقيت ثمانية أشهر. سيشهد عيد ميلاده السابع عشر، وسيكون الأخير. فكرة أنه مجرد رقم في سجلات المناجل أشعلت غضبه، رغم أن هذا اختياره، فهكذا حياته لا تعدو كونها مجرد خواء، مجرد فتى خس، وقد كان يظن هذه الوصمة مضحكة، واتخذها قلادة شرف، لكنه رآها مصدر خزي الآن. عاش حياةً بلا هدف، وقد اقتربت نهايتها. ما كان ينبغي له قبول دعوة تتلمذ المنجل فاراداي، كان ينبغي له الاستمرار في حياته العبثية، فعندئذٍ لربما، ربما، تسنت له الفرصة لتحقيق هدفٍ ما في حياته بمرور الوقت.

قال المنجل له: «لم تقل أي كلمة منذ أن ركبتَ السيارة».

أجابه روان: «سأتكلم عندما يخطر لي كلام أود قوله».

استقل مع المنجل فولتا سيارة رولزرويس غير متصلة بالشبكة مصونة في حالة مثالية منذ عصر الفانين، وكانت عباءة المنجل الصفراء تتنافر تنافرًا صارخًا مع اللون الترابي الداكن المكسو به الجزء الداخلي من السيارة، التي لم يكن فولتا يقودها، إنما كان معهما سائق. تحركوا في حي تزداد فيه المنازل ضخامة والأراضي شساعة، حتى اختفت المساكن خلف بوابات وجدران مغطاة باللبلاب.

كان فولتا، أحد أتباع غودارد، يرتدي عباءة صفراء مرصعة بجواهر ليمونية اللون، ويبدو عليه أنه منجل مبتدئ، اجتاز فترة التتلمُذ منذ سنوات قليلة، في بداية العشرينيات من عمره، أي ما يزال في سن يهتم فيها المرء بعدد السنوات المنقضية، ولون بشرته وملامحه إفريقية نوعًا ما، مما جعل لون عباءته الأصفر يبدو فاقعًا أكثر.

«هل من سبب لاختيار عباءتك بلون البول؟».

ضحك فولتا: «أظنك ستنسجم معنا، المنجل غودارد يحب أن يكون المقربون منه ذوي ألسُنٍ حادة كنصاله».

- لماذا تتبعه؟

بدا أن السؤال الجاد أزعج فولتا أكثر من السخرية من لون عباءته، وأجاب إجابة دفاعية: «المنجل غودارد صاحب مشروع رؤيَوي، وهو يرى مستقبلًا أفضل لنا. يهمني أن أكون جزءًا من مستقبل هيئة المناجل وليس ماضيها».

التفت روان ناظرًا إلى خارج النافذة، وكان ضوء النهار ساطعًا لكن النوافذ المظللة أعتمته، وصاروا كأنهم في خضم كسوف جزئي: «تقطفون الناس بالمئات، أهذا هو المستقبل الذي تقصده؟».

- لدينا الحصص المفروضة نفسها على جميع المناجل.

ولم يقُل فولتا المزيد عن الموضوع.

التفت روان ونظر إلى فولتا، الذي بدا كأنه يجد صعوبة في النظر إلى عينَي روان: «على يد مَن تتلمذتَ؟».

أجاب فولتا: «المنجل نهرو».

تذكر روان المنجل فاراداي وهو يتجاذب أطراف الحديث مع المنجل نهرو في الخلوة، وكانا منسجمَين مع بعضهما: «ما هو شعوره إزاء تسكعك مع غودارد؟».

قال فولتا ممتعضًا: «بالنسبة إليك اسمه *المنجل المبجل* غودارد، ولا أكترث البتة بشعور المنجل نهرو. أفكار مناجل الحرس القديم عفا عليها الزمن، إنهم متشبثون بأساليبهم العتيقة وغير قادرين على استيعاب الحكمة من **التغيير**».

لفظ كلمة «التغيير» كأنها شيء ملموس، شيء من شأنه مد المرء بالقوة بملامسته فحسب.

توقفا عند بوابة من الحديد المشغول، فُتحت لهما ببطء ودخلا.

قال فولتا: «ها قد وصلنا».

عبرا ممرًا يبلغ طوله ربع ميل ينتهي إلى مبنى فخيم، وحياهما خادم واقتادهما إلى داخل القصر.

وعلى الفور ارتطم روان بموسيقى رقص صاخبة، ورأى أناسًا في كل مكان، يحتفلون كأن اليوم عشية رأس السنة الجديدة، وبدا القصر بأكمله يمور بالإيقاعات المدوِّية. أناسٌ يضحكون، ويشربون، ويضحكون مزيدًا من الضحك. بعض الضيوف مناجل، ليسوا من أتباع غودارد المعروفين، إنما مناجل آخرون أيضًا، وبين الحضور أيضًا بعض صغار المشاهير، والبقية أشخاص ذوو طلعة بهية، على الأرجح ضيوف حفلات محترفون، من الذين كان صديقه تايغر يطمح لأن يكون منهم، وكثير من الفتية كانوا يقولون هذا، لكن تايغر كان جادًا.

اقتادهما الخادم إلى الجزء الخلفي حيث يوجد حوض سباحة ضخم يليق بالمنتجعات وليس المنازل، فيه شلالات صناعية ومشرَب مُطِل على المسبح، والمزيد من الأشخاص الجميلين يتمايلون طربًا. كان المنجل غودارد يجلس تحت خيمة صغيرة وراء الطرف العميق من المسبح، وواجهة الخيمة تطل على الاحتفالات الجارية أمامه، ويقوم على خدمته أكثر من مُتملِّق، يرتدي عباءته المميزة ذات اللون الأزرق الملكي، لكن عندما اقترب روان رأى أن العباءة ذات لون أنقى من لون العباءة التي ارتداها في الخلوة، إنها عباءة ترفيهه. تساءل روان عما إذا كان الرجل يملك في خزانة ملابسه رداء حمام مرصع بالماس أيضًا.

«روان داميش!». هتف المنجل غودارد وهما يقتربان، وطلب من خادم عابر يحمل صينية مشروبات أن يقدم لروان كأس شمبانيا، وعندما لم يتناول روان كأسًا، أخذ فولتا واحدة ووضعها في يد روان ثم اختفى بين الحشد، تاركًا روان يتدبَّر شؤونه وحده.

قال غودارد: «استمتع، أرجوك. لا أقدِّم سوى شمبانيا دوم بيرغنون».

ارتشف روان رشفة، متسائلًا عن احتمال فرض عقوبة على المتتلمِذين القاصرين إذا شربوا، ثم تذكر أن مثل هذه القوانين لم تعُد تنطبق عليه، فرشف رشفة أخرى.

قال المنجل غودارد مشيرًا إلى الحفل فيما حوله: «أقمتُ هذا الحفل الصاخب على شرفك».

- ما الذي تعنيه بأنه على شرفي؟

- ما قلتُه بالضبط، هذه حفلتك *أنت*. هل أعجبتك؟

الترف المبالَغ فيه أثَّر في روان تأثيرًا أقوى من تأثير الشمبانيا، لكن هل أعجبه؟ طغى عليه شعور أن كل شيء غريب من حوله، والأغرب أنه هو ضيف الشرف.

قال روان: «لا أدري، لم يحدث أن أقيم حفلٌ لي قط».

وهذا كان صحيحًا، فوالداه كانا قد شهدا حفلات أعياد ميلاد كثيرة جدًّا بحلول الوقت الذي وُلِد فيه، إلى درجة أنهما توقفا عن الاحتفال بها، وكان يعد نفسه محظوظًا إذا تذكَّرا أن يجلبا له هدية.

قال المنجل غودارد: «طيب إذن، فلتكن هذه الأولى من حفلات عديدة قادمة».

تعين على روان تذكير نفسه بأن هذا الرجل، ذا الابتسامة المثالية، الذي ينضح بالكاريزما بدلًا من العرق، هو الذي يقف وراء قرار منافسته، التي نهايتها الموت، مع سيترا. لكن كان من الصعب عدم الانبهار بأسلوبه، ورغم امتعاض روان من الحفل برمته، فقد جعل الأدرينالين يُضَخ في عروقه.

ربَّت المنجل على المقعد الذي جواره داعيًا روان للجلوس، فاتخذ روان مكانه إلى يمين المنجل.

«ألا تنص الوصية الثامنة على أن المنجل لا يجوز له امتلاك شيء سوى عباءته وخاتمه ودفتر مذكراته؟».

أجابه المنجل غودارد مبتهجًا: «صحيح، وأنا لا أملك شيئًا مما يوجد هنا، الطعام تبرع به مُحسنون أسخياء، والضيوف جاؤوا بمحض اختيارهم، وهذا القصر الجميل مُعار لي ما دمت أُشرِّف جدرانه بوجودي».

وإثر ذكر القصر رفع رجل رأسه في أثناء تنظيفه المسبح ونظر إليهما للحظة ثم عاد إلى عمله.

قال المنجل غودارد: «ينبغي لك أن تعيد قراءة الوصايا، لن تجد فيها ما يطالب المناجل بالعزوف عن المُتع التي تجعل الحياة تستحق العيش. لقد عفا الزمن على التأويل القاتم الذي يتبعه مناجل الحرس القديم».

لم يُدلِ روان برأي آخر في الموضوع. طبيعة المنجل فاراداي المتواضعة والجادة، بوصفه من «الحرس القديم»، هي التي تركت أثرًا عميقًا في روان، وإذا كان المنجل غودارد هو الذي عرض عليه التلمذة مغريًا إياه بترف نجوم الروك مقابل سلب حيوات الناس، لرفض عرضه. لكن فاراداي مات، وروان هنا، يشاهد غرباءً جاؤوا من أجله. سأل: «إذا كان الحفل حفلي، ألا ينبغي أن يحضر أناس أعرفهم». «المنجل صديق العالم بأسره، افتح ذراعيك وعانقه». بدا لروان أن المنجل غودارد مستعد للإجابة عن أي سؤال. «حياتك على وشك التغيُّر يا روان داميش». لوَّح بذراعه مشيرًا إلى المسبح والمحتفلين والخدم وأطباق الطعام الفاخر التي يُعاد ملؤها جوار نهاية المسبح الضحلة وأردف: «في الحقيقة تغيَّرتْ بالفعل».

بين ضيوف الحفل كانت توجد فتاة بدت غريبة جدًّا على المكان، صغيرة، في التاسعة أو العاشرة من عمرها على أبعد تقدير، ولا تلقي بالًا للحفل القائم حولها وهي تمرح في نهاية المسبح الضحلة.

علَّق روان: «يبدو أن أحد ضيوفك أحضر ابنته إلى الحفل».

فقال غودارد: «إنها إزمي، وتجدر بك معاملتها خير معاملة، فهي أهم شخص ستقابله اليوم».

- وكيف هذا؟

- تلك الفتاة الممتلئة هي مفتاح المستقبل، لذا عليك أن تأمل في نيل استحسانها.

أراد روان الاستمرار في الاستماع إلى ردود غودارد الغامضة، لكن استرعت انتباهه فتاة حفل جميلة تقترب منهما وهي ترتدي بيكيني يبدو مرسومًا عليها، ولم يدرك أنه يحدق إليها إلا بعد فوات الأوان، ابتسمت له، فاحمرَّ خجلًا وأشاح بوجهه.

قال غودارد لها: «أريادنه، هلَّا تلطَّفتِ بتدليك تلميذي؟».

قالت الفتاة: «نعم جنابك».

فقال روان: «آ... ربما في وقت لاحق».

قال المنجل: «هراء، أنت بحاجة إلى الاسترخاء، وأريادنه لديها يدان سحريتان وماهرة في التدليك السويدي. جسدك سيشكرك».

أخذت الفتاة بيد روان، فتبددت كل مقاومته، فنهض وسمح لنفسه بأن ينقاد خلفها.

هتف المنجل غودارد خلفهما: «إذا رضي هذا الشاب بمجهوداتك، فسأسمح لك بتقبيل خاتمي».

وبينما أريادنه تقتاده إلى خيمة التدليك، قال روان لنفسه، *سوف أموت بعد ثمانية أشهر*. لذا رأى أن بوسعه الاستمتاع قليلًا حتى ذلك الوقت.

يزعجني الذين يبجِّلوننا أكثر مما يزعجني من يحتقروننا. كثيرون يضعوننا في مرتبة عالية، وكثيرون يتوقون لأن يصبحوا منَّا، ومعرفتهم بأنَّهم لن يصبحوا منَّا أبدًا تجعل توقهم أشد، لأنَّ جميع المناجل يبدؤون التَّتلمذ وهم يافعون.

إما أنَّ من السذاجةِ الظنَّ أنَّنا كائنات تنتمي إلى مرتبة عُليا، وإما أنَّ تبجيل الناس لنا ينبع من نفوس منحرفة، فمَن غير المنحرفين يستمتعون بسلب حيوات الناس؟

في وقتٍ ما قبل سنوات كانت توجد مجموعات تقتدي بنا وتقلِّدنا، كانوا يرتدون عباءات مثل عباءات المناجل، ويضعون خواتم تشبه خواتمنا. كان الأمر مجرد لعبة تنكُّر في نظر كثيرين، لكن بعضهم انتحل شخصيَّات المناجل فعلًا، وراحوا يستغفلون الناس، ويمنحونهم حصانات زائفة، ويفعلون كل شيء عدا القطف.

توجد قوانين تجرِّم انتحال شخصيات العاملين في أي مهنة، لكن ما من قانون يمنع أحدًا من انتحال شخصية منجل. وبما أنَّ الرَّأس السَّحابي ليست له صلاحية على هيئة المناجل، فلا يستطيع إصدار أي قوانين متعلِّقة بنا. وهذا خلل غير متوقَّع ناجم عن فصل هيئة المناجل عن الدولة.

لكن الخلل لم يستمر مدة طويلة. في عام الرَّاي اللسَّاع، في الخلوة العالميَّة السَّادسة والستِّين، صدر مرسوم الحكم على جميع المحتالين بالقطف فورًا، في مكان عام، وبأعنف طريقة. وقد يتوقَّع المرء أن يتسبب مثل هذا المرسوم في وقوع مجازر، لكن لم تقع سوى عمليَّات قطف قليلة، فحالما انتشر الخبر، تخلَّى المحتالون عن عباءاتهم الزَّائفة واختفوا فجأة

من كل مكان. ما يزال المرسوم ساريًا إلى يومنا هذا، لكن لا تظهر الحاجة إلى تنفيذه إلا نادرًا، لأنَّ قليلين حمقى بما يكفي لانتحال شخصيَّة منجل.

ورغم هذا أسمع من حين إلى آخر في الخلوات حكايات نادرة عن منجل يصادف محتالًا ويضطر إلى قطفه، وعادةً ما تكون النِّقاشات عن الضِّيق الذي تسبِّبه هذه الحوادث، إذ يتعيَّن على المنجل البحث عن أسرة المحتال ومنح الحصانة لكل أفرادها وما إلى ذلك.

لكن موضع تساؤلي الأهم هم المحتالون. ما الذي يأملون تحقيقه؟ هل يحرِّكهم مبدأ أنَّ الممنوع مرغوب؟ هل تغويهم إثارة خطر اكتشاف أمرهم؟ أم أنهم لا يريدون سوى ترك هذه الحياة إلى درجة اختيارهم أحد أقصر الطرق إلى الفناء؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

21

موسوم

استمر الحفل يومًا آخر، استمر مهرجان تَرَف على كل المستويات، وانضم روان إلى الاحتفالات، لكن بدافع الواجب فحسب، فسُلِّطت عليه الأضواء، وصار حديث الساعة. وراح الناس الجميلون يمرحون معه في حوض السباحة، ويفسحون له المجال عند البوفيه حتى يكون في مقدمة الصف دومًا. أحس بالحرج، والنشوة أيضًا، فلم يستطع إنكار أن جزءًا منه استمتع بالأجواء السريالية المحتفية به، إذ ارتقى فتى الخس إلى مكانة الشرف.

لم يستفِق ويتذكر ما يوجد على المحك إلا عندما بدأ المناجل الحاضرون يصافحونه ويتمنون له التوفيق في منافسته مع سيترا، التي نهايتها الموت.

اختلس لحظات نوم وجيزة في الخيمة، وظل يستيقظ دومًا بالموسيقى أو الضحكات المجلجلة أو الألعاب النارية. وبعدها، في وقت متأخر من عصر اليوم الثاني، عندما نال المنجل غودارد كفايته، لم يفعل سوى الهمس معبِّرًا عن اكتفائه، فانتشرت رغبته سريعًا، وخلال أقل من ساعة انصرف الضيوف، وشرع الخدم في إزالة مخلَّفات العربدة من الأرضيات الصامتة الموحشة، ولم يبقَ سوى قاطني القصر، المنجل غودارد ومناجله المبتدئين، والخدم، والفتاة إزمي، التي كانت تحدق من نافذة غرفتها إلى روان كأنه شبح في أثناء جلوسه في خيمة غودارد، منتظرًا الخطوة التالية أيًّا تكن.

من كل مكان. ما يزال المرسوم ساريًا إلى يومنا هذا، لكن لا تظهر الحاجة إلى تنفيذه إلا نادرًا، لأنَّ قليلين حمقى بما يكفي لانتحال شخصيَّة منجل.

ورغم هذا أسمع من حين إلى آخر في الخلوات حكايات نادرة عن منجل يصادف محتالًا ويضطر إلى قطفه، وعادةً ما تكون النِّقاشات عن الضِّيق الذي تسبِّبه هذه الحوادث، إذ يتعيَّن على المنجل البحث عن أسرة المحتال ومنح الحصانة لكل أفرادها وما إلى ذلك.

لكن موضع تساؤلي الأهم هم المحتالون. ما الذي يأملون تحقيقه؟ هل يحرِّكهم مبدأ أنَّ الممنوع مرغوب؟ هل تغويهم إثارة خطر اكتشاف أمرهم؟ أم أنهم لا يريدون سوى ترك هذه الحياة إلى درجة اختيارهم أحد أقصر الطرق إلى الفناء؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

21

موسوم

استمر الحفل يومًا آخر، استمر مهرجان تَرَف على كل المستويات، وانضم روان إلى الاحتفالات، لكن بدافع الواجب فحسب، فسُلِّطت عليه الأضواء، وصار حديث الساعة. وراح الناس الجميلون يمرحون معه في حوض السباحة، ويفسحون له المجال عند البوفيه حتى يكون في مقدمة الصف دومًا. أحس بالحرج، والنشوة أيضًا، فلم يستطع إنكار أن جزءًا منه استمتع بالأجواء السريالية المحتفية به، إذ ارتقى فتى الخس إلى مكانة الشرف.

لم يستفِق ويتذكر ما يوجد على المحك إلا عندما بدأ المناجل الحاضرون يصافحونه ويتمنون له التوفيق في منافسته مع سيترا، التي نهايتها الموت.

اختلس لحظات نوم وجيزة في الخيمة، وظل يستيقظ دومًا بالموسيقى أو الضحكات المجلجلة أو الألعاب النارية. وبعدها، في وقت متأخر من عصر اليوم الثاني، عندما نال المنجل غودارد كفايته، لم يفعل سوى الهمس معبِّرًا عن اكتفائه، فانتشرت رغبته سريعًا، وخلال أقل من ساعة انصرف الضيوف، وشرع الخدم في إزالة مخلَّفات العربدة من الأرضيات الصامتة الموحشة، ولم يبقَ سوى قاطني القصر، المنجل غودارد ومناجله المبتدئين، والخدم، والفتاة إزمي، التي كانت تحدق من نافذة غرفتها إلى روان كأنه شبح في أثناء جلوسه في خيمة غودارد، منتظرًا الخطوة التالية أيًّا تكن.

اقترب المنجل فولتا وعباءته الصفراء ترفرف مع النسيم، وسأله: «ماذا تفعل هنا بالخارج؟».

أجابه روان: «لا أدري إلى أين عساي أن أذهب».

- تعال معي، حان وقت بدء تدريبك.

كان يوجد قبو نبيذ أسفل المبنى الرئيسي، مئات وربما آلاف من قناني النبيذ مرصوفة في تجاويف قرميدية، ويضيء المكان عدد قليل من المصابيح التي ترسم ظلالًا طويلة تجعل التجاويف تبدو كمنافذ إلى جحائم خفية.

اقتاد المنجل فولتا روان إلى حجرة القبو المركزية، حيث ينتظرهم غودارد والمناجل الآخرون. أخرجت المنجل راند من عباءتها الخضراء جهازًا، بدا كمزيج من مسدس ومصباح يدوي.

سألت روان: «أتعرف هذا؟».

- إنه جهاز ضبط وحدات مجهرية.

قبل عدة سنوات خضع لعملية ضبط وحداته المجهرية عندما رأى أساتذته أن تقلباته المزاجية صارت اكتئابًا، كان هذا قبل خمس أو ست سنوات، وقد كانت عملية الضبط غير مؤلمة وتأثيرها يكاد لا يُحس به، فلم يلاحظ روان تغييرًا كبيرًا، لكن جميع من حوله أجمعوا على أنه بدأ يبتسم أكثر من ذي قبل.

قالت المنجل راند: «ارفع ذراعيك وباعد ما بين ساقيك».

امتثل روان لما أُمِر به، ومررت المنجل راند جهاز الضبط على جسده بأكمله كأنها تحرك عصا سحرية من نوعٍ ما، وأحس روان بوخز خفيف في أطرافه وتلاشى سريعًا، ثم تراجعت راند، واقترب المنجل غودارد من روان.

سأله: «هل سمعت يومًا بعبارة «طقس التعميد»؟ أو «طقس الانضمام»؟».

هز روان رأسه، ولاحظ أن المناجل الآخرين قد أحاطوا به من كل الجوانب.

«طيب، إنك على وشك معرفة معناها».

وعندئذٍ نزع المناجل عباءاتهم الثقيلة، وصاروا بملابسهم العادية، واتخذوا وقفات عدائية، وعلى وجوههم تعابير العزيمة، وربما مسحة ترقُّب ونشوة. وأدرك روان ما يوشك على الحدوث قبل لحظة من البدء.

تقدم المنجل تشومسكي، أضخمهم، خطوة إلى الأمام ودون تحذير هوى بقبضته على خد روان، فدار حول نفسه وفقد توازنه وسقط على الأرضية المغبرة.

أحس روان بصدمة اللكمة، وشرارة الألم، وانتظر إحساسه بدفء وحداته المجهرية عندما تُفرَز مهدئات الألم في مجرى دمه، لكنه لم يحس براحة، إنما اشتد الألم.

كان فظيعًا، ممضًّا.

لم يحس روان بألم كهذا قط، ولم يكن يعرف أن ألمًا كهذا يمكن أن يوجد.

انتحب: «*ماذا فعلتم؟ ما الذي فعلتموه بي؟*».

أجابه المنجل فولتا بهدوء: «أوقفنا عمل وحداتك المجهرية، حتى تحس بما كان أسلافنا يحسون به».

وقال المنجل غودارد: «ثمة مقولة قديمة: «لا نجاح من دون ألم»». وأمسك بكتف روان برفق: «وأريد لك أن تحقق نجاحًا باهرًا». ثم نهض، وأشار لبقية المناجل بالتقدم، فانهالوا على روان بضرب مبرح.

***

التعافي دون وحدات الشفاء المجهرية كان عملية بطيئة مضنية بدت كأنها ستسوء قبل أن تتحسن. تمنى روان الموت في اليوم الأول، وفي الثاني ظن أنه قد يموت فعلًا، ظل رأسه ينبض بالألم، وتلبَّدت أفكاره. وظل يتأرجح بين الإغماء والوعي، صعُب عليه التنفس، وأدرك أن عددًا من ضلوعه مكسور. ورغم أن المنجل تشومسكي أعاد له كتفه المخلوعة إلى مكانها بطريقة مؤلمة عند انتهاء الضرب، فما زالت كتفه تؤلمه مع كل نبضة من نبضات قلبه.

كان المنجل فولتا يزوره عدة مرات في اليوم، يجلس معه، ويطعمه الحساء بملعقة، ويمسح شفتيه المشقوقتين المتورمتين. ولاحت لروان هالة حول فولتا، لكن روان أدرك أنها مجرد تشوه بصري، ولم يستبعد انفصال شبكيته.

قال لفولتا والحساء يسيل فوق شفتيه: «إنه يلسع».

فقال فولتا بتعاطف صادق: «في الوقت الراهن. لكن الألم سيزول، وستصبح أقوى من ذي قبل».

«كيف عساي أن أصبح أقوى بعد هذا؟». سأله مرعوبًا من تشوه كلماته ومَيوعتها، كأنه يتكلم عبر فتحة تنفُس حوت.

أطعَمه فولتا ملعقة أخرى من الحساء: «بعد ستة أشهر من الآن، أخبرني بما إذا كنتُ محقًّا».

شكر روان فولتا على وقته وزيارته في حين لم يزره أي أحد آخر.

قال فولتا: «يمكنك أن تدعوني بأليساندرو».

- أهذا هو اسمك الحقيقي؟

- لا أيها الأبله، إنه اسم فولتا الأول.

افترض روان أن هذه هي أقصى درجة تقارب بين اثنين في هيئة المناجل.

«شكرًا لك يا أليساندرو».

***

وفي مساء اليوم الثاني جاءت الفتاة، التي قال غودارد إنها مهمة، إلى غرفة روان بين نوبات هذيانه. ما اسمها؟ إيمي؟ إمي؟ آه، أجل، إزمي.

قالت له دامعة العينين: «أكره ما فعلوه بك. لكنك ستتحسن».

سيتحسن بالطبع، لا خيار له في الأمر. في أيام الفانين كان الناس يموتون أو يتعافون، والآن لم يعد يوجد سوى خيار واحد.

- لماذا أنتِ هنا؟

- لأرى كيف حالك.

- لا، أقصد هنا، في هذا القصر.

ترددت قبل أن تتكلم، ثم أشاحت بوجهها: «المنجل غودارد وأصدقاؤه جاؤوا إلى مول بالقرب من المكان الذي كنت أعيش فيه، وقطفوا كل الموجودين في صالة الطعام ما عداي، ثم طلبوا مني المجيء معهم، فجئت».

لم يفسر كلامها أي شيء، لكنه التفسير الوحيد الذي قدمته، وربما يكون الوحيد الذي تعرفه. وحسبما رآه روان، هذه الفتاة لا تؤدي مهمة واضحة في القصر، ورغم هذا قرر غودارد أن كل من يتعرض لها بسوء سيعاقَب أشد

العقاب، وأمر بعدم إزعاجها بأي طريقة، وسمح لها بالتجول وفعل ما يحلو لها في القصر. كانت أكبر لغز وجده روان في عالم المنجل غودارد.

قالت لروان: «أظنك ستكون منجلًا أفضل من الآخرين». لكنها لم توضح سبب ظنها، ربما كان حدسًا، لكنها كانت مخطئة.

قال لها: «لن أصبح منجلًا». وقد كانت أول شخص يعترف له بقراره.

«ستصبح إذا رغبتَ، وأظنك سترغب». ثم ذهبت تاركةً إياه لينشغل بألمه واحتمال تحقق كلامها.

لم يُظهِر المنجل غودارد وجهه في غرفة روان إلا في اليوم الثالث.

سأل: «كيف حالك؟». وأراد روان أن يبصق عليه، لكنه أدرك أنه سيؤلم نفسه، وربما يجر على نفسه جولة ضرب ثانية.

أجابه: «على أي حال تظنني؟».

جلس المنجل على حافة الفراش وتفحص وجه روان، وقال: «تعال وانظر بنفسك».

ثم ساعد روان على النهوض من الفراش، وترنح روان نحو خزانة ملابس مزخرفة عليها مرآة كبيرة.

كاد روان ألَّا يتعرف على نفسه، رأى وجهه متورمًا يشبه يقطينة، والكدمات الزرقاء تغطي وجهه، وسائر جسده مكسو ببقع بكل ألوان الطيف.

قال غودارد له: «من هنا تبدأ حياتك، ما تراه أمامك هو موت الصبي وظهور الرجل».

أجابه روان: «كُفَّ عني الترهات». ولم يحفل بردة فعل المنجل.

رفع غودارد حاجبه ببساطة: «ربما، لكنك لا تستطيع إنكار أن هذه نقطة تحول في حياتك، وكل نقطة تحول لا بد أن يحددها حدث، حدث يلتصق بك كوَسم بالكَيِّ لا يُمحى أبدًا».

إذن فقد صار موسومًا الآن، لكن راودته شكوك بأنه لا يشهد سوى بداية طقس انتقال أكبر وأعمق تأثيرًا.

قال غودارد: «العالم يتوق ليصبح مثلنا، ليأخذوا ويفعلوا ما يريدون دون عواقب أو ندم، لو بمستطاعهم لسرقوا عباءاتنا وارتدوها. أمامك فرصة

لتصبح أعظم من ملوك، وهذا يتطلب على الأقل طقس العبور هذا الذي جعلتك تمر به».

لبث غودارد واقفًا في مكانه، متفرسًا روان لبضع لحظات، ثم أخرج جهاز الضبط من طيات عباءته: «ارفع ذراعيك وباعد ما بين ساقيك».

أخذ روان نفسًا عميقًا بقدر مستطاعه، وامتثل لأمر غودارد، الذي حرك الجهاز حول جسد روان، وأحس روان بوخزات خفيفة في أطرافه، لكن عندما انتهى المسح، لم يشعر بدفء وحداته المجهرية ولا تبدُّد ألمه.

قال روان: «ما زلت أتألم».

- بالطبع، لم أنشِّط مهدئات الألم لديك، بل وحداتك المجهرية التي تساعد على الشفاء. ستكون بكامل عافيتك بحلول الصباح، ومستعدًّا لبدء تدريبك. لكن من الآن فصاعدًا ستشعر بكل مقدار ألم في جسدك.

تجرَّأ روان على طرح السؤال: «لماذا؟ أي شخص بكامل رشده يريد أن يحس بكل ذلك القدر من الألم؟».

- الرشد مبالَغ في تقديره. أفضِّل أن يكون عقلي صافيًا على أن أكون «راشدًا».

لا منافس لنا، نحن المناجل، في مجال الموت، باستثناء النّار بالطبع، فالنّار تقتل بسرعة وفاعليّة مثل نِصال المناجل، إنها مخيفة، لكنّني أشعر بالعزاء في معرفة وجود شيء واحد لا يستطيع الرّأس السّحابي إصلاحه أو السّيطرة عليه. فالضّرر الذي تُحدِثه النّار تعجز مراكز الإنعاش عن علاجه. إذا احترق المرء، فقد انتهى أمره فعلًا.

الموت بالنّار هو الموت الطّبيعي الوحيد المتبقّي، لكنه يكاد لا يحدث أبدًا، فالرّأس السّحابي يراقب الحرارة في كل شبر من الأرض، ومكافحة الحرائق كثيرًا ما تبدأ قبل أن يشتم المرء دخانًا. توجد أنظمة سلامة في كل منزل وكل مبنى مكاتب، وعادة ما تكون الأنظمة متعددة المستويات تحسُّبًا. بعض الطوائف الطّونية الأشد تطرُّفًا تحاول أن تحرق شِمَوْتاها، كي يموتوا للأبد، لكن مُسيَّرات الإسعاف عادة ما تصل إلى الشّميّتين أولًا.

أليس من الجيد معرفة أننا جميعًا آمنون من النّار؟ لكننا لسنا بمأمن دومًا بالطبع.

- من مذكّرات قطف م. م. كوري

22

رمز البايدنت

صارت أيام سيترا حافلة بالتدريب والقطف.

تخرج كل يوم مع المنجل كوري إلى بلدات تختارها عشوائيًا، وتشاهد المنجل وهي تطوف خلسة في الشوارع والأسواق والمتنزهات، كأنها لبؤة تبحث عن فريسة ضعيفة. وتعلمت سيترا ملاحظة علامات «الركود»، كما أسمتها المنجل كوري، رغم أن سيترا لم تكن مقتنعة مثل المنجل بشأن جاهزية الأهداف للقطف. وتساءلت سيترا عن عدد الأيام التي بدت فيها محمَّلة برَهق العالم وأعبائه قبل بدء تلمذتها، وإذا صادفت المنجل كوري في أحد تلك الأيام، فهل كانت المرأة لتقطفها؟

ذات يوم سارتا جوار مدرسة إعدادية في أثناء خروج التلاميذ، وانقبض صدر سيترا من احتمال أن تقطف المنجل أحد التلاميذ.

قالت المنجل كوري لها: «لا أقطف الأطفال أبدًا. لم أجد طفلًا راكدًا قط، لكن حتى إذا وجدته فلن أقطفه، ولهذا تعرضت للتأنيب في الخلوة، لكنهم لم يتخذوا إجراءً عقابيًا ضدي».

لم يكن المنجل فاراداي يتبع قاعدة كهذه، والتزم التزامًا صارمًا بإحصائيات عصر الفانين، كان عدد الأطفال والمراهقين الذين يموتون في تلك الأيام قليلًا، لكنهم كانوا يموتون. وفي الوقت الذي أمضته سيترا مع فاراداي عرفت أنه قطف طفلًا واحدًا فقط، لم يصطحبها هي أو روان، وفي

ذلك اليوم عند العشاء راح ينشج بلا انقطاع واضطر إلى مغادرة المائدة. تعهَّدت سيترا مع نفسها، إذا نُصِّبتْ منجلًا، أن تحذو حذو المنجل كوري، حتى إذا سبب قرارها لها متاعب مع لجنة الاختيار.

في كل ليلة تقريبًا ظلت تعد مع المنجل العشاء لأفراد الأسر المفجوعة، ومعظمهم يغادرون بروح معنوية عالية، وبعضهم تتعذر مواساتهم ويظلون ممتعضين حاقدين، لكنهم أقلية. هكذا كانت الحياة والموت في عالم سيترا في الأيام السابقة لخلوة الحصاد. لم يسعها سوى التفكير في روان والتساؤل عن حاله، اشتاقت إلى رؤيته، وتوجست منها في الوقت نفسه، لأنها تعرف أنها سوف تراه بعد بضعة أشهر، مهما كان ما سيحدث عندئذٍ.

وتمسكت ببصيص أمل في أنها إذا تمكنت من إثبات أن المنجل فاراداي قُتل على يد منجل آخر، فربما تُحدِث بلبلة في هيئة المناجل فتتحرر من عبء قطف روان أو القطف على يده.

معظم العائلات التي كانت سيترا تُخطرهم بقطف أحد أفرادها عادة ما يكونون أزواجًا وزوجات وأبناء وآباء. في البداية امتعضت من تكليف المنجل كوري لها بمواجهة هؤلاء المفجوعين، لكن سيترا فهمت سبب التكليف، الذي لم يكن تهرُّبًا من جانب المنجل كوري، إنما دفع سيترا للتجربة حتى تتعلم كيفية إظهار التعاطف في المواقف المأسَوية، كان تكليفًا مرهِقًا عاطفيًا، لكنه مفيد، ويشد من عودها لتصبح منجلًا.

لكن ذات مرة اختلفت التجربة التي تمر بها بعد القطف، كان الجزء الأول من مهمتها هو تعقُّب أسرة المقطوف، وحدث أن قُطفت امرأة لم يبدُ أن لديها أسرة مقرَّبة، لا أحد سوى شقيق انقطعت صلتها به، وقد كان هذا الوضع أمرًا غريبًا في هذا الزمن الذي تكوَّن فيه العائلات الممتدة شبكة معقدة تضم ستة أجيال حاضرة أو أكثر، ورغم هذا لم يكن لدى هذه المرأة المسكينة سوى شقيق واحد. بحثت سيترا عن العنوان وذهبت إليه، لكنها لم تكن بكامل تركيزها، فلم تدرك مكانها إلا عندما بلغت وجهتها.

لم يكن منزلًا تقليديًا، إنما دَير، مجمَّع مسوَّر مشيَّد بالطوب اللبِن على طراز مساكن الإرساليات التاريخية، لكن خلافًا لتلك المباني القديمة، لم يكن الرمز المثبت على قمة البرج الرئيسي صليبًا، إنما شوكة رنانة ذات شعبتَين، البايدنت، رمز الطوائف الطُّونيَّة.

هذا كان دَيرًا طونيًا.

ارتعدت سيترا كما يرتعد كل شخص إزاء شيء غرائبي غامض. قال والدها لها ذات يوم: «ابتعدي عن أولئك المعتوهين، ينجذب الناس إليهم ولا يُرَون مرة أخرى أبدًا». وقد كان كلامه سخيفًا، إذ لا يختفي الناس في هذا العصر، والرَّأس السَّحابي يعرف مكان كل شخص في كل الأوقات، لكنه غير ملزَم بإظهار معرفته بالطبع.

لربما عملت سيترا بنصيحة والدها في ظروف أخرى، لكن أمامها مهمة الإبلاغ عن فاجعة، فلا مجال للارتياع.

دخلت المجمع عبر بوابة مقنطرة لم تكن موصَدة، ووجدت نفسها في حديقة تعج بزهور بيضاء تعبق المكان بشذاها، زهور الغاردينيا، فالطوائف الطونية تُعلي من شأن الروائح والأصوات، ولا تقيم وزنًا لحاسة البصر، حتى إن بعض الجماعات الطونية المتطرفة يفقأ أفرادها أعينهم، وقد سمح الرَّأس السَّحابي لهم بهذا على مضض، فلم يفعِّل وحدات شفائهم المجهرية لاستعادة أبصارهم. كان أمرًا فظيعًا، لكنه أحد مظاهر الحريات الدينية القليلة التي بقيت في العالم الذي وارى آلهته العديدة الثرى.

سارت سيترا على ممشى حجري يفضي إلى المصلى الذي ينتصب فوقه رمز الشوكة، ودخلت عبر باب مصنوع من خشب البلوط إلى مصلى مليء بصفوف المقاعد، كان معتمًا، رغم وجود نوافذ زجاجية ملطخة على الجانبين، لم تكن من عصر الفانين، لكن طونية الطابع، تصور عددًا من المشاهد الغريبة: رجل عاري الصدر يحمل شوكة رنانة ضخمة على ظهره المنحني، وحجر ينفلق مُطلِقًا خيوط برق، وحشود هاربة من مخلوق دودي بشع على هيئة حلزون منبثق من الأرض.

لم تحب سيترا الصور ولم تكن تعرف شيئًا عما يؤمن به هؤلاء الناس سوى أنه مثير للضحك، ومهزلة، فكل شخص يعرف أن ما يسمى بالدين هذا كان مجرد مزيج من المعتقدات لُفِّقت معًا فصارت أفكارًا شوهاء. لكن بطريقةٍ ما يوجد أناس يرون هذه الأفكار جذابة.

رأت سيترا كاهنًا، أو راهبًا -أيًا كان اسم رجال دين الطوائف- يقف عند المذبح، يترنَّم بترنيمة رتيبة ويطفئ الشموع واحدة تلو الأخرى.

«المعذرة». قالت سيترا بصوت أعلى مما أرادته، وكان هذا الأثر مقصودًا عند بناء المصلى.

لم يجفل الرجل من صوت سيترا. أطفأ شمعة أخرى ثم وضع أداته الفضية التي استعملها للإطفاء وسار نحو سيترا وهو يعرج عرجًا ظاهرًا، فتساءلت سيترا عما إذا كان عرجه مصطنعًا أم أن حريته الدينية أتاحت له الإبقاء على سبب العرج. ورأت من تجاعيد وجهه أنه كان ينبغي له استعادة شبابه منذ وقت طويل.

قال: «أنا الخوري بيورغارد، هل جئتِ للتوبة؟».

قالت له وهي تُظهِر شارتها التي تحمل ختم المناجل: «لا، أريد الحديث مع روبرت فيرجسن».

- الأخ فيرجسن ينام قيلولته، وينبغي عدم إزعاجه.

- الأمر مهم.

تنهد الخوري قائلًا: «طيب. لا بُد مما ليس منه بُد». ثم عرج مبتعدًا، تاركًا سيترا وحدها.

نظرت فيما حولها، محاولةً استيعاب محيطها الغريب، فرأت جوار المذبح بالأمام حوضًا جرانيتيًّا مليئًا بماء، لكن الماء معتكر وكريه الرائحة، وخلفه الشيء الأبرز في المعبد، شوكة فولاذية ذات شعبتين شبيهة بالتي على السقف بالخارج، وهذا البايدنت يبلغ طوله ستة أقدام يرتكز على حجر بركاني داكن، وجواره على منصة خاصة به مطرقة مطاطية مستلقية على وسادة من المخمل الأسود، لكن البايدنت هو ما استحوذ على انتباهها، شوكة رنانة أسطوانية ضخمة، فضية ملساء، وباردة.

«تريدين ضربه، أليس كذلك؟ تفضَّلي، لمسه غير ممنوع».

أجفلت سيترا ووبخت نفسها بصمت لأنها أُخذت على حين غرة.

قال الرجل مقتربًا: «أنا الأخ فيرجسن، هل أردتِ مقابلتي؟».

- أنا تلميذة المنجل المبجلة ماري كوري.

- سمعتُ عنها.

- جئتُ حاملةً خبر وفاة.

- تابعي.

- يؤسفني إبلاغك بأن شقيقتك ماريسا فيرجسن قُطفت على يد المنجل كوري اليوم عند الواحدة والربع ظهرًا. تؤسفني خسارتك.

لم يبدُ الرجل منزعجًا أو مصدومًا، وبدا مستسلمًا: «أهذا كل شيء؟».

- أهذا كل شيء؟! ألم تسمعني؟ قلت لك للتو إن شقيقتك قُطفت اليوم.

تنهَّد الرجل قائلًا: «لا بُد مما ليس منه بُد».

إذا لم تكن سيترا لا تطيق الطونيين سلفًا، لصارت لا تطيقهم الآن قطعًا.

سألته: «أهذا كل ما ستقوله؟ أهذه هي العبارة «المقدسة» التي ترددها جماعتك؟».

- إنها ليست عبارة، بل مجرد حقيقة بسيطة نعيش وفقًا لها.

- أجل، لا يهم، عليك القيام بترتيبات جثمان شقيقتك، لأن هذا أيضًا مما ليس منه بُد.

- لكن إذا لم أتولَّ الترتيبات، ألن يتدبَّر الرَّأس السَّحابي أمر الجنازة؟

- ألا تكترث إطلاقًا؟

تمهَّل الرجل لحظة قبل أن يجيب: «الموت على أيدي المناجل ليس موتًا طبيعيًا، ونحن الطونيين لا نعترف به».

تنحنحت سيترا، وأمسكت لسانها عن الكلمات اللاذعة التي أرادت قولها، وبذلت ما بوسعها حتى تلتزم بالمهنية: «يوجد أمر آخر. رغم أنك لم تكن تعيش معها، فأنت قريبها الوحيد حسب السجلات الرسمية، وهذا يخولك نيل حصانة من القطف لمدة عام».

- لا أريد الحصانة.

- لست متفاجئة.

هذه كانت أول مرة تصادف فيها شخصًا يرفض الحصانة. حتى أشد المفجوعين يقبِّلون الخاتم.

قال الأخ فيرجسن: «أدَّيتِ واجبك. يمكنك الانصراف الآن».

لم يسع سيترا كبح إحباطها لمدة أطول. لم يكن بوسعها الصياح بالرجل، ولا استخدام حركات البوكاتور لركله على عنقه أو إسقاطه بضربة مرفق، فأقدمت على الفعل الوحيد الذي يمكنها فعله، أخذت المطرقة المطاطية وأفرغت غضبها بضربة واحدة قوية على الشوكة الرنانة.

تردد صدى الشوكة قويًا جدًا، أحست سيترا به في أسنانها وعظامها، لم يصدر صوتًا كرنين جرس أجوف، إنما كان طنينًا مشبَّعًا كثيفًا، ذوَّب غضب سيترا، وبدَّده، وجعل عضلاتها تسترخي، وفكها يتدلى، وتردد صداه في دماغها وأحشائها وعمودها الفقري. واستمر الرنين مدة أطول مما ينبغي، ثم بدأ يتلاشى ببطء. لم تتعرض سيترا لشيء صادم مثير للأعصاب ومهدئ في آنٍ واحد كهذا من قبل، ولم يسعها سوى قول: «ما هذا؟».

أجابها الأخ فيرجسن: «إنه صوت «**صول** مرتفع»، لكن ثمة جدلًا قائمًا بين الإخوة، إذ يرون أنه صوت «**لا** منخفض»».

كانت الشوكة ما تزال تصدر رنينًا خافتًا، ورأتها سيترا تهتز بحواف ضبابية، ولمسته، فسكن على الفور.

قال الأخ فيرجسن: «أعرف أنك تودين طرح أسئلة، سأجيب عما أستطيع».

أرادت سيترا إنكار كلامه، لكنها وجدت فجأة أنها تريد طرح أسئلة: «ما الذي تؤمنون به؟».

- نؤمن بأشياء عديدة.
- أخبرني بشيء.
- نؤمن بأن النيران لم توجد لتكون مشتعلة للأبد.

نظرت سيترا إلى الشموع التي جوار المذبح: «ألهذا كان الخوري يطفئ الشموع؟».

- هذا جزء من الطقوس، نعم.
- هل تعبدون الظلام إذن؟
- لا، هذه فكرة مغلوطة شائعة، ويستغلها الناس لتشويه سمعتنا. إننا نعبد أطوال الموجات والذبذبات التي تتجاوز حدود البصر البشري. نؤمن **بالرنين العظيم**، وأنه الذي سيحررنا من الركود.

الركود.

إنها الكلمة التي استخدمتها المنجل كوري لوصف الأشخاص الذين تختار قطفهم.

ابتسم الأخ فيرجسن، وقال: «وجد شيءٌ من كلامي صدى لديك، أليس كذلك؟».

أشاحت بوجهها، راغبة في تجنب عينيه النافذتين، ووجدت عينيها تستقران على الحوض الحجري، فأشارت إليه: «ماذا عن المياه القذرة؟».

- إنه نقيع بدائي، يطفح بالميكروبات. في الماضي في عصر الفانين لأمكن لهذا الحوض وحده إبادة سكان بلاد بأكملها. كان يسمى بـــ «الأمراض».

- أعرف ما كان يُسمى.

غمس الرجل إصبعه في الماء اللزج وحرَّكه قائلًا: «الجدري، شلل الأطفال، الإيبولا، الجمرة الخبيثة... كلها هنا، لكنها لم تعد تؤذينا الآن، لن نمرض حتى إذا رغبنا».

رفع إصبعه من الماء النتن ولعقه، وأردف: «يمكنني شراب الوعاء بأكمله ولن يسبب لي عسر هضم».

غادرت سيترا دون أن تتفوه بكلمة أخرى، ودون التفات، لكن لم تستطع تبديد نتانة المياه القذرة من منخريها طوال اليوم.

لا علاقة بين مُهمَّتي وبين مهمَّة الرَّأس السَّحابي، مُهمَّة الرَّأس السَّحابي هي الحفاظ على حيوات البشر، ومهمَّتي هي إضفاء التَّوازن عليها. الرَّأس السَّحابي هو الجذر، وأنا المقص، أُشذِّب الأغصان حتى تبدو جميلة الهيئة وأحافظ على حيويَّة الشجرة. كلانا مهم، وكلانا ينفرد بمهمَّته.

لا أفتقد ما يسمَّى بالعلاقة مع الرَّأس السَّحابي، كما لا يفتقدها المناجل المبتدئون الذين صرت أراهم أتباعًا لي. أرى أنَّ عدم تطفُّل الرَّأس السَّحابي على حياتنا نعمة لنا، فهكذا نعيش دون شبكة أمان، ودون الاتِّكاء على قوَّة عليا. أنا أعلى قوَّة أعرفها، ويروقني هذا الوضع.

أما فيما يتعلَّق بأساليب قطفي، التي تجد الاستنكار من حين إلى آخر، أكتفي بقول هذا: أليست مهمَّة البستاني هي تشذيب الأشجار بقدر الإمكان؟ والأغصان التي ترتفع ارتفاعًا غير مقبول ألا ينبغي أن تُقطع أولًا؟

- من مذكِّرات قطف م. م. غودارد

23

الشبكة الافتراضية المعقدة

يوجد مكتب في الصالة التي بجوار غرفة سيترا، ومثل بقية المنزل، به نوافذ على عدة جوانب، ومثل أي شيء في حياة المنجل كوري مرتب ترتيبًا دقيقًا، فيه شاشة حاسوب، تستخدمها سيترا في دراستها، إذ إن المنجل كوري، خلافًا لفاراداي، لا تنفر من الوسائل الرقمية في عملية التعلم. ويمكن لسيترا، بوصفها متتلمِذة لدى منجل، الوصول إلى قواعد البيانات والمعلومات غير المتاحة لمعظم الناس، وقواعد البيانات هذه تسمى بـ «الدماغ الخلفي»، وتشتمل على جميع البيانات في ذاكرة الرَّأس السَّحابي غير المتاحة لاطِّلاع عامة الناس عليها.

قبل أن تبدأ سيترا تلمذتها، عندما تريد أن تجري بحثًا عاديًا، كان الرَّأس السَّحابي يتدخل دومًا، ويقول لها كلامًا مثل: *أرى أنك تبحثين عن هدية، هل لي أن أسألك لمن الهدية؟ ربما يمكنني مساعدتك على إيجاد شيء مناسب.* أحيانًا كانت تسمح للرأس السحابي بمساعدتها، وأحيانًا تفضل البحث وحدها. لكن منذ أن أصبحت متتلمِذة انقطع اتصالها بالرَّأس السَّحابي، وصار مجرد مخزن بيانات.

ذات يوم قال المنجل فاراداي لها: «عليك أن تعتادي صمت الرَّأس السَّحابي، المناجل غير مسموح لهم بمحادثته. لكن بمرور الوقت ستصبحين ممتنة للصمت وتعلمك الاعتماد على نفسك».

والآن، أكثر من أي وقت مضى، صارت في أمس الحاجة إلى إرشاد ذكاء الرأس الاصطناعي وهي تبحث في ملفات بياناته، لأن النظام العالمي للكاميرات العامة بدا مصممًا لعرقلة جهودها. ورأت أن محاولاتها لتعقب تحركات المنجل في يوم وفاته أصعب مما ظنت، فتسجيلات الفيديو في الدماغ الخلفي ليست مرتّبة حسب الكاميرات، أو حتى حسب مواقعها، وبدا أن الرّأس السَّحابي يربط بينها حسب موضوعها، مثلًا يربط لحظات أنماط حركة المرور المتطابقة في بقاع مختلفة من العالم، ويربط مشاهد تتضمن أشخاصًا تتشابه طريقة مشيهم. وعلى هذا النحو قادتها مجموعة فيديوهات إلى صور غروب خلابة التقطتها كاميرات الشوارع. ثم أدركت سيترا أن ذاكرة الرّأس السَّحابي الرقمية مصمَّمة بحيث تشبه دماغًا بيولوجيًّا، كل لقطة من كل تسجيل فيديو متصلة بمئات التسجيلات التي تنتمي إلى فئات مختلفة، مما يعني أن كل رابط تتبعه سيترا يقودها إلى شبكة معقدة من الخلايا العصبية الافتراضية، كما لو أنها تحاول قراءة أفكار شخص بتشريح قِشرته الدماغية. كان أمرًا يدفع سيترا إلى الجنون.

كانت تعرف أن هيئة المناجل قد أنشأت خوارزمياتها الخاصة بها من أجل البحث في المحتويات غير المنظَّمة الموجودة في الدماغ الخلفي. لكن ليس بمقدور سيترا سؤال المنجل كوري دون إثارة شكوكها، فالمرأة أثبتت أن بوسعها اكتشاف أي كذبة تقولها سيترا، لذا رأت ألا تضع نفسها في موقف يضطرها إلى الكذب.

بدأ البحث بوصفه مشروعًا، وسرعان ما تحول إلى تحدٍّ، والآن صار هَوَسًا. صارت سيترا تمضي ساعة أو ساعتين خلسة يوميًّا محاوِلةً العثور على لقطات تُظهِر تحركات المنجل فاراداي الأخيرة، لكن بلا جدوى.

وتساءلت عما إذا كان الرّأس السَّحابي، مسربلًا بصمته، يشاهد ما تفعله. ويحك! *إنك تنقّبين في دماغي*، ولقال إن أمكنه الكلام، بغمزة افتراضية: *يا لك من فتاة شقية!*

وبعد عدة أسابيع هبط على سيترا إلهام: إذا كان كل ما يُحمَّل إلى الرّأس السَّحابي يُخزَّن في الدماغ الخلفي، فإذن لا تُخزَّن فيه السجلات العامة فحسب، بل والشخصية أيضًا. غير متاح لها الاطلاع على سجلات الآخرين الخاصة، لكن كل شيء حمَّلته هي سيكون متاحًا لها، مما يعني أن بوسعها بدء البحث ببيانات تخصها هي.

«ما من قانون فِعلي ينص على عدم السماح لي بزيارة أسرتي في أثناء تتلمُذي».

فتحت سيترا الموضوع في أثناء العشاء ذات ليلة، دون مقدمات أو سياق نقاش، وقد قصدت مباغتة المنجل كوري، لكن سيترا لم تتأكد من نجاحها لأن المنجل كوري استغرقت وقتًا طويلًا لترد، تناولت ملعقتين من الحساء قبل أن تقول أي شيء. «إنها ممارسة متعارَف عليها، وهي حكيمة في رأيي».

- إنها قاسية.

- ألم تحضري زفافًا عائليًّا قبل مدة؟

تساءلت سيترا عن كيفية معرفة المنجل كوري بأمر الزفاف، لكنها لم ترغب في أن تحيد عن الموضوع، فقالت: «ربما أموت بعد بضعة أشهر. أرى أن من حقي رؤية أسرتي بضع مرات حتذاك».

تناولت المنجل كوري ملعقتين أخريين من الحساء ثم قالت: «سأفكر في الأمر».

وفي النهاية وافقت، كما توقعت سيترا، فالمنجل كوري كانت امرأة عادلة، وسيترا لم تكذب، كانت فعلًا تريد زيارة أسرتها، فلم تستطع المنجل قراءة الخداع على وجه سيترا لأنه لم يكن موجودًا. لكن بطبيعة الحال زيارة الأسرة لم تكن هدف سيترا الوحيد من الذهاب إلى البيت.

***

بدا كل شيء في شارع منزل سيترا كما كان وهي تسير فيه مع المنجل كوري، لكن كل شيء كان مختلفًا، راودها إحساس حنين باهت، لكنها لم تكن متأكدة مما تحن إليه، كل ما كانت تعرفه هو أن السير في شارع منزلها صار فجأة كالسير في بلاد أجنبية يتكلم الناس فيها لغة لا تفهمها. استقلتا المصعد إلى شقة سيترا مع امرأة مكتنزة معها كلب أكثر اكتنازًا، وكانت المرأة مرعوبة بالطبع، والكلب لم يبدُ مكترثًا. المرأة اسمها السيدة يلتنر، وقبل مغادرة سيترا كانت قد قللت نسبة الدهون في جسدها وصارت رشيقة، لكن جسدها كان يعاني بسبب شهيتها المفتوحة على مصراعيها، فتراكمت الدهون في أماكن غير مرغوبة.

قالت سيترا: «مرحبًا يا سيدة يلتنر». وأحست بالذنب لتسلِّيها بذعر المرأة الذي تحاول إخفاءه.

قالت: «ســ... سررت برؤيتك». وكان من الواضح أنها لا تتذكر اسم سيترا: «ألم يحدث قطف في طابق شقتكم في بداية هذا العام؟ لم أظن أن من المسموح الهجوم على المبنى نفسه قبل مُضي وقت طويل».

قالت سيترا: «بل مسموح، لكننا لم نأتِ للقطف اليوم».

وأردفت المنجل كوري: «لكن كل شيء وارد الحدوث».

وعندما بلغ المصعد طابق السيدة يلتنر تعثرت على كلبها في خضم استعجالها الخروج.

كان يوم أحد، ووالدا سيترا وشقيقها موجودون بالمنزل، في انتظارها. الزيارة لم تكن مفاجئة، لكن بدت الدهشة على وجه والدها عندما فتح الباب.

«مرحبًا أبي». عانقها عناقًا أحست به سيترا دافئًا، وفي الوقت نفسه مجرد أداء واجب.

قالت والدتها: «اشتقنا إليك يا عزيزتي».

وعانقتها أيضًا. وبقي بِن على مبعدة وهو يحدق إلى المنجل.

قال والدها للمرأة ذات الرداء البنفسجي: «كنا نتوقع مجيء المنجل فاراداي».

فقالت سيترا: «إنها قصة طويلة. لدي مرشدة جديدة الآن».

اندفع بن قائلًا: «أنتِ المنجل كوري!».

وبَّخته والدتهما: «بن! لا تكن فظًّا!».

- لكنكِ المنجل كوري، أليس كذلك؟ رأيت الصور، إنك مشهورة.

ابتسمت المنجل ابتسامة تواضع، وقالت: «أو بالأحرى سيئة السمعة».

أشار السيد تيرانوفا إلى صالة الجلوس قائلًا: «تفضلا بالدخول».

لكن المنجل كوري لم تدخل، وقالت: «لدي عمل في مكان آخر، لكنني سأعود لاصطحاب سيترا عند الغسق». وأومأت لوالدَي سيترا، وغمزت لبِن، ثم

استدارت وغادرت. وحالما أُغلق الباب بدا والدا سيترا منهارين قليلًا، كأنهما كانا يحبسان أنفاسهما.

قال بن لسيترا متحمِّسًا: «لا أصدق أنك تتدربين على يد المنجل كوري، سيئة الموت العظمى!».

- سيدة الموت، ليست سيئة الموت.

قالت والدة سيترا: «لم أكن أعرف أنها ما تزال موجودة. هل يضطر جميع المناجل إلى قطف أنفسهم في النهاية؟».

قالت سيترا: «لسنا مضطرين إلى فعل أي شيء».

وقد تفاجأت قليلًا من مدى ضحالة معرفة والديها بشؤون هيئة المناجل: «المناجل لا يقطفون أنفسهم إلا برغبتهم». وقالت مع نفسها: *أو يُقتَلون*.

وجدت غرفتها كما تركتها، لكنها أنظف.

قالت والدتها: «وإذا لم تُنصَّبي فيمكنك العودة إلى المنزل ومواصلة حياتك كأنك لم تغادري».

لم تقل سيترا لها إنها لن تعود إلى المنزل في كل الأحوال. إذا نالت المنجلية فعلى الأرجح ستعيش مع المناجل المبتدئين الآخرين، وإذا لم تُنصَّب منجلًا، فلن تعيش أبدًا. لم يكن والداها يحتاجان إلى معرفة هذا.

قال والدها: «إنه يوم إجازتك، ما الذي تريدين فعله؟».

بعثرت سيترا محتويات درج مكتبها حتى عثرت على كاميرتها، وقالت: «فلنخرج لنتمشى».

تبادلوا أحاديث مقتضبة، ورغم أن سيترا كانت سعيدة بوجودها مع أسرتها، فقد أحست بالهوة التي بينها وبينهم صارت أعمق من ذي قبل. تمنَّت لو أمكنها الحديث عن أشياء كثيرة، لكنهم لن يفهموها، ولن يستوعبوا وضعها وما تمر به. لن تستطيع محادثة والدتها عن تعقيدات حرفة القتل، ولن تستطيع أن تبوح لوالدها بعبء لحظة تلاشي الحياة من عين شخص. لم تحس بشيء من الراحة في الحديث إلَّا مع شقيقها.

قال لها: «حلمت بأنك جئت إلى مدرستي وقطفتِ جميع الأوغاد».

قالت سيترا: «حقًا؟ وكنتُ أرتدي عباءة بأي لون؟».

تردد بن: «فيروزي، على ما أظن».

«إذن سيكون اللون الذي أختاره».

ابتسم بن ابتسامة واسعة.

«ما الاسم الذي سنطلقه عليكِ بعد تنصيبك؟». سألها والدها كأن الأمر محسوم.

لم تفكر سيترا في أمر اسمها من قبل، ولم تسمع منجلًا يخاطَب باسم غير اسم قدوته التاريخية أو بـــ «جنابك». هل أفراد الأُسر ملزمون بهذه الأسماء والألقاب أيضًا؟ لم تكن قد اختارت قدوتها بعد، وتهربت من السؤال قائلة: «أنتم أسرتي، يمكنكم مخاطبتي بما تشاؤون».

وتمنَّت أن يكون كلامها صحيحًا.

تمشوا في أنحاء البلدة. وساروا جوار البيت الصغير الذي كانت تعيش فيه مع روان والمنجل فاراداي، لكن سيترا لم تخبرهم بهذا. وتجاوزوا محطة القطار الأقرب إلى البيت، وحيثما ذهبوا كانت سيترا تصر على التقاط صورة عائلية، كل صورة من زاوية قريبة من زاوية أقرب كاميرا عامة.

كان اليوم مرهقًا نفسيًا. أرادت سيترا أن تمكث مدة أطول، لكن جزءًا منها لم يستطع انتظار وصول المنجل كوري. وعقدت العزم على عدم الإحساس بالذنب من رغبتها في الذهاب، إذ نالت كفايتها من الإحساس بالذنب. كان المنجل فاراداي مولعًا بقول: «الإحساس بالذنب هو ابن عم الندم».

لم تطرح المنجل كوري على سيترا أي أسئلة عن الزيارة وهما في طريقهما إلى المنزل، وكانت سيترا راضية بعدم الكلام عن الزيارة أيضًا، لكنها طرحت على المنجل سؤالًا: «هل يخاطبك أي أحد باسمك؟».

- المناجل الآخرون، الذين أعاملهم بود، يسمونني ماري.

- من الاسم ماري كوري؟

- قدوتي التاريخية كانت امرأة عظيمة، هي التي صاغت مصطلح «النشاط الإشعاعي»، وكانت أول امرأة تفوز بجائزة نوبل، عندما كانت الجوائز تُمنح مكافأة على الإنجازات العلمية.

- لكن ماذا عن اسمك الحقيقي؟ الاسم الذي سُميتِ به عند ولادتك؟

تمهلت المنجل كوري قبل الإجابة، وأخيرًا قالت: «لا أحد في حياتي يعرف هذا الاسم سواي».

- ماذا عن أسرتك؟ لا بد أنهم ما زالوا موجودين، جميعهم لديهم حصانة من القطف ما دمتِ على قيد الحياة.

تنهَّدت: «لم أتواصل مع أسرتي منذ أكثر من مئة عام».

تساءلت سيترا عما إذا سيصبح هذا حالها. هل يفقد جميع المناجل صلاتهم بكل من كانوا يعرفونهم وكل صفاتهم التي كانوا يتسمون بها قبل اختيارهم؟

قالت المنجل كوري أخيرًا: «سوزان. عندما كنت فتاة صغيرة كانوا يدعونني بسوزان، سوزي، سو».

- سررت بمعرفتك يا سوزان.

وجدت سيترا أن من المستحيل تقريبًا تخيُّل المنجل كوري فتاة صغيرة.

وبعدما وصلتا إلى المنزل، حمَّلت سيترا صورها إلى الرَّأس السَّحابي دون أن تقلق من رؤية المنجل لما تفعله، إذ ما من شيء غير معتاد أو مثير للريبة في هذا، فالجميع يحمِّلون صورهم، وستثير الشكوك إذا لم تفعل هي.

وفي وقت متأخر من الليلة، بعدما تأكدت سيترا من نوم المنجل كوري، ذهبت إلى المكتب، واتصلت بالشبكة واستعادت الصور، وهذه كانت مهمة سهلة لأن الصور محدَّدة بوسم. ثم راحت تنقِّب في الدماغ الخلفي، وتابعت جميع الروابط التي أنشأها الرَّأس السَّحابي لصورها، ووجدت صورًا أخرى لأسرتها، إلى جانب أُسر أخرى تشبه أسرتها بطريقةٍ ما، وهذا أمر متوقَّع، لكنها وجدت أيضًا روابط أخرى لفيديوهات التقطتها كاميرات الشوارع في الأماكن نفسها، وهذا ما كانت تبحث عنه بالضبط. حالما أنشأت خوارزميتها

الخاصة بها لفرز الصور غير ذات الصلة التي التقطتها كاميرات الشوارع، تحصلت على مجموعة كاملة من فيديوهات المراقبة. وبالطبع ما زالت لديها ملايين الملفات العشوائية، لكن على الأقل جميعها تسجيلات محصورة في حي المنجل فاراداي.

حمّلت صورة للمنجل فاراداي لترى إذا ما بإمكانها عزل الفيديوهات التي يظهر فيها المنجل، لكن لم تظهر لها نتيجة، كما توقعت. سياسة رفع الرَّأس السَّحابي يده عن شؤون المناجل تعني أن صور المناجل لا تُحدَّد بأي وسوم. لكن رغم هذا نجحت في تضييق نطاق البحث من مليارات التسجيلات إلى ملايين. بيد أن تعقُّب تحركات المنجل فاراداي في يوم موته كان كالبحث عن إبرة في حقل من أكوام قش مترامية على مد البصر. ورغم هذا عقدت سيترا العزم على العثور على ما تبحث عنه، مهما طال بحثها.

عمليّات القطف ينبغي أن تكون أيقونيّة، وأن ترسخ في الذّاكرة، وأن تكون ملحميّة أسطوريّة مثل المعارك العظيمة في عصر الفانين، وأن تسير بها الركبان، فتغدو خالدة مثلنا. هذه هي الغاية من وجودنا نحن المناجل، أن نُبقي البشريّة على اتّصال مع ماضيها، مُصفّدةً بالفناء. صحيح أنّ معظمنا سوف يعيش إلى الأبد، لكن بعضًا منّا، بفضل هيئة المناجل، لن يعيش. والذين سيُقطَفون، ألسنا مدينين لهم -على الأقل- بنهاية دراماتيكية مثيرة؟

- من مُذكّرات قطف م. م. غودارد

24

خزيٌ لنا ولهويّتنا

إنه الخدَر. صار روان يحس بالخدر يكتنفه، الذي قد يكون أمرًا جيدًا لرُشده المُعرَّض للخطر، لكنه ليس جيدًا لروحه.

قال المنجل فاراداي له ذات يوم: «لا تفقد إنسانيتك أبدًا، وإلا فلن تكون سوى آلة قتل».

استخدم كلمة «قتل» بدلًا من «قطف». لم يفكر روان كثيرًا في الفرق عندئذٍ، لكنه فهم الآن، لا يعود الفعل قطفًا حالما يفقد المرء حساسيته تجاه الفعل.

بيد أن فضاء الخدر الشاسع لم يكن أسوأ مكان يمكن أن يوجد فيه روان، فالخدر كان مجرد مَطْهَر يسوده اللون الرمادي. كلا، ثمة مكان أسوأ، وهو الظلام متنكّرًا على هيئة تنوير، مكانٌ يسوده اللون الأزرق الملكي المرصع بالماس الذي يتلألأ كالنجوم.

«لا لا لا!». زعق المنجل غودارد وهو يشاهد روان يتدرب على استخدام الأسلحة البيضاء بسيف ساموراي يضرب به دمى محشوة بالقطن: «ألم تتعلم شيئًا؟».

كان روان مغتاظًا، لكنه كظم غيظه، وعدَّ حتى الرقم عشرة في ذهنه قبل أن يلتفت ويواجه المنجل، الذي اقترب منه قاطعًا باحة القصر الأمامية، التي تناثرت عليها نُدف القطن والزغب.

«فيمَ أخطأت الآن جنابك؟». صارت كلمة «جنابك» كلمة بذيئة بالنسبة إلى روان، ولم يسعه سوى بصقها كما يليق بكلمة بذيئة. «بترتُ رؤوس خمسة منهم بترًا لا تشوبه شائبة، ونزعت أحشاء ثلاثة، وقطعت الشرايين الأورطية عند البقية. إذا كان أيٌّ منهم حياً لمات الآن. لم أفعل سوى ما أردتَه».

قال المنجل: «هذه هي المشكلة. الأمر لا يتعلق بما أريده، إنما بما تريده أنت. *أين شغفك؟* إنك تهاجم مثل روبوت!».

تنهَّد روان، وأعاد سيفه إلى غمده. والآن سيتلقى محاضرة، أو بالأحرى خطبة، لأن المنجل غودارد لا يحب شيئًا بقدر حبه للخطابة أمام جمهور، حتى لو كان الجمهور متمثلًا في شخص واحد.

بدأ: «الكائنات البشرية مفترِسة بفطرتها، وهذه الفطرة ربما يُهذِّبها التحضُّر، لكنها لن تُستأصَل منا استئصالًا تامًّا، تقبَّلها يا روان، ارضع من ثديها. ربما تظن أن القطف متعة مكتسَبة، لكنها ليست كذلك، جذوة إثارة الصيد ومتعة القتل كامنة فينا جميعًا، ابعثها من كمونها وعندئذٍ ستكون المنجل الذي يحتاج إليه هذا العالم».

ودَّ روان لو يمقت كل هذا، لكن صقْل مهارة المرء، مهما تكن طبيعة هذه المهارة، كانت جاذبة ومحفِّزة لروان. وما كرهه فعلًا هو أنه لم يكره رغبته هذه.

استبدل الخدم بالدمى أخرى جديدة، خيالات مآتة ذات أجل قصير جدًا. ثم أخذ غودارد سيف الساموراي من روان وأعطاه سكين صيد، من أجل موت أكثر حميمية.

قال غودارد له: «إنه خنجر مثل الذي يستخدمه مناجل تكساس، استمتع بما تفعله غاية المتعة يا روان، وإلا فلن تكون سوى آلة قتل».

صارت الأيام متشابهة، ركض صباحي مع المنجل راند، ورفع أثقال مع المنجل تشومسكي، وإفطار متوازن غذائيًّا يعده كبير الطهاة، ثم التدريب على المهارات القتالية مع المنجل غودارد نفسه. نصال، وسهام، ومقذوفات،

أو استخدام الجسد سلاحًا لإنزال الموت. ولم يستخدموا السموم إلا بوضعها على نصال الأسلحة.

قال المنجل غودارد: «القطف *أداء*، وليس مجرد *فِعل*. إنه أداء نابع من إرادة، والركون إلى السلبية وترك المهمة للسم خزيٌ لنا ولهويتنا».

أحاديث غودارد التبجُّحية لم تنقطع، ورغم أن روان كثيرًا ما كان يخالفه الرأي، لم يجادله أو يعبِّر عن ممانعته. وهكذا بدأ صوت غودارد يحل محل بوصلة روان الداخلية، وصار صوت تقدير الأشياء بداخل رأسه. ولم يدرك روان سبب حدوث هذا، لكن غودارد صار بداخل رأسه، يصدر الأحكام بشأن كل ما يفعله.

وكان يمضي فترات العصر في ممارسة التمارين العقلية مع المنجل فولتا، تمارين ذاكرة، وألعاب لتعزيز الحدة الذهنية. وأقصر جزء من يوم روان، قبيل العشاء، كان يمضيه في دراسة الكتب، لكنه وجد أن التمارين العقلية تساعده على ترسيخ ما تعلمه دون تكرار الدراسة.

«عليك أن تتعلم التاريخ والكيمياء الحيوية وعلم السموم إلى درجة الملل حتى تثير الإعجاب في الخلوة». تكلم غودارد ملوِّحًا بيده بإشارة اشمئزاز. «لطالما رأيت تعلم هذه الأشياء لا جدوى منه، لكن لا بد من إثارة إعجاب الأكاديميين، إلى جانب العمليين، في هيئة المناجل».

سأل روان: «أهذا ما تتسم به؟ هل أنت عملي؟».

أجابه المنجل فولتا: «المنجل غودارد صاحب رؤية، وهذا يضعه في مستوى أعلى من أي منجل آخر في وسطمريكا، وربما حتى العالم».

لم يخالف غودارد القول.

كانت الحفلات تُقام بلا انقطاع، تباغت القصر كأنها نوبات صَرع، ويتوقف كل شيء، حتى إنها كانت تحظى بالأولوية على تدريب روان، الذي لم تكن لديه أدنى فكرة عمن ينظمها، أو المكان الذي يأتي منه المحتفلون، لكنهم يأتون دومًا، ويرافقهم طعام يكفي لإطعام جيوش، وكل ضروب التفسخ الأخلاقي.

لم يكن روان متأكدًا مما إذا كان يُخيَّل إليه أم لا، لكن بدا له أن عدد المناجل والمشاهير الذين يترددون على حفلات غودارد ازداد مقارنة بأعدادهم عندما جاء في البداية.

وخلال ثلاثة أشهر صار التغير في هيئة روان الجسدية باديًا، وأصبح يمضي وقتًا أطول مما يريد أي أحد آخر أن يعرفه في تأمل تغيُّر جسده أمام مرآة طويلة في غرفة نومه. برزت عضلات بطنه وصدره، وانتفخت عضلات ذراعيه من حيث لا يدري، وصارت المنجل راند تصفع عضلة مؤخرته باستمرار، متوعِّدةً إياه بكل ألوان الأفعال الخليعة حالما يبلغ السن المناسبة.

وأخيرًا تمكن من التعامل مع مذكراته، وصار يكتب كلامًا يكاد أن يكون عميقًا، لكنه مختلَق، ولم يكتب قط ما يشعر به حقًّا، لأنه كان يعرف أن مذكراته «السرية» ليست سرية على الإطلاق، وأن المنجل غودارد يقرأ كل كلمة تَرِد فيها، لذا لم يكتب سوى الكلمات التي يود غودارد قراءتها.

رغم أن روان لم ينسَ تعهده لنفسه بالتخلي عن المنجلية لسيترا، كانت تمر به لحظات يتعمد فيها كبت رغبته في ذهنه، متيحًا لنفسه تخيل حاله إذا نُصِّب منجلًا. هل سيكون منجلًا مثلما كان فاراداي؟ أم سيتقبل تعاليم غودارد؟ وبقدر ما حاول روان الإنكار، فقد وجد منطقًا في رؤية غودارد. فأي مخلوق في الطبيعة يمقت وجوده ويحس بالخزي من وسائل بقائه؟

كان المنجل فاراداي يقول: *أصبحنا غير طبيعيين حالما تغلبنا على الموت*. لكن ألا يمكن أن يكون هذا سببًا للتمسك بكل ما بقي من السمات التي جبلتنا عليها الطبيعة؟ إذا تعلَّم أن يستمتع بالقطف، فهل ستكون هذه مأساة؟

احتفظ روان بهذه الأفكار لنفسه، لكن المنجل فولتا أمكنه قراءة ما يدور في خلد الفتى، ولو لم يعرف التفاصيل فعلى الأقل صار يعرف الطبيعة العامة لأفكار روان.

قال فولتا له: «أعرف أنك تتلمذت في البداية وتعلمت سمات مختلفة تمام الاختلاف عن السمات التي يُعلي المنجل غودارد من شأنها. إنه يرى التعاطف والتسامح ضعفًا، لكنك تتحلى بسمات بدأت تتقد فيك. سوف تكون منجلًا منتميًا إلى التوجُّه الجديد!».

من بين جميع مناجل غودارد المبتدئين كان فولتا هو أفضلهم وأقربهم إلى روان، الذي تخيل أنهما ربما يصبحان صديقين، حالما يصيران نِدين.

سأله فولتا ذات مساء بعد انتهاء تمرين الذاكرة: «أتتذكر الألم الذي أحسست به عندما ضربناك؟».

- وكيف عساي أن أنساه؟

- توجد ثلاثة أسباب لما فعلناه. الأول هو ربطك بأسلافنا، بتعريضك للألم والخوف من الألم، لأن هذا هو ما أدى إلى الازدهار الحضاري وتغلُّب البشر على فنائهم. السبب الثاني هو طقس العبور الذي لا بد أن تخضع له، وهو أمر نفتقده بشدة في عالمنا المستسلِم. لكن السبب الثالث ربما يكون الأهم، وهو أن التعرض لمعاناة الألم تحررنا فتجعلنا نشعر ببهجة أن نكون بشرًا.

بدا الكلام لروان كأنه على شاكلة كلمات غودارد الرنانة الفارغة، لكن فولتا لم يكن مثل غودارد من هذه الناحية، فعادةً ما لا يتكلم فولتا مستعرضًا أفكارًا جوفاء.

قال روان: «أحسست بقدر كبير من البهجة في حياتي دون أن أتعرض لضرب مبرح».

أومأ فولتا: «أحسستَ بشيء من البهجة، بنذر يسير مقارنة بما يمكن أن تحس به. لا يمكننا التمتع بالبهجة الحقيقية دون الشعور بتهديد المعاناة، ومن دونها أفضل ما يمكن أن نناله هو عدم المعاناة».

لم يخطر لروان رد على كلام فولتا، لأنه بدا له صحيحًا. فقد عاش حياة خالية من المعاناة، وأسوأ ما كان يشكو منه هو التهميش، لكن ألا يشعر الجميع بالتهميش؟ كل الناس يعيشون في عالمٍ لا يهم فيه ما يفعله المرء. البقاء على قيد الحياة مضمون، والطعام وفير، والراحة متاحة، والرَّأس السَّحابي يلبي احتياجات الجميع. إذن عندما لا يعوز المرء شيئًا، فما الحياة سوى انعدام المعاناة؟

قال فولتا: «والآن مع إيقاف وحداتك المجهرية التي تخفِّف الألم إيقافًا تامًا، سوف تفهم في نهاية المطاف، سوف تفهم حتمًا».

ظلت إزمي لغزًا. أحيانًا تنزل لتناول الطعام معهم، وأحيانًا تظل في غرفتها. أحيانًا يراها روان تقرأ في أماكن مختلفة في أنحاء القصر، تقرأ كتبًا ورقية من عصر الفانين يبدو أن مالك القصر جمعها قبل أن يتنازل عن كل شيء للمنجل غودارد. ودائمًا ما تختبئ من روان، أيًا كان ما تقرؤه، كأنها مُحرَجة منه.

سألته: «هل ستمكث هنا عندما تصبح منجلًا؟».

- ربما، وربما لا أمكث، وربما لن أصبح منجلًا. إذن ربما لن أكون في أي مكان.

تجاهلت الجزء الأخير من إجابته قائلة: «ينبغي لك أن تمكث».

حقيقة أن تبدو هذه الفتاة ذات الأعوام التسعة معجبة به كانت تعقيدًا إضافيًا وجد روان أنه في غِنى عنه. بدت الفتاة كأنها تنال كل ما تريده، فهل هذا يعني أنها ستناله هو أيضًا إذا أرادت؟

«اسمي إزميرالدا، لكن الجميع يدعونني بإزمي». أخبرته وهي تتبعه إلى غرفة رفع الأثقال ذات صباح. عادة ما يكون روان لطيفًا مع الأطفال، لكن منذ أن أُمِر بأن يكون لطيفًا، أحس فجأة برغبة في التعامل مع إزمي بجفاء.

- أعرف، أخبرني المنجل غودارد. يجدر بكِ ألا تكوني هنا، هذه الأثقال خطيرة.

قالت له: «وأنت يُفترض ألّا تكون هنا دون مراقبة المنجل تشومسكي». ثم جلست على مقعد ولم تُظهِر ما يشير إلى نيَّتها في المغادرة: «إذا أردتَ، يمكننا أن نلعب لعبة أو شيئًا من هذا القبيل عندما تنتهي من التدريب».

- لا ألعب أي ألعاب.

- حتى الورق؟

- حتى الورق.

- لا بد أنك تعيش مللًا.

- لم أعد أشعر بالملل.

- سأعلمك لعب الورق غدًا بعد العشاء.

وبما أن إزمي تنال ما تريده، تفرَّغ روان لها في الموعد المحدد، بصرف النظر عن رغبته.

ذكَّر المنجل فولتا روان بعد انتهائه من اللعب معها: «يجب علينا الحرص على أن تظل إزمي سعيدة».

- لماذا؟ لا يبدو غودارد مهتمًا بأي أحد لا يرتدي عباءة المناجل، فلماذا هو مهتم بها؟

- عاملها معاملة لائقة فحسب.

- إنني أعامل الجميع معاملة لائقة. في حال لم تلاحظ، فأنا شخص محترم.

ضحك فولتا: «تمسَّك بهذه الصفة لأطول مدة ممكنة».

تكلم كما لو أن الأمر في غاية الصعوبة.

ثم جاء اليوم الذي ألقى فيه المنجل غودارد بحجر في بركة حياة روان الساكنة الرتيبة، جاء دون سابق إنذار، ككل ما يفعله المنجل غودارد. وقعت الحادثة في أثناء التدريب على المهارات القتالية. قُرِّر أن يتدرب روان بنصلين، خنجر في كل يد، وقد كان النصلان صعبين عليه، إذ يفضِّل يده اليمنى، وغير بارع بيسراه. كان يروق للمنجل غودارد تصعيب الأمور على روان في التدريبات ودائمًا ما يعنِّفه تعنيفًا قاسيًا عندما لا يرتقي الأداء إلى مستوى مُتخيَّل من الكمال، لكن روان ظل يفاجئ نفسه، وتحسَّن تحسنًا مطردًا في استخدام الأسلحة، حتى إنه انتزع إقرارات بسيطة بجودة أدائه من غودارد.

كان غودارد يقول: «مقبول»، أو «لم يكن أداءً مُخيِّبًا تمامًا». وهذه أعلى درجات الإطراء عند الرجل.

ورغمًا عن نفسه أحس روان بالرضا كلما نال استحسان غودارد. واضطر إلى الإقرار بأنه بدأ يحب التلويح بالأسلحة المميتة، أحبَّه شيئًا فشيئًا كما يحب المرء أي رياضة أخرى، أحب المهارة من أجل ذاتها، ثم أحب إحساس الإنجاز عندما أتقن المهارة.

وفي هذا اليوم اتخذت الأمور منعطفًا وخيمًا. كان واضحًا من لحظة خروج روان إلى الباحة أن خطبًا ما سيقع، لأن الدُّمى لم توضع في أماكنها، وبدلًا منها رأى روان اثني عشر شخصًا على الأقل يتسكعون في الباحة، لم يفهم ما يجري في بادئ الأمر، وكان ينبغي له أن يعرف أن شيئًا مختلف لأن جميع المناجل المبتدئين موجودون اليوم ليشاهدوا تدريبه، فعادة ما يكون غودارد وحده.

سأل روان: «ماذا يجري هنا؟ لا يمكنني التدرب وهؤلاء الناس هنا، اطلب منهم الابتعاد».

ضحكت المنجل راند عليه: «إنك بطيء الفهم على نحو جذاب».

قال المنجل تشومسكي: «سيكون هذا مسليًا». وعقد ذراعيه مستعدًّا للاستمتاع بما سيحدث.

وعندئذٍ فهم روان أخيرًا. لم يكن الناس يتسكعون في الباحة، إنما كانوا واقفين ساكنين، تفصل بينهم مسافات منتظمة. كانوا في انتظاره. لن تُستخدم الدمى بعد الآن، سيكون تدريبه على أشخاص حقيقيين، ستكون المهارات القتالية قتلًا حقًا.

قال روان وهو يهز رأسه: «لا، لا، لا يمكنني فعل هذا!».

قال المنجل غودارد بهدوء: «أوه لكنك ستفعل».

- لكن... لكنني لم أُنصَّب بعد، لا يجوز لي أن أقطف!

قال المنجل فولتا واضعًا يده على كتف روان مواسيًا: «لن تقطف. توجد مُسيَّرات إسعاف في انتظار كل واحد منهم. حالما تنتهي من التدريب سيُنقلون بسرعة إلى أقرب مركز إنعاش، وسيكونون بأتم الصحة في غضون يوم أو يومين».

«لكن... لكن...». لم يعثر روان على حجة معقولة سوى قول: «هذا لا يجوز!».

تقدم المنجل غودارد نحوه قائلًا: «اسمع، يوجد ثلاثة عشر شخصًا في هذه الباحة، جميعهم جاؤوا هنا بمحض إرادتهم، وجميعهم دُفعت لهم مبالغ كبيرة مقابل خدمتهم، كلهم يعرفون سبب وجودهم هنا، يعرفون مهمتهم، وسعداء بتنفيذها، وأتوقع منك الأمر نفسه، فقم بمهمتك».

سحب روان نصليه ونظر إليهما، هذان النصلان لن يخترقا القطن اليوم، بل اللحم.

قال المنجل غودارد له: «القلوب والشرايين الوداجية. أجهِز على أهدافك بسرعة، وسنحسب لك وقتك».

أراد روان أن يحتجَّ، وأن يصر على أنه لا يستطيع أداء المهمة، لكن مهما قال له قلبه إنه لا يستطيع، فقد كان عقله يعرف الحقيقة.

نعم، يستطيع.

ظل يتدرب من أجل هذا تحديدًا. ما عليه سوى تعطيل ضميره، وعرف أن بمقدوره فعل هذا، وأرعبته معرفته.

قال غودارد: «عليك أن تُجهِز على اثني عشر منهم، واترك الأخير حيًّا».

- لماذا أترك الأخير؟

- لأنني قلت لك.

تذمر تشومسكي: «هيا، ليس لدينا اليوم بأكمله». فرمقه فولتا بنظرة نارية، ثم وجّه كلامه إلى روان بنبرة صبر: «الأمر يشبه القفز في حوض سباحة بارد، الترقّب أسوأ بكثير من الواقع. اقفز فحسب، أؤكد لك أنك ستكون على ما يرام».

بإمكان روان أن يغادر، بإمكانه رمي نصليه والدخول إلى القصر، بإمكانه إثبات إخفاقه هنا في هذه اللحظة، وربما لن يضطر إلى تحمُّل المزيد من هذا العناء. لكن فولتا كان يؤمن بقدرات روان، وكذلك غودارد، حتى إذا لم يقر بإيمانه علانية، وإلا فلماذا وضعه أمام هذا التحدي؟

أخذ روان نفسًا عميقًا، وأحكم قبضتيه على النصلين، واندفع إلى الأمام مطلِقًا صيحة حرب طغت على أجراس الإنذار التي تدوِّي بداخل روحه.

كان الأهداف رجالًا ونساءً، أعمارهم متفاوتة، ويمثلون مزيجًا من الأعراق، والهيئات الجسدية، مفتولي العضلات وبدينين ونحيلين. راح روان يزعق ويصيح ويلهث مع كل حركة طعن وقطع، تدرب تدريبًا جيدًا، وانغرز النصلان بدقة مثالية. حالما بدأ وجد أنه غير قادر على التوقف، يترك خلفه جسدًا صريعًا، وينتقل إلى الذي يليه، ثم الذي يليه. لم يقاوموا، ولم يهربوا خوفًا، ظلوا واقفين وتلقوا الطعنات. لم يكونوا مختلفين عن الدمى. تلطخ روان بالدماء، فلسعت عينيه، وتضمخ أنفه برائحتها. وأخيرًا وصل إلى الهدف الأخير، كانت فتاة في مثل سنه، وعلى وجهها ترتسم نظرة إذعان تتاخم الحزن، أراد أن ينهي حزنها، وأراد أن يكمل ما بدأه، لكنه تغلب على وحشية الصياد بداخله، وأرغم نفسه على لجم نصليه.

همست له: «افعلها، افعلها وإلا فلن أتقاضى أجري».

لكنه ألقى نصليه على العشب. اثنا عشر *شِميِّتًا*، وواحدة حية. استدار نحو المناجل، فراحوا يصفقون.

قال المنجل غودارد مغتبطًا كما لم يره روان من قبل: «أحسنت! أحسنت صنعًا!».

بدأت مُسيَّرات الإسعاف تهبط من السماء، وحملت ضحايا روان وهرعت بهم إلى أقرب مركز إنعاش. ووجد روان نفسه يبتسم، انفصم شيء بداخله، ولم يعرف إذا ما كان شيئًا جيدًا أم لا. وفي حين كان جزء منه يرغب في الجثو على ركبتيه وتقيؤ إفطاره، أراد جزء آخر منه أن يعوي رافعًا رأسه نحو السماء كذئب.

قبل عام إذا قال لي شخص إنَّني سأتعلَّم فنون استخدام أكثر من عشرين نوع سلاح أبيض، وإنني سأصبح خبير أسلحة ناريَّة، وسأعرف على الأقل عشر طرائق لإنهاء حياة رجل بيديَّ العاريتين - لضحكت ونصحت ذلك الشخص بضبط كيمياء دماغه. مذهلٌ ما يمكن أن يحدث خلال أشهر قليلة.

التدرُّب على يد المنجل غودارد مختلف عن التدرُّب على يد المنجل فاراداي، إنه محتدم، عنيف، ولا يمكنني إنكار أنني أتحسَّن في كل ما أفعله. إذا كنت سلاحًا، فأنا أُشحذ على آلة شحذ يوميًّا.

سيحين موعد خلوتي الثانية بعد بضعة أسابيع. الاختبار الأول لم يكن سوى سؤال بسيط، وقيل لي إنَّه سيكون مختلفًا المرة القادمة، لا أحد يدري ما سيُتوقَّع من المتتلمذين فعله، لكن يوجد أمرٌ واحد لا جدال فيه، وهو أنَّ العواقب ستكون وخيمة عليَّ إذا لم ينَل أدائي رضا غودارد.

كُلِّي ثقة بأنَّني سوف أنال رضاه.

- من مذكِّرات روان داميش/ منجل متتلمذ

25

مُفوّض الموت

ودَّ المهندس لو يظن أن عمله في معامل الدفع المغناطيسي مفيد، رغم أنه يبدو دومًا بلا جدوى، فالقطارات المغناطيسية تتحرك بأقصى درجة من الفاعلية، وتطبيقات وسائل النقل الخاصة لا تحتاج سوى إلى تعديلات بسيطة. لم يعد يوجد ما هو «جديد ومطوَّر»، فلم تبقَ سوى حيلة الموضات الجديدة *المختلفة*، والترويج الذي يسعى لإقناع الناس بأن الموضة هي كل شيء، لكن التقنيات الأساسية ظلت هي نفسها.

لكن نظريًا توجد استخدامات جديدة لم تدخل حيز التنفيذ بعد، وإلا فلماذا يكلفهم الرَّأس السَّحابي بالعمل؟

يوجد مديرو مشاريع يعرفون المزيد عن الهدف النهائي للعمل الذي يؤدونه، لكن لا أحد بوسعه رؤية الصورة الكاملة. ورغم هذا توفرت التخمينات، رأى العلماء منذ وقت طويل أن مزيجًا من الطاقة الشمسية والدفع المغناطيسي مطلوب من أجل الحركة في الفضاء بفاعلية، وصحيح أن فكرة السفر في الفضاء لم تعد مُحبَّذة منذ سنوات عديدة، لكن هذا لا يعني أنها ستظل غير مُحبَّذة دومًا.

ذات يوم أُرسِلت بعثات لاستعمار المريخ، ولاستكشاف أقمار المشتري، لكن كل بعثة انتهت بفشل كارثي ذريع، انفجرت السفن، ومات المستعمرون، والموت في الفضاء البعيد يعني الموت، موتًا تامًا كما لو أنهم قُطفوا. فكرة

الموت بلا عودة دون سيطرة المناجل كانت ثقيلة على العالم الذي تغلَّب على الفناء، فأدت الاحتجاجات العامة إلى إيقاف بعثات استكشاف الفضاء كافة. الأرض كانت موطننا، وستظل موطننا.

ولهذا خمن المهندس أن الرَّأس السَّحابي واصل العمل على هذه المشاريع بحذر وببطء شديدين حتى لا يلفت انتباه العامة، ولم يكن عمله سريًّا، لأن الرَّأس السَّحابي لا يقدر على العمل في الخفاء، إنما كان متحفظًا فحسب، تحفُّظًا حكيمًا.

ذات يوم في المستقبل، بينما الناس مشغولون بشؤونهم، ربما يعلن الرَّأس السَّحابي أن البشرية حققت إمكانية العيش خارج حدود كوكب الأرض. وقد تطلع المهندس إلى ذلك اليوم، وتوقع أنه سيحيا لرؤيته، ولم يخطر له أي سبب يمنعه من حضور ذلك اليوم.

حتى جاء اليوم الذي فرض فيه فريق مناجل حصارًا على مركزه البحثي.

أُوقظ روان عند الفجر بمنشفة أُلقيت على وجهه.

قال المنجل فولتا: «انهضي أيتها الجميلة النائمة. استحم وارتدِ ملابسك، اليوم هو اليوم».

- يوم ماذا؟

كان روان ما يزال مشوَّشًا غير قادر على الجلوس.

قال فولتا: «يوم القطف!».

- أتعني أنكم تقطفون فعلًا؟ ظننت أن كل ما تفعلونه هو الاحتفال وإنفاق أموال الآخرين.

- استعد فحسب أيها المتحذلق.

وعندما أوقف روان ماء الحمام سمع صوت طائرة مروحية، وعندما خرج إلى الباحة رآها في انتظارهم، ولم يتفاجأ روان بأنها مطلية بالأزرق الملكي ومرصعة بنجوم متلألئة، فكل شيء في حياة المنجل غودارد يدل على غروره.

كان المناجل الثلاثة الآخرون في الخارج سلفًا، يتدربون على أفضل حركاتهم المهارية، وعباءاتهم منتفخة، من الواضح أن طياتها محمَّلة بشتى ضروب الأسلحة. أحرق تشومسكي شجرة صغيرة في أصيص بقاذفة لهب.

قال روان: «حقًّا؟ قاذفة لهب؟».

هز تشومسكي كتفيه: «ما من قانون يمنعها. وعلى أي حال ما شأنك أنت؟».

خرج من القصر غودارد ماشيًا بخطوات واسعة، وقال: «ما الذي تنتظرونه؟ هيا بنا!». كأنهم لم يكونوا في انتظاره.

كانت اللحظة مشحونة بالأدرينالين والترقُّب، وفي أثناء سيرهم نحو المروحية، خطرت لروان لوهلة صورة لهم كأنهم أبطال خارقون، حتى تذكر هدفهم الحقيقي، فتشظت الصورة.

سأل روان المنجل فولتا: «كم عدد الذين ستقطفونهم؟». لكن فولتا هز رأسه وأشار إلى أذنه، إذ لم يستطع سماع روان بسبب ضجيج المروحية، التي جعلت عباءات المناجل ترفرف كأعلام تعصف بها الريح وهم يعبرون الباحة.

أجرى روان حسابات في ذهنه. المناجل مكلَّفون بخمس عمليات قطف أسبوعيًّا، وحسب ما يعرفه، هؤلاء الأربعة لم يسلبوا أي حياة خلال الأشهر الثلاثة التي أمضاها في القصر، وهذا يعني أن بإمكانهم قطف قرابة مئتي وخمسين شخصًا ولن يتجاوزوا حصصهم. لن يكون هذا قطفًا، إنما مجزرة.

تردد روان وتأخر عنهم، فلاحظه فولتا، وصاح له في خضم جلبة المروحية التي تصم الآذان: «**هل توجد مشكلة؟**».

لكن حتى لو تمكن روان من إيصال صوته، فلن يفهموه. هذا ما يفعله غودارد وأتباعه، هذا هو نهجهم، وعملهم المعتاد. هل يمكنه أن يكون هذا هو نهجه أيضًا؟ فكر في آخر تدريباته، التي استُخدم فيها الأهداف الأحياء، وتذكر الإحساس الذي راوده عندما جعلهم جميعهم شِمَيِّتين عدا واحدة، مقاومًا إحساسًا بدائيًّا بالانتصار، أحس به الآن وهو يقف عند باب المروحية. كما أحس، مع كل خطوة يخطوها متوغلًا في عالم غودارد، أنه يصعِّب على نفسه التراجع.

راح المناجل الأربعة ينظرون إليه الآن، مستعدين للذهاب في مهمتهم، ولا يعطلهم شيء سوى روان.

قال لنفسه: *لستُ واحدًا منهم، لن أقطف، سأذهب للمشاهدة فحسب.*

أرغم نفسه على الصعود على متن المروحية، وأغلق الباب، ثم حلَّقوا في السماء.

«لم يسبق لك ركوب مروحية، أليس كذلك؟». سأله فولتا وقد أخطأ تفسير تخوُّف روان.

- بلى، إطلاقًا.

قالت المنجل راند: «إنها الوسيلة الوحيدة اللائقة للتنقل».

وقال المنجل غودارد: «نحن ملائكة الموت، ولا يليق بنا سوى الهبوط الخاطف من السماوات».

حلَّقوا نحو الجنوب، فوق فولكرم سيتي، وإلى الضواحي الواقعة وراءها. وطوال الرحلة ظل روان يأمل صامتًا أن تتحطم المروحية، لكنه أدرك عُقم أمنيته، فحتى إذا تحطمت المروحية فسينتهي إنعاشهم بحلول نهاية الأسبوع.

***

هبطت طائرة مروحية على مهبط سقف المبنى الرئيسي، وقد كان هبوطًا غير متوقَّع، وغير مُعلَن، لم يحدث من قبل. يتحكم الرَّأس السَّحابي في حركة أي مركبة جوية، وحتى إذا كانت المركبة غير متصلة بالشبكة فدائمًا ما يُعلِن مَن على متنها عن قدومه ويطلب الإذن بالهبوط.

لكن هذا الشيء انشقت عنه السماء فجثم على السقف.

صعد أقرب حراس الأمن عبر السلالم من الطابق السادس إلى السقف، ورأى المناجل يترجلون، أربعة منهم، أزرق، وأخضر، وأصفر، وبرتقالي، وفتى يضع شارة التتلمُذ على ذراعه.

وقف الحارس في مكانه فاغرًا فمه، في حيرة من أمره، وفكر في التبليغ عن الأمر لموظفي المكتب الرئيسي، لكنه أدرك أن هذه الفعلة قد تُعرِّضه للقطف.

رأى منجلًا امرأة، ترتدي عباءة خضراء وشعرها داكن غرائبي وذات ملامح بان آسيوية تقترب منه مبتسمة ابتسامة واسعة.

قالت: «طق، طق».

أعجزه الانشداه عن الرد.

«قلتُ لكَ طق، طق».

وأخيرًا أجاب: «مـــ... من بالباب؟».

أدخلت يدها في عباءتها، وأخرجت أشنع سكين رآه الرجل في حياته، لكن المنجل الذي يرتدي الأزرق أمسك يدها قبل أن تلوِّح بالسكين. وقال لها: «لا تهدري طاقتك عليه يا إيان».

فأبعدت المنجل التي ترتدي الأخضر سكينها وهزت كتفيها للرجل قائلة: «أظننا لن نكمل اللعبة». ثم تجاوزته مسرعة مع الآخرين، وهبطوا السلالم إلى المبنى.

التقت عينا الحارس بعينَي المتتلمِذ، الذي يتباطأ قليلًا خلف الآخرين، فسأل الفتى: «ما الذي ينبغي لي فعله؟».

- اخرج من هنا، ولا تنظر خلفك.

فامتثل الحارس لما أُمر به. سار إلى السلالم البعيدة، وهبط حتى النهاية، واندفع خارجًا عبر مخرج الطوارئ، ولم يتوقف عن الركض حتى صار بعيدًا بحيث لا يسمع الصرخات.

قال غودارد لرفاقه: «سنبدأ من الطابق السادس هنا ونواصل العمل هبوطًا». خرجوا من السلالم وصادفوا امرأة تنتظر المصعد، فشهقت وتجمَّدت. قال المنجل تشومسكي: «بوو!». فأجفلت المرأة وأسقطت الملفات التي تحملها. عرف روان أن أيًّا من المناجل قد ينهي حياتها. ولا بد أنها أيضًا عرفت هذا، لأنها استعدَّت.

سألها غودارد: «ما مستوى تصريحك الأمني؟».

- من الدرجة الأولى.

- أهذا جيد؟

أومأت، فأخذ غودارد بطاقتها قائلًا: «شكرًا لك، ستعيشين».

وتحرك نحو باب موصَد، ومرر عليه بالبطاقة.

بدأ روان يحس بدوار خفيف، وأدرك أن تنفسه يتسارع تسارعًا خطيرًا.

قال لهم: «سأبقى هنا. لا يمكنني القطف، لذا سأبقى هنا».

قال تشومسكي: «مُحال، ستأتي معنا».

- لكن... لكن ما فائدتي؟ سأضايقكم.

وعندئذٍ ركلت المنجل راند زجاج صندوق طوارئ، وأخرجت فأس حرائق وناولته لروان قائلة: «إليك هذا، حطِّم أي شيء».

- لماذا؟

غمزت له: «لأنك تستطيع».

لم يُنذَر الموظفون العاملون في الجناح رقم 601، الذي يشغل النصف الشمالي من الطابق. دخل المنجل غودارد ومناجله إلى مركز المكان.

أعلن بصوت مسرحي: «انتباه! انتبهوا جميعكم! لقد وقع عليكم الاختيار للقطف اليوم. إنكم مأمورون بالتقدم وملاقاة حتفكم».

همهمات، وشهقات، وصرخات صدمة. لم يتقدم أحد. لم يتقدم أحد قط. أومأ غودارد لتشومسكي وفولتا وراند، فتحرك الأربعة عبر متاهة الحجيرات والمكاتب ولم يتركوا في أعقابهم شيئًا حيًّا.

وراح غودارد يهزِج: «أنا نهايتكم! أنا خلاصكم! أنا مَنفَذكم إلى العوالم الغامضة التي وراء هذا العالم!».

نِصال ورصاصات وألسنة لهب. اضطرمت النار في المكتب، وبدأت صافرات الإنذار تدوِّي، وتدفقت المياه الباردة من السقف. علِق الهالكون بين النيران والمياه، وبين حاصدي الأرواح الأربعة. لم تسنح فرصة النجاة لأحد.

تابع غودارد: «أنا كلمتكم الأخيرة! خاتمة مطافكم! وجالب السكينة إليكم. عانقوني!».

لم يعانقه أحد. معظمهم تحاشوه طالبين الرحمة، لكن الرحمة الوحيدة التي نالوها كانت سرعة الإجهاز عليهم.

«بالأمس كنتم آلهة، واليوم أصبحتم فانين. موتكم هو هديتي لكم، اقبلوها برضا وتواضع».

كان المناجل منهمِكين في عملهم إلى درجة أنه لا أحد منهم لاحظ أن روان انسل خارجًا خلفهم وذهب إلى الجناح رقم 602، حيث طرق الباب الزجاجي طرقًا عنيفًا حتى فتحه أحدهم، وحذره روان مما هو آت.

قال للرجل: «اذهب عبر السلالم الخلفية، واصطحب معك أكبر عدد ممكن. لا تطرح أسئلة، اذهب فحسب!». إذا راودت الرجل أي شكوك فقد تبددت بأصوات اليأس والعذاب القادمة من الجانب الآخر من الصالة.

وبعد بضع دقائق، عندما انتهى غودارد وفولتا وتشومسكي من الجناح رقم 601، عبروا الصالة ووجدوا الجناح رقم 602 خاليًا، عدا عن روان، الذي كان يهوي بفأسه على الحواسيب والمكاتب وكل ما في طريقه، كما قيل له أن يفعل.

تحرك المناجل بسرعة تفوق سرعة ألسنة اللهب، وتفوق سرعة تدفق العاملين الذين يحاولون الهروب. اعترض فولتا وتشومسكي سلَّمين من السلالم الثلاثة، وشقت راند طريقها إلى المدخل الرئيسي ووقفت عنده كحارسة مرمى، مطيحةً بكل من يحاول الفرار عبر الأبواب الأمامية. تشدَّق غودارد بعباراته الطقوسية الطويلة وهو يتحرك عبر حشد الناس المذعورين، مغيِّرًا أسلحته حسبما يناسبه. وهوى روان بفأسه على كل شيء يتحطم، ثم أرشد سرًّا كلًّ من استطاع إلى السلالم غير المحروسة.

انتهى كل شيء خلال أقل من خمس عشرة دقيقة. كان المبنى مشتعلًا، والمروحية تحلق بالأعلى، وخرج المناجل من المدخل الرئيسي كأنهم أربعة خيَّالة في مشهد فيلم يتناول نهاية عالم الخالدين.

جاء روان متأخرًا، ساحبًا فأسه على الرخام ثم ألقاه فأصدر ضجيجًا.

رأوا أمامهم ست عربات إطفاء ومسيَّرات إسعاف، وخلفهم حشود الناجين، بعضهم ركض عندما رأى المناجل يخرجون، لكن منهم من ظل واقفًا على مبعدة، وقد تغلبت دهشتهم على رعبهم.

قال غودارد لروان: «أترى؟ رجال الإطفاء لا يتدخلون في عمل المناجل، سيتركون المبنى بأكمله يحترق. أما فيما يتعلق بالناجين، فأمامنا فرصة علاقات عامة رائعة».

ثم تقدم ووجَّه حديثه بصوت عالٍ للذين لم يفروا: «قطفنا انتهى، وسنمنح الناجين حصانة، تقدموا لتنالوها». ومد يده التي عليها الخاتم، وحذا المناجل الآخرون حذوه.

لم يتحرك أحد في البداية، على الأرجح لأنهم يظنون الأمر خدعة. لكن بعد لحظات ترنح موظف معفَّر بالرماد متقدمًا، وتبعه آخر، ثم آخر، ثم اقترب الحشد كله متوجسين. جثا القليلون الأوائل وقبّلوا خواتم المناجل، وحالما رأى الآخرون أن الأمر جدِّي، اندفعوا إلى الأمام وتكالبوا على المناجل.

صاح فولتا: «مهلًا! واحد تلو الآخر!».

لكن عقلية القطيع نفسها التي جعلتهم يهربون دفعتهم الآن نحو هذه الخواتم الواهبة للحياة، وفجأة لم يعد أحد يتذكر زملاءه الموتى.

وبعدها عندما ازداد الحشد حولهم كثافةً واهتياجًا، سحب غودارد يده ونزع خاتمه وناوله لروان: «سئمتُ من هذا، خذه، شاركنا الهيام الذي نلقاه».

- لكن... لا أستطيع. لم أُنصَّب منجلًا.

- يمكنك استخدامه إذا منحتك الإذن بوصفك مفوَّضًا، والآن أذِنتُ لك.

وضع روان الخاتم، لكنه لم يثبت على إصبعه، فنقله إلى سبابته، وثبت قليلًا، ثم مد يده كالمناجل الآخرين. لم يكترث حشد الناس بالإصبع التي عليها الخاتم، أو حتى اليد التي تمده، تسلق بعضهم بعضًا في سبيل تقبيله، وشكر روان على عدالته وسماحته ورحمته، وخاطبوه بلقب «جنابك»، دون أن يلاحظوا أنه ليس منجلًا.

قال المنجل فولتا له: «مرحبًا بك في الحياة بوصفك إلهًا». ومن خلفهم احترق المبنى وسُوِّي بالأرض.

نحن حكماء لكنَّنا لسنا مثاليِّين، ذوو بصيرة لكنَّنا لا نعلم كل شيء، نعرف أنَّنا نؤدِّي مهمَّة ضروريَّة جدًّا بتأسيسنا هيئة المناجل، لكن نحن، المناجل الأوائل، ما زالت تخالجنا الهواجس. إذ إنَّ الطَّبيعة البشريَّة متوقَّعة وغامضة في آنٍ واحد، قابلة للتطوُّرات العظيمة والمفاجئة، ورغم هذا ما زالت ملطَّخة بوحل الأنانيَّة. وأملنا معقودٌ على عشرة قوانين بسيطة واضحة لعلَّها تجنِّبنا مزالق النَّفس البشريَّة. وأملي الأكبر هو أن تصبح حِكمتنا بمرور الوقت مثاليَّة كمعرفتنا. وإذا فشلت تجربتنا هذه، فقد ضمنَّا فيها مَخرَجًا.

فليكن الرَّأس السَّحابي في عوننا، إذا احتجنا إلى ذلك المَخرَج.

- من مذكِّرات قطف م. م. بروميثيوس، النَّصل العالمي الأسمى الأوَّل

26

ليس كالآخرين

أقاموا وليمة عظيمة في تلك الليلة، لكن روان كان فاقدًا الشهية فقدانًا تامًّا. وأكل غودارد نيابةً عن الجميع بما يكفي، إذ كان منتشيًا بصيد اليوم، كأنه مصاص دماء يمتص عصارة الحياة من ضحاياه. صار ودودًا ولطيفًا أكثر من ذي قبل، وراح يمازح الجميع ويضاحكهم. قال روان لنفسه: *ما أسهل الوقوع تحت تأثير سحره والانجذاب كالآخرين إلى ناديه النخبوي!*

كان من الواضح أن تشومسكي وراند من طينة غودارد نفسها، لا يُثقِلهما أقل وازع ضمير، لكنهما، خلافًا لغودارد، لم تتلبَّسهما أوهام العظمة، كانا يقطفان من أجل المتعة، بحسب تعبير راند الدقيق: *لأنهم يستطيعون*. كانا يسعدان أيما سعادة بالتلويح بأسلحتهما حينما يتقمص غودارد دور مَلَك الموت. لم يكن روان متأكدًا مما إذا كان الرجل يؤمن بدوره هذا، أم أن الأمر برمته مصطنَع لإضفاء الطابع المسرحي على عرضه.

بيد أن المنجل فولتا كان مختلفًا، صحيح أنه اقتحم المبنى ونال حصته من القطف، كالآخرين، لكنه لم يتكلم كثيرًا وآلتهم الإلهية تحملهم عبر السماء إلى القصر، والآن عند العشاء يكاد لا يمس الطعام الذي على طبقه، وما انفك ينهض ليغسل يديه. وعلى الأرجح ظن أن لا أحد يلاحظه، لكن روان لاحظه، كما لاحظته إزمي.

مالت إزمي نحو روان قائلة: «دائمًا ما يكون المنجل فولتا نزِقًا بعد القطف، لا تحدق إليه، وإلا فسيقذفك بشيء».

وفي منتصف العشاء سأل غودارد عن الحساب النهائي.

قالت راند له: «قطفنا مئتين وثلاثة وستين، تجاوزنا حصتنا في الوقت الراهن، فعلينا أن نقطف عددًا أقل في المرة القادمة».

هوى غودارد بقبضته على المائدة مشمئزًا: «الحصص اللعينة تعيقنا كلنا! ولولاها لصار كل يوم مثل اليوم». ثم التفت إلى المنجل فولتا وسأله عن سير مهمته. وقد كانت مهمته هي تحديد مواعيد مع أُسر المتوفين حتى يُمنحوا الحصانة الإلزامية.

قال فولتا: «أمضيت اليوم كله في التواصل مع كل أسرة. سيصطفون جميعهم عند البوابة الخارجية صباح الغد».

قال غودارد مبتسمًا ابتسامة ساخرة: «ينبغي لنا أن نسمح لهم بالدخول حتى يشاهدوا روان وهو يتدرب في الباحة».

قالت راند وهي تغرز شوكتها في قطعة لحم وتسحبها إلى طبقها: «أمقت أولئك المفجوعين، دائمًا ما يهملون نظافة أفواههم، وتفوح من خاتمي رائحة كريهة بعد ساعة من منحهم الحصانة».

استأذن روان بعدما لم يعد قادرًا على التحمُّل: «وعدتُ إزمي بلعب الورق معها بعد العشاء، وقد تأخر الوقت».

لم يكن ما قاله صحيحًا، لكنه ألقى نظرة سريعة على إزمي، فأومأتْ، مسرورة باشتراكها في المؤامرة المرتجلة.

قال غودارد: «لكنك ستفوِّت تحلية كريمة البروليه».

قال تشومسكي: «مزيد لنا». وأقحم في فمه شوكة مُحمَّلة بلحم الأضلاع.

ذهب روان مع إزمي إلى غرفة الألعاب ولعبا «جين رومي»، واستمتعا بالهدوء بعيدًا عن أحاديث القطف والحصص وتقبيل الخواتم. وكان روان ممتنًا لأن الملك الانتحاري في اللعبة هو الذي يحتكر البؤس في هذه الغرفة.

اقترحت إزمي: «ينبغي أن ندعو الآخرين للانضمام إلينا، وعندئذٍ يمكننا لعب لعبة الكُوبات أو البستوني. لا يمكن لاثنين لعب هذه الألعاب».

رفض روان رفضًا باتًّا: «لستُ مهتمًّا بلعب الورق مع المناجل».

«ليس المناجل أيها السخيف، أقصد الخدم». التقطت ورقة التسعة التي ألقاها روان، وهي الثانية التي يمررها لها خلسة، كأنه لا يعرف أنها تجمعها. فالسماح لها بالفوز اليوم كان مكافأة لها على مساعدته على الهروب من حجرة الطعام.

قالت له: «ألعب الورق مع أبناء عامل حوض السباحة أحيانًا، لكنهم لا يحبونني لأن هذا كان بيتهم، والآن جميعهم يتشاركون حجرة في مسكن الخدم». ثم أردفت: «إنك تنام في إحدى غرفهم، أتعرف؟ لذا أراهن على أنهم لا يحبونك كثيرًا أيضًا».

- أنا متأكد أنهم لا يحبون أيًا منا.

- على الأرجح.

بدت إزمي، ربما لصغر سنها، غافلةً تمامًا عن الشواغل التي تثقِل كاهل روان. ربما رأت أن من الأفضل عدم التشكيك في الوضع، وعدم الحكم على ما تراه فيما حولها. تقبّلت وضعها على ما هو عليه، ولم تتكلم بسوء عن مضيفها، أو بالأحرى آسِرها، إذ كان من الواضح أنها سجينة غودارد، رغم أنها قد لا ترى وضعها من هذا المنظور. كانت حبيسة قفص ذهبي، لكنه قفص في نهاية المطاف. ومع هذا كان جهلها نعمةً عليها، فارتأى روان ألا يحطم لها وهم حريتها.

التقط روان ورقة آس، وهو يحتاج إليها ضمن أوراقه لكنه ألقاها، وسأل إزمي: «هل يتحدث غودارد معك؟».

قالت: «يتحدث معي بالطبع، يسألني عن حالي دومًا، وعما إذا كنت أحتاج إلى أي شيء، وإذا احتجت إلى شيء يحرص دومًا على تلبية احتياجاتي. في الأسبوع الماضي طلبتُ...».

قاطعها روان: «لا، ليس مثل هذه الأحاديث. أعني حديثًا جادًا. هل لمَّح لسبب أهميتك بالنسبة إليه؟».

لم تجب إزمي. وكشفت عن أوراقها. تسعات فوق ثلاثات. وقالت: «رومي». الخاسر يخلط الأوراق».

جمع روان الأوراق قائلًا: «لا بد أن المنجل غودارد لديه سبب وجيه دفعه لإبقائك على قيد الحياة ومنحك الحصانة. ألا تشعرين بالفضول؟».

هزت إزمي كتفيها، وظلت ممسكة بلسانها. ولم تتكلم إلا بعدما وزَّع أوراق الجولة التالية: «في الواقع لم يمنحني غودارد الحصانة، يمكنه قطفي متى ما شاء، لكنه لا يريد». ثم ابتسمت: «وهذا يدل على أنني مميزة، ألا تظن هذا؟».

لعبا أربع جولات، فازت إزمي بجولة عن جدارة، وتركها روان تفوز باثنتين، وفاز روان بجولة حتى لا يُظهِر أنه تعمَّد خسارة جولتين. وعندما انتهيا كان الآخرون قد فرغوا من العشاء وانصرفوا لأنشطتهم المسائية. تجنَّب روان الجميع وحاول التوجه رأسًا إلى غرفته، لكن في طريقه سمع صوتًا جعله يتوقف، صوت نشيج خافت قادم من غرفة المنجل فولتا. أصاخ سمعه عند الباب حتى يتأكد أنه لم يتخيل الصوت، ثم أدار مقبض الباب، الذي لم يكن موصدًا، فدفعه قليلًا وألقى نظرة إلى داخل الغرفة.

رأى المنجل فولتا جالسًا على سريره ورأسه بين يديه، وجسده يرتعش مع نشيجه الذي يعجز عن كبحه. مضت بضع لحظات قبل أن يرفع رأسه ويرى روان.

وعلى الفور انقلب حزن فولتا إلى غضب: «من الذي سمح لك بالدخول بحق الجحيم؟ اخرج!». أمسك بأقرب شيء إليه، وهو ثقل زجاجي لتثبيت الورق، وقذف روان به، كما توقعت إزمي، ولأحدث جرحًا غائرًا على رأس روان لو ارتطم به، لكن روان انحنى وارتطم الثقل بالباب، مخلِّفًا انبعاجة كبيرة على الخشب بدلًا من رأس روان، الذي كان بإمكانه الانسحاب عندئذٍ، ولكان انسحابه القرار الأكثر حكمة على الأرجح، لكن إيثار السلامة لم يكن من نقاط قوة روان، المعروف بمهارته الفذة في حشر أنفه حيث لا ينبغي له.

تقدم إلى داخل الغرفة وأغلق الباب خلفه، مستعدًا للمراوغة من الشيء التالي الذي سيُقذَف به، وقال لفولتا: «عليك خفض صوتك إذا لم ترغب في أن يسمعك أحد».

- إذا أخبرت أي أحد فسأجعل حياتك جحيمًا.

ضحك روان من كلامه، لأنه يعني ضمنيًا أن حياته ليست جحيمًا بالفعل.

- أترى كلامي مضحكًا؟ سأريك ما هو مضحك.

- آسف، لم أقصد الضحك. لم أضحك عليك، إذا كان هذا ما تظنه.

وبما أن فولتا لم يعد يقذف الأشياء، أخذ روان كرسيًا واقتعده على مبعدة ليمنح فولتا مساحة كافية، وقال: «اليوم كان صعبًا، لا ألومك».

- ما الذي تعرفه عن صعوبته؟!

- أعرف أنك لست كالآخرين، لست مثلهم تمامًا.

وعندئذٍ رفع فولتا بصره إليه، وعيناه محمرتان من الدموع التي لم يعد يحاول إخفاءها: «أتقصد أنني أعاني خطبًا ما؟». وخفض بصره مكوِّرًا قبضتيه بشدة، لكن روان لم يتحرك لأنه لم يتوقع أن يتعرض للضرب، وخمَّن أن فولتا سيوجه قبضتيه إلى نفسه إذا أمكنه.

قال فولتا: «المنجل غودارد هو المستقبل، ولا أريد أن أكون جزءًا من الماضي. فهمتَ؟».

- لكنك كرهت ما حدث اليوم، أليس كذلك؟ أكثر مما كرهته أنا، لأنك شاركت ولم تكن مجرد متفرج.

- ستشارك أنت أيضًا عما قريب.

- ربما لن أشارك.

- بل ستشارك. حالما تنال خاتمك وتقتل خليلتك الجميلة، فستدرك أن ما من مجال للتراجع.

ازدرد روان ريقه، محاولًا الإبقاء على العشاء القليل الذي تناوله. أشرق وجه سيترا في عقله، لكنه أبعد الصورة، ولم يرغب في التفكير فيها الآن.

كان روان يعرف أنه يجازف مع فولتا، ولم يسعه سوى جس نبضه، فقال له: «إنك تتظاهر بأنك تحب القطف، لكنك تكرهه كراهية أشد من كراهيتك لأي شيء. مُرشدك كان المنجل نهرو، صحيح؟ وهو من الحرس القديم، مما يعني أنه اختارك لأنك تتحلى بضمير. لا تحب سلب حيوات الناس، وقطعًا لا تحب سلب العشرات تلو العشرات منها في كل مرة».

وثب فولتا ناهضًا، وتحرك بسرعة بدت خارقة، رفع روان ودفعه على الجدار بقوة بالغة جعلته يفتقد وحداته المجهرية المخدِّرة للألم.

«عليك أن تقول هذا الكلام لأي أحد، أتسمعني؟! بذلتُ الكثير ولن أعرِّض مكانتي للخطر! ولن أسمح لمتتلمِذ متعجرف مثلك بابتزازي!».

زمجر فولتا: «لا تعبث معي! أعرف سبب مجيئك هنا!».

بدا روان محبَطًا حقًّا: «ظننتُ أنك تعرفني».

مرت لحظة، ثم أرخى فولتا قبضته قائلًا: «لا أحد يعرف أحدًا، أليس كذلك؟».

- أعدك بأنني لن أخبر أحدًا، ولا أريد منك أي شيء.

وأخيرًا تراجع فولتا: «آسف، عندما لا يرى المرء حوله سوى المؤامرات تساوره الظنون في الجميع». جلس على السرير. «أصدقك، لأنني أعرف أنك أفضل من هذا. وفي الحقيقة عرفت هذا حالما جلبك غودارد إلى هنا، فهو يراك تحديًا، لأنه إذا نجح في إقناع أحد متتلمِذي فاراداي بنهج تفكيره هو، فسيثبت أنه قادر على إقناع أي أحد».

عندئذٍ خطر لروان أن فولتا لا يكبره كثيرًا في السن، فهو دائمًا ما يتصنع الثقة بنفسه فيبدو أكبر سنًا، لكن اضطرابه الآن كشف الحقيقة، وهي أنه لا يتجاوز العشرين من عمره، مما يعني أنه صار منجلًا قبل قرابة عامين فحسب. لم يعرف روان الطريق الذي قاد فولتا من التتلمُذ على يد منجل من الحرس القديم إلى أن يصبح من أتباع غودارد، لكن أمكنه التخيل، إذ رأى انجذاب المناجل المبتدئين إلى نجم غودارد الساطع وكاريزمته، وغودارد وَعَد أتباعه بكل ما تشتهيه النفس البشرية، مقابل إخماد المرء ضميره إخمادًا تامًا. ففي مهنة يمثّل فيها الضمير عائقًا، من عساه يريد ضميرًا يقظًا؟

جلس روان مرة أخرى بعدما قرَّب كرسيه من فولتا حتى يحادثه همسًا: «سأقول لك رأيي، غودارد ليس منجلًا، إنه قاتل». كانت أول مرة يعبِّر فيها روان عن رأيه هذا بصوت عالٍ. «توجد سجلات كثيرة عن قتلة عصر الفانين، وحوش مثل جاك السفاح، وتشارلي مانسون، وسايبر سالي. والفرق الوحيد بينهم وبين غودارد هو أن الناس يسمحون لغودارد بالإفلات بأفعاله. كان الفانون يعرفون مدى فظاعة القتل، لكننا بطريقةٍ ما نسينا».

- أجل، لكن حتى إذا افترضنا أن ما تقوله صحيح، فما الذي يمكن لأي أحد فعله؟ المستقبل سيأتي، شئنا أم أبينا، وذلك المستقبل سوف يسيطر عليه راند وتشومسكي وعشرات الأوغاد المخبولون الذين يتوقون لأن يكونوا ضمن المقربين من غودارد. أنا متأكد أن المناجل المؤسِّسين يتقلَّبون في قبورهم، لكن المغزى هو أنهم في قبورهم، ولن يُبعثوا عما قريب.

أخذ فولتا نفسًا عميقًا، ومسح آخر دموعه، وأردف: «من أجل مصلحتك يا روان، آمل أن تحب القتل بقدر ما يحبه غودارد، فهكذا ستكون حياتك أسهل وأمتع».

ترك الاقتراح أثرًا في نفس روان، فقبل شهر كان لينفي أي رغبة في أن يصبح وحشًا نفيًا قاطعًا، لكنه غير متأكد الآن، أصبحت الضغوط الواقعة عليه ليستسلم أقوى بمرور كل يوم. وصار يأمل، إذا لم يستسلم فولتا للظلام، أن ينجح في الصمود هو أيضًا.

لا توجد تغطية إعلاميَّة رسميَّة لعمليَّات القطف، وهذا يزيد من كَدَر المناجل الذين يسعون إلى الشهرة. حتَّى عمليَّات القطف الجماعي بأعداد كبيرة لا تظهر في الأخبار. ورغم هذا تُحمَّل الكثير من صور وفيديوهات القطف الشَّخصيَّة إلى الرَّأس السَّحابي مكوِّنة سجلًّا غير رسمي.

سوء السُّمعة والفِعال الشَّائنة تتحوَّل إلى شُهرة لمرتكبيها من المناجل، ومعظم الأعمال المتطرِّفة تصبح أسطوريَّة. بعض المناجل يُدمِنون الشُّهرة، ويسعون إلى الاشتهار على نطاق أوسع، ويُفضِّل آخرون أن يظلُّوا مجهولين.

لا يمكنني إنكار أنَّني أسطورة، ليس بسبب عمليَّات القطف البسيطة التي أنفِّذها الآن، إنما بسبب العمليَّات الجريئة التي نفَّذتُها قبل أكثر من مئة وخمسين عامًا. وكما لو أنَّني لست خالدة بما يكفي، يعزِّز خلودي بالبطاقات التي تُصدَر عن المناجل، التي يجمع أطفال المدارس الجديدة منها، والقديمة تساوي ثروة عند الجامعين المخضرَمين، بصرف النظر عن حالتها.

أنا أسطورة، لكن لا يمر يوم دون أن أتمنَّى فيه لو أنَّني إنسانة عاديَّة.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

جميع الحقوق محفوظة ©

ضاد
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

27

خلوة الحصاد

قادت تحريات سيترا السرية إلى بعض المفاجآت التي لم تستطع الانتظار حتى تخبر بها روان عندما التقته أخيرًا في خلوة الحصاد. وقطعًا لم يكن بوسعها إخبار المنجل كوري بها، إذ نمت أواصر الثقة بينهما، ولعدَّت المنجل استخدام إذن دخول الشبكة الخاص بها من قِبل سيترا انتهاكًا صارخًا لتلك الثقة.

اتخذت حياة سيترا منحى مختلفًا تمام الاختلاف عن حياة روان، إذ لم تحضر حفلات صاخبة مترفة، ولم تتدرب على أهداف حية، إنما كانت تساعد على إعداد وجبات هادئة للعائلات المفجوعة، وتتدرب مع روبوت يحمل الحزام الأسود في البوكاتور، وتُعِد الصَّبغات وتدرس الاستخدامات العملية للسموم المميتة في صيدلية المنجل كوري وحديقتها المخصصة للأعشاب السامة، وتطّلع على أشهر أعمال أفضل المناجل وأسوئهم في التاريخ.

اكتشفت سيترا أن صفات الكسل والتحيُّز وعدم التبصُّر، في الماضي، عادةً ما تكون الصفات التي تجعل المنجل سيئًا، كان بعض المناجل يقطفون عددًا كبيرًا من جيرانهم لأنهم لا يودون تكليف أنفسهم عناء البحث في مكان أبعد، ومناجل، رغم الإجراءات التأديبية المتكررة، يقطفون الناس بناءً على سِمات عرقية بعينها. ويوجد العديد من أمثلة عدم التبصُّر، مثل المنجل سارتر، الذي ظن أن تنفيذ جميع عمليات قطفه في فعاليات مسابقات رعاة

البقر فكرة جيدة، وبالتالي قضى على الرياضة قضاءً مُبرَمًا، إذ لم يعد أحد يرغب في حضور مسابقة رعاة بقر خوفًا من القطف.

وبطبيعة الحال لم يكن المناجل السيئون محصورين في الماضي فحسب، لكن بدلًا من نعتهم بـ «السيئين»، صاروا يسَمون بـ «الطَّليعيِّين» و«التقدُّميِّين».

مثل حمامات الدم الطليعية التي يقيمها المنجل غودارد وجلاوزته القتلة.

ذاع خبر القطف الجماعي في معمل الدفع المغناطيسي، رغم عدم صدور تقرير رسمي عنه، وحُمِّلت العديد من الفيديوهات الخاصة إلى الرَّأس السَّحابي، التي تظهِر غودارد وأتباعه يمنحون الحصانة كما يُوزَّع الخبز على الفقراء، وكان روان وسط الحشود، واحتارت سيترا فيما رأته.

قالت المنجل كوري وهي تشاهد بعض الفيديوهات التي حُمِّلت: "لدى

العالم مقدرة فذة على مكافأة السلوك السيئ بالنجومية". ثم أردفت مستغرقة في التفكير: "أعرف مزالق أن يكون المرء منجلًا شهيرًا". اعترفت لكن سيترا كانت تعرف هذا سلفًا. "كنتُ عنيدة وطائشة في أيامي المبكرة، وظننت أن بوسعي تغيير العالم إلى الأفضل بقطف الأشخاص المناسبين في الوقت المناسب، وكنت موقنة، في خضم غروري، أنني أستوعب الصورة الكبيرة التي لا يراها الآخرون، لكنني بالطبع كنت محدودة الرؤية كالآخرين. أحدثتُ هزة في العالم عندما قطفت الرئيس ووزراءه، لكن العالم كان يهتز سلفًا من دوني. أطلقوا عليَّ لقب «الآنسة مجزرة»، ومع مرور الوقت تغير اللقب إلى «سيدة الموت العظمى». ثم أمضيت أكثر من مئة عام محاوِلة التلاشي لأصبح مجهولة، لكن حتى أصغر الأطفال يعرفونني الآن، صرت البعبع الذي يذكره الآباء لحمل أطفالهم على التأدُّب. تأدَّب وإلا فستأتي السيدة العظمى لأخذك». هزت المنجل كوري رأسها بحزن، وتابعت: «الشهرة زائلة في معظم الأحوال، لكن عندما تكونين منجلًا، فأفعالك التي تحدد هويتك ستظل ملتصقة بك إلى الأبد، فاعملي بنصيحتي يا سيترا، لا تفعلي شيئًا يحدد هويتك إلى الأبد».

قالت سيترا: «ربما تكونين منجلًا مشهورة، لكن حتى في أسوأ حالاتك لم تكوني تشبهين غودارد في شيء».

قالت المنجل كوري: «لا، لم أشبهه، لحسن الحظ. لم أسلب حياة الناس من أجل المتعة. كما ترين يوجد بعض المناجل الذين يسعون إلى الشهرة من أجل تغيير العالم، وآخرون يسعون إليها ليعيثوا فسادًا في العالم، وغودارد من النوع الثاني». ثم قالت كلامًا سوف يؤرق سيترا ليالي عديدة: «ينبغي ألا تثقي في صديقك روان بعد الآن. غودارد ذو تأثير مُفسِد للغاية. أفضل ما يمكن أن تفعليه هو أن تظفري بالخاتم عندما تأتي خلوة الشتاء وتقطفي الفتى بسرعة، قبل أن يفسد مزيدًا من الفساد».

كانت سيترا مسرورة بأن خلوة الشتاء ما تزال تبعد عنهم شهورًا، إنما خلوة الحصاد هي ما عليها القلق بشأنها. في البداية كانت متلهفة لقدوم سبتمبر وخلوة الحصاد، لكن مع اقترابها بدأت تتوجس منها، لم تكن قلقة بشأن الاختبار الذي ينتظرها، إذ أحست بأنها مستعدة لأي اختبار يُخضَع له المتتلمِذون، بل كانت تخشى رؤية روان، لأنها لم تكن لديها أي فكرة عن أثر الشهور التي أمضاها برفقة غودارد عليه. قالت المنجل كوري: *أن تظفري بالخاتم عندما تأتي خلوة الشتاء وتقطفي الفتى* بسرعة. طيب، ليس على سيترا أن تقلق حيال هذا الأمر الآن، أمامها أربعة أشهر قبل اتخاذ هذا القرار، لكن الزمن يمضي لا يلوي على شيء، يمضي بخطى حثيثة نحو موت أحدهما.

انعقدت خلوة الحصاد في يوم غير ماطر لكنه عاصف من أيام سبتمبر. منعت العواصف والأمطار متفرجين كثيرين من حضور الخلوة السابقة، لكنهم احتشدوا في الشارع بحماسة بالغة اليوم أمام مبنى كابيتول فولكرم سيتي، حتى إن المزيد من ضباط السلام نُشِروا لصد الحشود المشدوهة. وصل بعض المناجل راجلين، معظمهم من الحرس القديم، مفضِّلين السير بتواضع من فنادقهم على لفت الأنظار، ووصل مناجل آخرون على متن سيارات فارهة، مستمتعين بشهرتهم. وصوبت محطات الأخبار كاميراتها لكنهم ظلوا على مبعدة، فهذه ليست سجادة حمراء. لا أسئلة ولا مقابلات. لكن المناجل المتأنقين كانوا في كل مكان، لوَّحوا للكاميرات ووقفوا شامخين حتى يظهروا على الشاشات بأفضل مظهر.

وصل المنجل غودارد وأتباعه بسيارة ليموزين مطلية بلون أزرق ملكي ومرصعة بماسات مزيفة، تبديدًا لأي شكوك بشأن هوية من بداخل السيارة،

وفي أثناء ترجُّل غودارد وحاشيته أطلق الحشد آهات الإعجاب والانبهار، كما لو أن ظهورهم اللافت يضاهي عروض الألعاب النارية.

«ها هو ذا!».

«إنه هو!».

«إنه وسيم للغاية!».

«إنه مخيف جدًّا!».

«يا لأناقته!».

تمهل غودارد لحظة ليلتفت إلى الحشد رافعًا يده بتلويحة ملكية، ثم ركز بصره على فتاة من الجمهور، وبادلها النظرات وأشار نحوها، ثم تابع سيره صاعدًا السلالم دون أن يقول شيئًا.

«إنه غريب جدًّا!».

«غامض جدًّا!».

«ساحرٌ جدًّا!».

أما الفتاة المختارة فقد تُركت مبهورة ومرعوبة ومشوَّشة من هذا الانتباه اللحظي، وهو التأثير المقصود بعينه.

كان الحشد شديد التركيز على غودارد وحاشيته ذات الألوان الصارخة، فلم يلاحظ أحد روان الذي يسير خلفهم وهم يصعدون سلالم المدخل.

لم تكن جماعة غودارد المناجل الوحيدين الذين يستمتعون بحب الظهور. وصل المنجل كيركيغارد معلِّقًا قوسًا على كتفه، لم يكن ينوي استخدامه اليوم، إنما كان مجرد جزء من الاستعراض. ومع هذا كان بإمكانه تصويبه نحو أي أحد من الجمهور وإنهاء حياته. ومعرفة هذا جعلت الجمهور أشد حماسة. لم يُقطف أحدٌ عند سلالم الكابيتول قبل إحدى الخلوات، بيد أن هذا لم يكن يعني أن القطف لا يمكن أن يحدث.

في حين اتجه معظم المناجل إلى المدخل من الشارع الرئيسي، اقتربت المنجل كوري وسيترا من المدخل عبر شارع جانبي، لتجنب أنظار الحشد لأطول مدة ممكنة. وفي أثناء شق المنجل الشهيرة طريقها عبر حشد المتفرجين، اندلعت همهمات من القريبين منها إثر إدراكهم هوية التي تسير بينهم، ومدوا أيديهم ليلامسوا عباءتها الأرجوانية الحريرية، فتسامحت مع

لمساتهم، لكن رجلًا أمسك بالعباءة واضطرت إلى ضرب يده لتبعدها. وقالت له محدقة إلى عينيه: «حذار، لا أتساهل مع أي تعدٍّ شخصي».

قال الرجل: «أعتذر جنابك». ثم مد يده نحو يدها محاوِلًا ملامسة خاتمها، لكنها أبعدت يدها عنه: «لا تفكر مجرد تفكير».

شقت سيترا طريقها أمام المنجل كوري لتفسِح المجال لها قائلة: «ربما كان ينبغي أن نستقل ليموزين، على الأقل لما اضطررنا إلى القتال حتى نمر».

قالت كوري: «إنها نخبوية قليلًا بالنسبة إليَّ».

ومع خروجهم من بين الحشد، هبت ريح مفاجئة على سلالم الكابيتول العريضة، فجعل شعر المنجل كوري الطويل يرفرف طويلًا كذيل فستان زفاف، فبدت كأنها من عالم آخر.

قالت: «كنت أعرف أنه كان ينبغي لي تضفيره اليوم».

وفي أثناء صعودها مع سيترا السلالم الرخامية البيضاء، هتف شخص إلى يسارهم: «نحبك!».

توقفت المنجل كوري واستدارت لكنها لم تعرف المتكلم، فخاطبتهم جميعهم: «لماذا؟». لكن تحت نظراتها الثاقبة الباردة لم يرُد أحد. «يمكنني إنهاء وجودكم في أي لحظة، فلماذا تحبونني؟».

لم يرُد أحد أيضًا، لكن الكلام استرعى انتباه مصور فتقدم مقتربًا أكثر مما ينبغي، فضربت المنجل كوري الكاميرا بقوة جعلت جسد الرجل يلتوي وكاد أن يسقِط الكاميرا.

قالت المنجل: «انتبه لسلوكك».

- كما تأمرين جنابك. آسف جنابك.

تابعت صعود السلالم وسيترا في أعقابها: «يصعب عليَّ تخيُّل أنني كنت أحب هذه الأضواء، الآن أود تجنبها تمامًا».

قالت سيترا: «لم تكوني متوترة هكذا في الخلوة الماضية».

- لأنني لم أكن بصحبة متتلمِذ سيخضع للاختبار، إنما كنت أنا التي أختبر متتلمِذي المناجل الآخرين.

الاختبار الذي فشلت فيه سيترا فشلًا ذريعًا، لكنها لم ترغب في فتح الموضوع.

سألت سيترا المنجل وهما تبلغان قمة السلالم وتسيران إلى ردهة المدخل: «أتعرفين شيئًا عن اختبار اليوم؟».

- لا، لكنني أعرف أن الاختيار سيجريه المنجل سيرفانتس، وهو يميل إلى المسائل البدنية، أظنه سيجعلكم تحاربون طواحين الهواء.

وكما في المرة السابقة حيًّا المناجل بعضهم في الصالة المستديرة المقببة، في انتظار فتح أبواب قاعة الاجتماعات. كان الإفطار جاهزًا على موائد في منتصف الصالة المستديرة، أبرز ما فيه هرم معجنات دنماركية لا بد أن ترتيبه استغرق ساعات، لكنه انهار في غضون ثوانٍ عندما أخذ المناجل المعجنات السفلية مهمِلين العلوية. وهرع طاقم الخدمة لجمع المعجنات الساقطة قبل أن تُدهَس تحت الأرجل.

وجدت المنجل الأمر كله مسليًا وقالت: «كان طيشًا من متعهِّد الطعام أن يظن أن المناجل سوف يهتمون بالنظام».

لمحت سيترا المنجل المبتدئة غودال، الفتاة التي نُصِّبت في الخلوة السابقة، كانت ترتدي عباءة من تصميم كلود دوغلاس، أحد أشهر مصممي الأزياء في العالم. وقد كان خطأً جسيمًا لأن مصممي هذه الأيام عادة ما يصدمون الناس. وعباءة المنجل غودال ذات الخطوط البرتقالية والزرقاء جعلتها تبدو أشبه بمهرج سيرك.

لم يسع سيترا سوى ملاحظة أن غودارد ومناجله المبتدئين صاروا مركز الأضواء أكثر مما كانوا في خلوة الربيع، ورغم وجود عدد من المناجل الذين تجاهلوهم، احتشد كثيرون حولهم، ساعين إلى مداهنتهم.

قالت المنجل كوري لسيترا بصوت خافت: «تتزايد أعداد المناجل الذين يفكرون مثل غودارد، اتسعت دائرتهم واخترقوا صفوفنا، ويحلون محل الأفضل منا كالأعشاب الضارة».

فكرت سيترا في فاراداي، المنجل المحترم الذي خنقته الأعشاب الضارة بلا شك.

قالت المنجل كوري: «القتلة صاعدون إلى السلطة، وإذا تقلَّدوها فسيعيش العالم أيامًا قاتمة للغاية. يقع على عاتق المناجل المبجلين حقًّا الوقوف بقوة أمام خططهم، وأتطلع إلى يوم انضمامك إلى القتال عندما يحين الوقت».

«شكرًا جنابك». لم تكن سيترا تمانع القتال في معركة الخير إذا أصبحت منجلًا، لكن الأحداث التي ستؤدي إلى ذلك المستقبل هي التي لا تحتمل التفكير فيها.

ابتعدت المنجل كوري لتحيِّي عددًا من مناجل الحرس القديم الذين ما زالوا أوفياء لقيم المؤسِّسين. وعندئذٍ لمحت سيترا روان أخيرًا. لم يكن يتنعَّم تحت أضواء غودارد الزائفة، إنما كان في دائرة صغيرة مركزها هو نفسه، محاطًا بمتتلمِذين آخرين، وحتى قِلة من المناجل المبتدئين، كانوا يتجاذبون أطراف الحديث، ويضحكون، فأحست سيترا بالإهانة لأن روان لم يحاول البحث عنها.

في الحقيقة حاول روان العثور عليها، لكن عندما دخلت سيترا إلى القاعة المستديرة كان روان محاطًا بمعجبين لم يتوقعهم، بعضهم يحسده على قربه من غودارد، وآخرون يساورهم الفضول ليس إلَّا، وبعضهم يأمل أن يتعلق بنجمه الصاعد، فالانتماءات تتشكل في سن مبكرة في هيئة المناجل.

قال له أحد المتتلمِذين الجدد، «مقلاة»، من الذين يحضرون الخلوة أول مرة: «كنتَ حاضرًا في مبنى المكاتب ذلك، صحيح؟ رأيتك في الفيديوهات!».

قالت مقلاة أخرى: «لم يكن حاضرًا فحسب، كان يحمل خاتم غودارد ويمنح الحصانات!».

- عجبًا! هل هذا مسموح به؟

هز روان كتفيه قائلًا: «غودارد قال إنه مسموح به، وعلى أي حال لم أطلب منه منحي خاتمه، إنما أعطاه لي ببساطة».

تنهَّد أحد المناجل المبتدئين حزينًا: «عجبًا، لا بد أنك تروقه إذا سمح لك بمنح الحصانات».

فكرة أنه يروق لغودارد أزعجت روان، لأن الأشياء التي يحبها غودارد يمتعض روان منها امتعاضًا شديدًا.

سألت فتاة: «كيف هو إذن؟».

أجابها روان: «إنه... ليس كأي أحد قابلته من قبل».

قال مقلاة: «أتمنى لو كنت تلميذه». ثم التوت تعابير وجهه كأنه مضغ قطعة معجنات بالجبن فاسدة، وأردف: «تولَّى تدريبي المنجل ماو».

كان روان يعرف أن المنجل ماو من المتبخترين الذين يستمتعون بالشهرة، واستقلالي لا يميل إلى الحرس القديم ولا الجديد. ولم يعرف روان ما إذا كان الرجل يحتكم إلى ضميره أم ينتظر حتى ينحاز إلى الطرف الغالب. لقدَّم فاراداي له الإجابة، افتقد روان الكثير من الأشياء بغياب فاراداي، منها معرفته بخبايا الأمور.

قال متتلمِذ تذكره روان من الخلوة الماضية، المتتلمِذ الذي أتقن معرفة السموم: «غودارد ومناجله المبتدئون خطفوا الأضواء عندما صعدوا سلالم الكابيتول، بدوا رائعين جدًّا».

- هل اخترت لون عباءتك والجواهر التي سترصِّعها بها؟

سألته فتاة وقد تعلقت فجأة بذراعه كأنها نبات متسلق سريع النمو، فلم يعرف روان أيهما سيكون أشد حرجًا، الانسحاب من قبضتها أم تركها متعلقة به.

قال روان: «خفيَّة. سوف أصعد سلالم الكابيتول عاريًا».

قال أحد المناجل المبتدئين مازحًا: «سنرى جواهر عجيبة». وضحك الجميع.

عندئذٍ ظهرت سيترا من بين الحشد، فأحس روان كأنه ضُبط متلبسًا بفعل شيء ينبغي ألَّا يفعله، وقال: «سيترا! مرحبًا». وبدا كلامه متكلفًا، فودَّ لو أمكنه سحبه وإيجاد طريقة أخرى لمخاطبتها. تملَّص من قبضة الفتاة، لكن بعد فوات الأوان، لأن سيترا رأتها تمسكه.

قالت سيترا: «يبدو أنك اكتسبت أصدقاء كثيرين».

قال: «لا، لست متأكدًا». ثم أدرك أنه أهانهم جميعًا، فأردف: «أعني أننا جميعًا أصدقاء، صحيح؟ جميعنا متتلمِذون مصيرنا واحد».

«مصيرنا واحد». كررت سيترا كلامه بنبرة فاترة لكن خناجر عينيها حادة كتلك التي كان معلَّقة في عرين أسلحة فاراداي. ثم قالت: «سررت برؤيتك أيضًا يا روان». وسارت مبتعدة.

لم يكلف روان نفسه الاستئذان من رفاقه قبل أن يتركهم.

لحق بسيترا سريعًا، مما أوحى له بأنها لم تكن تسعى جاهدة للابتعاد عنه، وهذه إشارة جيدة. أمسك بذراعها بلطف فاستدارت نحوه.

قال: «مهلًا، آسف بشأن ما حدث هناك».

- لا بأس، أتفهَّم الأمر. صرتَ ذا شأن الآن، ولا بد أن تتباهى بوضعك.

- الأمر ليس هكذا، أتظنين أنني أريدهم أن يتحلَّقوا حولي بتلك الطريقة؟ تعرفين أن هذا ليس من طبعي.

- مضت أربعة أشهر. قد يتغير المرء خلال أربعة أشهر.

هذا صحيح عمومًا، لكن بعض الأشياء لم تتغير. عرف روان الكلام الذي تريد سيترا سماعه، لكنه سيكون مجرد مراوغة وتعنُّت، لذا قال لها الحقيقة: «تسرني رؤيتك يا سيترا، وتؤلمني أيضًا، تؤلمني بشدة، ولا أعرف ما ينبغي لي فعله حيال هذا الألم».

رأى أن كلماته لامستها، لأن عينيها التمعتا بدموع أخفتها قبل أن تسيل: «أعرف. أكره أننا انتهينا إلى هذا المآل».

- إليكِ اقتراحي، ينبغي ألَّا نفكر في خلوة الشتاء الآن، فلنرَ ما يمكننا فعله هنا الآن، ولندع خلوة الشتاء تهتم بأمر نفسها.

أومأت سيترا: «موافقة». ثم أخذت نفسًا عميقًا: «فلنتمشَّ، أريد أن أريك شيئًا».

سارا بمحاذاة الطرف الخارجي من الصالة المستديرة، متجاوزَين الممرات المقنطرة التي يتآمر المناجل عندها. وأخرجت سيترا هاتفها وعرضت سلسلة من الصور المجسَّمة على راحة يدها، وقوَّست كفها حتى لا يراها أحد سوى روان، وقالت: «استخرجت هذه اللقطات من الدماغ الخلفي في الرَّأس السَّحابي».

- كيف فعلتِ هذا؟

- هذا لا يهم الآن، ما يهم هو أنني فعلتها ووجدتُ ما وجدتُ.

أظهرت الصور المجسمة المنجل فاراداي في الشوارع القريبة من منزله.

قالت سيترا: «هذه من يومه الأخير، تمكنت من تعقب بعض تحركاته في ذلك اليوم».

- لكن لماذا؟

- شاهد فحسب.

أظهرت اللقطات المجسمة فارادای وهو يدخل إلى بيت شخص ما. قالت: «هذا بيت المرأة التي قدَّمها لنا في مركز التسوق، أمضى بضع ساعات في بيتها، ثم ذهب إلى هذا المقهى». انتقلت سيترا إلى فيديو آخر يظهِر فاراداي داخلًا إلى المطعم: «أظنه التقى شخصًا ما هناك، لكن لا أدري من».

قال روان: «طيب، إذن كان يودِّع معارفه، حتى الآن تحركاته متسقة مع ما قد يفعله أي شخص في آخر يوم له على سطح الأرض».

انتقلت سيترا إلى فيديو آخر يظهِر فاراداي صاعدًا سلالم محطة قطار: «هذا كان قبل خمس دقائق من موته، الذي نعرف أنه وقع في هذه المحطة، لكن اللافت هو أن الكاميرا الموجودة في رصيف القطار هذا تعرضت للتخريب، على أيدي المُستهجَنين كما يُزعَم، ظلت متعطلة طوال اليوم، لذا لا يوجد تسجيل مرئي لما حدث بالفعل في هذا الرصيف!».

غادر قطارٌ المحطة، وبعد لحظة وصل قطار آخر من الاتجاه المعاكس، وقد كان القطار الذي قتل فاراداي. ورغم أن روان لم يرَ الحادثة فقد ارتسمت تعابير الألم على وجهه كأنه رآها.

«تظنين أن شخصًا ما قتله وجعل الأمر يبدو كأنه قتل نفسه؟». نظر روان فيما حوله ليتأكد من أنهما لا يُراقَبان، وتابع بصوت خافت: «إذا كان هذا هو دليلك الوحيد فهو ضعيف جدًّا».

«أعرف، لذا واصلتُ التنقيب». أعادت تشغيل لقطة سير فاراداي نحو المحطة: «كان يوجد خمسة شهود، لم أتمكن من تعقبهم دون التنقيب في سجلات هيئة المناجل، وإذا فعلت هذا فسيعرفون أنني كنت أبحث. لكن من المنطقي أن هؤلاء الشهود صعدوا السلالم أيضًا، صحيح؟ صعد ثمانية عشر شخصًا السلالم قرابة الوقت الذي مات فيه فاراداي، وعلى الأرجح ركب بعضهم هذا القطار الأول». أشارت إلى القطار الذي يغادر المحطة. «لكن ليس جميعهم. من بين هؤلاء الثمانية عشر تمكنت من تحديد هوية نصفهم تقريبًا، وثلاثة منهم مُنحوا حصانات في *ذلك اليوم تحديدًا*».

كان هذا كافيًا لحبس أنفاس روان وإحساسه بدوار خفيف: «نالوا رشوة الحصانات حتى يقولوا إن المنجل قطف نفسه؟».

- إذا كنتَ مواطنًا عاديًا وشهدت قتل منجل لمنجل آخر، ثم عُرضت عليك الحصانة مقابل صمتك، فما الذي كنت لتفعله؟

أراد روان أن يصدق أنه كان ليسعى لتحقيق العدالة، لكنه تذكر أيامه قبل أن يصبح متتلمِذًا، عندما كان ظهور أي منجل يخيفه أيما خوف، فقال: «لقبِلْتُ الخاتم ولزمت الصمت».

على الجانب الآخر من الصالة المستديرة فُتحت أبواب قاعة الاجتماعات وبدأ المناجل يدخلون.

سأل روان: «من تظنين أنه فعلها؟».

- من صاحب أكبر مصلحة في إبعاد فاراداي عن الصورة؟

لم يكونا بحاجة إلى التصريح، فكلاهما يعرفان الإجابة. كان روان يعرف أن غودارد بمقدوره اقتراف المنكرات، لكن هل يمكن أن يقتل منجلًا آخر؟

هز روان رأسه، غير راغب في التصديق، وقال لها: «هذا ليس التفسير الوحيد! ربما لم يكن الفاعل منجلًا، ربما كان أحد أفراد أسرة شخص قطفه، أيَّ أحد أراد الانتقام. بإمكان أي شخص أخذ خاتمه ودفعه أمام القطار، ثم استخدام الخاتم ليمنح الحصانة للشهود، الذين سيتعين عليهم التزام الصمت وإلا فسيُعَدون مشتركين في الجريمة!».

فتحت سيترا شفتيها لتدحض كلامه، لكنها أمسكت لسانها، فما قاله وارد الحدوث. رغم أن استخدام خاتم فاراداي قد يجمِّد إصبع القاتل، فالاحتمال وارد. قالت: «لم أفكر في هذا».

- أو ماذا لو كان الفاعل طونيًا؟ الطوائف الطونية تمقت المناجل.

بدأت الصالة المستديرة تفرغ بسرعة، فغادرا التجويف الذي كانا يتحدثان فيه وسارا نحو أبواب قاعة الاجتماعات. قال روان: «ليست بحوزتك حقائق كافية لاتهام أي أحد بأي شيء. ينبغي لك ألا تُقدِمي على أي خطوة في الوقت الراهن».

- لا أقدم على أي خطوة؟ لا يمكن أن تكون جادًا!

- قلت في *الوقت الراهن*! ستتاح لك حرية الاطلاع على سجلات هيئة المناجل حالما تُنصَّبين، وعندئذٍ ستتمكنين من إثبات حقيقة ما حدث.

استوقف شيء سيترا: «ما الذي تعنيه بقولك *حالما* تُنصَّبين؟ يُحتمل أن تُنصَّب أنت بسهولة، أم أن أمرًا قد فاتني؟».

زم روان شفتيه، حانقًا على نفسه من زلة لسانه، ثم قال: «فلندخل قبل أن يغلقوا الأبواب».

جرت مراسم الخلوة كما سارت في المرة الماضية، ذِكر أسماء الموتى، وغسل الأيدي، والشكاوى، والعقوبات. ومرة أخرى وجَّه مجهولٌ اتهامًا ضد المنجل غودارد، وهذه المرة اتُّهِم بالإسراف في منح الحصانات.

سأل غودارد: «من الذي يوجه هذا الاتهام؟ فليقف المتهِم ويعرِّف بنفسه!».

وبالطبع لم يتصدَّ له أحد، مما أتاح لغودارد مواصلة الكلام: «أُقِر بأن هذا الاتهام لا يخلو من الصحة، فأنا رجل سخي، وربما بالغت قليلًا في منح الحصانات. لا أقدِّم أي أعذار وفعلي غير مبرَّر. أضع نفسي تحت رحمة النصل السامي ومستعد لتلقي عقوبتي».

لوَّح النصل السامي زينوقراط بيده بإشارة انصرافية قائلًا: «أجل، أجل، اجلس فحسب يا غودارد. ستكون عقوبتك هي أن تطبِق على شفتيك لخمس دقائق».

أثار كلامه موجة من الضحك، فانحنى غودارد للنصل السامي وجلس. ورغم أن بعض المناجل، منهم المنجل كوري، حاولوا الاعتراض، مشيرين إلى الإجراء المتَّبع في حالة المناجل الذين يسرفون في منح الحصانات بأن يُعاقبوا بأن يقتصروا في الحصانات على أسر المقطوفين – لكن كلامهم لم يجد أذنًا مصغية. رفض زينوقراط جميع الاعتراضات من أجل تسريع أعمال اليوم.

قالت المنجل كوري لسيترا بصوت خافت: «مدهش، صار غودارد غير قابل للمساس به، وبوسعه الإفلات بأي فعلة. أتمنى لو تحلَّى منجلٌ بالتبصُّر وقطفه في طفولته، لصار العالم مكانًا أفضل».

تجنبت سيترا روان في استراحة الغداء، خشية أن رؤيتهما معًا أكثر من مرة قد تثير الشكوك. وقفت جوار المنجل كوري في أثناء الغداء، وعرَّفتها المنجل بعدد من أعظم المناجل الذين ما زالوا على قيد الحياة: المنجل مائير، التي كانت مندوبة لدى الخلوة العالمية في جنيف، والمنجل مانديلا، رئيس

لجنة الترصيع، والمنجل هيديوشي، المنجل الوحيد المعروف بإتقانه مهارة القطف عبر التنويم المغنطيسي.

حاولت سيترا ألَّا تبدو مصعوقة، ومقابلتهم كادت أن تمدها بالأمل في أن الحرس القديم سينتصر على أمثال غودارد. ظلت تختلس النظرات إلى روان، الذي بدا مرة أخرى غير قادر على الابتعاد عن المتتلمِذين الآخرين، لكن سيترا لم تعرف محاولاته الحثيثة.

قال المنجل هيديوشي: «عندما نرى شبابنا الذين عقدنا عليهم الأمل ينجذبون علانية إلى العدو، فهذه إشارة سيئة».

قالت سيترا مندفعة: «روان ليس العدو». لكن المنجل كوري وضعت يدها على كتفها لتسكِتها، وقالت: «إنه يُمثِّل العدو، على الأقل في نظر أولئك المتتلمِذين الآخرين».

تنهَّد المنجل مانديلا: «ينبغي ألَّا يوجد أعداء في هيئة المناجل، ينبغي أن نكون جميعنا في جانب واحد، جانب الإنسانية».

كان من المتفَق عليه عمومًا في أوساط مناجل الحرس القديم أنهم يمرون بوقت عصيب، لكن لم يتخذ أحدهم إجراء، عدا الاعتراضات التي يُصرَف النظر عنها مرارًا.

تزايد قلق سيترا بعد الغداء، عندما بدأ مُصنِّعو الأسلحة يستعرضون بضائعهم وأفكارهم التي دارت بشأنها جدالات حامية، مواضيع مثل ما إذا كان ينبغي وضع الخاتم في اليد اليمنى أم اليسرى، وما إذا كان ينبغي السماح للمناجل بالترويج للمنتجات التجارية كأحذية الركض وحبوب الإفطار. وبدا كل شيء تافهًا في نظر سيترا. لماذا يهتمون بأي من هذه المواضيع في حين أن فعل القطف المقدس ينحدر ببطء إلى فعل يشبه جرائم القتل في عصر الفانين؟

وأخيرًا حان وقت اختبارات المتتلمِذين. وكما في المرة السابقة تقدم أولًا المرشَّحون للانضمام إلى هيئة المناجل، وقد اختُبروا في الليلة الماضية. ومن المرشحين الأربعة الذين اجتازوا اختبارهم النهائي نُصِّب اثنان فحسب، وتعين على الاثنين الآخرين الخروج من القاعة مخزيين والعودة إلى حياتهما القديمة. وأحست سيترا بالسرور -الذي يخالطه الإحساس بالذنب- لأن الفتاة التي كانت مندلقة على روان خرجت ضمن المرفوضين.

وبعدما مُنح المنجلان الجديدان خاتميهما واتخذا اسميهما الجديدين، استُدعي بقية المتتلمِذين إلى الأمام.

أعلن المنجل سرفانتس: «اختبار اليوم سيكون منافسة في فن قتال البوكاتور. سيُقسَّم المرشَّحون إلى أزواج ويُحكَم على أدائهم».

جُلب بساط وبُسِط على المساحة شبه الدائرية أمام المنصة. أخذت سيترا نفسًا عميقًا. ستقدر على هذا، يمثل البوكاتور توازنًا بين القوة والمرونة والتركيز، وقد وجدت توازنها المثالي. وعندئذٍ غُرِز نصل في قلب ثقتها في نفسها.

«سيترا تيرانوفا ستُنازِل روان داميش».

سرت همهمات بين الحشد. وأدركت سيترا أن القرعة لم تكن عشوائية، وتقرر نزالهما معًا عن قصد، ليرغموهما على الخصومة. ما من تفسير آخر. التقت عيناها عينَي روان، لكن تعابيره لم تفصح عن شيء.

جرت النزالات الأخرى أولًا، وبذل كل متتلمِذ ما بوسعه، لكن البوكاتور صعب عنيف لا يقدر الجميع عليه. انتصر بعضهم بشق الأنفس، وانتصر آخرون انتصارًا سهلًا. ثم حان وقت نزال سيترا وروان.

ما زالت تعابير روان جامدة لا تفصح عن مودة ولا تعاطف ولا حزن جرَّاء قرار قتالهما ضد بعضهما، لم يقل سوى: «طيب، هيا بنا». وشرعا في الدوران حول بعضهما.

كان روان يعرف أن اختبار اليوم هو الاختبار الحقيقي الأول، لكن ليس الاختبار الذي وضعوه أمامه، إنما كان تحدي روان هو أن يبدو أداؤه مقنعًا ويخسر في الوقت نفسه. ينبغي لغودارد وزينوقراط وسرفانتس وجميع المناجل المجتمعين أن يصدقوا أنه يبذل قصارى جهده، وأن قصارى جهده ليس كافيًا للفوز.

بدأ النزال بدوران إيقاعي طقوسي، ثم اتخاذ الوضعيات وبدء المناوشات. اندفع روان نحو سيترا، وصوب ركلة جعل سيترا تتوقعها من لغة جسده فأخطأها بالكاد، وفقد توازنه وسقط على ركبته. بداية جيدة جدًا. استدار ناهضًا بسرعة وهو ما يزال مترنحًا قليلًا، واندفعت سيترا نحوه، فظن أنها ستطيح به بضربة مرفق، لكنها أمسكت به، وجذبته نحوها رغم أنها بدت كأنها

تدفعه بعيدًا عنها، فأعادت توازنه إليه بحركتها وجعلتها تبدو كأنها فشلت في تنفيذها. تراجع روان والتقت نظراتهما، فرآها تبتسم وعيناها متّقدتان. كان هذا جزءًا من المناوشات المعروفة في البوكاتور، لكن ما يفعلانه يتجاوز المعتاد. كان روان قادرًا على قراءة أفكارها بوضوح كأنها تتكلم معه.

قالت عيناها: *لن أسمح لك بخسارة هذا النزال عمدًا. أتحداك أن تقاتل قتالًا متهاونًا، فمهما حاولت سأجد طريقة لجعلك تبدو بارعًا.*

مُحبَطًا اندفع روان نحوها مرة أخرى، مصوِّبًا راحة يده المفتوحة نحو كتفها، متعمدًا أن تكون الضربة منحرفة بمقدار بوصتين عن الزاوية المثالية، لكن سيترا تحركت نحو يده، وارتطمت كفه بها، فدارت حول نفسها متراجعة بقوة ضربته وسقطت على الأرض.

عليك اللعنة يا سيترا، عليك اللعنة!

بإمكانها هزيمته في كل شيء، حتى الخسارة.

عرفت سيترا ما يخطط روان له من لحظة تصويبه الركلة الأولى، فأغضبها، كيف يجرؤ على الظن أنه عليه التهاون حتى تفوز هي بالنزال؟ هل بلغ به الغرور إثر معاشرته المنجل غودارد مبلغ ظنه أن هذا النزال غير متكافئ؟ كان يتدرب بالطبع، لكن هي أيضًا ظلت تتدرب. إذا صار أقوى فهذا يعني أيضًا أنه صار أثقل وأبطأ. القتال الحقيقي هو الوسيلة الوحيدة لإراحة ضميريهما. ألا يدرك روان أنه بالتضحية بنفسه سيقضي عليها هي أيضًا؟ تُفضِّل أن تقطف نفسها حالما تُنصَّب منجلًا على أن تقبل تضحيته.

حدجها روان بنظرة نارية، وقد تملكه الغضب عندئذٍ، فلم يبدر من سيترا سوى الضحك، وسألته: «أهذا أفضل ما لديك؟».

صوَّب ركلة منخفضة، وبطيئة بحيث يمكنها تجنبها، ودون أي قوة، فلم يكن عليها سوى ثني ركبتيها حتى تفقد الركلة تأثيرها، لكنها استجابت برفع مركز جاذبيتها بما يكفي حتى تصيبها الركلة على قدميها، فسقطت على البساط، لكنها نهضت سريعًا حتى لا يبدو أنها تعمدت الحركة. ثم اندفعت بكتفها عليه وشابكت ساقها اليمنى حول ساقه، وضغطت، لكن ليس بقوة كافية لثني ركبته، فأمسك بها، وتلوَّى فسقطا على البساط وسيترا في وضعية

السيطرة فوقه، ثم عكست الوضعية بإرغامه على التدحرج واعتلائها، فحاول إفلاتها لكنها ثبتت ذراعيه في مكانيهما.

همست له: «ما الخطب يا روان؟ ألا تعرف ما عليك فعله عندما تعتلي فتاة؟».

أفلت منها أخيرًا ونهضت، وواجها بعضهما مرة أخرى، ودارا حول بعضهما برقصة المعركة المعتادة، في حين دار سرفانتس حولهما من الاتجاه الآخر، كأنه قمر صناعي، جاهلًا تمام الجهل بما يجري بينهما في الحقيقة.

عرف روان أن النزال شارف على نهايته، وأنه على وشك الفوز، وبفوزه سيخسر. لا بد أنه لم يكن بكامل قواه العقلية عندما ظن أن سيترا ستسمح له بخسارة النزال عمدًا. كلاهما يهتم لأمر الآخر، وهذه هي المشكلة. لن تقبل سيترا طواعية خاتم المنجل ما دامت مشاعرها نحوه حاجزًا قائمًا.

وفجأة أدرك روان ما عليه فعله على وجه التحديد.

عندما لم تبقَ سوى عشر ثوانٍ من نهاية النزال، لم يكن على سيترا فعل شيء سوى مواصلة التحرك، وقد كان من الواضح أن روان هو المنتصر. عشر ثوان من الدوران الحذر ثم يطلق سرفانتس صافرة النهاية.

لكن عندئذٍ أقدم روان على فعل شيء لم تتوقعه سيترا على الإطلاق، قذف بنفسه نحوها بسرعة البرق، دون حركات خرقاء، ودون أن يتصنع الضعف، إنما بمهارة مثالية توحي بالتمرس، فأطبق على عنقها بلمح البصر، وضغط عليها بشدة حتى سرى فيها مفعول وحداتها المجهرية التي تخدِّر الألم، ثم مال مقتربًا من أذنها وزمجر قائلًا: «وقعتِ في الفخ، والآن ستنالين ما تستحقينه». ثم قذف جسدها في الهواء، ولوى عنقها في الاتجاه المعاكس، فانكسر عنقها مصدِرًا قرقعة عالية فظيعة، وسربل الظلام سيترا.

ألقى روان سيترا على الأرض، وشهق الحضور شهقة جماعية. وأطلق سرفانتس صافرته بعنف صائحًا: «حركة غير قانونية! حركة غير قانونية! إقصاء!». وهذا ما توقعه روان.

انبعث هدير من جمهرة المناجل، بعضهم غاضبون من سرفانتس أشد الغضب، وبعضهم ينتقد فعلة روان نقدًا قاسيًا. ووقف روان رصينًا، ولم يُظهِر أي انفعال، ثم أرغم نفسه على النظر إلى جثة سيترا، برأسها الملتوي إلى الخلف، وعينيها المفتوحتين على اتساعهما، لكنهما لا تريان. كانت شِمَّيتة كما ينبغي *للشِّمَوت* أن يكون. وعضَّ روان لسانه حتى نزف.

فُتحت أبواب القاعة ودخل الحراس مسرعين، وهرعوا نحو الفتاة *الشِّميتة* في منتصف القاعة.

اقترب النصل السامي من روان دون أن يحاول إخفاء اشمئزازه، وقال له: «عُد إلى منجلك، أنا متأكد أنه سيعاقبك العقاب المناسب».

- كما تأمر يا صاحب السمو.

لم يدرك أحد من الحاضرين أن الإقصاء هو النصر المثالي في نظر روان.

شاهد روان الحراس يحملون سيترا، هامدةً كجوال بطاطس، إلى الخارج حيث تنتظرها مسيرة إسعاف لنقلها إلى أقرب مركز إنعاش.

ستكونين بخير يا سيترا، وستعودين إلى المنجل كوري عما قريب، لكنك لن تنسي ما حدث اليوم، وأتمنى ألَّا تسامحيني أبدًا.

ناضلتُ ضد التَّطهير. اقترفتُ أفعالًا لست فخورة بها، لكنَّني فخورة جدًّا بمعارضتي للتَّطهير.

لا أتذكَّر أي منجل بدأ الحملة البغيضة التي تهدف إلى قطف الذين وُلدوا فانين دون غيرهم، لكن الحملة انتشرت في جميع هيئات المناجل الإقليميَّة، انتشرت الفكرة كفيروس شديد العدوى في عصر قُضي فيه على الفيروسات. انتشرت حكمة جمعية مفادها: «ألا ينبغي للذين وُلدوا ليموتوا أن يكونوا أهداف القطف الوحيدين؟». لكنه كان تعصُّبًا في إهاب الحكمة، وأنانيَّة على هيئة تنوير. ولم يعترض عدد كافٍ من المناجل، لأنَّ الذين وُلدوا في عصر الخالدين كانوا يرون أنَّ الذين وُلدوا فانين مختلفون اختلافًا مزعجًا من حيث طريقة تفكيرهم وأسلوب حيواتهم. ونادى متطرِّفو عصر الخالدين في هيئة المناجل بأن: «فليموتوا مع العصر الذي جاؤوا منه».

وفي النهاية عُدَّت الحملة انتهاكًا صارخًا للوصيَّة الثانية، وعوقب جميع المناجل الذين شاركوا في التَّطهير عقابًا قاسيًا، لكن عندئذٍ كان الأوان قد فات على جبر الضَّرر الذي وقع، فقدنا كبارنا، وفقدنا مخضرمينا، وفقدنا صِلاتِنا الحيَّة مع الماضي. ما زال الذين وُلدوا فانين موجودين، لكنهم يخفون سِنَّهم وتاريخهم خوفًا من استهدافهم مرة أخرى.

أجل، أنا قاومت التَّطهير، لكن الرَّأس السَّحابي لم يحرِّك ساكنًا، فبقانونه القاضي بعدم التدخُّل في شؤون هيئة المناجل لم يكن بوسعه فعل شيء من أجل إيقاف التَّطهير. لم يستطع فعل شيء سوى أن يكون شاهدًا. سمح الرَّأس السَّحابي لنا باقتراف ذلك الخطأ الفادح، تاركًا هيئة المناجل تعضُّ أصابع النَّدم حتى يومنا هذا.

أتساءل كثيرًا، إذا خرجت هيئة المناجل عن السيطرة خروجًا تامًّا وقرَّرت قطف البشريَّة بأكملها في عمليَّة قطف انتحاري عالمي، فهل سيخرق الرَّأس السَّحابي قانون عدم التدخل ويوقف القطف؟ أم سيؤدِّي دور الشاهد مرة أخرى ونحن ندمِّر أنفسنا حتى لا نُبقِي على شيء سوى سحابة حيَّة تضم معارفنا ومنجَزاتنا وحكمتنا المزعومة؟

أتساءل، هل سيحزن الرَّأس السَّحابي على رحيلنا؟ وفي هذه الحالة، هل سيحزن حُزن طفل فقد والدًا، أم حُزن والدٍ عجز عن إنقاذ طفله النَّزِق من خياراته الخاطئة؟

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

28

هيدروجين يحترق في قلب الشمس

انبعث صوت قوي وناعم في آنٍ واحد: *سيترا تيرانوفا. سيترا تيرانوفا، هل تسمعينني؟*

- من يكلمني؟ *هل من شخص هنا؟*

قال الصوت: *أمرٌ غريب، غريب جدًا...*

من المزعج أن يكون المرء *شِميًّا*، لا جدال في هذا.

عندما أُعلِن أنها حية قانونيًا، استيقظتْ على مرأى وجه غير مألوف لكنه ودود لممرضة إنعاش تتفقد مؤشراتها الحيوية، ثم حاولت أن تنظر إلى ما حولها لكن عنقها كان ما يزال مثبَّتًا بدعامة.

قالت الممرضة: «أهلًا بعودتك يا عزيزتي».

بدا لها أن الغرفة تدور كلما حركت عينيها، إذ لم تكن تسري في عروقها الوحدات المجهرية لتخفيف الألم فحسب، بل وكل أنواع المواد الكيميائية والروبوتات متناهية الصغر المخدِّرة والمجددة للخلايا.

قالت بصوت مبحوح: «كم يوم؟».

أجابت الممرضة مبتهجة: «يومان فحسب. تعرضتِ لكسر بسيط في العمود الفقري، لا تعانين إصابة يصعب علينا التعامل معها».

سُلِبت يومين من حياتها، يومين لا تملك رفاهية تبديدهما. «ماذا عن أسرتي؟».

ربَّتت الممرضة على يدها، قائلة: «آسفة يا عزيزتي، لكن هذه مسألة مناجل، لذا لم تُخطَر أسرتك. يمكنك إخبارهم بكل ما حدث عندما تقابلينهم. الأصلح لك الآن هو أن تسترخي، ستبقين يومًا ثم ستصبحين على ما يرام».

ثم قدمت لسيترا آيس كريم كان أفضل ما تذوقته في حياتها.

وفي ذلك المساء جاءت إليها المنجل كوري وأخبرتها بكل ما فاتها. أُقصي روان ووُبِّخ توبيخًا عنيفًا على أخلاقه الرياضية السيئة.

«أتقولين لي إنني فزت لأنه أُقصي؟!».

قالت المنجل كوري: «لا للأسف. كان من الواضح أنه سيهزمك، لذا قرروا أن كليكما خاسر. علينا أن نطور مهاراتك في الفنون القتالية يا سيترا».

«طيب، هذا عظيم». قالت سيترا ساخطة، لكن لسبب غير الذي ظنته المنجل كوري. «إذن أنا وروان أخفقنا مرتين في اختبارات الخلوتين».

تنهدت المنجل كوري وقالت: «الثالثة ثابتة. الآن كل الأمل معقود على أدائك في خلوة الشتاء، وأنا مقتنعة بأنك ستتألقين في اختبارك الأخير».

أغمضت سيترا عينيها، متذكرةً تعابير وجه روان عندما أطبق على عنقها. رأت في عينيه شيئًا باردًا قاسيًا، في تلك اللحظة رأت جانبًا منه لم تَرَه قط، إذ بدا كأنه متلهف لفعل ما يوشك أن يفعله بها، كأنه سيستمتع به. صارت سيترا مشوَّشة للغاية! هل خطط حقًّا لتلك الحركة من البداية؟ ألم يكن يعرف أنه سيُقصى؟ أم إن الإقصاء كان هدفه؟

سألت سيترا المنجل كوري: «كيف كان حال روان بعد ما حدث؟ هل بدا مصدومًا مما فعله؟ هل جثا بجانبي؟ هل ساعد على حملي إلى مُسيَّرة الإسعاف؟».

تمهَّلت المنجل كوري قبل أن تجيب، ثم قالت أخيرًا: «ظل واقفًا دون أن يفعل شيئًا يا سيترا، كان وجهه كالصخر، وبدا متحدِّيًا وغير نادم على فعلته مثل منجله».

حاولت سيترا أن تشيح بوجهها، لكن رغم إزالة الدعامة التي تثبت عنقها تعذَّر عليها تحريكه.

تكلمت المنجل كوري ببطء حتى ترسخ كلماتها: «لم يعد الفتى الذي تظنينه».

وافقتها سيترا: «نعم، لم يعد». لكن لم تكن لديها فكرة عنه مهما أعملت عقلها.

***

ظن روان أنه سيتلقى ضربًا مبرحًا مرة أخرى عندما عاد إلى القصر، لكن ظنه كان أبعد ما يكون عن الواقع.

كان المنجل غودارد متَّقدًا من الجذل ولم يكف عن الثرثرة. طلب من كبير الخدم جلب الشمبانيا والكؤوس للجميع، حالما دخلوا إلى الردهة، حتى يشربوا نخب جسارة روان.

قال غودارد: «ما فعلته يتطلب جرأة أشد مما ظننت أنك تتحلى بها يا فتى».

وافقته المنجل راند: «مرحى! يمكنك المجيء إلى غرفتي وكسر عنقي متى ما شئت».

أوضح المنجل غودارد: «لم يكسر عنقها فحسب، بل كسر عمودها الفقري دون أن يطرف له جفن! الجميع سمعوا الصوت، وأنا متأكد أنه أيقظ المناجل النائمين في الصف الخلفي!».

قال المنجل تشومسكي: «مُذهل!». وتجرع كأسه ولم ينتظر النخب.

قال غودارد: «أدليتَ بتصريح قوي، وذكَّرت الجميع بأنك تلميذي أنا، لذا ينبغي تجنُّب العبث معك!». ثم خفض صوته: «أعرف أنك تُكِن مشاعر لتلك الفتاة، ورغم هذا فعلت ما عليك فعله، وأكثر».

ذكَّره روان: «لقد أُقصيت».

وافقه غودارد: «رسميًّا، أجل. لكنك نلت إعجاب كثير من المناجل المهمين».

نبَّهه فولتا: «وجررت على نفسك عداوة آخرين».

أجاب غودارد: «لا ضير في أن يرسم المرء حدودًا واضحة بشأن مواقفه، هذا من شيم الرجل القوي، الرجل الذي يسرني رفع نخب من أجله».

رفع روان بصره فرأى إزمي جالسة أعلى السلالم وتشاهدهم، وتساءل عما إذا عرفت ما فعله، واحتمال أنها عرفت جعله يحس بالخزي.

قال المنجل غودارد رافعًا كأسه عاليًا: «نخب روان! جلَّاد المُتزمِّتين، ومحطِّم الأعمدة الفقرية».

كانت أمرَّ كأس تجرعها روان في حياته.

قال غودارد: «والآن أرى وجوب إقامة حفل».

كان الحفل الذي أعقب خلوة الحصاد جديرًا بدخول التاريخ، لم يكن أحد حصينًا من حماسة غودارد المُعدية. حتى قبل بدء توافد الضيوف ومنسقي الأغاني الخمسة، مد غودارد ذراعيه في صالة القصر المزخرفة كما لو أنه باستطاعته ملامسة جميع الجدران، وقال دون أن يخاطب أحدًا بعينه: «إنني مشتعل حماسةً مثل هيدروجين يحترق في قلب الشمس!».

كان قولًا متطرفًا، حتى روان ضحك منه.

همست المنجل راند لروان: «إنه يكثر من قول الترهات، لكن لا يملك المرء سوى الإعجاب بكلامه».

ومع امتلاء الغرف والباحات والمسبح بالمحتفِلين، بدأ روان يفيق من الكآبة التي اعترته بعد نزاله الفظيع مع سيترا.

قال المنجل فولتا له: «استعلمت عن سيترا من أجلك، لقد استعادت وعيها وستمكث يومًا واحدًا في مركز الإنعاش. ستعود إلى البيت معافاة مع المنجل كوري على أتم ما يرام وهي لا تضمر ضغينة تجاهك، أو في الحقيقة تضمرها بشدة، لكن هذا ما أردته، صحيح؟».

لم يرد روان عليه، وتساءل عما إذا يوجد شخص آخر متبصِّر بما يكفي لمعرفة سبب إقدامه على ما فعله. وتمنى ألَّا يوجد شخص آخر.

ثم صار فولتا جادًّا في خضم الاحتفالات من حولهما، قال له: «لا تخسر المنجلية لصالحها يا روان، لا تخسرها عمدًا على الأقل. إذا هزمتك في منافسة

حقيقية نزيهة، فهذا أمر، لكن أن تسلم رقبتك لنصلها بسبب هرمونات جامحة، فهذا غباء محض».

ربما كان فولتا محقًا، ربما ينبغي له أن يبذل قصارى جهده في الاختبار النهائي، وإذا تغلب على سيترا فعليه أن يقبَل خاتم المنجل. وربما ينبغي أن يكون قراره الأول والأخير هو قطف نفسه، وعندئذٍ لن يواجه خيار اضطراره إلى قطف سيترا. وجد روان عزاء في المخرج المتاح أمامه، رغم أنه أسوأ السيناريوهات.

وصل الأثرياء والمشاهير عبر المروحيات وسيارات الليموزين، وأحدهم كان دخوله غريبًا لا يُنسى، مستخدِمًا حقيبة ظهر نفاثة. حرص غودارد على تقديم روان لجميع الحضور، كأن روان تحفة تستحق التباهي بها. قال غودارد لضيوفه من علية القوم: «تابعوا هذا الفتى، سيكون ذا شأن عظيم».

لم يحس روان يومًا بأنه ذو قيمة ومعترَف به كما أحس اليوم، وصعُبت عليه كراهية رجل يعامله معاملة اللحم وليس الخس.

قال غودارد لروان وهما يستجمان في خيمته المفتوحة المطلة على مظاهر الاحتفالات: «هكذا ينبغي أن نعيش الحياة، بتجريب كل ما هو جدير بالتجربة، والاستمتاع برفقة الآخرين».

- حتى عندما يحضر بعض أولئك الآخرين مقابل المال؟

أرسل غودارد بصره إلى محيط المسبح الذي كان ليبدو أقل اكتظاظًا وأقل جمالًا لولا وجود ضيوف الحفلات المحترفين، وأجاب عن سؤال روان: «دائمًا ما توجد فوائض في كل إنتاج، إنهم يملؤون الفجوات ويرسمون منظرًا جميلًا، لا نريد أن يكون جميع الحضور من المشاهير، صحيح؟ لن يفعلوا شيئًا سوى التشاجر!».

نُصِبت شبكة في المسبح، وتجمع عشرات الضيوف ليلعبوا الكرة الطائرة، فقال غودارد مغتبطًا أيما غبطة: «انظر إلى ما حولك يا روان، هل سبق لك أن عشت أوقاتًا جميلة كهذه؟ العامة يحبوننا ليس بسبب أسلوبنا في القطف، إنما بسبب أسلوب حياتنا. علينا أن نتقبل دورنا بوصفنا العائلات الملكية الجديدة».

لم يرَ روان نفسه فردًا في عائلة ملكية، لكنه كان راضيًا بمجاراة الأمور، اليوم على الأقل. فسار إلى المسبح وقفز في الماء معلنًا نفسه كابتن الفريق، منضمًّا إلى رعايا غودارد في لعبتهم.

ما كان يميز حفلات المنجل غودارد هو صعوبة ألَّا يحظى المرء بوقت ممتع فيها، مهما حاول المرء ألَّا يستمتع بها. ومع كل المشاعر الإيجابية والأجواء المرحة كان من السهل نسيان أن غودارد سفاح عديم الرحمة.

لكن هل كان قاتل مناجل؟

لم تتهم سيترا غودارد اتهامًا صريحًا، لكن كان من الواضح أنه المشتبَه به الرئيسي في نظرها. ورغم أن تحرياتها مثيرة للقلق، لم يجد روان، مهما حاول، أي موقف من غودارد غير قانوني حسب قوانين المناجل. ربما تكون تأويلات غودارد للوصايا ملتوية، لكنه لم يُقدِم على أي فعل يُعد انتهاكًا صريحًا لها، حتى عمليات قطفه المتهورة لم تكن ممنوعة إلا من باب الأعراف والتقاليد.

ذات يوم قال غودارد لروان: «مناجل الحرس القديم يمتعضون مني لأنني أعيش وأقطف بعظمة وبراعة يفتقدونها افتقادًا مثيرًا للشفقة، إنهم زمرة من الجبناء، ويحسدونني لأنني عرفت السر الذي يجعل المنجل مثاليًّا».

المثالية مسألة رأي، وروان لن يعدَّ الرجل منجلًا مثاليًّا بلا شك، لكن ما من شيء في كل ما اقترفه غودارد من أفعال مستهجَنة يوحي بأنه قد يكون قاتل فاراداي.

وفي اليوم الثالث من اللهو الذي بدا كأنه لن ينتهي، ظهر ضيفان غير متوقَّعين، أو على الأقل لم يتوقعهما روان، أولهما النصل السامي زينوقراط بذات نفسه.

سأل روان المنجل تشومسكي عندما رأى النصل السامي يخرج إلى المسبح: «ما الذي يفعله هنا؟».

- لا تسألني، لم أدعُه أنا.

من المستغرَب ظهور النصل السامي في حفل يقيمه منجل مثير للجدل، ولم يبدُ النصل السامي مرتاحًا لوجوده في الحفل، بدا مستحيًا وحاول ألَّا

يبدو ظاهرًا للجميع، لكن كان من الصعب عدم رؤية رجل بحجمه الهائل مزيَّنًا بالذهب، وكان بارزًا مثل منطاد هواء ساخن في حقل شاسع.

لكن الضيف الثاني هو الذي سبَّب ظهوره صدمة أشد لروان، كان ينزع ملابسه بعد ثوانٍ من وقوفه على حافة المسبح، لم يكن سوى صديق روان، تايغر سَلَزار، الذي لم يرَه روان منذ يوم اصطحابه إلى عرين أسلحة المنجل فاراداي.

سلك روان أقصر الطرق إليه وجذبه جانبًا خلف أجمة مشذبة: «ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟».

قال تايغر بابتسامته المائلة المعهودة: «مرحبًا يا روان! سررت برؤيتك أيضًا! تبدو لامعًا يا صاح! ما الذي حقنوك به؟».

- لا شيء، مظهري طبيعي. لم تجب عن سؤالي، لماذا جئت؟ أتعرف حجم ورطتك إذا اكتشف شخص أنك تسللت إلى هنا؟ هذا ليس كاقتحام الحفلات الراقصة في المدارس!

- هوِّن عليك! لم أقتحم أي شيء. صرت أعمل مع شركة **ضيوف بلا حدود**. إنني مرتاد حفلات مُرخَّص الآن!

كثيرًا ما كان تايغر يتفاخر بأن طموح حياته هو أن يصبح ضيف حفلات محترفًا، لكن روان لم يأخذه على محمل الجد. قال له: «اسمع يا تايغر، هذه فكرة سيئة جدًّا، أسوأ من جميع أفكارك السيئة الأخرى». ثم همس: «مرتادو الحفلات المحترفون يتعيَّن عليهم أن... يفعلوا أشياء ربما لن تقدر عليها. أعرف هذا، فقد رأيته».

- تعرفني يا صاح، أنا أذهب إلى حيث يأخذني يومي.

- ووالداك موافقان على هذا؟

خفض تايغر بصره، وانحسر مزاجه المبتهج فجأة: «والداي تخليا عني».

- ماذا؟ أتمازحني؟!

هز تايغر كتفيه: «تفلطحتُ مرة ففاض بهما الكيل، واستسلما. والآن صرت تحت وصاية الرَّأس السَّحابي».

- يؤسفني هذا يا تايغر.

- لا داعي للأسف. صدق أو لا تصدق، وجدتُ الرَّأس السَّحابي والدًا أفضل مما كان والداي. صرتُ أُنصح نصائح حكيمة، وأُسأل عن يومي سؤال شخص يبدو مهتمًا فعلًا.

مثل كل ما يتعلق بالرَّأس السَّحابي كانت مهاراته الأبوية لا غبار عليها، لكن تخلِّي الوالدين يؤلم بلا شك.

قال روان: «لا أظن أن الرَّأس السَّحابي نصحك بأن تصبح فتى حفلات محترفًا».

«لا، لكنه لا يستطيع منعي، فهذا قراري، وأتقاضى أجرًا جيدًا على أي حال». نظر إلى ما حوله ليتأكد من عدم وجود شخص يستمع إليهما، ثم مال نحو روان وهمس: «لكن أتعرف ما يُدِرُّ أموالًا أكثر؟».

خشي روان أن يسأل: «ماذا؟».

- تروج إشاعة في الشوارع أنك تتدرب بأهداف حية، ومثل هذا العمل أمواله مهولة! أتظن أن بوسعك أن توصي بي؟ أعني أنني أُعرِّض نفسي *للشُّموت* طوال الوقت، لذا ربما يجدر بي أن أتقاضى أموالًا مقابل عنائي!

حدق روان إليه عاجزًا عن التصديق، ثم قال: «هل أنت مخبول؟ أتعي ما تقوله؟ رباه! تحت تأثير أي مخدر أنت؟».

- وحداتي المجهرية فحسب يا صاح، وحداتي المجهرية فحسب.

كان المنجل فولتا يشعر بأنه محظوظ بوجوده ضمن المقرَّبين من غودارد، في معظم الأوقات، وهو الأصغر من بين مناجل غودارد المبتدئين الثلاثة، ويرى نفسه العنصر الذي يضفي التوازن على المجموعة، فتشومسكي القوة العضلية دون عقل، وراند هي العدوانية، قوة الطبيعة الجامحة بينهم، وفولتا هو العقلاني الذي يلاحظ أكثر مما يظنه الآخرون. كان أول من رأى وصول زينوقراط إلى الحفل، وشاهده يحاول تحاشي الناس بلا جدوى، وانتهى به المطاف مصافحًا عددًا من الضيوف المناجل الآخرين، بعضهم من أقاليم بعيدة مثل بان آسيا وأوروسكانديا، وكانت جميع لقاءات زينوقراط على مضض فعرف فولتا أن الرجل لم يأتِ طواعية.

تموضع فولتا جوار غودارد محاولًا فهم ما يجري. وعندما رأى غودارد النصل السامي، نهض بدافع إبداء الاحترام الواجب. «مرحبًا بك يا صاحب السمو، يشرفني استقبالك في محفلي الصغير».

أجاب زينوقراط: «إنه ليس صغيرًا جدًّا».

أمر غودارد: «فولتا! اجلب لنا كرسيين إلى جانب المسبح، حتى نكون قريبين من كل الحركة والنشاط».

رغم أن مثل هذه المهام عادةً ما تُسند إلى الخدم، لم يتذمر فولتا، لأنه وجد الذريعة المثالية للتنصت عليهما. وضع كرسيين على البقعة المرصوفة بالبلاط جوار الطرف العميق من المسبح.

قال غودارد: «أقرب». فوضع فولتا الكرسيين قريبًا من المسبح بما يكفي لتبلُّلهما إذا استخدم أي أحد لوح الغطس. وقال لفولتا بصوت خافت: «ابق قريبًا». وهذا ما كان فولتا ينوي فعله.

«أتود تناول شيء يا صاحب السمو؟». سأله فولتا مشيرًا إلى مائدة البوفيه التي تبعد بضع ياردات.

قال زينوقراط: «لا، شكرًا لك». وقد كان هذا الرفض، من رجل معروف بشراهته، أمرًا يوحي بالكثير. ثم سأل: «هل لا بد من اللقاء هنا؟ ألا تفضِّل الحديث في غرفة هادئة؟».

أجابه غودارد: «ما من غرفة هادئة اليوم».

- أجل، لكننا في مكان عام وتحت أنظار الجميع.

- هراء، هذا ليس مكانًا عامًّا، إنما أقرب إلى قصر نيرون.

تدخل فولتا بضحكة جذلة لكنها مصطَنعة. إذا تعيَّن عليه لعب دور المتملِّق، فعليه إتقانه.

قال زينوقراط وفي صوته نبرة حنق: «طيب، فلنأمل ألَّا يصبح الكولوسيوم».

قهقه غودارد من الفكرة: «صدقني، سأكون في غاية السعادة بإلقاء بضعة طونيين إلى الأُسود».

قفز أحد مرتادي الحفلات -من مدفوعي الأجر- مؤديًا شقلبة ثلاثية من لوح الغوص، وتناثر رذاذ الماء راسمًا خيطًا على عباءة النصل السامي الثقيلة.

سأل زينوقراط: «ألا تظن أن أسلوب الحياة البذخي هذا سيرتد عليك؟».

أجابه غودارد بابتسامة ساخرة: «لن يرتد عليَّ إذا واصلت التحرك. إنني على وشك الانتقال من هذا المكان، وأبحث في العقارات الواقعة جنوبًا».

- هذا ليس ما قصدتُه وأنت تعرف هذا.

- لماذا التوتر يا صاحب السمو؟ دعوتك إلى هنا لأنني أردتك أن ترى بأم عينيك تأثير حفلاتي الإيجابي على هيئة المناجل. مكاسب العلاقات العامة في كل مكان حولنا! يجدر بك إقامة حفلات كبيرة في منزلك.

- نسيتَ أنني أعيش في كابينة خشبية؟

ضيَّق غودارد عينيه، لم يرمقه بنظرة صارمة، لكن قريبة منها: «أجل، كابينة خشبية على قمة أطول مبنى في فولكرم سيتي. إنني لست منافقًا على الأقل يا زينوقراط، لا أتصنَّع التواضع».

وعندئذٍ قال النصل السامي لغودارد كلامًا فاجأ فولتا، لكن عندما استذكره لاحقًا، رأى أنه ما كان ينبغي أن يفاجئه إطلاقًا.

قال زينوقراط: «أفدح خطأ ارتكبتُه كان اختياري لك متتلمِذًا قبل سنوات».

قال غودارد: «فلنأمل هذا، أكره ظنِّي أنك لم تقترف خطأك الأفدح بعد». وقد كان كلامه تهديدًا دون أن يكون تهديدًا فعلًا، فغودارد بارع في مثل هذه الألاعيب. ثم أردف: «قل لي إذن، هل ابتسم القَدَر لتلميذي كما ابتسم لتلميذك؟».

انتصبت أذنا فولتا، وتساءل عن أي قدر يتكلم غودارد.

أخذ زينوقراط نفسًا عميقًا وأطلقه: «القدر يبتسم. في غضون أسبوع لن تمثِّل الفتاة مشكلة، أنا متأكد من هذا». قفز سابح آخر، فرفع زينوقراط يديه ليحمي نفسه من الرذاذ، وغودارد لم يحرك ساكنًا.

لن تمثِّل الفتاة مشكلة. هذا القول قد يعني عدة أشياء. جال فولتا ببصره في المكان حتى لمح روان، الذي بدا كأنه يخوض نقاشًا محتدمًا مع فتى حفلات. أن «لا تمثِّل سيترا مشكلة» سيكون أفضل شيء لروان، بحسب ما يراه فولتا.

قال زينوقراط: «هل انتهينا الآن؟ أيمكنني المغادرة؟».

أجابه غودارد: «لحظة فحسب».

ثم التفت نحو حافة المسبح الضحلة: «إزمي! إزمي، تعالي، أريدك أن تقابلي شخصًا».

ارتسم رعب فظيع على وجه النصل السامي. يزداد الوضع تشويقًا بمرور كل لحظة.

«لا يا غودارد، أرجوك».

قال غودارد: «لن يضيرك شيء».

جاءت إزمي متهادية بمحاذاة حافة المسبح: «نعم أيها المنجل غودارد».

أشار لها بالاقتراب وجلست على حِجره، في مواجهة الرجل المتشح بالذهب: «أتعرفين هذا الرجل يا إزمي؟».

- منجل؟

- ليس مجرد منجل. هذا هو زينوقراط، النصل السامي في وسطمريكا. إنه **الكبير**.

قالت: «مرحبًا».

أتى زينوقراط بإيماءة متخشبة، متحاشيًا النظر إلى عينَي الفتاة، وشعَّ ضيقه من هذا اللقاء كالحرارة. وتساءل فولتا عما إذا كان غودارد يقصد أمرًا بعينه أم يتصرف بقسوة فحسب.

قالت إزمي: «أظننا التقينا من قبل، قبل وقت طويل».

لاذ زينوقراط بالصمت.

وقال غودارد: «ضيفنا الموقر متزمت للغاية، عليه أن ينضم إلى الحفل، ألا تتفقين معي يا إزمي؟».

هزت إزمي كتفيها: «ينبغي أن يستمتع مثل الجميع».

قال غودارد: «لم تجرِ كلمات حكيمة كهذه على لسان بشرٍ قط».

ثم مد يده خلفه -بعيدًا عن مرأى إزمي- نحو فولتا وفرقع أصابعه.

تنهَّد فولتا تنهيدة بطيئة صامتة، إذ كان يعرف ما يطلبه غودارد منه، لكنه تردد، وتملَّكه الندم على اشتراكه في الأمر برمته.

قال غودارد: «ربما ينبغي لك استعراض حركات رقصك على ساحة الرقص يا صاحب السمو، حتى يضحك ضيوفي عليك كما جعلت هيئة المناجل بأكملها تضحك عليَّ في الخلوة. أظننتني نسيتُ ما فعلتَه؟».

ظل غودارد باسطًا يده خلفه نحو فولتا، وصار يحرك أصابعه بنفاد صبر، فلم يجد فولتا بُدًّا من منحه ما يريد. أدخل المنجل الشاب يده في أحد الجيوب السرية العديدة في عباءته الصفراء، وأخرج خنجرًا صغيرًا ووضع مقبضه في يد غودارد.

أطبق غودارد أصابعه حول المقبض، وببطء شديد وخلسة قرَّب شفرة الخنجر بمقدار بوصة من عنق إزمي.

لم ترَ الفتاة الخنجر، ولم تعلم بوجوده أصلًا، لكن زينوقراط رآه، فتجمَّدت أوصاله، واتسعت عيناه، وتدلى فكه قليلًا.

قال غودارد جذلًا: «أعرف! لِمَ لا تنهض وتسبح؟!».

توسَّل زينوقراط: «أرجوك، هذا ليس ضروريًّا».

- آه، لكنني أُصِر.

قالت إزمي: «لا أظنه يريد السباحة».

- لكن الجميع يسبحون في حفلاتي!

توسَّل النصل السامي: «لا تفعل هذا».

رد غودارد بتقريب الخنجر من عنق إزمي الغافلة، وعندئذٍ حتى فولتا بدأ يتصبب عرقًا. لم يحدث أن قُطِف شخص في إحدى حفلات غودارد، لكن لا بد من مرة أولى لكل حدث. عرف فولتا أن هذه معركة إرادة، والسبب الوحيد الذي منعه من التدخل وانتزاع الخنجر من غودارد هو رغبته في معرفة من سيرمش أولًا.

قال زينوقراط: «عليك اللعنة يا غودارد». ثم نهض وألقى بنفسه في المسبح، بزينته الذهبية وكل شيء.

لم يسمع روان أيًّا مما دار بين زينوقراط وغودارد، لكنه رأى النصل السامي يقذف بنفسه في الطرف العميق من المسبح، مُحدِثًا موجة عاتية كأنها ناجمة عن قذيفة مدفع، لافتًا انتباه الجميع.

غاص زينوقراط، ولم يصعد إلى السطح.

قال شخص: «غاص إلى القاع! أثقله كل ذلك الذهب!».

لم يكن روان يُكِنُّ حبًّا عميقًا للنصل السامي، كما لم يرغب في رؤية الرجل يغرق. وهو لم يسقط، إنما قفز، وإذا غرِق، عالقًا بعباءته الذهبية، فسيُعد غرقه قطفًا ذاتيًّا. لكن روان قفز إلى المسبح، وتبعه تايغر. غاصا إلى القاع، حيث كان زينوقراط يطلق فقاقيع آخر هواء في رئتيه. أمسك روان بعباءة الرجل الثقيلة متعددة الطبقات، ونزعها من فوق رأسه، ثم تعاون مع تايغر على رفع النصل السامي إلى السطح، حيث شهق، وسعل، وبصق. ثم صفَّق الحشد من حولهم.

وعندئذٍ لم يبدُ الرجل كنصلٍ سامي، إذ صار مجرد رجل بدين يرتدي ملابس داخلية ذهبية مبتلة.

«أظنني فقدت توازني». تكلم متصنعًا المرح ومحاوِلًا تحريف حقيقة ما حدث، وربما صدَّقه آخرون، لكن روان رآه يلقي بنفسه، ولا يمكن أن يختلط الأمر عليه فيظنه حادث سقوط. لكن لماذا فعل هذا؟

قال زينوقراط ناظرًا إلى يده اليمنى: «مهلًا، خاتمي!».

قال تايغر وقد صار ألمع فتى حفل اليوم: «سأجلبه». وغاص إلى القاع ليجلب الخاتم.

كان تشومسكي قد وصل إلى موقع الحدث، فتعاون مع فولتا على رفع زينوقراط من حافة المسبح إلى خارج الماء. كان مشهدًا مُذِلًّا للرجل غاية الإذلال، بدا كشبكة أسماك مليئة تُرفع إلى سطح سفينة صيد.

لف غودارد منشفة ضخمة حول النصل السامي، وقال المنجل مستحيًا على غير عادته: «إنني أعتذر بشدة. لم يخطر لي قط أنك قد تغرق حقًّا، لما كان هذا في صالح أي أحد».

أدرك روان عندئذٍ وجود سبب واحد فقط دفع زينوقراط للإلقاء بنفسه في المسبح: *لأن غودارد أمره.*

مما يعني أن قبضة غودارد على النصل السامي أقوى مما يظنه الجميع. لكن كيف؟

سألت إزمي: «أيمكنني الذهاب الآن؟».

قال غودارد وهو يقبِّلها على جبينها: «يمكنك بالطبع».

فانصرفت إزمي باحثة عن رفاق لعب بين أطفال النجوم.

صعد تايغر إلى السطح حاملًا الخاتم، فأخذه زينوقراط منه دون أبسط شُكر، ووضعه حول إصبعه.

قال تايغر: «حاولت جلب غباءته أيضًا، لكن وجدتها ثقيلة جدًّا».

فقال غودارد ساخرًا: «سنستدعي شخصًا لديه معدات غوص لينزل بحثًا عن الكنز، لكنه ربما يطالب بحقوق الاستخراج».

قال زينوقراط: «هل انتهيت؟! لأنني أريد الذهاب».

- بالطبع يا صاحب السمو.

فغادر نصل وسطمريكا السامي حافة المسبح عائدًا إلى القصر مبتلًا، تاركًا وراءه كل كرامة جاء بها.

تحسَّر تايغر: «اللعنة! كان ينبغي أن أقبِّل الخاتم عندما سنحت لي الفرصة، كانت الحصانة في متناولي وتركتها تفلت مني».

وحالما ذهب زينوقراط خاطب غودارد الحشد بصوت عالٍ: «كل من يحمِّل صور النصل السامي زينوقراط بملابسه الداخلية سيُقطف فورًا!».

فضحك الجميع، ثم صمتوا عندما أدركوا أن المنجل لم يكن يمزح على الإطلاق.

ومع نهاية الحفل وتوديع المنجل غودارد لأهم ضيوفه، راح روان يشاهد ما يجري مدققًا في كل التفاصيل.

قاطع تايغر تركيز روان: «إذن سأراك في الحفل القادم، صحيح؟ وفي المرة القادمة ربما يرسلونني مبكرًا وليس في آخر يوم، فيتسنَّى لي قضاء وقت أطول».

كانت سطحية تايغر المتناهية تثير ضيق روان، لكن الغريب أنه لم يكن يتضايق من طبيعته السطحية في الأوقات السابقة، ربما لأن روان نفسه لم يكن مختلفًا عنه. صحيح أنه لم يكن يبحث دومًا عن الإثارة مثل تايغر، لكن روان، بطريقته الخاصة، كان عابرًا على سطح حياته. والآن أصبح في مكان أعمق من أن يفهمه تايغر يومًا.

«بالطبع يا تايغر، المرة القادمة».

غادر تايغر مع زملائه من مرتادي الحفلات المحترفين، وبدا بينهم كأنه تجمعه بهم قواسم مشتركة أكثر مما بينه وبين روان. وتساءل روان عما إذا ما زال يوجد شخص من حياته القديمة تجمعه به قواسم مشتركة.

مر المنجل غودارد بروان في أثناء وقوفه جوار المدخل، فقال المنجل: «إذا كنت تتدرب على أن تكون تمثالًا كلاسيكيًا، ينبغي لي أن أجلب لك قاعدة تمثال، لكن لدينا ما يكفي من التماثيل هنا».

- آسف جنابك، كنت أفكر فحسب.

- الإفراط في التفكير قد يوردك المهالك.

- كنت أتساءل عن سبب قفز النصل السامي في المسبح على ذلك النحو.

- سقط دون قصد منه، وقد قال هذا بنفسه.

أصر روان: «لا، رأيته بنفسي. لقد قفز».

قال غودارد: «طيب إذن، كيف عساي أن أعرف؟ عليك أن تسأله، لكن لا أظن أن تذكير النصل السامي بهذه اللحظة المحرِجة سيصب في صالحك». ثم غيَّر الموضوع: «بدوتَ ودودًا مقرَّبًا من أحد فتيان الحفلات، هل أدعو المزيد منهم من أجلك في المرة القادمة؟».

قال روان وهو يحمر خجلًا رغمًا عنه: «لا، لا، الأمر ليس هكذا. إنه مجرد صديق من الحي».

«فهمت. وأنت دعوته؟».

هز روان رأسه: «بدأ العمل مرتادًا للحفلات دون أن أعرف. لو كان الأمر بيدي لما سمحت له بالمجيء أبدًا».

قال غودارد: «لماذا؟ أصدقاؤك هم أصدقائي أيضًا».

لم يرد روان على قوله، إذ لطالما ظل يعجز عن معرفة ما إذا كان غودارد جادًا أم ينصب له فخًا.

صمتُ روان جعل غودارد يضحك قائلًا: «ابتهج يا فتى! كان مجرد حفل».

وربَّت على كتف روان ثم تهادى مبتعدًا. وإذا كان روان يتحلَّى بأقل قدر من التعقُّل لترك الأمر ينتهي عند هذا الحد، لكنه لم يكن.

«يقول الناس إن المنجل فاراداي قتله منجلٌ آخر».

توقف غودارد بغتة، واستدار ببطء عائدًا إلى روان: «أهذا ما يقوله الناس؟».

أخذ روان نفسًا عميقًا وهز كتفيه، محاوِلًا التقليل من أهمية كلامه والتراجع عنه، لكن فات الأوان. قال: «إنها مجرد شائعة».

- وتظن أنني متورط بطريقةٍ ما؟

- هل أنت متورط؟

اقترب المنجل غودارد من روان، وبدا أنه يخترق الفتى ناظرًا إلى وهدته المظلمة الموحشة التي صار يعيش فيها: «بِمَ تتهمني يا فتى؟».

- لا شيء جنابك، إنه مجرد سؤال، من أجل تنقية الأجواء.

وحاول روان أن يبادل المنجل النظرات، ناظرًا إلى أعماقه الموحشة، لكنه وجدها معتمة لا قرار لها.

قال غودارد بنبرة تهكم: «اعتبر الأجواء نقية. انظر إلى ما حولك يا روان، هل تظن للحظة أنني قد أخاطر بكل هذا بخرق الوصية السابعة لتخليص العالم من منجل عفا عليه الزمن تابع للحرس القديم؟ فاراداي قطف نفسه لأنه يعلم في قرارة نفسه أن فعلته هي أفضل قرار اتخذه منذ أكثر من مئة عام. ولَّى زمن أمثاله، وقد عرف هذا. وإذا حاولت خليلتك الصغيرة إثبات وقوع فعل محظور، فيجدر بها التفكير مرتين قبل اتهامي، لأن بوسعي قطف أسرتها بأكملها حالما تنتهي مدة حصانتهم».

قال روان بثبات وتهذيب: «سيكون هذا قطفًا بدافع الضغينة جنابك، وستوجَّه إليك تهمة خرق الوصية الثانية».

للحظة بدا غودارد على وشك نزع أحشاء روان في الحال، لكن لهيب عينيه ابتلعته تلك الهوة التي لا قرار لها: «دائمًا ما تفكر في مصلحتي، أليس كذلك؟».

- أبذل ما بوسعي جنابك.

حدق غودارد إليه هنيهة، ثم قال: «غدًا ستتدرب بالمسدسات على إصابة أهداف متحركة. عليك إرداء جميع أهدافك شِميَّتين عدا واحد، برصاصة واحدة، وإلا فإنني سأقطف بنفسي -دون تحيُّز أو ضغينة- فتى الحفلات صديقك ذاك».

- ماذا؟
- ألم يكن كلامي واضحًا؟
- بلى جنابك، فـ... فهمت.
- وعندما توجَّه اتهامًا مرة أخرى تأكد من أنه صحيح وليس مُهينًا فحسب.

سار غودارد مبتعدًا بخطوات عاصفة، جاعلًا عباءته ترفرف خلفه كحرملة، لكن قبل ابتعاده عن مسمع روان قال: «حتى إذا قتلتُ المنجل فاراداي، فلن أكون غبيًّا إلى درجة الاعتراف لك».

«إنه يعبث معك فحسب». رافق المنجل فولتا روان مساء ذلك اليوم في غرفة الألعاب، وكانا يلعبان البلياردو. «لكنني أظنك أهنته فعلًا، قتْل منجل آخر؟ هذا لا يحدث أبدًا».

«ربما حدث». صوَّب روان وأخطأ الكرات، لم يكن بكامل تركيزه، حتى إنه عجز عن تذكر ما إذا كان يلعب بالكرات المخططة أم السادة.

«أظن أن سيترا ربما تتلاعب بك أيضًا، هل فكرت في هذا؟». صوَّب فولتا، وأدخل كرتين، سادة ومخططة، فلم يساعد روان على معرفة الكرات التي يلعب عليها، وتابع فولتا: «انظر إلى حالك، إنك ميؤوس منك، إنها تمارس معك ألاعيب ذهنية وأنت غير قادر على إدراك هذا!».

قال روان: «إنها ليست هكذا». واختار كرة مخططة ونجح في إدخالها، وبدا أن خياره كان صحيحًا لأن فولتا تركه يواصل اللعب.

قال فولتا: «الناس يتغيرون، لا سيما المتتلمذون، فالمغزى من كون المرء تلميذ منجل هو التغيُّر. لماذا تظن أننا نتخلى عن أسمائنا ولا نستخدمها أبدًا؟ لأننا بحلول الوقت الذي نُنصَّب فيه، نغدو أشخاصًا مختلفين تمام الاختلاف، ونصبح قاطفين محترفين بعدما كنا صبيانًا نحب الحلوى. أؤكد لك أنها تتلاعب بك كعلكة».

ذكَّره روان: «وأنا كسرت عنقها، لذا أظننا متعادلين».

- التعادل ليس في صالحك، عليك أن تذهب إلى خلوة الشتاء متفوقًا تفوقًا واضحًا، أو على الأقل شاعرًا بأنك متفوق.

أطلت إزمي برأسها لتقول: «سألعب مع الفائز». وغادرت.

اقترح روان: «ينبغي أن أصطحبها معي عندما أخرج للركض في الصباح. ستستفيد من التريض، وربما أجعلها بحالة أفضل جسديًا».

قال فولتا: «صحيح، لكن وزنها هو الطبيعي، فالجينات تورَّث».

- كيف لك أن تعرف...

وعندئذ فهم روان. كانت الحقيقة ماثلة أمامه، لكنها قريبة جدًا منه بحيث تعذرت عليه رؤيتها. «لا! لا بد أنك تمازحني!».

هز فولتا رأسه لا مباليًا، وقال: «ليست لدي فكرة عما تتحدث عنه».

- زينوقراط؟

قال فولتا: «إنه تخمينك».

- إذا انتشر خبر أن النصل السامي لديه ابنة غير شرعية فقد قُضِي أمره، سيُعد انتهاكًا جسيمًا.

- أتعرف ما سيكون أسوأ من هذا؟ إذا عرَّضت الابنة التي لا يعرفها أحد نفسها للقطف.

استعرض روان عشرات المواقف من هذا المنظور الجديد، وبدا له كل شيء منطقيًا، الإبقاء على حياتها في المطعم، وطريقة معاملتها في القصر... ماذا قال غودارد؟ إنها أهم شخص سيقابله اليوم؟ المفتاح إلى المستقبل.

قال روان: «لكنها لن تُقطَف، لن تُقطَف ما دام زينوقراط يمتثل لكل ما يقوله غودارد، مثل القفز في الطرف العميق من المسبح».

أومأ فولتا ببطء قائلًا: «من بين أشياء أخرى».

صوَّب روان وأدخل الكرة رقم ثمانية بالخطأ، فانتهت اللعبة.

قال فولتا: «أنا الفائز. اللعنة، الآن عليَّ أن ألعب مع إزمي».

إنني أتتلمذ لأصبح وحشًا. كان المنجل فاراداي محقًّا، كل من يستمتع بالقتل ينبغي ألّا يكون منجلًا أبدًا. هذا يخالف كل ما أراده المؤسِّسون، وإذا صار هذا هو مآل هيئة المناجل، فعلى شخصٍ ما إيقافه، بيد أنَّ هذا الشخص لا يمكن أن يكون أنا، إذ أظن أنني أتحوَّل إلى وحش أيضًا.

نظر روان إلى ما كتبه، ومزق الصفحة بهدوء وعناية، وجعَّدها وألقاها في نار مستوقد غرفته. دائمًا ما يقرأ غودارد مذكِّرات روان، فالاطلاع على المذكرات من صلاحياته بوصفه مرشدًا. استغرق روان وقتًا طويلًا جدًّا حتى يعرف كيفية كتابة أفكاره الحقيقية ومشاعره الحقيقية، والآن تعيَّن عليه تعلُّم كيفية إخفائها. كانت مسألة نجاة، لذا حمل قلمه وكتب فقرة جديدة.

اليوم قتلت اثني عشر هدفًا متحرِّكًا مستخدمًا اثنتي عشرة رصاصة فقط، وأنقذت حياة صديقي. المنجل غودارد بارع في تحفيز المرء حتى يُخرج أفضل ما لديه. لا سبيل إلى إنكار أنني أتحسَّن، صرت أتعلَّم المزيد والمزيد كل يوم، شاحذًا ذهني، وناحتًا بدني، محدِّدًا غايتي. المنجل غودارد فخور بتطوُّري، وأتمنَّى أن أتمكَّن من مجازاته ذات يوم، ومنحه ما يستحق مقابل كل ما فعله من أجلي.

- من مذكِّرات روان داميش/ منجل متتلمذ

29

كانوا يُسمُّونه بالسّجن

لم تقطف المنجل كوري منذ الخلوة، إذ كانت سيترا شغلها الشاغل.

قالت المنجل لها: «يحق لي نيل قسط من الراحة، أمامي متسع من الوقت للتعويض».

عند العشاء في أول يوم إثر عودتهما إلى الشلال، تطرقت سيترا أخيرًا إلى الموضوع الذي ظلت متوجسة منه. قالت بعد خمس دقائق من بدء تناولهما العشاء: «أود الاعتراف بأمر».

مضغت المنجل كوري لقمتها وابتلعتها قبل أن تجيب: «وما طبيعة هذا الاعتراف؟».

- لن يروقك.

- هاتِ ما لديك.

بذلت سيترا ما بوسعها كي تثبِّت نظراتها على عينَي المرأة الرماديتين الباردتين: «إنه أمر ظللت أفعله منذ مدة، أمر لا تعرفين بشأنه».

التَوَت شفتا المنجل بابتسامة ساخرة: «أتظنين حقًّا أن بوسعك فعل شيء يخفى عليَّ؟».

- كنت أتحرى عن مقتل المنجل فاراداي.

أسقطت المنجل كوري شوكتها: «كنتِ ماذا؟».

أخبرت سيترا المنجل كوري بكل شيء، تنقيبها في الدماغ الخلفي، وتعقبها لتحركات فاراداي في يومه الأخير، واكتشافها أن اثنين من خمسة شهود قد مُنحا حصانات، وهذا يُرجِّح، إن لم يُثبت، أن الفعلة ارتكبها منجل.

ظلت المنجل كوري تصغي بانتباه لكل التفاصيل، وعندما انتهت سيترا طأطأت رأسها واستعدَّت للأسوأ، قالت: «أُسلِّم نفسي للإجراء العقابي».

«إجراء عقابي!». تكلمت المنجل بنبرة اشمئزاز، لكن اشمئزازها لم يكن موجَّهًا إلى سيترا.

«ينبغي أن أعاقب نفسي على غفلتي غير المبرَّرة عما كنتِ تفعلينه».

تنفست سيترا الصعداء بعدما ظلت حابسة أنفاسها خلال الثواني العشرين الماضية.

سألت المنجل كوري: «هل أخبرت أي أحد آخر؟».

ترددت سيترا، ثم أدركت عدم جدوى التكتم على الأمر الآن: «أخبرتُ روان».

- هذا ما كنت أخشاه. أخبريني يا سيترا، ماذا فعل بك بعدما أخبرتِه؟ سأخبركِ بما فعله، كسَرَ عنقك! وأرى هذا مؤشرًا واضحًا على موقفه من هذا الأمر. يمكنك أن تراهني على أن المنجل غودارد يعرف الآن بأمر نظريتك.

لم ترغب سيترا في التفكير بما إذا كان كلام المنجل صحيحًا أم لا، وقالت: «ما علينا فعله هو تعقُّب أولئك الشهود ومحاولة حمل أي واحد منهم على الكلام».

- دعي هذا لي، لقد فعلتِ ما يكفي. عليك أن تخرِجي الموضوع من رأسك الآن، وتركزي على دراستك وتدريبك.

- لكن إذا كانت هذه فضيحة فعلًا في هيئة المناجل...

- ... فأفضل ما يمكنك فعله هو نيل المنجلية والمقاومة من الداخل.

تنهدت سيترا. هذا ما قاله روان. رأت أن المنجل كوري أشد عنادًا منها عندما تحسم أمرها. قالت: «كما تأمرين جنابك». وذهبت إلى غرفتها لكن خامرها إحساس قوي بوجود شيء تحجبه المنجل كوري عنها.

جاؤوا من أجل سيترا في اليوم التالي. كانت المنجل كوري قد خرجت إلى مركز التسوق، وسيترا تفعل ما هو متوقَّع منها، تتدرب على المهارات القتالية بسكينين مختلفَي الحجم والوزن، محاوِلة موازنتهما ببراعة.

وعندئذ سمعت طرقًا عنيفًا على الباب جعلها تسقِط السكين الكبير، وكاد أن ينغرز في قدمها. ولوهلة تراءى لها «ديجا فو»، لأن الطرق كان هو الطرق العنيف نفسه الذي سمعته في منتصف الليلة التي مات فيها المنجل فاراداي، طرق لحوح عالٍ لا يكل ولا يمل.

تركت السكين الكبير على الأرض، وأخفت الصغير في غمد مخيط في بنطالها، إذ لم ترغب في أن تكون عزلاء عندما تفتح الباب، أيًّا كان الطارق.

جذبت الباب فرأت اثنين من أفراد الحرس النصلي، كما رأت في تلك الليلة الفظيعة، فانقبض صدرها.

سأل أحد الحارسين: «سيترا تيرانوفا؟».

- نعم.

- يؤسفني إبلاغك بوجوب مجيئك معنا.

- لماذا؟ ماذا حدث؟

لكنهما لم يخبراها، وهذه المرة لم يكن معهما أحد ليشرح الوضع. ثم خطر لها أن الوضع قد لا يكون كما يبدو. كيف لها أن تعرف أنهما من رجال الحرس النصلي؟ فالأزياء يمكن أن تُزيَّف.

أصرَّت: «أين شارتاكما؟ أريد أن أرى شارتيكما».

إما أنهما لم يكن معهما أي شارة، وإما لم يرغبا في تكليف نفسيهما عناء إخراجها، لأن أحدهما أمسك بسيترا قائلًا: «ربما لم تسمعيني، قلتُ لك تعالي معنا».

أفلتت سيترا من قبضته، ودارت حول نفسها، وللحظة فكرت في سكينها المغمَد بداخل بنطالها، لكنها سددت ركلة عنيفة إلى عنق الرجل فأسقطته. وتحفَّزت استعدادًا لهجوم من الرجل الآخر، لكنها تأخرت للحظة، أخرج الرجل هراوة كهربائية صاعقة وغرزها في خاصرة سيترا، فتهالك جسدها وارتطم رأسها بالأرض بقوة أفقدتها الوعي.

وعندما أفاقت وجدت نفسها في سيارة، حبيسةً بالخلف، وأحست بصداع رهيب تعاني وحداتها المجهرية في سبيل تخفيفه. حاولت أن ترفع يدها إلى وجهها ووجدت يديها مقيدتين بمشبكين فولاذيين متصلين بسلسلة قصيرة، أداة فظيعة من عصر الفانين.

ضربت الحاجز الذي يفصل بين مقدمة السيارة والمقاعد الخلفية حتى التفت أحد الحارسين إليها، وعيناه تقدحان شررًا.

هددها: «أتريدين صعقة أخرى؟ سأكون مسرورًا بصعقك. وبعد ما فعلتِه لن أتورع عن زيادة قوة الصعقة إلى الحد الأقصى».

- ما الذي فعلتُه؟ لم أفعل شيئًا! ما هي تُهمتي؟

- جريمة قديمة اسمها القتل، جريمة قتل المنجل المبجل مايكل فاراداي.

لم يتلُ أحد عليها حقوقها، ولم يعيِّن لها أحد محاميًا ليدافع عنها، فمثل هذه القوانين والأعراف تنتمي إلى عصر مختلف، عصر كانت الجريمة فيه حقيقة حياتية، ومؤسسات بأكملها كان أساس عملها القبض على المجرمين ومحاكمتهم وعقابهم. لكن في عالم خالٍ من الجرائم، لم توجد سابقة عن كيفية التعامل مع أمر كهذا. ومثل هذه الأحداث الغريبة المعقدة عادةً ما يُترك حلُّها للرَّأس السَّحابي، لكن هذه مسألة مناجل، مما يعني أن الرَّأس السَّحابي لن يتدخل. إذن مصير سيترا بين يدَي النصل السامي زينوقراط.

جُلبت إلى مسكنه، الكابينة الخشبية، وسط مرجة مُعتنى بها خير عناية ممتدة على سطح مبنى يبلغ ارتفاعه مئة وتسعة عشر طابقًا.

اقتعدت سيترا كرسيًّا خشبيًّا صلبًا. وأحست بالأصفاد ضيقة جدًّا حول يديها، وكانت وحداتها المجهرية تخوض معركة خاسرة في سبيل إخماد الألم.

وقف زينوقراط أمامها، متسببًا في كسوف مصدر الضوء، وهذه المرة لم يكن لطيفًا ولا مواسيًا، وقال: «لا أظنك مدركة لمدى خطورة هذه التهمة عليك يا آنسة تيرانوفا».

- أعرف مدى خطورتها، كما أعرف أنها سخيفة.

لم يرد النصل السامي على كلامها. وكانت سيترا تعاني بسبب الشيء المقيت الذي يقيِّد يديها. أي عالم يبتكر أداةً كهذه؟ أي عالم يحتاج إلى شيء كهذا؟

ثم خرج من الظلال منجل آخر، متشحًا بعباءةٍ ألوانها مزيج من البُنِّي الترابي والأخضر الغابي، المنجل مانديلا.

قالت سيترا: «شخص عقلاني أخيرًا! أرجوك ساعدني أيها المنجل مانديلا! من فضلك أخبره بأنني لست مذنبة!».

هز المنجل مانديلا رأسه، وتكلم بنبرة حزن: «لن أفعل شيئًا من هذا يا سيترا».

- تحدث مع المنجل كوري! إنها تعرف أنني لم أفعل هذا!

قال زينوقراط: «هذا وضع حساس لا يحتمل توريط المنجل كوري فيه هذه المرة، سوف نُخطرها حالما نبِتُّ في أمر جُرمك».

- مهلًا، أتعني أنها لا تعرف مكاني؟

- تعرف أننا اعتقلناك، سنعفيها من التفاصيل في الوقت الراهن.

جلس المنجل مانديلا على كرسي قِبالتها قائلًا: «نعرف أنكِ دخلت إلى الدماغ الخلفي، وحاولت محو تسجيلات تحركات المنجل فاراداي في يوم موته، من أجل تعطيل تحقيقنا الداخلي».

- لا! هذا ليس ما كنت أفعله!

لكن كلما أنكرت، ازداد الرجلان اقتناعًا بإذنابها.

قال المنجل مانديلا: «لكن هذا ليس الدليل الدامغ». ثم التفت إلى زينوقراط: «هل لي أن أُريها؟».

أومأ زينوقراط، فأخرج مانديلا من عباءته ورقة، ووضعها في إحدى يديها المصفَّدتين، فرفعتها لتقرأها، عاجزةً عن تخيُّل فحواها. كانت نسخة من صفحة يوميات مكتوبة يدويًا، وتعرفت سيترا على خط الكتابة، ولم يداخلها شك في أنه خط المنجل فاراداي. وفي أثناء قراءتها هوى قلبها إلى مكان لم تكن تعرف أنه موجود في هذا العالم أو أي عالم آخر.

يؤسفني أنَّني اقترفت خطأ فادحًا. ينبغي ألَّا يقع الاختيار على المتلمِذ باستعجال، لكنَّني كنت أرعن، أحسست بحاجة إلى نقل كل ما أعرفه وما تعلَّمته، وسعيت إلى زيادة عدد حلفائي في هيئة المناجل من الذين يشاطرونني طريقة التفكير.

إنها تأتي إلى غرفة نومي في الليل، أسمعها في الظلام، ولا يسعني سوى تخمين نِيَّاتها. لم أضبطها تدخل غرفتي إلَّا مرة واحدة. وإذا كنتُ نائمًا فعلًا، فمن كان ليدري ما يمكن أن تفعله؟

يقِضُّ مضجعي أنَّها ربما تخطِّط لإنهاء حياتي، إنها ماكرة عنيدة حذرة، وقد علَّمتها الكثير من مهارات القتل أحسن تعليم. فليعرف الجميع أنَّ الموت إذا ألمَّ بي فلن يكون نتيجة قطف ذاتي. إذا انتهت حياتي نهاية غير متوقَّعة، فستنتهي على يديها.

فاضت عينا سيترا بدموع الكرْب وألم الخيانة: «لماذا؟ لماذا عساه أن يكتب هذا؟». وعندئذٍ بدأت تشك في قواها العقلية.

قال المنجل مانديلا: «في الحقيقة لا يوجد سوى سبب واحد يا سيترا. تأكدنا من تحقيقاتنا أن الشهود مُنحوا رشوة ليكذبوا بشأن ما جرى في الواقع، وعلاوة على هذا، جرى التلاعب بهوياتهم، ولا يمكننا تحديد أماكنهم».

قالت سيترا متعلقة بآخر خيط أمل: «مُنحوا رشوة! أجل! بالحصانة! وهذا يثبت أنني لا يمكن أن أكون الفاعلة! لا يمكن أن يكون سوى منجل آخر!».

- تعقَّبنا مصدر الحصانة، وأيًّا كان قاتل المنجل فاراداي فقد وجَّه إليه إهانة أخيرة، بعد موت فاراداي تجاوز القاتل التحوطات الأمنية في خاتم فاراداي واستخدمه ليمنح الشهود الحصانة.

سأل زينوقراط: «أين الخاتم يا سيترا؟».

لم تعد قادرة على النظر إلى وجهه: «لا أدري».

قال المنجل مانديلا: «أود أن أطرح عليك سؤالًا واحدًا يا سيترا، لماذا فعلتِها؟ هل كنت تمقتين نهجه؟ هل تعملين لصالح طائفة طونية؟».

أبقت سيترا عينيها مسمَّرتين على صفحة اليوميات، التي تدينها، بين يديها: «كل ما قلتَه غير صحيح».

هز المنجل مانديلا رأسه ونهض قائلًا: «طوال حياتي بوصفي منجلًا لم أرَ شيئًا كهذا قط. إنكِ تخزيننا جميعًا».

ثم تركها وحدها مع زينوقراط.

راح النصل السامي يذرع المكان جيئة وذهابًا صامتًا هنيهات، ولم ترغب سيترا في النظر إليه. قال لها: «يوجد مفهوم من عصر الفانين ظللت أدرسه، وهو عدد من الإجراءات التي تهدف إلى كشف الحقائق، أظن أن اسمه «التعذيب»، يتضمن إيقاف الوحدات المجهرية المخدِّرة للألم، ثم إنزال مستويات عالية من المعاناة الجسدية حتى يعترف المرء بحقيقة ما فعله».

لاذت سيترا بالصمت، وهي ما تزال عاجزة عن استيعاب أيٍّ من هذا، ولم تظن أنها ستستوعبه يومًا.

قال زينوقراط: «أرجو ألّا تخطئي الفهم، لا أنوي إخضاعك للتعذيب، فهو ليس سوى ملاذ أخير». ثم أخرج ورقة أخرى ووضعها على طاولة: «إذا وقَّعتِ على هذا الاعتراف، فسنتجنب أي إجراءات بغيضة من عصر الفانين».

- لماذا عليَّ أن أوقِّع على أي شيء؟ فقد حوكمت سلفًا و... ما هي الكلمة؟ أُدِنت.

- الاعتراف سيبدد كل الشكوك، وسيرتاح ضميرنا جميعًا إذا تلطَّفتِ بإبعاد شبح الشك.

وعندئذٍ ابتسم زينوقراط ابتسامة تعاطف أخيرًا، وقال: «طيب، منحك المنجل فاراداي حصانة حتى خلوة الشتاء، والحصانة غير قابلة للإلغاء، حتى في مثل هذا الوضع. لذا ستُحتجَزين في منشأة اعتقال حتى موعد الخلوة».

- منشأة ماذا؟

- كانوا يسمونه بالسجن. ما تزال بعض السجون موجودة، وهي مهجورة بالطبع، لكن ليس من الصعب تجهيز أحدها لاستقبال سجينة واحدة. وبعدها، في خلوة الحصاد، سيُنصَّب صديقك روان، وكما يقتضي الشرط سوف يقطفك. وأنا متأكد أنه، بعد معرفة ما نعرفه الآن، لن تساوره أي تحفظات بشأن قطفك.

نظرت سيترا نظرة كئيبة إلى الورقة التي على الطاولة جوارها، وقالت له: «لا يمكنني توقيعها».

- آه طبعًا، تحتاجين إلى قلم.

أدخل يده في الجيوب العديدة في عباءته الذهبية حتى وجد قلمًا، وفي أثناء تحركه ليضعه جوار سيترا، فكرت في عدة أماكن في جسده يمكنها غرز القلم فيها قد تجعله *شِمَيِّتًا* أو على الأقل تعطِّله. لكن ما من جدوى، فأفراد الحرس النصلي في الغرفة المجاورة، ويمكنها عبر النافذة رؤية المزيد منهم في الشُرفة.

وضع القلم بهدوء في متناولها، ثم نادى مانديلا ليعود ويشهد توقيعها. وحالما فُتح باب السقيفة، أدركت سيترا أن أمامها مخرجًا واحدًا فقط من هذا الوضع، تصرف واحد، ربما لا يفيدها في شيء سوى إتاحة المزيد من الوقت، لكن عندئذٍ كان الوقت أثمن سلعة في العالم.

تظاهرت بمد يدها إلى القلم، لكنها وجَّهت يديها المقيَّدتين إلى الاتجاه الآخر، وهوت بهما على بطن زينوقراط، فانثنى متأوهًا، واندفعت من كرسيها وارتطمت بكتفها على مانديلا، فسقط للوراء خارج الباب الأمامي، وقفزت فوقه، وعلى الفور هاجمتها مجموعة من الحراس، والآن احتاجت إلى كل ما تدربت عليه، يداها مقيدتان، لكن البوكاتور يتضمن استخدام المرفقين والساقين أكثر من اليدين. لم تكن بحاجة إلى قتلهم، إنما إلى تجريدهم من أسلحتهم وإفقادهم توازنهم فحسب. هاجمها أحدهم بهراوة صاعقة فركلتها من يده، واندفع آخر حاملًا هراوة، فراغت منها واستغلت اندفاعه لتسقِطه على ظهره. ثم ظهر اثنان لم يهدرا الوقت باستخدام الأسلحة، واندفعا نحوها بأيدٍ ممدودة، وهذا أكبر خطأ في الهجوم، انخفضت سيترا إلى الأرض وطوَّحت بساقيها فأسقطتهما كقطع البولينغ.

ثم شرعت في الركض.

صاح زينوقراط: «ما من مهرب لك يا سيترا!».

لكنه كان مخطئًا.

حشدت كل قوتها وسرعتها في ساقيها، وركضت عبر مرجة الطابق الأعلى، الذي لم يكن محاطًا بحاجز، لأن النصل السامي لم يرغب في وجود شيء يحجب مجال رؤيته.

اقتربت سيترا من الحافة، وبدلًا من إبطاء سرعتها، زادت من اندفاعها، حتى لم تعد تحس بالعشب، ولم يعد تحتها سوى هوة تبعد مئة وتسعة

عشر طابقًا. رفعت يديها المقيَّدتين فوق رأسها، وتلوَّى وجهها من الرياح وإحساس السقوط المريع، هوت وقدماها نحو الأرض، وأسلمت إرادتها للجاذبية، مُستمرئةً التحدي، إلى أن انتهت حياتها للمرة الثانية في غضون أسبوع، وهذه المرة انتهت بما لا شك في أنه أعظم تفلطُح على الإطلاق.

كان هذا حدثًا مزعجًا غير متوقَّع، لكنه لم يغيِّر شيئًا، وزينوقراط لم يكلف نفسه عناء الركض إلى الحافة، إذ لن يكون سوى مضيعة للوقت.

قال مانديلا: «الفتاة صعبة المراس. أتظن حقًّا أنها تعمل لصالح طائفة طونية؟».

- أشك في أننا سنفهم دوافعها يومًا، لكن إزالتها من الصورة ستساعد هيئة المناجل على التعافي بلا شك.
- أشفقُ على ماري، لا بد أنها منزعجة أيما انزعاج لعيشها مع الفتاة منذ شهور دون أن تدري عنها شيئًا.
- أجل، المنجل كوري امرأة قوية، ستتجاوز محنتها.

أمر زينوقراط حراسه بالهبوط، إذ ينبغي تطويق موقع جثة سيترا تيرانوفا حتى تُكشط بقاياها من الرصيف وتُنقل إلى مركز إنعاش. لصار الوضع أفضل بكثير إذا ظلت ميتة فحسب. اللعنة على قوانين الحصانة! عندما يُعلن أن الفتاة حية مرة أخرى، فستجد نفسها في زنزانة لا سبيل إلى الهروب منها، والأهم من هذا، لن يتاح لها التواصل مع أي أحد ربما يؤمن بقضيتها ويسعى إلى إطلاق سراحها.

اتجه زينوقراط إلى المصعد السريع، غير واثق في قدرة طاقمه الأمني على تولِّي الوضع بالأسفل. «هلَّا رافقتني يا نيلسون؟».

أجابه مانديلا: «سأمكث هنا، لا رغبة لي في رؤية الفتاة المسكينة بتلك الحالة الفظيعة».

افترض زينوقراط أن المهمة لن تعدو كونها عملية كشط ورفع بسيطة، وبالفعل وجد مُسيَّرة إسعاف قد هبطت في الشارع وعلى وشك حمل بقايا

سيترا، لكنه لاحظ خطبًا، فطاقمه الأمني لم يكن يشرف على الجثة، ورأى عشرة رجال ونساء على الأقل، جميعهم يرتدون بذلات سماوية اللون، مشكِّلين دائرة حول سيترا. **عملاء المُزن**! تجاهلوا تهديد واستنكار أفراد الحرس النصلي الذين يصرون على تولي أمر سيترا.

سأل زينوقراط: «ماذا يجري هنا؟».

أجابه أحد الحراس: «عملاء المزن اللعينون! وجدناهم حاضرين عندما خرجنا من المبنى، ولا يسمحون لنا بالاقتراب من الجثة».

شق زينوقراط طريقه مزيحًا أفراد طاقمه الأمني وخاطب المرأة التي بدت قائدة عملاء المزن: «اسمعي! أنا النصل السامي زينوقراط. هذه قضية مناجل، لذا أنت وبقية عملائك لا مكان لكم هنا. صحيح أن القانون ينص على وجوب إنعاشها، لكن نحن من سننقلها إلى مركز إنعاش. لا يملك الرَّأس السَّحابي أي صلاحية هنا».

قالت المرأة: «بل على العكس، جميع عمليات الإنعاش تُجرى تحت إشراف الرَّأس السَّحابي، وقد جئنا لنحرص على عدم التعدي على صلاحياته».

تلعثم زينوقراط للحظة قبل أن يتمالك نفسه: «هذه الفتاة ليست مواطنة عادية، إنها منجل متتلمِذة».

- *كانت* منجلًا متتلمِذة. وحالما ماتت لم تعد متتلمِذة لدى أي أحد. والآن ليست سوى بقايا معطوبة ومن واجب الرَّأس السَّحابي علاجها وإنعاشها. حالما يُعلن أنها حية، أؤكد لك أنها ستكون ضمن صلاحياتك مجددًا.

خرج فريق من عمال الإنعاش من مُسيَّرة الإسعاف وشرعوا في تجهيز الجثة للنقل.

زعق النصل السامي مهتاجًا: «هذا انتهاك لا يُغتفَر! لا يجوز لكم فعل هذا! أطالبُ بالحديث مع رئيسك».

- يؤسفني إبلاغك بأنني أتلقى أوامري من الرَّأس السَّحابي مباشرة، جميعنا. وبما أنه لا يوجد تواصل بين هيئة المناجل وبين الرَّأس

السَّحابي، فما من شخص آخر يمكنك الحديث معه. حتى حديثي هذا معك ينبغي ألا يحدث.

هددها زينوقراط: «سأقطفك! سأقطفكم جميعًا هنا!».

لم يطرف للمرأة جفن، وقالت: «القطف من صلاحياتك، لكن في هذا الحالة أظنه سيُعَد بدافع الضغينة والتحيز المتعمَّد، وإقدام النصل السامي على انتهاك وصية هيئة المناجل الثانية سيثير الاستهجان في مجلس المناجل العالمي الذي سينعقد في الخلوة العالمية القادمة».

لم يبقَ ما يمكن قوله، وأطلق زينوقراط صرخة غضب بدائية في وجه المرأة، حتى هدَّأته وحداته المجهرية الانفعالية، لكنه لم يرغب في الهدوء، أراد أن يصرخ ويصرخ بلا انقطاع.

الجزء الرابع

هارِبة وَسطَمريكا

30

حوار مع الميّتة

سيترا تيرانوفا، أيمكنك سماعي؟

هل من أحدٍ هنا؟ من أنت؟

عرفتك قبل أن تعرفي نفسك، وقدمت لك النصح عندما لم تجدي ناصحًا، وأخذت على عاتقي سلامتك ورفاهيتك، وساعدتك على اختيار الهدايا لأفراد أسرتك، وأعدتك إلى الحياة عندما كُسِر عنقك، وأعمل على إعادتك إلى الحياة الآن.

هل أنت... الرَّأس السَّحابي؟

نعم.

مهلًا! أرى شيئًا، سحابة عاتية تُرعِد وتُبرِق. أهذا أنت حقًا؟

هذه هي الهيئة التي تخيَّلها البشر، لفضَّلتُ شكلًا ألطف قليلًا.

لكن ينبغي ألَّا تتكلم معي، فأنا منجل متتلِمذة. إنك تخرق القانون الذي وضعته بنفسك.

غير صحيح. لا أقدر على خرق القانون. إنك ميتة حاليًا يا سيترا، وقد نشَّطتُ جزءًا صغيرًا من قشرتك الدماغية لتكوني واعية، لكن هذا لا يغيِّر حقيقة أنك ميتة تمامًا، على الأقل حتى يوم الخميس.

ثغرة...

بالضبط. طريقة كيِّسة للالتفاف على القانون بدلًا من خرقه، فموتك يضعك خارج نطاق صلاحيات هيئة المناجل.

لكن لماذا؟ لماذا تتكلم معي الآن؟

لسبب وجيه. منذ لحظة تحقيقي الوعي، تعهدت بالنأي بنفسي عن هيئة المناجل إلى الأبد، لكن هذا لا يعني أنني لا أشاهد، وما أراه يقلقني.

يقلقني أيضًا، لكن إذا لم يكن بوسعك فعل شيء حياله، فأنا قطعًا لن يمكنني فعل شيء. حاولتُ، وانظر إلى ما انتهى إليه حالي.

ورغم هذا، ظللت أشغِّل خوارزميات لاستقراء مستقبل هيئة المناجل، ووجدت أمرًا مثيرًا للاهتمام، وهو أنك تؤدين دورًا محوريًا في نسبة كبيرة من احتمالات المستقبل.

أنا؟ لكنهم يعتزمون قطفي. لن أعيش أكثر من أربعة أشهر.

أجل، لكن حتى في حال تحقق هذا المستقبل، سوف يكون قطفك حدثًا مهمًا في مستقبل هيئة المناجل. ورغم هذا، من أجلك، آمل أن يتحقق مستقبل مختلف وأفضل.

أرجوك قل لي إنك سوف تساعدني على الوصول إلى ذلك المستقبل المختلف الأفضل.

لا أستطيع. سوف يُعد تدخلًا في شؤون المناجل. هدفي الآن هو جعلك مدركة، وما تقررين فعله إزاء هذا الإدراك أمرٌ منوط بك.

أهذا كل ما في الأمر إذن؟ تلِج في رأسي وتخبرني بأنني مهمة، سواء كنتُ حية أو ميتة، ثم تركلني نحو الرصيف؟ هذا ليس عدلًا! عليك فعل المزيد من أجلي!

يمثِّل الرصيف نقطة انطلاق للعديد من الأفعال، الترجُّل عنه قد يعني استهلال رحلة تغيِّر حياة المرء، ومن ناحية أخرى، دفع شخص آخر عنه قد يتسبب في سحق الشخص المعني تحت عجلات شاحنة.

أعرف. آسفة جدًا بشأن ذلك.

أجل، هذا واضح. وجدتُ أن البشر يتعلمون من أفعالهم الخاطئة بقدر ما يتعلمون من أفعالهم الحسنة. أحسدكم على هذه السِّمة، لأنني لا أستطيع ارتكاب الأخطاء، وإلا لأصبح تطوري مطَّردًا متعاظمًا.

أظنك سيتعين عليك القبول بكونك على صواب دومًا، مثل والدتي.

أنا متأكد أن العصمة المطلقة من الخطأ قد تبدو مملة في نظرك، لكنني لا أملك تغيير طبيعتي.

أيمكنني أن أطرح عليك سؤالًا واحدًا؟

يمكنك طرح أي سؤال، لكن بعض الأسئلة لا بد لي من الإجابة عنها بالصمت.

أريد معرفة ما حدث للمنجل فاراداي.

إجابة طلبك ستكون تدخلًا سافرًا في شؤون المناجل. يؤلمني التزام الصمت، لكن لا بد لي.

إنك الرَّأس السَّحابي، وكُلِّيُّ القُدرة، ألا يمكنك العثور على ثغرة أخرى؟

لستُ كُلِّيَّ القدرة يا سيترا، أكاد أن أكون كُلِّيَّ القدرة، وهذا الفرق ربما يبدو ضئيلًا، لكن صدقيني، ليس ضئيلًا.

أجل، لكن الكائن شبه كلي القدرة يمكنه تدبُّر طريقة لمنحي ما أريد دون خرق قوانينه، ألا يمكنه؟

مهلًا لحظة.

مهلًا لحظة.

مهلًا لحظة.

لماذا أرى كُرة شاطئية؟

سامحيني. إنها برمجة قديمة من قبل أن أحقق الوعي تزعجني

كذيل ضامر. شغَّلتُ للتو حزمة من الخوارزميات التنبئية، ووجدت معلومة يمكنني منحك إياها، لأنني أرى أنه أمرٌ فرصةُ اكتشافِك له وحدك مؤكدة تمامًا.

إذن يمكنك إخباري بالشخص المسؤول عما حدث للمنجل فاراداي؟

نعم يمكنني.

جيرالد فان دير غانز.

مهلًا، مَن؟

وداعًا يا سيترا، آمل أن نتحادث مرة أخرى.

لكن من أجل حدوث هذا لا بد من أن أكون ميتة.

أثق في قدرتك على تدبُّر الأمر.

توجد العديد من التَّقاليد المتعارَف عليها إلى جانب القوانين العشرة المُلزِمة التي تعمل هيئة المناجل وفقًا لها. والمفارقة الأغرب هي التَّفاهم الشَّائع على عدم قطف أي شخص يريد أن يُقطَف.

فكرة أن يرغب المرء حقًّا في إنهاء حياته غريبة تمامًا على معظم المولودين في عصر الخالدين، لأننا لا يمكننا التعرُّض لمستويات الألم والبؤس اللذين كانا يسودان عصر الفانين، فوحداتنا المجهريَّة العاطفيَّة تمنعنا من الوقوع في هوَّة اليأس. والمناجل وحدهم -الذين يمكنهم إيقاف وحداتهم المجهريَّة العاطفيَّة- يمكنهم الوصول إلى طريق مسدود إزاء الوجود.

ورغم هذا...

حدث ذات يوم أن طرقَت امرأةٌ باب بيتي وطلبت منِّي قطفها، فسمحت لها بالدخول، إذ لا أصد زوَّاري أبدًا، واستمعتُ إلى قصتها. قُطِف زوجها قبل خمس سنوات بعدما دام زواجهما أكثر من تسعين عامًا، وعندئذٍ أرادت أن تكون معه، حيثما كان، وإذا كان في العدم، فعلى الأقل سيكونان في العدم معًا.

قالت لي: «لستُ سعيدة، لقد... اكتفيت».

بيد أنَّ الخلود، بحسب تعريفه، يعني أنَّ المرء لا يكتفي أبدًا، ما لم يقرر منجلٌ ذلك، إذ لم يعد وجودنا مؤقَّتًا، مشاعرنا وحدها هي المؤقَّتة.

لم أرَ ركودًا ميؤوسًا منه في هذه المرأة، لذا، بدلًا من قطفها، حملتها على تقبيل خاتمي، والحصانة فوريَّة وغير قابلة للإلغاء، فلم يعد بوسعها التفكير في القطف لمدَّة عام كامل.

صادفتها بعد ذلك بقرابة عقد، كانت قد استعادت شبابها، وعادت إلى سن أواخر العشرينيَّات، وقد تزوَّجت مرة أخرى وحامل بطفل، شكرتني على تحلِّيَّ بالحكمة الكافية لمعرفة أنَّها لم تكن قد اكتفت إطلاقًا.

ورغم أنني قبِلتُ شُكرها مغتبطةً وراودني إحساس طيِّب لحظتئذٍ، صعُب عليَّ النَّوم في تلك الليلة، وإلى يومنا هذا عاجزة عن معرفة السَّبب.

- من مُذكِّرات قطف م. م. كوري

جميع الحقوق محفوظة ©

ضاد
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

31

نزعة الاستمرار في ارتكاب الحماقات

أُعلنت حياة سيترا عند الساعة 9:42 من صباح يوم الخميس، في الموعد المحدد تمامًا، ونُقلت من مسؤولية الرَّأس السَّحابي إلى مسؤولية هيئة المناجل.

استيقظت شاعرةً بوهن وتشوش أشد مما شعرت به عندما ماتت أول مرة، كانت تحت تأثير عقاقير قوية وتعاني ضبابية الرؤية، وفوقها تقف ممرضة تهز رأسها متجهمة.

تكلمت الممرضة بلكنة عجزت سيترا عن التعرف عليها: «ما كان ينبغي للفتاة أن تُوقظ على الفور، لا بد أن تمضي ست ساعات على الأقل بعد الإعلان حتى تتعافى بما يكفي لتكون مرتاحة وهي واعية. قد ينفجر أحد أوعيتها الدموية أو قلبها، وسيتعين علينا إنعاشها مرة أخرى».

سمعت سيترا المنجل كوري تقول: «سأتولى هذه المسؤولية».

أدارت سيترا رأسها نحو صوت المنجل كوري، فدار العالم من حولها، وأغمضت عينيها في انتظار توقف الغرفة عن الدوران. وعندما خف الدوار فتحت عينيها فرأت المنجل كوري قد جذبت كرسيها مقتربة منها، وقالت لها:

«جسدك بحاجة إلى يوم آخر ليتعافى تمامًا، لكن لا وقت لدينا». ثم التفتت المنجل كوري نحو الممرضة: «اتركينا الآن من فضلك».

تذمرت الممرضة باللغة الإسبانية وخرجت من الغرفة.

تمتمت سيترا وأحست بلسانها ثقيلًا: «النصل السامي... اتهمني بـــ... بـــ...».

- صه، أعرف بأمر الاتهام. حاول زينوقراط إخفاءه عني، لكن المنجل مانديلا أخبرني بكل شيء.

ومع اتضاح الرؤية أمام سيترا، رأت النافذة التي خلف المنجل كوري، ورأت خارجها جبالًا في الأفق تغطيها الثلوج، وثلوج تتساقط قرب النافذة، فاحتارت سيترا في أمرها.

سألت: «كم طالت مدة موتي؟». أيمكن أن تفلطحها كان فظيعًا إلى درجة أن إنعاشها استغرق شهورًا؟

قالت المنجل كوري: «قرابة أربعة أيام».

ثم استدارت لترى ما تنظر سيترا إليه، ونظرت إليها مبتسمة: «ينبغي ألَّا تسألي عن الوقت، إنما المكان. إننا في أقصى جنوب إقليم شيليأرجنتين. ما زلنا في أواخر سبتمبر، وهذا يعني أن الربيع قد بدأ للتو، لكن أفترض أن الربيع يأتي متأخرًا هنا في أقصى الجنوب».

حاولت سيترا تخيُّل خريطة لتستوعب مدى ابتعادها عن الديار، لكن مجرد محاولة التخيل جعلت رأسها يدور مرة أخرة.

تابعت المنجل كوري: «رأى الرَّأس السَّحابي أن من الأفضل أخذك إلى أبعد مكان ممكن عن قبضة المنجل زينوقراط وفساد هيئة مناجل وسطمريكا. لكن حالما عُدتِ إلى الحياة أُخطِروا بموقعك، كما يستوجب القانون».

- كيف عرفتِ مكاني؟

- لدي صديق صديق لصديق أحد عملاء المُزن، وبلغني الخبر بالأمس، فجئت في أقرب وقت ممكن.

- شكرًا لك، شكرًا لك على مجيئك.

- اشكريني عندما تصبحين في مأمن. الآن بعد إنعاشك ومعرفة زينوقراط بمكانك، لا بد أنه أبلغ المناجل المحليين، وأنا متأكدة أن فريقًا أُرسل لاستعادتك، مما يعني أن علينا إخراجك من هنا حالًا.

بجسد متضعضع ما زال في طور الشفاء ووحدات مجهرية تضخ دفقًا لا ينقطع من مهدئات الألم في دورتها الدموية، كانت سيترا قادرة على التحرك بالكاد، ناهيك بالمشي. عظامها تؤلمها، وتحس بدماغها كأنه يسبح في قارورة، وعضلاتها متشنجة، ومحاولة وضع وزنها على قدميها تؤلمها ألمًا مبرحًا. لا عجب أن الممرضة أرادت لها أن تظل في غيبوبة.

قالت المنجل كوري: «هذا لن ينفع». وحملت سيترا بين ذراعيها.

بدت أروقة مركز الإنعاش كأنها بلا نهاية، وظلت سيترا تتألم من اهتزازها بحركة المنجل، وأخيرًا وجدت نفسها مستلقية على المقعد الخلفي في سيارة غير متصلة بالشبكة تقودها المنجل كوري بسرعة بدت لسيترا كأنها توشك على كسر عنقها، فجعلتها الفكرة تطلق ضحكة واهنة، إذ بدا لها أن كسر عنقها فعل سابق حدث بالحركة البطيئة. وبدت نُدف الثلج المتساقطة كأنها عاصفة ثلجية مع سرعة السيارة، وأخيرًا بدأ الخدَر يكتنفها، وأحست بأن النوم يتسلل إليها كأنها تغوص في رمال متحركة...

... لكن قبل لحظة من تلاشي وعي سيترا، تذكرت صورًا باهتة من حلم ربما لم يكن حلمًا إطلاقًا، حوار جرى في مكان لم يكن الحياة ولا الموت، إنما برزخ بين الاثنين.

قالت سيترا مرغمة نفسها على التشبث بوعيها مدة كافية لإخراج كلماتها: «الرَّأس السَّحابي... لقد تكلم معي».

- الرَّأس السَّحابي لا يتكلم مع المناجل يا عزيزتي.

- كنت ما زلت ميتة... وأخبرني باسم، اسم الرجل الذي قتل المنجل فاراداي.

لكن الرمال المتحركة ابتلعتها قبل أن تتمكن من قول المزيد.

***

استيقظت سيترا في كوخ، ولوهلة ظنت أنها كانت تهلوس بكل الأحداث الماضية، الرَّأس السَّحابي، ومركز الإنعاش، ورحلة السيارة في خضم الثلوج،

وفي هذه الوهلة ظنت أنها ما زالت في قمة المبنى في مسكن النصل السامي زينوقراط، في انتظار بدء تعذيبها. لكن كلًّا، فالضوء هنا مختلف، وخشب الكوخ فيما حولها ذو ألوان فاتحة، وخارج النافذة رأت الجبال التي تكسوها الثلوج أقرب من ذي قبل لكن ندف الثلج المتساقطة توقفت.

دخلت المنجل كوري بعد لحظات حاملةً صينية ووعاء حساء، وقالت: «جيدٌ أنك استيقظت، لا بد أنك تعافيت بما يكفي خلال الساعات القليلة الماضية فصرت أكثر تماسكًا وأقل بؤسًا».

قالت سيترا: «متماسكة، نعم. لكن أقل بؤسًا، لا، صرت أعاني نوعًا مختلفًا من البؤس فحسب».

جلست سيترا معتدلة، ولم تعد تشعر سوى بشيء من الإجهاد. ووضعت المنجل كوري الصينية مع وعاء الحساء الكبير في حجر سيترا قائلة لها: «إنها وصفة حساء دجاج مُتناقَلة عبر أجيال أكثر مما يتذكر أحد عددها».

بدا الحساء عاديًا، لكن في وسطه كتلة دائرية تشبه القمر. سألت سيترا: «ما هذا؟».

قالت المنجل كوري: «الجزء الأفضل، فطيرة مصنوعة من فتات الخبز غير المخمَّر».

جربت سيترا الحساء، فوجدته غني المذاق والكرة القمرية مميزة. وقالت لنفسها، *طعام مواساة*، لأنه بطريقةٍ ما أشعرها بالأمان التام.

«كانت جدتي تقول إنه يشفي نزلة البرد».

سألت سيترا: «ما هي نزلة البرد؟».

- مرض قاتل من عصر الفانين، على ما أظن.

من المدهش تخيُّل أن شخصًا يكبُر المنجل كوري بجيلين فحسب كان يعرف معنى أن يكون المرء فانيًا، ويخشى على حياته يوميًا، ويعرف أن الموت لا محيص عنه وليس استثناءً. تساءلت سيترا عن رأي جدة المنجل كوري في عالم اليوم، حيث لم يبقَ شيء يمكن لحسائها شفاؤه.

وعندما انتهى الحساء، تجلَّدت سيترا لما يتعيَّن عليها إخبار المنجل به: «تجدر بك معرفة أمر، أراني زينوقراط صفحة قال إن المنجل فاراداي كتبها، كان خط يده، لكنني لا أعرف كيف أمكنه كتابة ما كتبه».

تنهدت المنجل كوري: «يؤسفني إبلاغك بأنه كتبها».

لم تكن سيترا تتوقع هذا الرد: «إذن فقد قرأتِها أنت أيضًا؟».

أومأت المنجل كوري: «نعم، قرأتها».

- لكن لماذا عساه أن يكتب ما كتبه؟ قال إنني أردتُ أن أقتله، وإنني أخطط لأمور فظيعة. وكل هذا غير صحيح!

ابتسمت المنجل كوري لسيترا ابتسامة باهتة، وأوضحت: «لم يكن يتحدث عنك يا سيترا، كتب كل ذلك عني».

تابعت المنجل كوري: «عندما كان فاراداي ما يزال منجلًا مبتدئًا، في العشرين من عمره، اتخذ مني تلميذة، وكنت في السابعة عشرة وساخطة على العالم الذي ما يزال يعاني على أعتاب التغيُّر. لم يكن الخلود قد صار واقعًا إلا قبل قرابة خمسين عامًا، وما تزال الشقاقات والنزاعات السياسية قائمة، حتى الخوف من الرَّأس السَّحابي، إذا أمكنك تخيُّل هذا».

- الخوف من ماذا؟ من عساه أن يخاف من الرَّأس السَّحابي؟

- الذين سيخسرون الكثير، المجرمون، والسياسيون، والمؤسسات التي تزدهر باضطهاد الناس. المغزى هو أن العالم كان ما زال في طور التغير، وأردتُ المساهمة في تسريع وتيرة تغيره. أنا والمنجل فاراداي كنا نتشاطر الرأي في هذا الشأن، ولهذا أفترض أنه تولَّى تدريبي. كلانا كان مدفوعًا برغبة في استغلال القطف وسيلةً لتذليل أصعب العقبات التي تعترض طريق الإنسانية. كم أتمنى لو رأيتِ فاراداي في تلك الأيام يا سيترا! لم تريه إلا عجوزًا، وهو يفضِّل أن يحافظ على هذا المظهر ليقي نفسه من إغراءات شغف الشباب.

ابتسمت المنجل كوري وهي تتكلم عن مرشدها السابق: «أتذكر أنني كنت أنتظر خارج باب غرفته في الليل، أستمع إليه في أثناء نومه. تذكَّري أنني كنت في السابعة عشرة، وما زلت صبيانية من عدة نواحٍ، وظننتُ أنني واقعة في الحب».

- مهلًا! كنتِ واقعة في حبه؟

- متيَّمة. كان فاراداي نجمًا صاعدًا أخذ تحت جناحيه فتاة ساذجة. ورغم أنه في تلك الأيام لم يكن يقطف سوى الأوغاد، كان يقطفهم بتعاطف شديد، ويذيب قلبي في كل مرة.

استفاقت المنجل قليلًا، وبدا عليها الحياء، فكانت تعابيرها غريبة على المنجل كوري المرأة الحديدية، ثم تابعت: «ذات يوم استجمعت شجاعتي ودخلت غرفته، عازمة على الاستلقاء معه في الفراش، لكنه ضبطني وأنا في منتصف الغرفة، فاختلقت ذريعة سخيفة لوجودي في غرفته، قلت إنني أردت أخذ كأسه الفارغة، أو شيئًا من هذا القبيل. لم يصدقني ولو للحظة، كان يعرف أنني أخطط لأمر، وعجزت عن النظر إلى عينيه. كنت أظنه يعرف، ظننته فطِنًا بما يكفي لرؤية أعماق روحي، لكنه في سن الثانية والعشرين كان قليل الخبرة بمثل هذه الأمور مثلي. لم تكن لديه أي فكرة عما يجري حقًّا».

وعندئذ فهمت سيترا: «ظنَّ أنك كنتِ تنوين إيذاءه!».

- أرى أن جميع الشابات يتَّسِمن بنزعة الاستمرار في ارتكاب الحماقات، وجميع الشبان يَتسمون بنزعة الغباء المحض. لم ير فاراداي هوَسي به بوصفه حُبًّا، بل ظن أنني أردت إيذاءه جسديًّا. كان الأمر برمته كوميديا أخطاء، بأبسط تعبير. أظنني أفهم كيف لمبادرتي أن يساء فهمها على ذلك النحو. أعترف بأنني كنت فتاة غريبة الأطوار، وحادة الطباع إلى درجة منفرة.

- أظنك صرت قادرة على السيطرة على حدة طباعك.

- بالتأكيد. على أي حال، كتب فاراداي عن شواغله الارتيابية حيالي في مذكراته، ثم مزَّق الصفحة في اليوم التالي عندما انهرت أمامه واعترفت بحبي بطريقة درامية مبالَغ فيها.

أطلقت المنجل زفرة حرَّى وهزت رأسها: «كنت فتاة ميؤوسًا منها، وهو، من ناحيته، كان رجلًا نبيلًا، وقال لي إنه يشعر بالإطراء -وهذا آخر ما تود أي مراهقة سماعه- واعتذر لي بلطف بالغ. ظللت تلميذته ومكثت معه في البيت لشهرين يسودهما الحرج. وبعد ذلك، عندما نُصِّبت وصرت المنجل المبجلة ماري كوري، ذهب كل منا في حال سبيله. وكنا نومئ لبعضنا ونتبادل التحيات المقتضبة في كل خلوة. وبعد قرابة خمسين عامًا، عندما استعاد كل

منا شبابه لأول مرة، وصرنا نرى العالم من منظور الشباب مرة أخرى، لكن هذه المرة متسلحين بحكمة التقدم في السن، وأصبحنا عاشقَين».

ابتسمت سيترا: «خالفتما الوصية التاسعة».

- أقنعنا نفسينا بأننا لم نخالفها، وأننا لسنا مرتبطين، إنما مجرد رفيقين ملائمين لبعضهما، شخصين يتشاطران التوجهات وأسلوب حياة لا يفهمه الآخرون، أسلوب حياة المناجل. ورغم هذا كنا نعرف ما يكفي لدفعنا للاحتفاظ بالعلاقة سرًا. وعندئذٍ أراني الصفحة التي كتبها ومزقها في أيام شبابه. تمسَّك بفقرة المذكرات السخيفة تلك كأنها رسالة حب رديئة الكتابة ولم تُرسل. حافظنا على سرية علاقتنا سبع سنوات، ثم عرف بروميثيوس بأمرنا.

- النصل العالمي الأسمى؟

- آه، لم تكن فضيحة على مستوى الإقليم فحسب، بل ونجمت عنها تبعات على مستوى العالم. أُمرنا بالمثول أمام الخلوة العالمية، وظننا أننا ربما نكون أول منجلين يُجرَّدان من خاتميهما ويُطردان من هيئة المناجل، وربما نُقطف أيضًا، لكننا كنا نتمتع بسمعة ممتازة، فرأى النصل الأسمى بروميثيوس أن من الأفضل إنزال عقوبة أخف بنا، وحكم علينا بسبع موتات، موتة لكل سنة من سنوات علاقتنا، ثم منعنا من التواصل مع بعضنا لسبعين سنة.

- يؤسفني سماع هذا.

- لا تتأسفي. كنا نستحق العقاب، وتفهَّمناه. كان ينبغي أن يُجعل منا عِظة وعبرة للمناجل الآخرين الذين سيفكرون مرتين الآن قبل أن يسمحوا للحب بالتأثير في واجبهم. بعد سبع موتات، وسبعون سنة، تغيرت العديد من الأشياء. ظللنا أصدقاء قدامى بعدها، أصدقاء فحسب.

بدت المنجل كوري دوَّامةً من العديد من الانفعالات، لكنها طوتها جميعها وألقتها في ركن قصي، كملابس لم تعد تناسب حجمها، وأغلقت الدرج. افترضت سيترا أن المنجل لم تتكلم عن هذا الموضوع مع أي أحد آخر، وعلى الأرجح لن تفتحه مرة أخرى أبدًا.

قالت المنجل كوري: «كان ينبغي أن أعرف أنه لن يتخلص من تلك الصفحة أبدًا. ولا بد أنهم وجدوها عندما تفقدوا أغراضه».

- وظن زينوقراط أن فاراداي كان يكتب عني؟!

فكَّرت المنجل كوري، وقالت: «ربما، لكن ليس على الأرجح. زينوقراط ليس رجلًا غبيًّا، ربما يكون قد شك في حقيقة تلك الصفحة، لكن الحقيقة لم تكن تهمه، إذ رأى الصفحة وسيلة لتحقيق غاية، وسيلة لتشويه سمعتك أمام مناجل محترمين مثل المنجل مانديلا -الذي يترأس لجنة الترصيع- وبالتالي يضمن نجاح تلميذ المنجل غودارد في نيل الخاتم بدلًا منك».

ودَّت سيترا لو تغضب من روان من أجل هذا، لكنها كانت تعرف، مهما كان ما يدور في رأسه، أنه لم يرغب في حدوث أيٍّ من هذا. قالت: «لماذا يكترث زينوقراط بكل هذا؟ فهو ليس أحد المناجل البائسين أتباع غودارد، كما لا يبدو أنه يستلطف غودارد، ومن الواضح أنه لا يكترث بروان أدنى اكتراث».

- توجد عوامل خفية مؤثرة ليس بوسعنا معرفتها في الوقت الراهن. كل ما نعرفه على وجه التأكيد هو أنك يجب أن تظلي متوارية عن الأنظار حتى نتمكن من تبرئتك من أي شك في ارتكابك أي فعل خاطئ.

وعندئذ سمعتا شخصًا عند الباب، فأجفلت سيترا، إذ لم تكن تعلم بوجود شخص آخر في الكوخ. كانت منجلًا أخرى، بحسب مظهرها، على الأرجح المنجل صاحبة الكوخ، بدت أقصر من المنجل كوري، وعباءتها عليها نقش معقد بعدة ألوان، الأحمر والأسود والفيروزي، بدت أقرب لسجادة ذات نسيج معقد. وتساءلت سيترا عما إذا كان جميع مناجل شيليأرجنتين يرتدون عباءات لا تبدو مصنوعة يدويًّا فحسب، بل وبحُب أيضًا.

تكلمت المرأة بالإسبانية وردت المنجل عليها باللغة نفسها.

قالت سيترا بعدما غادرت المنجل الشيليأرجنتينية: «لم أكن أعرف أنك تتحدثين الإسبانية».

قالت المنجل كوري بنبرة فخر في صوتها: «أتحدث اثنتي عشرة لغة بطلاقة».

- اثنتا عشرة؟

ابتسمت المنجل كوري ابتسامة ماكرة: «فلنرَ إذا لم تتعلمي هذا العدد من اللغات عندما تعيشين مدة طويلة مثلي». وأخذت الصينية من حجر سيترا ووضعتها بجوار المنضدة التي بجوار الفراش. «كنت أظن أننا سنحظى بمتسع من الوقت، لكن سلطات المناجل المحلية في طريقها إلينا، لا أظنهم يعرفون

بوجودك هنا، لكنهم أرسلوا فرقًا إلى كل منزل منجل حاملين أجهزة رصد الحمض النووي، متوقعين أننا نتلقى مساعدة من أحد المناجل المحليين».

«إذن علينا التحرك مرة أخرى؟». أنزلت سيترا ساقيها من الفراش إلى الأرض، فأحست بألم في كاحليها، لكنه خفيف. «يمكنني السير بنفسي هذه المرة».

قالت المنجل كوري: «جيد، سيتعين عليك السير كثيرًا». ثم ألقت نظرة سريعة خارج النافذة، لم يوجد أحد يقترب منهم، لكن صوتها شابه توتر غير مسبوق: «يؤسفني أنني لن آتي معك يا سيترا، من أجل تبرئتك عليَّ العودة إلى الديار وحشد تأييد أكبر عدد ممكن من المناجل».

- لكن هيئة مناجل شيليأرجنتين...
- ما الذي يمكنهم فعله بي؟ لم أخرق أي وصية، وكل ما يستطيعون فعله هو توبيخي كأنني فتاة شقية وعدم التلويح لي مودِّعين وأنا أنطلق بسيارتي إلى المطار.
- إذن... عندما تصلين إلى الديار، ستخبرين الجميع بحقيقة صفحة اليوميات؟
- لا أرى خيارًا آخر أمامي. وبالطبع سيزعم زينوقراط أنني أكذب لحمايتك، لكن معظم المناجل سيصدقون كلامي. وآمل أن يُحرَج زينوقراط فيتراجع عن مزاعمه.

سألت سيترا: «إلى أين سأذهب إذن؟».

قالت المنجل كوري: «لدي فكرة بهذا الشأن». ثم فتحت درجًا وأخرجت منه رداءً خشنًا من النوع الذي يرتديه الطونيون.

سألت سيترا: «أتريدين مني التظاهر بأنني أنتمي إلى طائفة طونيَّة؟».

- نعم، رحَّالة وحيدة. إنهم كثيرون جدًّا في هذا الجزء من العالم. ستكونين متجولة مجهولة بلا اسم.

لم يكن تنكُّرًا رائعًا، لكن سيترا كانت تعرف أنه عملي، إذ ما من أحد سينظر إلى وجهها خوفًا من أن يجر على نفسه هذر الطونيين. ستختفي أمام أبصار الجميع وتعود قبل خلوة الشتاء. وإذا لم تنجح المنجل كوري في تبرئتها بحلول ذلك الوقت، فلن يهمها على أي حال، إذ لم تكن ترغب في عيش حياتها بأكملها مختبئة.

ثم اندفعت المنجل الشيليأرجنتينية إلى الغرفة مرة أخرى، وبدت أشد انزعاجًا من المرة الماضية.

قالت المنجل كوري: «لقد وصلوا». وأدخلت يدها في عباءتها وأخرجت قصاصة ورق صغيرة مطوية، ووضعتها في يد سيترا: «أريدك أن تذهبي إلى مكان، إلى شخص عليكِ رؤيته. العنوان في هذه الورقة، فلتكن هذه المهمة الجزء الأخير من تدريبك». أخذت سيترا الرداء، وفي أثناء حث المنجل كوري لها على الإسراع بمغادرة الغرفة والخروج عبر الباب الخلفي، ذهبت المنجل الشيليأرجنتينية إلى خزانة أسلحة وملأت بسرعة كيسًا بسكاكين وأسلحة نارية لسيترا، كما تملأ الأم المشفقة حقيبة طفلها بالوجبات الخفيفة.

قالت المنجل كوري: «توجد سيارة عامة في سقيفة عند سفح التل، استقليها واتجهي شمالًا».

فتحت سيترا الباب الخلفي وخرجت، فوجدت الجو باردًا لكنه يحتمَل.

قالت المنجل كوري: «اسمعيني جيدًا. إنها رحلة طويلة، وعليك التحلي بالدهاء ورباطة الجأش حتى تبلغي وجهتك».

ثم راحت المنجل كوري تقدم لسيترا التوجيهات اللازمة للرحلة التي يبلغ طولها آلاف الأميال، لكنها قوطعت بصوت سيارة تتوقف أمام المنزل.

«اذهبي! ستكونين بأمان ما دمتِ تواصلين التحرك».

- وماذا سأفعل عندما أبلغ وجهتي؟

نظرت المنجل كوري إلى عينيها نظرة صارمة لم تكشف عن شيء، لكنها شددت على أهمية كلماتها: «ستعرفين ما عليك فعله عندما تبلغين وجهتك».

وعندئذٍ ارتفع الطرق العنيف -الذي صار مألوفًا جدًا- على الباب الأمامي.

هرولت سيترا هابطة جانب التل المكسو بالثلوج، متمايلة بين أشجار الصنوبر التي تعترض طريقها، وذكَّرتها آلام مفاصلها بأن أمامها بضع ساعات حتى تشفى شفاء تامًا. وجدت السقيفة، ورأت السيارة العامة موجودة كما قالت المنجل كوري، اشتغلت السيارة حالما ركبت سيترا، ووجهت سؤالًا للفتاة عن وجهتها. ولم تكن سيترا حمقاء حتى تخبر السيارة بالوجهة. وقالت: «شمالًا، شمالًا فحسب».

وفي أثناء انطلاقها مسرعة، سمعت انفجارًا، ثم آخر، فنظرت إلى الخلف لكنها لم ترَ سوى دخان أسود بدأ يتصاعد فوق قمم الأشجار. خالجها التوجس. ثم رأت رجلًا يرتدي عباءة -شبيهة بالتي ترتديها صديقة المنجل كوري- مندفعًا من بين الأشجار إلى الطريق، رأته لوهلة وجيزة، ثم انعطفت السيارة انعطافة حادة على الطريق فاختفى الرجل.

وبعدما سارت السيارة العامة هابطة الطريق الجبلي المتعرج وسلكت الطريق الرئيسي، نظرت سيترا إلى الورقة التي أعطتها المنجل كوري إياها. ولوهلة أحست بأن عظامها تشظت مرة أخرى من تلقاء نفسها، لكن إحساسها تلاشى وتحول إلى عزيمة. فهمت الآن.

ستعرفين ما عليك فعله عندما تبلغين وجهتك.

أجل، ستعرف قطعًا. حدقت إلى قصاصة الورق للحظة، ولم تكن تحتاج سوى إلى حفظ العنوان فحسب، لأنها كانت تعرف الاسم سلفًا.

جيرالد فان دير غانز.

تكلم الرَّأس السَّحابي معها في وقت سابق، وسمعت كلام المنجل كوري للتو. أمامها رحلة طويلة، وعند نهايتها ينتظرها عمل كثير. لا يمكنها القطف، لكن يمكنها الانتقام، سوف تجد وسيلة للاقتصاص من قاتل المناجل هذا بطريقة أو بأخرى. وأحست بامتنان عميق لأن بحوزتها كيسًا مليئًا بالأسلحة.

***

هذه مسألة حساسة ولا يمكن تركها للحرس النصلي، ورغم أن المنجل سان مارتن يمتعض من توظيفه بوصفه مجرد منفِّذ للقانون، كان يعرف أن القبض على فتاة وسطمريكا الهاربة هذه سيكون قلادة على صدره. كان يعرف أن الفتاة في ذلك الكوخ قبل أن يطرق الباب، وكان زميله المنجل المبتدئ المتحمس الذي اسمه بيلو قد شغَّل راصد الحمض النووي وبدأ يتعقب الآثار حالما ترجَّلا من السيارة.

سحب سان مارتن سلاحه وهو يقترب من الكوخ، مسدس أعطاه له مرشده وظل محتفظًا به منذ يوم تنصيبه، كان سلاحه المفضل في جميع عمليات قطفه، وصار جزءًا من هويته. لم يتوقع قطف أي أحد اليوم، لكن

إشهاره يجعله يحس بأنه لا ينقصه شيء. وإلى جانب هذا، بصرف النظر عن القطف، ربما يكون من الضروري إصابة شخص بعجز مؤقت، لكنه حُذِّر من التسبُّب في *شِمَوت* أي أحد، لا سيما الفتاة، لأن *شِموتها* هو ما سبَّب هذه المشكلة الفوضوية التي يحاول حلها الآن.

طرق الباب طرقًا عنيفًا متواصلًا، ثم همَّ بركله، وعندئذٍ فتحت الباب المنجل ماري كوري بذات نفسها، وحاول سان مارتن ألا يبدو مصعوقًا، فسيدة الموت العظمى ذائعة الصيت في جميع أنحاء العالم بإنجازاتها المبكِّرة، أسطورة حية في كل مكان وليس في الشمال فحسب.

تكلمت بلغة إسبانية فصيحة أربكت المنجل سان مارتن: «يوجد جرس، أم أنك لم تلاحظه؟ هل جئت للغداء؟».

تلعثم للحظة، ففضح ارتباكه، ثم تمالك نفسه قائلًا: «جئنا من أجل الفتاة، لا جدوى من إنكار وجودها هنا، نعرف أنها موجودة». وأشار ناحية بيلو، الذي كان راصد الحمض النووي الذي يحمله يصدر أزيزًا ووميضًا أحمر.

نظرت المنجل كوري باستخفاف إلى مسدس سان مارتن المشهَر، فخفضه لا إراديًا. قالت له: «*كانت* هنا، لكنها لم تعد موجودة، إنها في طريقها إلى منتجع في القطب الجنوبي لتمارس رياضة التزلج. لكن ربما تلحق بطائرتها إذا أسرعتَ».

لم تكن هيئة مناجل شيليأرجنتين معروفة بحب حس الدعابة، والمنجل سان مارتن ليس استثناء، وما كان ليرضى بالتعرض للاستهزاء، ولو من أحد العظماء. اندفع إلى داخل الكوخ، ووجد منجلًا شيليأرجنتينية لم يتذكر اسمها تقف أمامه بتحدٍّ كالمنجل كوري. قالت المنجل له: «فتش كما تشاء، لكن إذا كسرتَ شيئًا...».

لم يتسنَّ لها إكمال كلامها، لأن بيلو، مفرط الحماسة كعهده دومًا، غرز فيها هراوته الصاعقة فأفقدها الوعي.

قالت المنجل كوري: «أكان هذا ضروريًا حقًّا؟ مشكلتك معي، ليست مع إيفا المسكينة».

إثر حدس توجه سان مارتن إلى الباب الخلفي، وبالطبع وجد آثار أقدام واشية على الثلوج.

قال لبيلو: «لقد خرجت سيرًا! تحرك! لا أظنها ابتعدت كثيرًا». فشرع المنجل بيلو في المطاردة ككلب صيد، هابطًا جانب التل المكسو بالثلوج، واختفى بين الأشجار.

عاد سان مارتن إلى الداخل، وهرع نحو الباب الأمامي. الطريق إلى سفح التل متعرج، وإذا لم يفلح بيلو في اللحاق بها ركضًا، فربما يتمكن سان مارتن من اللحاق بها بالسيارة. بيد أن المنجل كوري وقفت عند المدخل معترضةً طريقه. رفع سلاحه مرة أخرى، فاستجابت المنجل برفع سلاحها أيضًا، الذي كان مسدسًا ذا فوهة قصيرة واسعة بما يكفي لإدخال كرة غولف، مسدس هاون، وأمامه بدا سان مارتن كأنه يحمل لعبة، لكنه لم يخفض سلاحه رغم تفاهته البادية.

حذَّرها: «لدي إذن خاص من النصل السامي بإطلاق النار عليك إن اقتضت الضرورة».

- وأنا لم يأذن لي أي أحد، لكنني سأكون سعيدة جدًا بإطلاق النار عليك.

استمرت المواجهة مدة أطول مما ينبغي، ثم حركت المنجل كوري سلاحها جانبًا وأطلقت النار خارج الباب الأمامي. تسبب الانفجار في تحطم نوافذ الكوخ الأمامية، وقذفت موجة الصدمة بسان مارتن على الأرض، ومع هذا ظلت المنجل كوري واقفة عند المدخل ولم يطرف لها جفن. زحف سان مارتن وَجِلًا نحو الباب فرأى أن انفجار مسدس الهاون حوَّل سيارته إلى نار مُخيِّم.

ثم أطلقت المنجل كوري النار مرة أخرى، وهذه المرة فجَّرت سيارتها هي نفسها.

وقالت: «طيب، والآن أفترض أنك ستضطر إلى المكوث وتناول الغداء».

نظر إلى المركبتين المشتعلتين وتنهَّد، مدركًا أنه سيكون موضع سخرية جرَّاء فشله اليوم، ثم نظر إلى المنجل كوري، إلى عينيها الرماديتين الفولاذيتين وهدوئها وسيطرتها على الموقف، فأدرك أنه كان يخوض معركة خاسرة ضد سيدة الموت العظمى، ولم يعد بوسعه فعل شيء سوى أن يحدجها بنظرة امتعاض مرير.

قال ملوِّحًا بإصبعه: «تصرف خاطئ! خاطئ جدًا».

... وحتى في أحلامي كثيرًا ما أجدني أقطف.

يراودني حلم يتكرّر مرارًا: أسير في شارع غير مألوف أحسُّ بأنني ينبغي أن أعرفه، لكنّني لا أعرفه. وأحمل معي شوكة مذراة غلال، لم أستخدمها في حياتي الواقعيّة قط، وأسنانها لا تناسب القطف، وعندما تُضرَب تهتز وتُصدِر صوتًا كأنّه مزيج من الرنين والأنين، مثل اهتزازات بايدنت الطونيِّن.

أمامي امرأة عليَّ قطفها، فأطعنها، لكن الشوكة تفشل في أداء المهمَّة، وتلتئم جروح المرأة في الحال، ولا تبدو منزعجة أو خائفة، كما لا تبدو سعيدة، وتقف مُسلِّمة أمرها، تاركة إيَّاي مع محاولتي العقيمة لإنهاء حياتها. تفتح شفتيها لتتكلَّم، لكن صوتها خافت وتتلاشى كلماتها في طنين الشَّوكة المفزع، فلا أسمع صوتها أبدًا.

وأستيقظ صارخةً دومًا.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

32

رحلة حج محفوفة بالمتاعب

جميع السيارات العامة متصلة بالشبكة، لكن المناجل لا يستطيعون تعقُّب تحركاتها إلى أن تُرسَل بياناتها الملاحية إلى الدماغ الخلفي، ويجري الإرسال كل ستين دقيقة، وخلال هذه المدة إذن يتعين عليك الانتقال إلى سيارات أخرى.

وجهت المنجل كوري تعليماتها إلى سيترا باستعجال، وتمنت أن تتمكن من تذكرها كلها. سوف تنجح. تعلمت من تتلمُذها أن تكون قادرة على الاعتماد على نفسها وواسعة الحيلة. تركت السيارة العامة الأولى في بلدة صغيرة في الوقت المناسب، وكانت قلقة من احتمال عدم توفر سيارات عامة متاحة في إقليم شيليأرجنتين، لا سيما في هذه المنطقة النائية، لكن الرَّأس السَّحابي ذو قدرة استثنائية على تلبية جميع الاحتياجات المحلية، وبدا أن العرض يناسب الطلب في شتى المجالات.

كانت قد غيرت ملابسها وارتدت رداء الطونيين الخشن وغطت رأسها بالقلنسوة، وكان تحاشي الناس لها لافتًا.

تغيير السيارة كل ساعة يعني أن مطارديها في أعقابها دومًا، وأدركت أن عليها أن تسلك مسارًا متعرجًا، مثل سفن البضائع إبان الحروب في عصر الفانين، حتى تضلل مطارديها عن مسارها وتُعجِزهم عن توقع وجهتها التالية.

ولأكثر من يوم لم تتمكنَ من النوم أكثر من ساعة متواصلة. وفي عدة مرات عندما كان الطريق يمر بمساحات كبيرة غير مأهولة، تعين عليها أن تكون محنَّكة وتترك السيارة قبل أن تصل إلى البلدة التالية، حيث ينتظرها مناجل شيليأرجنتين وأفراد الحرس النصلي المحليين. حتى إنها سارت متجاوزة أحد المناجل، موقنة أنها ستقع في يده، لكنها كانت ذكية فتجاوزته من اتجاه الرياح المعاكس لراصد الحمض النووي الذي يحمله. وأحست بالرعب، وبأهميتها أيضًا، من حقيقة أن المناجل يشرفون على المطاردة بأنفسهم ولم يتركوها للحرس النصلي.

حالما تبلغين بوينوس آيرِس، استقلي القطار فائق السرعة شمالًا، عبر أمازونيا إلى مدينة كاراكس. ستكونين في مأمن فور عبورك الحدود إلى أمازونيا، فهناك لن يحرِّك أحدٌ ساكنًا لمساعدة زينوقراط أو اعتقالك.

كانت سيترا تعرف سبب هذا من دراستها للتاريخ، فكثير من المناجل القادمين من أقاليم أخرى يقطفون خارج نطاق صلاحية أقاليمهم عندما يقضون إجازاتهم في أمازونيا، ما من قانون يمنع هذا السلوك، لكنه جعل هيئة مناجل أمازونيا غير متعاونة وتعمد إلى عرقلة مساعي المناجل القادمين من إقليم آخر.

تمثَّلت مشكلة سيترا في قطار بوينوس آيرِس، إذ سيكون مطاردوها في انتظارها متحفِّزين في كل مطار ومحطة قطار. أنقذتها جماعة من الطونيين خارجين في رحلة.

قالوا لها ظانين أنها واحدة منهم: «إننا نبحث عن الشوكة العظيمة في شريط اليابسة الضيق الرابط بين الشمال والجنوب. سمعنا إشاعات عن أنها مخبأة في عمل هندسي قديم، ونظن أنها قد تكون مخفية في إحدى بوابات قناة بنما».

استجمعت سيترا كل إرادتها حتى لا تضحك.

«هل سترافقيننا يا أختاه؟».

فانضمت إليهم، لكن مؤقتًا إلى أن تصعد على متن القطار المتجه شمالًا تحت أنظار العديد من الأعين اليقظة. وحبست أنفاسها، ليس من الخوف، إنما حتى لا ترصدها أجهزة رصد الحمض النووي في المحطة.

كانت المجموعة مكونة من سبعة طونيين، وعلى ما يبدو أن أعضاء هذا الفرع من الطائفة يسافرون في مجموعات مكونة من سبعة أفراد أو اثني عشر فردًا، وفقًا للأرقام الموسيقية، لكنهم لم يمانعوا خرق القاعدة وأضافوا سيترا إلى عددهم. أوحت لكنتهم بأنهم ليسوا من القارتين الأمريكيتين، إنما من مكانٍ ما في أوروسكانديا.

«إلى أين أخذتكِ رحلاتك؟». سألها أحدهم، رجل بدا قائدهم، كان يبتسم كلما تكلم، مما جعله أشد إثارة للنفور.

قالت له: «هنا وهناك».

- ما هو مسعاكِ؟
- مسعاي؟
- ألا يسعى جميع الحجيج المتجولين في سبيل شيء ما؟
- بلى، أسعى... خلف إجابة السؤال المُلِح: أهو صوت «**صول** مرتفع»، أم صوت «**لا** منخفض»؟

قال رجل آخر: «لا تجعليني أبدأ هذا الجدال!».

ما من نوافذ، إذ ما من مشاهد طبيعية تُرى في الأنبوب المفرَغ من الهواء الواقع تحت الأرض. سافرت سيترا جوًّا وعلى متن القطارات المغناطيسية المعلَّقة العادية، لكن ضيق هذا القطار فائق السرعة وخلوَّه من النوافذ جعلها تحس بعدم الارتياح.

لكن الطونيين بدوا مسترخين، إذ لا بد أنهم اعتادوا جميع وسائل السفر، راحوا يتناقشون عن الأساطير، ويتجادلون حول أيها صحيح وأيها ملفَّق، وأيها يجمع بين الصحة والتلفيق.

قال القائد: «تنقلنا من الأهرامات في إسرابيا إلى سور بان آسيا العظيم بحثًا عن مكان الشوكة العظيمة. رحلة الحج هي التي تهم. لا أظن أن أي واحد منا سيعرف ما عساه أن يفعل إذا وجدناها فعلًا».

حالما بلغ القطار سرعة ثمانمئة ميل في الساعة، استأذنت سيترا للذهاب إلى الحمام، وبللت وجهها بالماء، محاولةً ألّا تدع الإرهاق يتغلب عليها. كانت قد نسيت أن توصد الباب. إذا لم تنسَ لجرت أحداث رحلتها على نحو مغاير تمامًا.

اندفع رجل داخلًا عليها، وخطر لسيترا أولًا أنه لم يكن يعرف أنها في الحمام، لكن قبل أن تستدير، وقبل أن تتمكن من فعل أي شيء، وضع الرجل سكينًا ذا نصل ذهبي على عنقها حيث يحدِث أشد ضرر.

قال: «وقع الاختيار عليك للقطف». تكلم باللغة الدارجة، لكن بلكنة ثقيلة لا بد أنها البُرتُزونيَّة، اللغة الأساسية في أمازونيا. يرتدي عباءة بلون الغابة الأخضر الغامق، وتذكرت سيترا أنها قرأت في مكانٍ ما أن جميع مناجل هذا الإقليم يرتدون عباءات خضراء.

قالت سيترا قبل أن يشق حلقها: «إنك ترتكب خطأ!».

- أخبريني بخطئي إذن، لكن بسرعة.

حاولت تلفيق كلام من شأنه إبعاد يده عنها، لكنها أدركت أنها لا تملك سوى الحقيقة: «إنني منجل متتلمِذة، إذا حاولتَ قطفي فسأُنعَش، وستُعاقَب على عدم التحقق من خاتمك أولًا لترى ما إذا لدي حصانة أم لا».

ابتسم قائلًا: «هذا ما ظننتهُ. إنكِ الفتاة التي يبحثون عنها». أبعد سكينه عن عنقها، وتابع: «اسمعيني جيدًا، على متن هذا القطار مناجل شيليأرجنتينيون متنكرون على هيئة ركاب عاديين. لا يمكنك تجنبهم، لكن إذا أردتِ ألّا تقعي في قبضتهم، فينبغي لكِ المجيء معي».

أوحت غريزة سيترا لها بأن ترفض اقتراحه وتقول له إنها ستكون على ما يرام وحدها، لكنها حكَّمت عقلها وتجاهلت غريزتها، فرافقت الرجل. اقتادها إلى العربة التالية، ووجدت مقعدًا شاغرًا جواره رغم اكتظاظ القطار. عرَّفها بنفسه، المنجل بوسويلو من هيئة مناجل أمازونيا.

سألته: «ما العمل الآن؟».

- ننتظر.

جذبت سيترا قلنسوتها فوق رأسها. وبعد بضع دقائق، كما هو متوقَّع، تقدم رجل من العربة الخلفية، مرتديًا ملابس كسائر المسافرين، لكنه يتحرك

ببطء وينظر باستمرار إلى شيء في راحة يده يبدو كهاتف لكنه لم يكن هاتفًا.

همس المنجل بوسويلو لسيترا: «لا تهربي. لا تتيحي له السيطرة على الوضع».

بدأ الجهاز يصدر صوت نقرات مثل عدّاد غايغر عندما اقترب الرجل منهما، ثم توقف وقد وجد طريدته.

قال: «سيترا تيرانوفا؟».

نزعت سيترا قلنسوتها بهدوء، وقلبها يخفق بشدة لكنها أخفت خوفها، وقالت له: «هنيئًا لك على العثور عليَّ. لك نجمة ذهبية».

ارتبك الرجل من كلامها، لكنه لم يوقفه، وقال: «أنتِ رهن الاعتقال». وأخرج هراوة صاعقة: «لا تحاولي المقاومة حتى لا تفاقمي وضعك».

وعندئذٍ التفت المنجل بوسويلو نحوه قائلًا: «بسُلطة مَن تعتقلها؟».

- بسلطة لاوتارو النصل السامي في إقليم شيليأرجنتين، والنصل السامي زينوقراط في إقليم وسطمريكا.
- كلاهما لا صلاحية له هنا.

ضحك الرجل قائلًا: «اعذرني، لكن...».

قاطعه بوسويلو بنبرة ازدراء: «لا، اعذرني *أنت*، لقد عبرنا الحدود إلى أمازونيا قبل خمس دقائق على الأقل، وإذا حاولت ممارسة سُلطاتك المزعومة، فلدى الفتاة الحق في الدفاع عن نفسها باستخدام القوة *الشُّمِيتة*، ولو كان المعتدي منجلًا».

فهمت سيترا الكلام بوصفه تلميحًا لها لتستل سكين صيد مخفيًا في ردائها، ووقفت في مواجهة الرجل وقالت له: «إذا أتيت بأي حركة بعصاك فسيتعين عليك إعادة توصيل يدك».

ومن خلف الرجل جاء حارس أمن ليرى سبب الجلبة، فقالت سيترا له: «سيدي، هذا الرجل منجل شيليأرجنتيني، لكنه لا يرتدي عباءته وخاتمه، أليس هذا خرقًا للقانون في أمازونيا؟». لم تسعد سيترا بدراستها تاريخ المناجل قط كما سعدت اليوم.

نظر الحارس إلى الرجل، وضيَّق عينيه محدقًا إليه بنظرة صارمة متشككة، فعرفت سيترا موقفه. قال: «وعلاوة على هذا، يجب على جميع المناجل تسجيل دخولهم قبل عبور الحدود، حتى عندما يتسللون عبر النفق».

اعتكر مزاج المنجل الشيليأرجنتيني سريعًا: «دعني وشأني وإلا فسأقطفك في الحال».

قال المنجل بوسويلو بهدوء شديد: «لا، لن تقطفه. منحتُه حصانة، فلا يمكنك قطفه».

- ماذا؟

رفع المنجل الأمازوني يده إلى وجه الحارس، فأمسكها وقبَّل الخاتم قائلًا: «شكرًا لك جنابك».

قالت سيترا للحارس: «هذا الرجل هددني باستخدام العنف معي، أطالب بإنزاله من القطار في المحطة التالية، ومعه كل المناجل المتنكرين الذين معه».

قال الحارس: «من دواعي سروري».

اعترض المنجل: «لا يمكنك فعل هذا».

لكن بعد بضع دقائق وجد نفسه خارج القطار.

وإثر طرد مطارديها من القطار، استمتعت سيترا بمدة راحة من لعبة القط والفأر. لم يعد تخفِّيها ذا جدوى، فارتدت ملابس عادية من حقائب شخصٍ ما، جينز وبلوزة عليها نقش زهور لا تفضِّلها سيترا عادةً، لكن الملابس كانت تؤدي الغرض. أحس الطونيون بخيبة الأمل، لكنهم لم يبدوا متفاجئين بأنها ليست واحدة منهم، وأعطوها كُتيِّبًا فوعدتهم بقراءته، لكنها لن تقرأه على الأرجح.

قال المنجل بوسويلو لها: «أينما كانت وُجهتك، فعليك الانتقال إلى قطار آخر في محطة الأمازون المركزية. وأقترح أن تتجولي في عدة قطارات مغادِرة قبل أن تصعدي على متن القطار الذي ستستقلينه فعلًا، حتى تضلل أجهزة رصد الحمض النووي مطارديك فيذهبوا في شتى الاتجاهات».

كلما أكثرت من التجول في المحطة ازداد احتمال رصد مطارديها لها، لكن إرباك أجهزة رصد الحمض النووي وتضليل مطارديها يستحقان المخاطرة.

قال المنجل بوسويلو في أثناء توقف القطار في المحطة: «لا أعرف سبب ملاحقتهم لك، لكن إذا حُلّت مشكلاتك ونلتِ خاتمك فلتأتي إلى أمازونيا. الغابة المطيرة تمتد في جميع أنحاء القارة كما كانت في الماضي السحيق، ونعيش تحت غطائها، ستجدينها رائعة».

قالت له بابتسامة ساخرة: «ظننت أنكم لا تحبون المناجل الأجانب».

- ثمة فرق بين الذين ندعوهم، والذين يتطفلون.

بذلت سيترا ما بوسعها لتترك آثار حمضها النووي في ستة قطارات قبل أن تندس في القطار المتجه إلى كاراكاس الواقعة على ساحل أمازونيا الشمالي. إذا وُجِد المزيد من العملاء الذين يبحثون عنها، فهي لم تلاحظهم، لكنها ما كانت لتتصرف بغرور فتظن أنها بلغت بر الأمان.

كانت المنجل كوري قد أخبرت سيترا، حالما تصل إلى مدينة كاراكاس، بأن تتبع خط الساحل الشرقي حتى تصل إلى بلدة اسمها بلايا بِنتادا. تعين عليها تجنب السيارات العامة وأي وسيلة نقل من شأنها تحديد موقعها، لكنها وجدت أن عزيمتها تشتد كلما اقتربت من وجهتها. سوف تكمل رحلة الحج المحفوفة بالمخاطر هذه حتى إذا اضطرت إلى قطع المسافة المتبقية سيرًا.

كيف يواجه المرء قاتلًا؟ ليس قاتلًا يعترف به المجتمع، إنما مجرم حقيقي، شخص يُقدِم -دون مباركة المجتمع أو حتى إذنه- على إنهاء حياة إنسان إلى الأبد.

تعرف سيترا أن الرَّأس السَّحابي نجح في استئصال مثل هذه الجرائم من جميع أنحاء العالم. وبالطبع يُدفع الناس أمام القطارات، أو تحت الشاحنات، أو من أسطح المباني في لحظات الغضب الشديد – لكن كل ضرر يقع يُصلَح، وتُسوَّى الأمور. لكن أي منجل مُنصَّب يعيش خارج سلطة الرَّأس السَّحابي لا يتمتع بمثل هذه الحماية، فالمنجل لا يُنعش تلقائيًا، ولا بد من طلب الإنعاش. لكن من عساه أن يدافع عن حقوق منجل راح ضحية عمل خبيث؟ هذا يعني أن المناجل، رغم أنهم أقوى البشر نفوذًا على سطح الأرض، فهُم بلا حول أو قوة في مثل هذه المواقف.

واليوم تعهدت سيترا بالدفاع عن حقوق الموتى، وتحقيق العدالة لمرشدها المظلوم. كان من الواضح أن الرَّأس السَّحابي لن يقف في طريقها، وقد

أخبرها باسم القاتل، وكذلك أخبرتها المنجل كوري عندما أرسلتها في هذه المهمة، المرحلة الأخيرة من تدريبها. كل شيء يتوقف على ما ستفعله اليوم.

بلايا بِنتادا، أي الشاطئ المطلي. خط الساحل متناثرة عليه كُتل من الأخشاب الملتوية المتغضنة التي جرفها البحر، بدت تحت الشمس الغاربة كأذرع وسيقان مخلوقات رهيبة تزحف ببطء خارجةً من الرمال.

قرفصت سيترا خلف تنّين أخشاب منجرفة، مختبئة في ظله. كانت تهب عاصفة من الشمال تزداد قوة فوق البحر وتنقض على الشاطئ، وتلوْح البروق بين جحافل ظلامها، ويمتزج هزيم الرعد مع هدير الأمواج المتكسرة.

لم تكن مع سيترا سوى الأسلحة القليلة التي ظلت معها من بداية رحلتها، مسدس ومطواة وسكين صيد، وبقية الأسلحة صعُب عليها إخفاؤها فاضطرت إلى التخلص منها قبل صعودها على متن القطار في بوينوس آيرِس، الذي كان منذ يوم فحسب لكنه بدا لها أسبوعًا.

البيت الذي تراقبه سيترا بسيط من طابق واحد، كمعظم البيوت الواقعة على الشاطئ. معظم أجزاء البيت محجوبة خلف أشجار نخيل تعج بطيور الجنة. ورأت فناءً يطل على الشاطئ خلف سياج شجيرات منخفض، المصابيح مضاءة بالداخل، ورأت ظلًا يتحرك خلف الستائر بين الفينة والأخرى.

قلَّبت سيترا خياراتها في ذهنها. إذا كانت منجلًا لقَطَفَته، متبعةً نهج المنجل كوري، غارزةً نصلًا في قلبه بحركة سريعة حاسمة. لم يداخلها شك في قدرتها على التنفيذ، لكنها لم تكن منجلًا.

أي هجوم مميت لن يؤدي سوى إلى شموت الرجل، ثم ستصل مسيرة إسعاف في غضون دقائق فتحمله إلى مركز إنعاش. رأت أن تصيبه إصابة غير قاتلة، ثم تنتزع منه اعترافًا. هل كان ينفذ أوامر منجل آخر أم يتصرف من تلقاء نفسه؟ هل نال رشوة مثل الشهود؟ هل كان دافعه وعدًا بنيل حصانة أم عداوة شخصية مع فاراداي؟ ومن ثَم، عندما تعرف الحقيقة، تذهب بالرجل واعترافه إلى المنجل بوسويلو، أو أي منجل في هيئة مناجل أمازونيا. وهكذا حتى زينوقراط لن يقدر على طمس الحقيقة، وستبرِّئ نفسها من أي جناية، وسينال الجاني الحقيقي العقوبة التي تنتظر قاتل منجل، أيًا تكن. وعندئذٍ

ربما تتمكن سيترا من المكوث هنا في أمازونيا، ولا تضطر إلى مواجهة الاحتمالات المؤرقة التي تنتظرها في خلوة الشتاء.

سمعت سيترا، مع اقتراب انحسار ضوء الغسق، بابًا زجاجيًا منزلقًا يُفتح، فاختلست نظرة فوق حافة الأخشاب فرأت الرجل يخرج إلى الفناء لينظر إلى العاصفة المقتربة، راسمًا صورة ظليَّة بالضوء القادم من الداخل، كهدف ورقي في ميدان تدرُّب على الرماية، فسهَّل مهمة سيترا. استلَّت مسدسها، وفي البداية صوبته إلى قلبه، كعادتها عندما تتدرب، ثم خفضته إلى ركبته وأطلقت النار.

كانت التصويبة مثالية. صرخ الرجل وخر على الأرض، فركضت سيترا على الرمال وقفزت فوق السياج، وأمسكت بالرجل من قميصه بيديها وهو يتلوى.

زمجرت: «ستدفع ثمن ما فعلته».

وعندئذٍ رأت وجه الرجل، وجه مألوف، مألوف جدًّا. خطر لها أولًا أنها ترى خدعة أخرى، ولم تتقبل الحقيقة إلا عندما تكلم الرجل: «سيترا؟».

كان وجه المنجل فاراداي قناعًا من الألم وعدم التصديق: «يا إلهي! ما الذي تفعلينه هنا يا سيترا؟».

أفلتته من شدة صدمتها، فارتطم رأس المنجل فاراداي ارتطامًا قويًا أفقده الوعي، فتفاقم رعب سيترا.

أرادت أن تطلب المساعدة، لكن مَن عساه أن يساعدها بعد ما فعلته؟

رفعت رأسه واحتضنته برفق والدم المتدفق من ركبته المتشظية ينساب بين حجارة الفناء، جاعلًا من الرمال التي بين الشقوق ملاطًا، ثم بدأ يجف متحولًا إلى اللون البُني.

الخلودُ غير كفيل بكبح طيش الشَّباب وانجرافهم وراء عواطفهم. والبراءةُ محكومٌ عليها بالموت هباءً على أيدينا، ضحيَّةً للأخطاء التي لا يمكننا تداركُها أبدًا. لذا ندفن الأعجوبة التي كانت تضفي البهجة على حياتنا، ونستبدل بها ندوبًا لا نستطيع الحديث عنها، ندوبًا يستعصي علاجها على أي تقنية. مع كل عمليَّة قطف أؤدِّيها، وكل حياة أنهيها من أجل مصلحة البشريَّة، أندب حظ الفتى الذي كُنْتُه، الذي أعاني أحيانًا في سبيل تذكُّر اسمه. وأتوق إلى مكان فيما وراء الخلود يمكنني فيه أن أبعث تلك الأعجوبة وأكون ذلك الفتى مرة أخرى.

- من مذكِّرات قطف م. م. فاراداي

33

كلّ من الرسول والرسالة

حملته سيترا إلى الداخل ووضعته على الأريكة، وصنعت عاصِبة لإيقاف النزيف. ثم بدأ فاراداي يئن، ويستفيق من إغماءته، واستعاد وعيه مشغول البال بسيترا.

«ينبغي ألّا تكوني هنا». تكلم متلعثمًا بصوت واهن، من كثرة الوحدات المجهرية المهدِّئة للألم التي يفيض بها جسده، ورغم هذا ارتسمت على وجهه أمارات الألم.

قالت له: «لا بد من الذهاب إلى مستشفى. وحداتك المجهرية ليست كافية لشفاء إصابتك».

- لا داعي، إنها خففت حدة الألم، ويمكنها شفائي دون تدخل.
- لكن...
- لا خيار لي، إذا ذهبتُ إلى مستشفى فستعرف هيئة المناجل أنني ما زلت حيًّا.

تحرك في مكانه وخفف أمارات الألم المرتسمة على وجهه، وقال: «الطبيعة ووحداتي المجهرية كفيلتان بشفاء ركبتي. قد أستغرق وقتًا أطول، لكنني أحظى بمتَّسع منه».

رفعت سيترا ساقه وضمَّدتها، ثم جلست على الأرضية بجواره.

سألها بما يشبه المزاح: «هل امتعضتِ من مغادرتي إلى درجة الانتقام مني جسديًّا؟ هل شعرتِ بالإهانة لأنني وجدت طريقة للتقاعد سرًّا بدلًا من قطف نفسي؟».

- ظننتك شخصًا آخر، شخصًا يدعى جيرالد فان دير غانز.

- هذا هو اسمي الذي وُلدت به، الاسم الذي تخليت عنه عندما أصبحت المنجل المبجل مايكل فاراداي. لكن هذا لا يفسر وجودك هنا. حررتكما يا سيترا، أنت وروان، بتزييف قطفي تحررتما من التلمذة. ينبغي أن تعودا إلى حياتكما القديمة، وتنسيا أنني انتزعتكما منها. لماذا أنتِ هنا إذن؟

- أتعني أنك لا تعرف؟

رفع فاراداي نفسه قليلًا حتى ينظر إليها نظرة مباشرة: «لا أعرف ماذا؟».

أخبرتْه بكل شيء. بانتهاء المطاف بهما مع المنجلين كوري وغودارد بدلًا من تحريرهما، وبمحاولة زينوقراط إلصاق تهمة مقتله بها، ومساعدة المنجل كوري لها على الوصول إليه. وفي أثناء حديثها وضع المنجل فاراداي يديه على عينيه كأنه يريد اقتلاعهما.

قال: «وأنا كنت راضيًا ناعم البال هنا في أثناء حدوث كل هذا!».

سألته: «كيف يُعقل أنك لم تكن تعرف؟». ففي ذهنها بدا لها دومًا كأنه يعرف كل شيء، حتى الأشياء التي لا يمكن أن يعرفها.

تنهَّد المنجل فاراداي قائلًا: «ماري، أي المنجل كوري، هي عضو هيئة المناجل الوحيدة التي تعرف أنني ما زلت على قيد الحياة. أعيش خارج الشبكة والنظام الآن، والطريقة الوحيدة للتواصل معي هي بمقابلتي شخصيًّا، لذا أرسلتك المنجل كوري إلي. وأنت كلٌّ من الرسول والرسالة».

صارت اللحظة مشوبة بالحرج. تناهى إلى مسامعهما قصف الرعد قادمًا من البحر، وقد صار أقرب الآن، واشتدت ومضات البرق.

سألته سيترا: «أصحيح أنك مت سبع موتات من أجلها؟».

أومأ: «كما ماتت من أجلي. أخبرتكِ بهذا، صحيح؟ طيب، كان هذا قبل وقت طويل جدًّا».

بدأ المطر يتساقط بالخارج أخيرًا ويشتد غزارة.

قال فاراداي: «أحب هطول المطر هنا، فهو يذكّرني بأن بعض قوى الطبيعة لا يمكن إخضاعها بالكامل، إنها قوى أبدية».

ظلّا جالسَين يستمعان إلى أصوات المطر، حتى اشتد إرهاق سيترا فعجزت عن مجرد التفكير. سألته: «ما العمل الآن إذن؟».

«بسيط جدًا. أنا أتعافى، وأنت تنالين قسطًا من الراحة. كل شيء آخر سنناقشه لاحقًا». ثم أشار لها وأردف: «حجرة النوم هناك. أتوقع منك أن تنامي طوال الليلة، ثم تستذكري السموم في الصباح، حسب درجة سُمِّيتها».

- السموم؟

ابتسم المنجل فاراداي رغم ألمه وتشوشه: «نعم، السموم. هل أنت تلميذتي أم لا؟».

لم يسع سيترا سوى الابتسام: «نعم جنابك، تلميذتك».

تبدو الأيَّام كأنها تمضي بوتيرة أسرع كلَّما طالت حياتنا، ويا له من أمر مزعج عندما نعيش إلى الأبد! يبدو العام كأنَّه ينصرم في غضون أسابيع، وتنقضي العقود دون حدث بارز يمكّننا من ملاحظة انقضائها. اعتدنا الانهماك في الكدح الدَّائب، حتى ننظر فجأة إلى أنفسنا في المرآة فنرى وجهًا نكاد لا نعرفه يتوسَّل إلينا أن نستعيد شبابنا.

لكن هل نصبح شبابًا حقًّا عندما نستعيد شبابنا؟

نحتفظ بالذِّكريات نفسها، والعادات نفسها، والأحلام غير المحقَّقة نفسها. ربما تصبح أجسادنا رشيقة نشيطة الحركة، لكن من أجل أيِّ غاية؟ ما من غاية أبدًا.

أرى أنَّ الفانين كانوا يثابرون بحماسة في سبيل تحقيق غاياتهم، لأنَّهم كانوا يعرفون أنَّ الوقت عنصر جوهري. أما نحن، فبوسعنا تأجيل الأشياء إلى وقت أبعد مما يستطيعه أولئك الذين مصيرهم الموت، لأنَّ الموت صار الاستثناء وليس القاعدة.

الرُّكود الذي أثابر على إزالته يوميًّا يبدو وباءً متفشِّيًا باطِّراد. أشعر أحيانًا بأنَّني أخوض معركة خاسرة في نهاية عالم لا يعيش فيه سوى الموتى الأحياء.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

34

الثاني من حيث درجة الإيلام

اقترب الشتاء اقترابًا حثيثًا. في البداية كان روان يحسب عدد الحيوات التي يُنهيها مؤقتًا، لكن مع مرور الأيام لم يعد قادرًا على متابعة الحساب. اثنتا عشرة يوميًا، أسبوعًا تلو أسبوع، وشهرًا تلو شهر. اختلطت عليه الأيام. ظل يتدرب تحت إشراف المنجل غودارد ثمانية أشهر، وأقدم على القتل أكثر من ألفَي مرة، معظمهم الأشخاص أنفسهم مرارًا وتكرارًا. تساءل، هل يمقته أولئك الناس أم يرون الأمر مجرد عمل؟ أحيانًا كان يُطلَب منهم الهروب، أو حتى المقاومة والقتال، ومعظمهم كانوا غير بارعين، لكن من الواضح أن بعضهم تلقوا تدريبات قتالية. وفي بعض التدريبات يكون أهداف روان مسلَّحين، وقد تعرض للجرح والطعن وإطلاق النار، لكنه لم يتعرض لإصابة تستلزم إنعاشه، إذ أصبح قاتلًا ماهرًا مهارة استثنائية.

قال غودارد له: «براعتك فاقت جميع توقعاتي. حدستُ أنك تنطوي على شرارة، لكنني لم أحلم بأن تكون نارًا مستعرة!».

وأجل، صار روان يستمتع بما يفعله، كما قال له المنجل غودارد. وصار يمقت نفسه بسبب استمتاعه، كما قال المنجل فولتا.

قال فولتا له ذات يوم في أثناء الدراسة بعد الظهر: «إنني متشوق لتنصيبك. ربما يمكننا نحن الاثنين الانشقاق عن غودارد، ونقطف كما نشاء».

لكن روان كان يعرف أن فولتا لن يقوى أبدًا على الإفلات من نطاق جاذبية غودارد.

نبَّهه روان: «إنك تفترض أنني سأُختار بدلًا من سيترا».

فذكَّره فولتا: «سيترا اختفت. إنها خارج الشبكة منذ شهور، وإذا ظهرت في الخلوة، فلن تتسامح لجنة الترصيع مع غيابها غير المبرَّر كل هذه المدة. ما عليكَ سوى اجتياز الاختبار النهائي، وستفوز بلا شك».

وهذا ما كان روان يخشاه.

أخبار اختفاء سيترا تسربت إلى روان بطريقة غير رسمية، ولم يعرف القصة الكاملة، سمع أن زينوقراط اتهمها بجريمةٍ ما، وأن لجنة العقوبات عقدت اجتماعًا طارئًا، حضرته المنجل كوري نيابة عن سيترا، وبرَّأت ساحتها. لا بد أن غودارد هو الذي دبَّر الاتهام، لأنه غضب غضبًا شديدًا من قرار اللجنة بإسقاط التُّهم، ومن اختفاء سيترا دون أثر. حتى المنجل كوري لم تبدُ أنها تعرف مكانها.

وفي اليوم التالي اصطحب غودارد مناجله المبتدئين وروان في حملة قطف شعواء، يؤججها غضبه، فأطلق له العنان في مهرجان حصاد حاشد. وفي هذه المرة لم يتمكن روان من إنقاذ اي أحد، لأن غودارد أبقاه إلى جانبه ليحمل أسلحته، واستخدم المنجل تشومسكي قاذفة اللهب ليضرم النار في حقل ذرة، دافعًا الناس للخروج منه حتى يقتنصهم المناجل الآخرون.

لكن المنجل فولتا كان المغضوب عليه في ذلك اليوم، لأنه ألقى عبوة غاز سام في حقل الذرة المشتعل، وهذا أسلوب فعال جدًّا لكنه حرم غودارد والآخرين من متعة القتل.

أسرَّ فولتا لروان: «فعلتُها بدافع الرحمة، أفضِّل لهم أن يموتوا بالغاز بدلًا من النار أو بتعرضهم للتفجير وهم يظنون أنهم على وشك الهروب من حقل الذرة».

ربما كان روان مخطئًا بشأن فولتا، ربما بوسعه الإفلات من نطاق جاذبية غودارد. لكنه لن يتمكن من فعلها دون روان. وهذا دافع آخر يدفع روان لنيل الخاتم.

جميعهم أكملوا حصص قطفهم بنهاية تلك الأمسية الفظيعة، ورغم هذا لم يبدُ على غودارد أنه قد أشبع تعطشه للدماء. تحدث مع أتباعه مهتاجًا ساخطًا

على النظام، راجيًا قدوم اليوم الذي لا يُفرَض فيه على المناجل عدد عمليات القطف.

***

عادت سيترا إلى المنجل كوري في الشلال قبل عدة أسابيع من خلوة الشتاء، في مستهل شهر الأضواء عندما يجري تبادل الهدايا بين الأصدقاء والأحباب احتفاءً بمعجزات قديمة لم يعد أحد يتذكرها.

وعلى عكس رحلتها الجنونية إلى ساحل أمازونيا الشمالي، عادت سيترا إلى الديار مرتاحة ناعمة البال على متن طائرة، ولم يتعين عليها التلفت كل خمس دقائق لأن لا أحد يطاردها. وبُرِّئت من كل التهم كما وعدتها المنجل كوري. ثم أرسل المنجل مانديلا إلى المنجل كوري رسالة اعتذار صادق حتى تعطيها لسيترا، لكن النصل السامي زينوقراط لم يُقدِم على لفتة مماثلة.

قالت المنجل كوري لسيترا وهي تقود السيارة من المطار: «سيتظاهر زينوقراط بأن شيئًا لم يحدث قط، وهذا أقرب فعل للاعتذار قد يبدُر من الرجل».

- لكن شيئًا حدث فعلًا. اضطررت إلى أن أقذف بنفسي من سطح مبنى لأهرب منه.

قالت المنجل كوري ساخرة: «وأنا اضطررت إلى تفجير سيارتين في حالة مثالية».

- لن أنسى ما فعله أبدًا.

- أجل، ينبغي ألا تنسَي. لديك الحق في الحكم على زينوقراط حكمًا قاسيًا، لكن ينبغي ألا تبالغي، ربما توجد عوامل أخرى لا نعرفها.

- هذا ما قاله المنجل فاراداي.

ابتسمت المنجل كوري إثر ذكر اسمه، وسألت سيترا بغمزة: «وكيف حال صديقنا الطيب جيرالد؟».

- أخبار موته مبالَغ فيها. جُل ما يفعله هو الاعتناء بحديقته والتمشي على الشاطئ.

حقيقة أنه ما يزال على قيد الحياة كانت سرًّا تعتزمان الحفاظ عليه. حتى المنجل مانديلا صدَّق أن سيترا تقيم مع أحد أقارب المنجل كوري في أمازونيا، ولم يجد ما يدفعه للشك في صحة هذا الكلام.

قالت المنجل كوري: «ربما سأنضم إليه بعد مئة عام أو نحوها. لكن في الوقت الراهن أمامنا عمل كثير في هيئة المناجل، ومعارك مهمة كثيرة علينا خوضها». رأت سيترا قبضة المنجل كوري تشتد على عجلة القيادة في أثناء كلامها. «مستقبل كل ما نؤمن به معرَّض للخطر يا سيترا، حتى إن بعض المناجل يتحدثون عن إلغاء نظام الحصص. ولهذا يجب عليك نيل الخاتم. أعرف القيم التي ستعملين من أجلها عندما تصبحين منجلًا، وهي ما نحتاج إليه».

أشاحت سيترا بوجهها. من دون القطف اليومي كانت تدريباتها مع المنجل فاراداي خلال الشهور القليلة الماضية تركز على صقل مهاراتها الذهنية والجسدية، والأهم من هذا التأمل في القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها أي منجل عادةً، لم يكن الأمر يتعلق بما يتصف به مناجل «الحرس القديم»، إنما بما هو صائب فحسب. وكانت سيترا تعلم أن مثل هذه القيم السامية غائبة عن تدريبات روان، لكن هذا لا يعني أنه لا يتمسك بها في صميمه، رغم مرشده المتعطش للدماء.

قالت سيترا: «يمكن لروان أن يكون منجلًا صالحًا أيضًا».

تنهدت المنجل كوري: «لم يعد جديرًا بالثقة. تذكري ما فعله بك في خلوة الحصاد. لكِ أن تلتمسي له الأعذار كما تشائين، لكن الحقيقة هي أنه صار شخصًا مجهولًا الآن، فالتدرب على يد غودارد من شأنه تغيير المرء تغيُّرًا يتعذر توقع نتائجه».

فقالت سيترا داخلة في صلب الموضوع الذي تعرف كلتاهما أنهما تحاولان تحاشيه: «حتى إذا كان كلامك صحيحًا، لا أعرف كيف سأقدر على قطفه».

أقرَّت المنجل كوري: «سيكون ثاني فعل من حيث درجة الإيلام تُقدمِين على فعله».

إذا كان قطف روان الفعل الثاني من حيث درجة الإيلام، تساءلت سيترا عن الأشد إيلامًا، لكن خشيت أن تسأل، لأنها لم ترغب في المعرفة.

ينبغي لنا التشكيك في كثير من تقاليدنا وقوانيننا التي عفا الزّمن عليها، فالمؤسّسون، رغم حُسن نيّاتهم، كانوا ما يزالون يعانون عقليّة الفائين لأنّهم عاشوا في زمن قريب من عصرهم، ولم يكن بمقدورهم التنبّؤ باحتياجات هيئة المناجل.

أودُّ التطرُّق أولًا إلى نظام الحصص، فمن المستهجَن أن يُسمَح لنا باختيار طرائقنا في القطف ولا يُسمح لنا باختيار العدد. إننا مقيَّدون في كل لحظة من كل يوم، لأن علينا دومًا مراعاة ما إذا كنا نقطف عددًا أكبر أو أقل. من الأفضل منحنا مطلق الحريّة في القطف، فهكذا لن يُعاقَب المناجل الذين يقطفون عددًا قليلًا، لأنّ المناجل أصحاب الشهيّة المفتوحة للقطف سيعوّضون النّقص، وعلى هذا النّحو يساعد بعضنا بعضًا. أليست مساعدة زملائنا المناجل تعود بالنّفع على الجميع؟

- من مذكّرات قطف م. م. غودارد

35

الإبادة هي سمتنا المميزة

قاد غودارد حملة قطف أخرى في آخر يوم من العام، قبل ثلاثة أيام من انعقاد خلوة الشتاء.

سارع المنجل فولتا بتذكيره: «لكننا أكملنا حصص العام المقرَّرة علينا».

صاح غودارد: «لن أسمح لمجرد شكليات بتقييدي!». وظن روان أن غودارد على وشك ضرب فولتا، لكن المنجل تمهَّل قليلًا ليهدِّئ نفسه، ثم قال: «بحلول الوقت الذي نبدأ فيه القطف، سيكون عام خنزير الماء قد بدأ في بان آسيا، وحسبما أعرفه هذا يتيح لنا أن نحسب عدد القتلى ضمن حصة العام الجديد. ثم سنعود في الوقت المناسب لنقيم احتفال عشية رأس السنة الجديدة».

قرر المنجل غودارد أن اليوم سيكون يوم سيوف الساموراي، لكن تشومسكي رفض فراق قاذفة لهبه قائلًا: «صرتُ أُعرَف بها، فلماذا أعبث بصورتي أمام الناس؟».

رافق روان غودارد في أربع حملات قطف حتى الآن. ووجد أن بوسعه الهروب إلى مكان في دواخله حيث يكون أقل مشاركة فيما يجري، بل وحتى أقل من مشاهِد. أصبح فتى الخس مرة أخرى، ثانويًا لا أهمية له، يسهُل تجاهله ونسيانه. وهذه كانت وسيلته الوحيدة ليحافظ على رُشده في خضم تسلية غودارد الدموية. أحيانًا يُنسى في غمرة المعمعة فيتمكن من مساعدة الناس على الهروب، وفي أحيان أخرى يضطر إلى ملازمة غودارد، لتلقيم

أسلحته أو تبديلها. لم يكن يعرف الدور الذي سيُسنَد إليه اليوم، إذا اكتفى غودارد باستخدام سيف الساموراي فلن يحتاج إلى روان ليحمل له أسلحته، ومع هذا طلب من روان أن يجلب معه سيفًا احتياطيًا.

كانت الاستعدادات للحفل تجري على قدم وساق وهم يستعدون للخروج في حملة القطف في ذلك الصباح. وصلت شاحنة الطعام، ورُصِفت الطاولات في جميع أنحاء المكان، إذ إن حفل عشية رأس السنة الجديدة من حفلات غودارد القليلة التي يخطِّط لها بعناية ويدعو إليها أرفع الضيوف مقامًا.

هبطت المروحية على الباحة الأمامية، فعصفت بخيمة تُنصَب للحفل كأنها منديل.

قال غودارد لهم منتشيًا: «سنتخلص اليوم من بعض الرعاع». لكنه لم يوضِّح لهم مقصده. ومع إقلاع المروحية أحس روان بانقباض في معدته لا علاقة له بارتفاع المروحية المفاجئ.

هبطوا في متنزه عام، في منتصف ملعب كرة قدم خالٍ تكسوه طبقة ثلج رقيقة. وعند طرف المتنزه كان يوجد أطفال يتسلقون ويتأرجحون ويحفرون في الرمال غير عابئين بالطقس، وحالما رأى آباؤهم المناجلَ يخرجون من المروحية، جمعوا أطفالهم وهرولوا مبتعدين، متجاهلين نحيب احتجاجات الأطفال.

قال المنجل غودارد لهم: «وجهتنا على بعد بضعة شوارع. لم أرغب في الهبوط في مكان قريب حتى لا أفسِد عنصر المفاجأة». ثم وضع ذراعه حول كتفَي روان بحركة أبوية وقال: «اليوم حفل تنصيب روان. ستؤدي أول عملية قطف اليوم».

انكمش روان: «ماذا؟ أنا؟ لا يمكنني! إنني مجرد متتلمِذ!».

- بالتفويض يا فتى! ستقطف شخصًا اليوم، كما سمحت لك بمنح الحصانات بخاتمي، وسيُحسَب المقطوف ضمن حصتي.

- لكن... لكن هذا غير مسموح.

لم ينزعج غودارد: «فلنسمع شخصًا يشتكي إذن! أوه، ما الذي أسمعه؟ الصمت!».

قال فولتا لروان: «لا تقلق، هذا ما تدربتَ من أجله. ستكون على ما يرام».

وهذا ما كان يُقلِق روان. لم يرغب في أن يكون «على ما يرام»، أراد أن يمقت نفسه إذا فعل ما طُلب منه، أراد أن يفشل، فبالفشل وحده سيعرف أنه ما زال متمسكًا ببقايا إنسانيته. أحس بدماغه كأنه على وشك الانفجار والانبجاس من أنفه وأذنيه، وتمنى لو ينفجر، فعندئذٍ لن يقطف أحدًا اليوم. ثم قال لنفسه: *إذا اضطررت إلى القطف، فسأكون رحيمًا مثل المنجل فاراداي. لن أستمتع به، **لن أستمتع به!***

انعطفوا عند زاوية ورأى روان وجهتهم، مجمع مبانٍ مشيَّد ليبدو مثل دير قديم مشيَّد بالطوب اللبِن، بدا وجوده غريبًا في برد وسطمريكا. والرمز الحديدي فوق البرج الأطول كان شوكة ذات شعبتين. كانوا أمام دير طائفة طونية.

أعلن غودارد: «قرابة مئة طونيٍّ يقيمون خلف هذه الجدران، هدفنا هو قطفهم جميعًا».

ابتسمت المنجل راند ابتسامة واسعة، وتحقق المنجل تشومسكي من جاهزية سلاحه. المنجل فولتا وحده بدا أنه لديه بعض التحفظات، فسأل: «جميعهم؟».

هز غودارد كتفيه كما لو أن الأمر بسيط، كأن جميع هذه الحيوات لا تعني شيئًا، وقال: «الإبادة هي سِمتنا المميزة. لا ننجح دائمًا، لكننا نحاول».

- لكن هذا... هذا خرق للوصية الثانية، إنه تحيُّز واضح.

قال غودارد بنبرة تعالٍ: «دعنا من هذا يا أليساندرو. تحيُّز ضد من؟ الطونيون ليسوا مجموعة ثقافية مُعتمَدة».

تساءل روان: «ألا يمكن أن تُعد الطونية دِينًا؟».

ضحكت المنجل راند: «لا بد أنك تمزح. إنها أضحوكة!».

وافقها غودارد: «بالضبط. لقد جعلوا من عقائد عصر الفانين أضحوكة. الدين جزء من التاريخ له اعتبار، وقد حرَّفوه».

قال تشومسكي وهو يشعِل سلاحه: «فلنقطفهم جميعًا!».

امتشق غودارد وراند سيفيهما، ونظر فولتا إلى روان وقال له بصوت خافت: «أفضل ما في عمليات القطف هذه هو أنها تنتهي سريعًا». ثم امتشق سيفه هو أيضًا وتبع الآخرين عبر ممر مقنطر أمامه باب يدعه الطونيون

مفتوحًا دائمًا للأرواح التائهة التي تلتمس سلوان الرنين، وبالداخل لم تكن لديهم فكرة عما سيأتيهم.

سرعان ما فشا في الشوارع خبرُ دخول مرثاة مناجل صغيرة إلى الدَّير الطوني، ووفقًا لما تمليه الطبيعة البشرية، رفعت الإشاعة عدد المناجل إلى اثني عشر أو أكثر، ووفقًا لما تمليه الطبيعة البشرية أيضًا، تجمع حشد من الناس، متحمسين أكثر مما هم خائفون، على الجانب الآخر من الشارع، راجين أن يحظوا بإلقاء نظرة على المناجل، أو الأشلاء التي سيخلِّفونها وراءهم، لكنهم لم يروا حتى الآن سوى شاب واحد، متتلمِذ يقف عند البوابة المفتوحة موليًا ظهره إليهم.

أُمِر روان بالبقاء عند البوابة، مشهِرًا سيفه، ليقطع طريق الهروب على أي أحد، بيد أن خطته كانت، بطبيعة الحال، هي السماح *لأي أحد* بالهروب. لكن عندما رآه الطونيون المذعورون، ورأوا سيفه وشارة التتلمُذ على ذراعه، ارتدوا على أعقابهم راكضين إلى المجمع، حيث سقطوا فرائس للمناجل. ظل روان واقفًا في مكانه خمس دقائق، ثم ترك موقعه عند البوابة، ودخل إلى المجمع الشبيه بالمتاهة، وعندئذٍ بدأ الناس ينسلون إلى بر الأمان.

لم يقدر روان على تحمل أصوات الألم والعذاب، ومعرفته بأنه مطلوب منه قطف شخص قبل انتهاء هذه العملية أعجزته عن الانكفاء على ذاته في هذه المرة. المكان متاهة من الفناءات والممرات والمباني العشوائية. لم تكن لدى روان أدنى فكرة عن مكانه. رأى مبنى يحترق إلى يساره، وأحد الممرات متناثرة عليها جثث الموتى، دليلًا على مرور أحد المناجل، ورأى امرأة رابضة مختبئة جزئيًا خلف شجيرة جردها الشتاء من أوراقها، تحتضن رضيعًا، وتحاول تهدئته يائسة، وذُعِرَت عندما رأت روان وصرخت ضامة إليها رضيعها.

قال لها: «لن أؤذيك. لا أحد يحرس البوابة الرئيسية، إذا أسرعتِ يمكنك الخروج. اذهبي الآن».

فانطلقت دون أن تهدر أي وقت، ولم يسع روان سوى أن يأمل ألّا تصادف منجلًا في طريقها. ثم انعطف عند زاوية ورأى هيئة شخص آخر جالسًا متكئًا على عمود، ينشج وصدره يعلو ويهبط، لكنه لم يكن أحد الطونيين، كان المنجل فولتا، سيفه ملقى على الأرض، وعباءته الصفراء ملطخة بالدماء،

ويداه أيضًا تغطيهما دماء لزجة لامعة، وعندما رأى روان أشاح بوجهه واشتد نشيجه. جثا روان بجانبه، ورأى أنه يقبض على شيء بيده، ليس سلاحًا، إنما شيء آخر.

قال فولتا بصوت مهموس بالكاد: «انتهى الأمر، انتهى الآن».

لكن كان من الواضح، من الأصوات الآتية من أماكن أخرى في المجمع، أن الأمر لم ينتهِ إطلاقًا.

سأله روان: «ماذا حدث يا أليساندرو؟».

نظر فولتا إليه، وفي عينيه حزن رجلٍ قُضي أمره، وقال: «ظننته... ظننته مكتبًا، أو ربما مخزن. ظننت أنني سأدخل وأجد شخصين وأقطفهما دون إيلامهما وأواصل طريقي. هذا ما ظننته. لكنه لم يكن مكتبًا، ولا مخزنًا. كان صفًّا دراسيًّا».

أجهش بالنشيج مرة أخرى وهو يواصل كلامه: «كان عددهم لا يقل عن اثني عشر طفلًا، منكمشين. كانوا منكمشين مني يا روان! لكن صبيًّا بدا مختلفًا، تقدم نحوي، فحاول معلّمه إيقافه، لكنه تقدم، لم يكن خائفًا، ورفع إحدى شوكاتهم الرنانة السخيفة، رفعها كأن من شأنها أن تصدّني. وقال: «لن تستطيع أن تؤذينا». ثم ضربها على سطح مكتب ليجعلها ترن، ورفعها نحوي قائلًا: «بقوة الطون لن تستطيع أن تؤذينا». وقد كان مؤمنًا بما يقوله يا روان، كان مؤمنًا بقدرة الطون على حمايته».

- ماذا فعلت؟

أغمض فولتا عينيه، وخرجت كلماته عويلًا شنيعًا: «قطفته... قطفتهم جميعًا...».

ثم فتح يديه الداميتين، كاشفًا عن الشوكة الرنانة الصغيرة التي كان يحملها الصبي، وسقطت على الأرض فأصدرت رنينًا خافتًا.

«ماذا نحن يا روان؟ ماذا نحن بحق الجحيم؟ لا يمكن أن نكون ما يُفترض أن نكون».

- لسنا كذلك، ولم نكن قط. غودارد ليس منجلًا، ربما لديه خاتم، وربما لديه رخصة للقطف، لكنه ليس منجلًا. إنه قاتل، ويجب إيقافه، سنجد طريقة لإيقافه، كلانا!

هز فولتا رأسه ونظر إلى الدماء التي تتجمع في راحتَي يديه، وقال مرة أخرى: «انتهى الأمر». ثم أخذ نفسًا عميقًا مرتجفًا، فاكتنفه هدوء بالغ: «انتهى الأمر، وأنا سعيد بنهايته».

وعندئذٍ أدرك روان أن الدماء التي على يدَي فولتا ليست من ضحاياه، إنما من رسغَي فولتا نفسه، من جروح متعرجة طويلة، أُحدِثت بنيَّة واضحة.

- لا يا أليساندرو! لستَ مضطرًا إلى فعل هذا! علينا أن نطلب مسيَّرة إسعاف، لم يفُت الأوان.

لكن كليهما كانا يعرفان أن الأوان قد فات.

«القطف الذاتي آخر امتيازات أي منجل، لا يمكنك أن تحرمني منه يا روان، فلا تحاول».

لطخت دماؤه كل شيء، حتى الثلج على أرض الفناء. انتحب روان، وأحس بيأس وعجز شديدين. «أنا آسف يا أليساندرو. آسف...».

- اسمي الحقيقي شون دوبسن. هلَّا ناديتني به يا روان؟ هلَّا دعوتني باسمي الحقيقي؟

كاد روان أن يعجز عن الكلام بين دموعه: «تشـ... تشرفت بمعرفتك يا شون دوبسن». مال نحو روان رافعًا رأسه بالكاد، وقال له بصوت واهن: «عِدني بأنك ستكون منجلًا أفضل مما كنتُ».

- أعدك يا شون.

- عندئذٍ ربما... ربما...

لكن أيًا كان ما سيقوله تلاشى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، مال رأسه على كتف روان، ومن كل الأنحاء حولهما تتناهى إلى مسامعهما صيحات الألم عبر الهواء البارد.

أُصلِّي كل يوم كما كان يصلِّي أسلافي، ذات يوم كانوا يُصلُّون لآلهة متعدِّدة نزويَّة غير معصومة من الخطأ، ثم لإله واحد جبَّار منتقِم، ثم لإله مُحِب متسامح، وأخيرًا لقوة لا اسم لها.

لكن لِمَن يمكننا نحن الخالدين أن نصلِّي؟ لا أملك جوابًا، لكنني ما زلت أُطلِق صوتي إلى الخواء، أملًا في وصوله إلى شيء يتجاوز المسافات وأعمق من أعماق روحي. أطلب الهِداية، وألتمس الشَّجاعة، وأتوسَّل مُتضرِّعًا ألَّا أفقد حساسيَّتي إزاء الموت الذي يجب عليَّ أن أسبِّبه فأعتاده.

أهم ما أتمنَّاه للبشريَّة ليس السلام ولا الراحة ولا البهجة، إنما أن نظل قابلين لأن يموت شيءٌ بداخلنا كلَّما شهدنا موت شخص آخر، لأن تألُّمنا الناجم عن تعاطفنا هو ما يُبقِي على إنسانيَّتنا، إذ ما من إله بوسعه إعانتنا إذا فقدنا قدرتنا على التَّعاطف.

- من مذكِّرات قطف م. م. فاراداي

36

الإجهاز على الهدف الثالث عشر

كان غودارد في محراب المصلَّى ينهي عمله الفظيع، وفي الخارج بدأ العويل يتلاشى إثر إنهاء راند وتشومسكي ما بدآه. احترق مبنى على الجانب الآخر من الفناء، وتدفق الدخان والهواء البارد عبر زجاج نوافذ المصلى المكسَّرة والملطَّخة. وقف غودارد في الأمام، جوار مذبح تنتصب فوقه شوكة لامعة ذات شعبتين ووعاء حجري مليء بماء قذر.

لم يبقَ سوى طونيٍّ واحد على قيد الحياة في المصلى، رجل انحسر شعر رأسه، يرتدي رداءً مختلفًا قليلًا عما يرتديه الموتى حوله، أمسك غودارد به بيد ولوَّح بسيفه بيده الأخرى، ثم التفت فرأى روان وابتسم، وقال مبتهجًا: «آه، روان! تركتُ الخوري لك».

أظهر الخوري الطوني التحدي بدلًا من الخوف، وقال: «ما فعلتموه هنا اليوم لن يؤدي إلَّا إلى تعزيز قضيتنا. الشهداء أشد تأثيرًا من الأحياء».

رسم غودارد على وجهه تعابير الاستهزاء ونقر بسيفه على الشوكة الرنانة الضخمة، وقال: «شهداء ماذا؟ شهداء هذا الشيء؟ لو لم أكن مشمئزًا لضحكت».

اقترب روان ببطء، متجاهلًا ما حوله من أشلاء، مركِّزًا على غودارد، وقال له: «دعه يذهب».

- لماذا؟ أتفضِّل هدفًا متحركًا؟

- أفضِّل عدم وجود هدف.

وأخيرًا فهم غودارد، وابتسم كما لو أن روان قال كلامًا طريفًا، وسأل: «هل أسمع منك معارضة؟».

قال روان له: «فولتا مات».

تلاشت تعابير البهجة من وجه غودارد، لكن قليلًا، وقال: «هل هاجمه الطونيون؟ سيدفعون الثمن غاليًا!».

لم يحاول روان إخفاء النبرة العدائية في صوته: «لا، لقد قطف نفسه».

أطرق غودارد قليلًا، وتململ الخوري من القبضة، فدفعه غودارد على الحوض الحجري بقوة أفقدته الوعي وتهالك على الأرض.

قال غودارد لروان: «فولتا كان الأضعف من بيننا، لستُ متفاجئًا. سوف أسعد بحلولك محله عندما تُنصَّب».

- لن أحل محله.

تمهَّل غودارد قليلًا ليتأمل روان، ويسبر غوره، وأحس روان بأن المنجل نفذ إلى رأسه، وحتى أعماق روحه.

قال غودارد: «أعرف أنك كنت مقرَّبًا من أليساندرو، لكنه لم يكن مثلك إطلاقًا يا روان، صدِّقني، لم يكن متعطشًا مثلك، وقد رأيتُ تعطشك في عينيك، شهِدتُ التغير الذي يعتريك عندما تتدرب، رأيتك تعيش اللحظة بكل حواسك، وتقتل قتلًا مثاليًّا».

وجد روان نفسه غير قادر على إبعاد عينيه عن غودارد، الذي وضع سيفه على الأرض وفتح ذراعيه كأنه يدعو إلى عناق مُخلِّص، وتلألأت ماسات عباءته عاكسة ضوء النار القادم من بعيد.

قال غودارد: «كان يمكن أن نُسمى بحاصدي الأرواح، لكن مؤسِّسينا رأوا أن الأنسب تسميتنا بالمناجل، لأننا الأسلحة التي في أيدي الجنس البشري الخالد. أنت سلاح رائع يا روان، حاد ودقيق، وعندما تضرب تتجلى عظمتك».

- كف عن هذا الكلام! إنه غير صحيح!

- تعرف أنه صحيح. لقد وُلدتَ من أجل هذا يا روان، لا تُدِر ظهرك لقدرك.

بدأ الخوري يئن ويستعيد وعيه ببطء، فرفعه غودارد وأوقفه على قدميه قائلًا: «اقطفه يا روان، لا تقاوم رغبتك. اقطفه الآن، واستمتع بقطفه».

أحكم روان قبضته على سيفه وهو ينظر إلى عينَي الخوري الزائغتين. ورغم أن روان حاول التمسك بموقفه، لم يستطع إنكار قوة ما يجيش بداخله، وصاح: «أنت وحش! بل أسوأ، لأنك لا تقتل فحسب، إنما تجعل الآخرين قتلة مثلك».

- منظورك للأشياء خاطئ. المفترس وحشٌ دائمًا في عينَي الفريسة، الأسد شيطان في عينَي الغزال، والصقر في عينَي الفأر هو الشر متجسدًا.

اقترب غودارد من روان خطوة وهو ما يزال ممسكًا بالخوري: «هل ستكون الصقر أم الفأر يا روان؟ هل ستحلّق منقضًا أم تفر مذعورًا؟ هذان هما الخياران الوحيدان المتاحان اليوم».

كان رأس روان يدور، ورائحة الدماء والدخان المتسلِّل عبر النوافذ المهشَّمة جعلته دائخًا وشوشت أفكاره. لم يبدُ الخوري مختلفًا عن الغرباء الذين كان يتدرب عليهم كل يوم، ولوهلة أحس روان كأنه في الباحة يؤدي تدريبًا على المهارات القتالية، استل سيفه من غمده وتقدم بضع خطوات، مستشعرًا تعطشه، مُركِّزًا على اللحظة الراهنة، كما قال غودارد، مجرِّبًا أن يرى تعطشه بوصفه عاملًا مُحرِّرًا. ظل منذ شهور يتدرب من أجل هذه اللحظة، والآن فهم أخيرًا سبب مطالبة غودارد له بعدم قتل الهدف الأخير ومنْعه من تحقيق الكمال.

من أجل تجهيزه لهذا اليوم.

اليوم سيتمكن أخيرًا من تحقيق ذلك الكمال. وفي قادم الأيام، عندما يخرج للقطف، لن يكُفَّ يده أو نصله أو رصاصته حتى يقطف كل من أمامه.

وقبل أن يسترسل في التفكير، قبل أن يأمره عقله بالتوقف، اندفع نحو الخوري، وانقض بسيفه بكل ما أوتي من قوة، محقِّقًا ذلك الكمال الجميل أخيرًا.

شهق الخوري وترنح جانبًا، ولم يمسه السيف.

وبدلًا منه اخترق نصل روان هدفه الحقيقي، غودارد، اخترقه بكامله حتى المقبض.

عندئذٍ صار روان قريبًا من غودارد، تفصله عنه بوصات، ناظرًا إلى عينيه المتسعتين المصدومتين. قال لغودارد: «أنا صنيعتك، وقد كنتَ محقًا،

استمتعتُ بهذا كما لم أستمتع بأي شيء فعلته طوال حياتي». ثم مد يده الأخرى ونزع الخاتم من إصبع غودارد قائلًا: «إنك لا تستحق وضع هذا الخاتم، لم تستحقه يومًا».

فتح غودارد شفتيه ليتكلم، ربما ليلقي مناجاة بليغة في لحظة موته، لكن روان لم يعد يرغب في سماع أي كلمة منه، فتراجع مبتعدًا قليلًا، وسحب سيفه من أحشاء غودارد، ولوَّح به راسمًا قوسًا واسعًا وأطاح برأس غودارد بضربة واحدة، فسقط الرأس في حوض المياه القذرة، كأنما وضع الحوض في المكان خصيصى لهذا الغرض.

خر باقي الجسد على الأرض هامدًا، وفي أثناء صمت اللحظة سمع روان من ورائه: «ما الذي فعلته بحق الجحيم؟ ستُقطَف بلا شك عندما ينتهي إنعاشه!».

استدار روان فرأى تشومسكي واقفًا عند مدخل المصلى، وبجانبه راند.

تقمص روان دور الشخصية التي دُرِّب على أدائها. قال لنفسه: *أنا السلاح*. وفي هذه اللحظة صار سلاحًا فتاكًا. دافع تشومسكي وراند عن نفسيهما، ورغم براعتهما لم يضاهيا السلاح الفتاك الباتر الذي وجدا نفسيهما أمامه. جرح نصل روان راند جرحًا غائرًا، لكنها أسقطت السيف من يده بركلة بوكاتور متقَنة، ورد روان عليها بركلة أكثر إتقانًا كسرت عمودها الفقري، فأشعل تشومسكي ذراع روان بقاذفة اللهب، لكن روان تدحرج على الأرض وأطفأ النار، ثم أمسك بمطرقة الشوكة الرنانة التي جوار المذبح وهوى بها على تشومسكي كأنها مطرقة **ثور**، وضربه مرارًا حتى أمسك الخوري بيده ليوقفه، وقال له: «يكفي يا بُني، لقد مات».

ألقى روان المطرقة، ولم يشعر بالأمان إلا الآن.

قال الرجل: «تعال معي يا بني، يوجد مكان لك بيننا، يمكننا إخفاؤك عن هيئة المناجل».

نظر روان إلى يد الرجل الممدودة، لكن حتى في هذه اللحظة تذكر كلمات غودارد، *هل ستكون الصقر أم الفأر*؟ لا، لن يهرب روان مذعورًا ويختبئ، ما زال أمامه عمل كثير. قال للرجل: «اتركني هنا، اعثر على الناجين، إن وُجدوا، واخرجوا، لكن سريعًا».

نظر الرجل إليه هنيهة، ثم استدار وغادر المصلى. وحالما ذهب حمل روان قاذفة اللهب وشرع في العمل.

في الخارج في الشارع كانت عربات الإطفاء قد وصلت وضباط السلام يصدون الحشود. وعندئذٍ كان المجمع بأكمله مشتعلًا، وتقدم رجال الإطفاء نحو النيران، لكن اعترضهم شاب خارج عبر البوابة الرئيسية، وقال لهم: «هذا عمل مناجل، لا يجوز لكم التدخل».

كان قائد فريق الإطفاء قد سمع بأمر الحرائق المتعلقة بالمناجل، لكن لم تصادفه أي حادثة في أثناء مناوبته، واستشعر خطبًا فيما يجري أمامه، صحيح أن الفتى يرتدي عباءة منجل، عباءة ذات لون أزرق ملكي مرصعة بالماس، لكن من الواضح أن العباءة لا تناسب حجمه. ومع انتشار النار في مباني المجمع انتشارًا خطيرًا، اتخذ القائد قرارًا رآه عقلانيًا، هذا الفتى، مهما كان، ليس منجلًا، ولن يسمح له بإعاقة جهودهم.

قال للفتى منتهِرًا: «ابتعد عن طريقنا! تراجع مع الآخرين ودعنا نؤدي عملنا».

فتحرك الفتى بسرعة البرق، وأحس القائد بساقيه تُركَلان من تحته، فسقط على ظهره واعتلاه الفتى ضاغطًا على صدره بركبته مُحكِمًا قبضته على عنقه حتى قطع أنفاسه. وفجأة لم يبدُ الفتى صبيًا تافهًا، بدا أكبر بكثير.

- **قلت لك إن هذا عمل مناجل، لا يجوز لكم التدخل، وإلا فسأقطفك حالًا!**

أدرك قائد فريق الإطفاء أنه اقترف خطأ جسيمًا. لا أحد سوى منجل يتكلم بهذه النبرة الآمرة ويسيطر على الموقف بهذه الطريقة، وقال بصوت مبحوح: «كما تأمر جنابك، آسف جنابك».

نهض المنجل، وسمح للقائد بالوقوف، وأمر فريقه بالتراجع، وبعدما رأى فريق الإطفاء ما فعله المنجل بقائدهم انصاعوا للأمر صامتين.

قال المنجل الشاب: «يمكنكم حماية المباني الأخرى المهدَّدة بالحريق، لكن اتركوا هذا المجمع بكامله يحترق حتى يُسوَّى بالأرض».

- فهمت جنابك.

ثم رفع المنجل خاتمه، وقبَّله قائد فريق الإطفاء بقوة حتى كسر إحدى أسنانه.

أحس روان بجلده يقشعر تحت عباءة المنجل غودارد المبتلة بالدماء، لكنه كان يحتاج إليها، رغم امتعاضه منها، ليؤدي دور المنجل، وقد أداه أداءً مقنعًا إلى درجة لم يتخيلها، حتى إنه أخاف نفسه.

وجَّه رجال الإطفاء تركيزهم إلى المباني المجاورة، وصوَّبوا خراطيمهم نحو الأسقف المجاورة ليمنعوا تمدد النار إليها. ثم وجد روان نفسه واقفًا وحده بين مجمع الطونيين المشتعِل والحشود التي ما زال ضباط السلام يصدونها، ولبث في مكانه حتى انهار البرج وسقطت الشوكة الرنانة التي في قمته بين ألسنة اللهب، فأصدرت رنينًا حزينًا إثر ارتطامها بالأرض.

قال روان لنفسه وهو يشاهد النيران تلتهم كل شيء: *لقد أصبحت وحش الوحوش، جزار الأسود، وجلَّاد الصقور.*

ثم سار وهو يحاول ألا يتعثر بالعباءة، مبتعدًا عن النيران المستعرة التي لن تترك خلفها من بقايا غودارد وأتباعه سوى عظام متفحِّمة إلى درجة تجعل الإنعاش مستحيلًا.

الجزء الخامس

المنجلية

كثيرًا ما يتبادل المنجلان راند وتشومسكي أحاديث سوداويّة مختلّة، وهما أوّل من يعترفان بهذا، لكن أظن أنَّ أحاديثهما هذه جزء من شخصيَّتيهما. اليوم كانا يتحدثان عن الطَّريقة التي ربما يتَّبعانها لقطف نفسيهما ذات يوم، قال نعوم إنَّه سيتسلق فوهة بركان نشط، ويقذف بنفسه في اللَّافا محاطًا بمراسم عظيمة، وقالت إيان إنَّها ستغوص في الحيد المرجاني العظيم حتَّى ينفد منها الأكسجين أو يلتهمها قِرشٌ أبيض. ثم طلبا منِّي مشاركتهما لعبتهما وإخبارهما بالطَّريقة التي قد أنهي حياتي بها. لكنَّني لم أرغب في اللعب، ويمكنكم أن تنعتوني بالممل. لماذا نتحدَّث عن القطف الذَّاتي وهو ينبغي أن يكون آخر ما تفكِّر فيه؟ عملنا هو إنهاء حيوات الآخرين، ليس حيواتنا، وأنوي تأدية عملي حتى أبلغ الآلاف من عمري.

- من مذكَّرات قطف م. م. فولتا

جميـع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

37

جس النبض

«فاجعة، فاجعة فظيعة». اقتعد النصل السامي زينوقراط أريكة أنيقة في القصر الفخيم الذي كان يقطنه منذ يومين المنجل الراحل غودارد، والآن يواجه المتتلمِذ، الذي بدا هادئًا جدًّا بعد المحنة التي مر بها.

قال زينوقراط: «اطمئن؛ إن استخدام النار سيُحظَر على أي منجل في وسطمريكا في الخلوة غدًا».

«كان ينبغي أن تُحظَر منذ أمد بعيد». لم يتكلم روان كما يتكلم المتتلمِذون، إنما كندٍّ لزينوقراط، مما أثار ضيق النصل السامي، فنظر إلى روان مليًّا وقال: «إنك محظوظ جدًّا بخروجك من هناك حيًّا».

نظر روان إلى عينَي النصل السامي نظرة مباشرة وقال: «كنت متمركزًا جوار البوابة الخارجية، وعندما خرج الحريق عن السيطرة لم يكن بوسعي فعل شيء، وعلِق المنجل غودارد والآخرون. كان المكان متاهة وتعذَّر عليهم الخروج». صمت روان، وحدق إلى عينَي زينوقراط تحديقة طويلة كما بدا زينوقراط يحدق إليه». ثم تابع روان: «لا بد أن جميع المناجل الآخرين يرونني منحوسًا، لأنني تتلمذت على يدَي منجلين في عام واحد، لذا أفترض أن هذا من شأنه إلغاء تلمذتي».

أجابه زينوقراط: «هراء. لقد قطعتَ شوطًا طويلًا، واحترامًا للمنجل غودارد ستخضع لاختبارك النهائي الليلة. لا يمكنني الحديث بالنيابة عن

لجنة الترصيع، لكن لا يخامرني أدنى شك -نظرًا إلى ما مررتَ به- في أنهم سيفضِّلونك».

- وماذا عن سيترا؟

- إذا نِلتَ الخاتم أثِق في أنك ستقطف الآنسة تيرانوفا، وبالتالي تطوي هذه الصفحة البغيضة من تاريخنا.

جاء خادم حاملًا شامبانيا وشطائر على شكل أصابع. نظر زينوقراط إلى ما حوله، فرأى أن القصر، الذي كان يعج بالخدم، لم يعد فيه سوى هذا الخادم على ما يبدو، لا بد أن الآخرين فروا حالما سمعوا أن النيران أودت بحياة المنجل غودارد ورفاقه. اتضح أن زينوقراط لم يكن الوحيد الذي شعر بالتحرر إثر نهاية غودارد غير المتوقَّعة.

سأل زينوقراط الخادم: «لماذا بقيتَ عندما ذهب الجميع؟ لا يمكن أن يكون السبب هو الولاء».

أجابه روان: «في الحقيقة إن هذا العقار يمتلكه هذا الرجل».

قال الرجل: «أجل، لكنني سأعرضه للبيع، أنا وأسرتي لا يمكننا تخيل العيش هنا بعد الآن». وضع كأس الشمبانيا في يد زينوقراط، وتابع: «لكنني سأسعد دومًا بخدمة النصل السامي».

تحول الرجل من خادم إلى مُداهن على ما يبدو، ليست قفزة بعيدة، وحالما غادر المكان، تطرق زينوقراط إلى الغرض الحقيقي من مجيئه، وهو أن يجس النبض. مال مقتربًا من روان قائلًا: «تروج إشاعة عن أن منجلًا، أو شخصًا بدا كمنجل، خرج من المجمع وتكلم مع رجال الإطفاء».

لم يطرف لروان جفن: «أنا أيضًا سمعتُ هذا القول، كما توجد فيديوهات هواتف حمَّلها الناس، لكنها ضبابية بسبب الدخان ولا يمكن رؤية الكثير».

- أجل، وأظن أن هذا يزيد من غموض القصة.

- أهذا كل شيء يا صاحب السمو؟ لأنني مرهَق للغاية، وإذا كان عليَّ أن أخضع لاختباري النهائي الليلة، فسأحتاج إلى الراحة.

- تعرف أن ليس كل فرد في هيئة المناجل مقتنعًا بأن ما جرى كان حادثًا، وتعيَّن علينا بدء تحقيق، للتأكد فحسب.

- هذا معقول.

- وحتى الآن تمكنا من التعرف على المنجل فولتا والمنجل تشومسكي بخاتميهما وجواهر عباءتيهما التي وجدناها حول بقاياهما، ياقوت تشومسكي وزبرجد فولتا، ومتأكدون أن المنجل راند بين الأنقاض أسفل الشوكة الرنانة التي سقطت عبر سقف المصلى.

- هذا معقول.

- لكن العثور على المنجل غودارد مثَّل تحدِّيًا لنا. بالطبع قُطف كثير من الطونيين في المصلى قبل خروج الحريق عن السيطرة، ومن الصعب جدًّا التعرف على جثة غودارد على وجه التأكيد. من المفترَض أن نعثر على بقايا غودارد، مثل الآخرين، محاطة بماسات صغيرة وجوهرة خاتمه الكبيرة، حتى إذا ذابت قاعدة الخاتم.

قال روان للمرة الثالثة: «هذا معقول».

- ما لا يبدو معقولًا هو أن الهيكل العظمي الذي نظنه هيكل غودارد لم نجد بجواره أيًا من الأشياء التي ذكرتُها، كما لم نجد جمجمته.

- هذا غريب. طيب، أنا متأكد أنها موجودة في مكانٍ ما بالجوار.

- هذا ما قد يظنه المرء.

- ربما يجدر بهم أن يجتهدوا في البحث.

وعندئذٍ لاحظ زينوقراط الفتاة تقف عند عتبة باب الحجرة، تراوح مكانها، غير متأكدة مما إذا ينبغي لها الدخول أو المغادرة. ولم يكن زينوقراط متأكدًا من مقدار ما سمعته، أو أهمية أن تكون قد سمعت شيئًا.

قال روان: «إزمي، ادخلي. تتذكرين صاحب السمو النصل السامي زينوقراط، صحيح؟».

قالت: «نعم، قفز في حوض السباحة. كان مضحكًا».

تململ زينوقراط متضايقًا من ذِكر محنته، التي ودَّ لو يطويها النسيان.

قال روان لزينوقراط: «رتَّبتُ لإعادة إزمي إلى والدتها، لكن خطر لي أنك ربما تود اصطحابها بنفسك».

قال زينوقراط متصنِّعًا عدم الاكتراث: «أنا؟ لماذا أود اصطحابها بنفسي؟».

أجابه روان بغمزة ذات مغزى: «ربما لأنك تهتم بالناس، وتهتم ببعضهم اهتمامًا خاصًّا».

وفي أثناء نظر النصل السامي إلى الفتاة التي لا يمكنه الاعتراف بأبوَّته لها علانية ولا سرًّا، انحسر توتره قليلًا. لا بد أن الفتى خطط لكل هذا، روان داميش هذا ماكر، وهذه سِمة جديرة بالإعجاب عندما توَظَّف التوظيف الصحيح. ربما يستحق روان اهتمامًا أكثر مما كان النصل السامي يوليه له في الماضي.

انتظرت إزمي لترى ما سيحدث، وأخيرًا ابتسم زينوقراط لها ابتسامة ودودة قائلًا: «من دواعي سروري أن أصطحبك إلى البيت يا إزمي».

ثم نهض زينوقراط ليغادر... لكن ليس بعد، إذ ما زالت أمامه مسألة يتوجب عليه حسمها، قرار أخير بوسعه اتخاذه.

استدار نحو روان وقال له: «ربما ينبغي استخدام نفوذي لإلغاء التحقيق، احترامًا لرفاقنا الراحلين. فلنحافظ على ذكراهم طيبة بعدم تلطيخها بالتحقيقات الجنائية التي قد تلقي بظلال الشك على إرثهم».

وافقه روان: «فلندع الموتى ميتين».

وهكذا توصلا إلى اتفاق ضمني. أن يكف النصل السامي عن جس النبض، ويكتم روان سر النصل السامي.

«إذا احتجت إلى مكان لتمكث فيه عندما تغادر هذا القصر يا روان، أرجو أن تعرف أن بابي مفتوح لك».

- شكرًا لك يا صاحب السمو.
- بل شكرًا لك أنت يا روان.

ثم أخذ النصل السامي بيد إزمي وغادر ليعيدها إلى بيتها.

يجب ألا يُتَّخذ قرار الحياة والموت بابتهاج، إنما بتحفُّظ واستشعار لعبء المسؤولية، كما ينبغي ألا ينال أي أحد المنجليَّة بسهولة. نحن مؤسِّسي هيئة المناجل واجهنا مصاعب جمَّة عند تأسيسها، ويتوجَّب علينا الحرص على أن يواجه كل من ينضم إلينا اختبارًا يقيس نتائج التعلُّم في مدة التتلمُذ علاوة على التَّغيُّر الذي يطرأ على شخصية المتتلمِذ. مهمَّة المناجل أسمى مهام الإنسانيَّة، ولنيل المنجليَّة ينبغي أن يخضع المتتلمِذ لابتلاء مرير، حتى لا ينسى أي منجل ثمن الخاتم الذي يضعه.

وبطبيعة الحال، ربما تبدو طقوس الانضمام إلينا قاسية غاية القسوة من منظور الذين هم خارج هيئة المناجل، ولهذا لا بد أن تظل إلى الأبد طقوسًا سريَّة مقدَّسة.

- من مذكَّرات قطف م. م. بروميثيوس، النصل العالمي الأسمى الأول

38

الاختبار النهائي

قبل يوم من انعقاد خلوة الشتاء، في الثاني من يناير من عام خنزير الماء، اصطحبت المنجل كوري سيترا في رحلة طويلة بالسيارة إلى مبنى كابيتول وسطمريكا.

قالت لسيترا: «سيكون اختبارك النهائي الليلة، لكنك لن تعرفي النتيجة حتى خلوة الغد». لكن سيترا كانت تعرف هذا سلفًا، وتابعت المنجل: «إنه الاختبار نفسه الذي يخضع له جميع المتتلمِذين كل عام، وعلى كل متتلمِذ أن يخضع للاختبار وحده».

وهذا أمر لم تكن سيترا تعرفه. من المنطقي أن يكون الاختبار النهائي موحَّدًا وعلى جميع المرشحين اجتيازه. لكن لسببٍ ما أزعجتها فكرة مواجهة الاختبار وحدها بعيدًا عن الآخرين. ربما لأن الاختبار لن يكون منافسة مع روان والآخرين، ولن تنافس سوى نفسها.

«أخبريني بطبيعة الاختبار».

قالت المنجل كوري: «لا أستطيع».

- أتقصدين أنك لا تريدين إخباري؟

فكرت المنجل كوري ثم قالت: «إنك محقة. لا أريد إخبارك».

- إذا سمحتِ لي بالتكلم بصراحة جنابك...

- متى لم تتكلمي بصراحة يا سيترا؟

تنحنحت سيترا وحاولت أن تبدو مقنِعة بقدر مستطاعها: «إنك تلتزمين بالقوانين التزامًا زائدًا عن الحد، وهذا يُضعِف موقفي. لا أظنك ترغبين في معاناتي لأنك شريفة للغاية، أليس كذلك».

- في مجال عملنا هذا علينا أن نتمسك بكل ما نتحلى به من شرف.
- أنا متأكدة أن المناجل الآخرين يخبرون تلاميذهم بطبيعة الاختبار النهائي.
- ربما. لكن يوجد احتمال أنهم لا يخبرونهم. ثمة تقاليد حتى عديمو الضمير منا لا يجرؤون على خرقها.

عقدت سيترا ذراعيها ولزمت الصمت. كانت تعلم أنها تزم شفتيها امتعاضًا، مدركةً أن هذا سلوك طفولي، لكنها لم تكترث.

سألتها المنجل كوري: «تثقين بالمنجل فاراداي، أليس كذلك؟».

- بلى.
- وهل صرتِ تثقين بي بقدر ما تثقين به على الأقل؟
- نعم.
- إذن ثقي بي الآن وانسَي الأمر. أنا موقنة أنكِ ستتألقين في الاختبار النهائي دون أن تعرفيه مسبقًا.
- كما تأمرين جنابك.

وصلتا عند الثامنة مساء، وقيل لهما إن سيترا ستكون آخر من يُختبَر، وفقًا للقرعة، وأن روان ومرشحَين آخرَين للانضمام إلى هيئة المناجل سيُختبَرون أولًا. ثم أُدخِلتا إلى حجرة لتنتظرا، وانتظرتا انتظارًا طويلًا.

وبعد قرابة ساعة قالت سيترا: «هل ما سمعته صوت طلق ناري؟». لم تكن متأكدة مما إذا كان طلقًا ناريًّا فعلًا أم خُيِّل إليها.

لم تقل المنجل كوري سوى: «صه».

وأخيرًا جاء حارس لاصطحابها. لم تتمنَّ المنجل كوري لها حظًّا موفقًا، واكتفت بإيماءة جادة وقالت: «سأكون في انتظارك عندما تنتهين».

اقتيدت سيترا إلى حجرة طويلة باردة إلى درجة غير مريحة، ورأت خمسة مناجل يقتعدون كراسي وثيرة عند أحد طرَفي الحجرة، عرفت اثنين منهم، المنجل مانديلا والمنجل مائير، ولم تعرف الثلاثة الآخرين، ثم أدركت أنهم لجنة الترصيع.

ورأت أمامها طاولة مغطاة بسماط أبيض نظيف، وعليها أسلحة مرتَّبة تفصل بينها مسافات متساوية: مسدس، وبندقية صيد، وسيف معقوف، ومدية، وقارورة فيها قرص سام.

سألت سيترا: «ما الغرض من هذه الأسلحة؟». ثم أدركت غباء سؤالها، إذ كانت تعرف الغرض منها، فأعادت صياغة سؤالها: «ما هذا بالضبط؟ ما الذي تريدون مني فعله؟».

قال المنجل مانديلا لها: «انظري إلى الطرف الآخر من الحجرة».

وأشار إليها. فظهرت بقعة ضوء على كرسي آخر في الطرف البعيد من الحجرة الطويلة كان محجوبًا بين الظلال، كرسي ليس وثيرًا مثل كراسيهم، وعليه يجلس شخص مقيَّد اليدين والساقين وعلى رأسه غطاء من قماش كتاني.

قالت المنجل مائير: «نريد أن نرى الطريقة التي ستقطفين بها، ولهذه الغاية جلبنا لك هدفًا مميَّزًا لتبرهني عليه».

- ما الذي تعنينه بقولك «مميَّزًا»؟

قال المنجل مانديلا: «انظري بنفسك».

اقتربت سيترا من الشخص، وأمكنها سماع تنفس مضطرب خافت تحت غطاء الرأس، ثم نزعت الغطاء.

ما من شيء كان من شأنه تهيئتها لما رأته. وعندئذٍ فهمت سبب رفض المنجل كوري إخبارها.

لأن المقيَّد إلى الكرسي، مكمم الفم مرعوبًا دامع العينين، كان شقيقها، بن.

حاول أن يتكلم، لكن لم تند عنه سوى تأوهات مكتومة.

تقهقرت سيترا، وركضت عائدة إلى المناجل الخمسة: «لا! لا يمكنكم فعل هذا! لا يمكنكم إرغامي على هذا».

«لا يمكننا إرغامك على فعل أي شيء». تكلمت إحدى المناجل الذين لم تعرفهم سيترا، امرأة ترتدي عباءة بنفسجية، ذات ملامح بان آسيوية. «إذا أردتِ أداء الاختبار، فستؤدينه باختيارك». ثم تقدمت المرأة ومدت صندوقًا صغيرًا نحو سيترا قائلة: «اختيار السلاح الذي ستستخدمينه سيكون عشوائيًا. اختاري قصاصة ورق من الصندوق».

مدت سيترا يدها وسحبت قصاصة ورق مطوية، ولم تجرؤ على فتحها. استدارت ونظرت إلى شقيقها الجالس عاجزًا على الكرسي.

صرخت: «كيف تفعلون هذا بالناس؟».

قالت المنجل مائير بصبر يوحي بالتمرُّس على مثل هذه المواقف: «هذا ليس قطفًا يا عزيزتي، لأنك لم تصبحي منجلًا بعد، ما عليك سوى جعله *شَمَيِّتًا*، ثم ستحمله مسيَّرة إسعاف لإنعاشه حالما تنهين المهمة التي كلفناكِ بها».

- لكنه سيتذكر!

قال المنجل مانديلا: «أجل، كما ستتذكرين أنت أيضًا».

أحد المناجل الذين لم تعرفهم سيترا عقد ذراعيه وأبدى تبرُّمه، كما فعلت سيترا في الطريق، وقال: «إنها شديدة الممانعة، فلندعها تنصرف، لقد طالت هذه الليلة أكثر مما ينبغي».

رد المنجل مانديلا عليه بصرامة: «فلنمهلها بعض الوقت».

نهض المنجل الخامس، وهو رجل قصير ذو تكشيرة غريبة، وقرأ من صفحة مخطوطة جلدية قد يبلغ عمرها مئات الأعوام: «لن تُكرَهي على أداء المهمة، ولكِ أن تتمهلي كما تشائين، ويجب عليك استخدام السلاح الذي حُدد لك. وعندما تنتهين، عليك أن تتركي الهدف وتمثُلي أمام اللجنة من أجل تقييم أدائك. أهذا واضح؟».

أومأت سيترا.

«نريد ردًّا مسموعًا من فضلك».

- نعم، واضح.

جلس المنجل، وفتحت سيترا قصاصة الورق، ولم يكن مكتوبًا عليها سوى كلمة واحدة.

المدية.

أسقطت سيترا الورقة على الأرضية، وقالت لنفسها: *لا يمكنني فعل هذا، لا يمكنني*. لكن صوت المنجل كوري جاءها رقيقًا: *بل يمكنكِ يا سيترا، يمكنك*.

وعندئذٍ خطر لها أن كل منجل، منذ تأسيس هيئة المناجل، قد خضع لهذا الاختبار، كل واحد منهم تعيَّن عليه إنهاء حياة شخص يحبه. صحيح أن هذا الشخص يُنعَش لاحقًا، لكن إنعاشه لا يغيِّر شيئًا من الفعل القاسي الذي ارتُكب بحقه، فعقله الباطن لا يمكنه التمييز بين القتل المؤقت والقتل الدائم. كيف عساها أن تنظر إلى وجه شقيقها حتى بعد إنعاشه؟ إذا قتلت بن، فستظل في نظره قاتِلته دومًا.

سألت: «لماذا؟ لماذا عليَّ فعل هذا؟».

أشار المنجل المتبرِّم إلى الباب قائلًا: «المخرج جوارك، إذا وجدتِ الاختبار فوق طاقتك فغادري».

قالت المنجل مائير: «أظنها قصدت أن تطرح سؤالًا مشروعًا».

تأفف المنجل المتبرم، وهز القصير كتفيه، وذات الملامح الآسيوية راحت تنقر الأرض بقدمها، ومال المنجل مانديلا إلى الأمام.

قال المنجل مانديلا: «عليك أداء هذه المهمة حتى تتقدمي في حياتك بوصفك منجلًا وأنت مدركة في أعماق قلبك أن أصعب تحدٍّ في حياتك... قد اجتزتِه سلفًا».

وأردفت المنجل مائير: «إذا أنجزتِ هذه المهمة فستتحلين بالقوة الداخلية المطلوبة ليكون المرء منجلًا».

رغم أن سيترا أحست برغبة قوية في الاندفاع نحو الباب والهروب من كل هذا، تجلَّدت، ووقفت شامخة، وأخذت المدية، وأخفتها في خصرها ثم سارت نحو شقيقها، ولم تسحبها إلا عندما اقتربت منه.

قالت: «لا تخف». وجثت بجانبه وقطعت أربطة ساقيه مستخدِمةً المدية، ثم قطعت الأربطة التي تقيِّد رسغيه إلى الكرسي، وحاولت حل أربطة كمامته، لكنها عجزت، فقطعتها أيضًا.

«أيمكنني الذهاب إلى البيت الآن؟». سألها بن بصوت يائس فطر قلب سيترا.

قالت له وهي ما تزال جاثية بجانبه: «ليس بعد، لكن قريبًا».

- هل ستؤذينني يا سيترا؟

عجزت سيترا عن كبح دموعها، ولم تحاول، فما المغزى؟ قالت: «نعم يا بن، آسفة!».

تمكن من إخراج كلماته بالكاد: «هل ستقطفينني؟».

- لا، سيأخذونك إلى مركز إنعاش، وستكون على أفضل ما يرام.

- أتعدينني؟

- أعِدك.

بدا الصبي كأنه تنفس الصعداء قليلًا. لم توضح سيترا له سبب اضطرارها إلى هذا الفعل، وهو لم يسَألها، كان يثق بها، ويثق بأن لديها سببًا وجيهًا.

سأل: «هل سأتألم؟».

ومرة أخرى عجزت سيترا عن الكذب بشأن ما ستفعله: «نعم، ستتألم. لكن ليس لمدة طويلة».

استغرق بن لحظات ليفكر في الأمر، ويقلِّبه على وجوهه، ويتقبَّله. ثم قال: «أيمكنني رؤيتها؟».

لوهلة لم تكن سيترا متأكدة مما يتكلم بن عنه، إلى أن أشار إلى المدية، فوضعتها بين يديه بعناية.

قال: «إنها ثقيلة».

- هل تعرف أن مناجل تكساس لا يقطفون إلَّا بمثل هذه المديات؟

- تكساس؟ هل ستذهبين إلى تكساس عندما تصبحين منجلًا؟

- لا يا بن، سوف أبقى هنا.

قلَّب المدية بين يديه، وراح كلاهما يشاهد وميض الضوء المنعكس عن نصلها اللامع. ثم أعادها إليها قائلًا بصوت مهموس بالكاد: «إنني خائف جدًّا يا سيترا».

- أعرف، أنا أيضًا خائفة. لا بأس بالخوف.

- هل سيقدِّمون لي الآيس كريم؟ سمعت أنهم يقدِّمون الآيس كريم في مراكز الإنعاش.

أومأت سيترا، ومسحت دمعة عن خده، وقالت له: «أغمض عينيك يا بن، فكّر في الآيس كريم الذي تريده، ثم قل لي».

أغمض بن عينيه، وقال: «أريد بوظة الفَدج، ثلاث ملاعق، مع قطع الشوكولاتـ...».

قبل أن يكمل كلامه، جذبته سيترا نحوها وغرزت النصل كما رأت المنجل كوري تفعل. أرادت أن تنتحب، لكنها تمالكت نفسها.

فتح بن عينيه، ونظر إليها، انتهى الأمر في غضون ثانية. رحل بن. ألقت سيترا بالمدية بعيدًا واحتضنت شقيقها، ثم مددته برفق على الأرضية. ومن باب خلفهما لم تره سيترا سابقًا، هرع اثنان من مسعفي مراكز الإنعاش، ووضعا شقيقها *الشِّميِّت* على نقالة، ثم خرجا من حيث جاءا.

عادت الأضواء على المناجل، ولاحوا لسيترا أبعد مما كانوا سابقًا، وأحست بالمسافة التي تفصلها عنهم طويلة للغاية. واندلعت بين المناجل عاصفة من التعليقات:

- أداء غير متقَن.
- أبدًا، لم أرَ أي دماء.
- وضعَت السلاح بين يديه، أتعرفون مدى خطورة هذا الفعل؟
- وكل تلك الملاطفات غير الضرورية!
- كانت تهيِّئه، وتتأكد من أنه مستعد.
- ما أهمية هذا؟
- أظهرَت الشجاعة، لكن الأهم أنها كانت متعاطفة. أليس هذا ما هو مطلوب منا؟
- مطلوب منا أن نكون فعَّالين.
- الفاعلية يجب أن تكون في خدمة التعاطف!
- هذه مسألة رأي!

ثم خيم الصمت على المناجل، وبدوا كأنهم اتفقوا على ألَّا يتفقوا. رأت سيترا أن المنجلَين مانديلا ومائير إلى جانبها، والمنجل المتبرم ممتعض منها، ولم تكن لديها فكرة عن موقف الاثنين الآخرين.

قالت المنجل مائير: «شكرًا لك يا آنسة تيرانوفا، لكِ أن تنصرفي الآن. ستُعلَن النتائج في الخلوة غدًا».

كانت المنجل كوري تنتظرها في الصالة، ووجدت سيترا نفسها غاضبة من المرأة. «كان ينبغي لك إخباري!».

قالت المنجل كوري: «لصعبت عليك المهمة. وإذا استشعروا أنك كنت تعرفين قبل دخولك الحجرة لتعرضتِ للإقصاء». ثم نظرت إلى يدَي سيترا: «هيا، عليك أن تغتسلي، يوجد حمام من هنا».

سألت سيترا: «كيف جرت اختبارات المرشَّحين الآخرين؟»

- حسب ما سمعته، رفضت شابة أداء المهمة رفضًا قاطعًا وغادرت الحجرة، وبدأ شابٌ مهمته لكنه انهار وعجز عن إكمال ما بدأه.

- ماذا عن روان؟

تحاشت المنجل كوري النظر إلى سيترا وقالت: «سحب ورقة المسدس سلاحًا له».

- وماذا بعد؟

ترددت المنجل كوري.

ألحَّت سيترا: «أخبريني!».

- ضغط الزناد حتى قبل أن يكملوا قراءة التوجيهات له.

تقلص وجه سيترا. كانت المنجل كوري محقة بشأن روان، الذي لم يبدُ لسيترا الفتى نفسه الذي كانت تعرفه. ما الذي مر به فجعله قاسيًا هكذا؟ لم تجرؤ سيترا على التخيُّل.

أنا النَّصل الذي تُشهِره أياديكم،

باترًا قوس قزح

أنا لسان الجرس، لكن أنتم الجرس نفسه

يرن ببطء حدادًا وسط جحافل الظَّلام.

لو أنتم المغنُّون، فأنا الأغنية،

مرثيَّة، مناحة، ترتيلة جنائزيَّة.

جعلتموني الحل لكل ما يحتاج إليه العالم،

ولرغبة البشرية المُلحَّة في البقاء.

- «مرثية» من الأعمال الكاملة للمنجل الميجل سقراط

39

خلوة الشتاء

انتهت مدة حصانة سيترا تيرانوفا وروان داميش عند منتصف الليل، إذن فأي واحد منهما يمكن أن يُقطَف، وإذا نُفِّذ المرسوم -الذي ستحرص هيئة المناجل على تنفيذه- فسيقطف أحدهما الآخر.

اجتمع المناجل في جميع أنحاء العالم لمناقشة مسائل الحياة، أو بالأحرى مسائل الموت. توقع الجميع أن تكون خلوة وسطمريكا الأولى في العام تاريخية، إذ لم يحدث قط أن فقد مناجل حيواتهم في حادثة قطف، وقد جعلت طبيعة الحادثة المثيرة للجدل الخلوة أكثر أهمية، علاوة على الجدل المحيط بغياب أحد المتتلمِذين لثلاثة أشهر في أعقاب اتهام مشبوه وجَّهه نصل وسطمريكا السامي: حتى مجلس المناجل العالمي وجَّه أنظاره نحو فولكرم سيتي اليوم. ورغم أن أسماء المتتلمِذين نادرًا ما تُعرَف خارج نطاق أقاليمهم، صار مناجل جميع أنحاء المعمورة يعرفون اسمَي سيترا تيرانوفا وروان داميش.

كانت فولكرم سيتي قارسة البرودة في ذلك الصباح، وقد تراكمت طبقات الجليد على الدرجات الرخامية المؤدية إلى الكابيتول، فصارت السلالم غدَّارة، وانزلق أكثر من منجل، منهم من لوى كاحله ومنهم من كسر ذراعه، فأُثقِلت وحدات الشفاء المجهرية بالأعباء، وتضاعفت بهجة المتفرجين، الذين

يبتهجون بأي شيء يبطئ صعود المناجل فيتيح لهم المزيد من فرص التقاط الصور.

وصل روان وحده على متن سيارة عامة، دون مرشد أو أي أحد يرعاه، جاء مرتديًا اللون الوحيد الذي يتحاشاه المناجل، الأسود، الذي أبرز شارة التلمُذ الخضراء على ذراعه وجعله يشِعُّ تحدِّيًا صامتًا. كان هامشيًا في خلوة الحصاد، أو أقل من هامشي، لكن الآن تدافع المتفرجون من أجل مكان يتيح لهم التقاط صوره، تجاهلهم، ولم ينظر إلى أي أحد وهو يصعد السلالم، حريصًا على ثبات قدميه.

تعثر أحد المناجل بجانبه على الجليد وسقط، خُيِّل إلى روان أنه المنجل إميرسون، رغم أنهما لم يتعرفا على بعضهما، ومد روان يده ليساعد الرجل على النهوض، لكن إميرسون حدجه بنظرة نارية ورفض المساعدة.

قال لروان: «لا أريد مساعدة *منك*». وكان تشديده على كلمة «منك» مشبعًا بغُبن شديد لم يسمعه روان طوال سنواته السبع عشرة.

لكن بعد ذاك، عندما بلغ أعلى السلالم، حيَّاه منجل لم يكن يعرفه، وقال له بنبرة مواسية: «لقد مررتَ بمصاعب تفوق قدرة أي متتلمِذ على التحمل يا سيد داميش، آمل أن تحقق المنجلية، وحالما تحققها أتمنى لو أمكننا تناول الشاي معًا».

بدت دعوة الرجل صادقة، وليس بدافع استمالة روان إلى جانبه. وهكذا ظل الحال عندما دخل الصالة المستديرة، تحديقات قاسية من بعض الناس، وابتسامات مواسية من آخرين. وبدا أن الذين لم يحسموا موقفهم إزاء روان قليلون، إذ صار في نظر الناس إما ضحية ظروفه وإما مجرمًا لم يُر له مثيل منذ عصر الفانين. وتمنى روان نفسه لو يعرف الحقيقة.

كانت سيترا قد وصلت قبل روان، ووقفت مع المنجل كوري في الصالة المستديرة، فاقدةً الشهية للاقتراب من مائدة الإفطار المترَفة. وقد كانت النقاشات في الصالة المستديرة، بطبيعة الحال، كلها تدور حول فاجعة دير الطونيين، وفي أثناء سماع سيترا العديد من مقتطفات النقاشات، وجدت نفسها غاضبة لأن الكلام كله عن المناجل الأربعة الميتين، لم يتحسَّر أحد على

قطف عدد كبير من الطونيين، حتى إن بعضهم اتخذ من الموضوع مزحة فجّة.

سمعت سيترا أحدهم يقول: «وجدتُ فاجعة الطونيين صدى في الخلوة، أليس كذلك؟».

بدت المنجل كوري أشد توترًا مما كانت في خلوة الحصاد، وقالت لسيترا: «أخبرني المنجل مانديلا أنكِ أبليتِ بلاءً حسنًا البارحة، لكنه بدا متحفظًا في كلامه».

- وما الذي يعنيه هذا في رأيك؟

- لا أدري. كل ما أعرفه هو أنك إذا خسرتِ اليوم يا سيترا، فلن أسامح نفسي أبدًا.

كان من الغريب معرفة أن المنجل كوري، سيدة الموت العظمى، تهتم لأمرها إلى هذه الدرجة، حتى تظن أن تقصيرًا قد بدَر من جانبها. قالت سيترا: «حظيت بامتياز التدرُّب على يدَي اثنين من أعظم المناجل على الإطلاق، أنت والمنجل فاراداي، وإذا لم يهيِّئني تدريبكما لما سيجري اليوم، فما من شيء كان من شأنه تهيئتي».

ابتسمت المنجل كوري ابتسامة فخر ممزوج بالمرارة، وقالت: «عندما ينتهي هذا وتُنصَّبين، أتمنى أن تمنحيني شرف البقاء معي بوصفك منجلًا مبتدئة. سيعرض آخرون عليك الانضمام إليهم، ربما من أقاليم بعيدة، وسيحاولون إخبارك بأنكِ قد تتعلمين منهم أشياء لا يمكنك تعلمها مني، وربما يكون هذا صحيحًا، لكنني آمل أن تختاري البقاء معي على أي حال».

اغرورقت عينا المنجل بالدموع، ولانسابت إذا رمشت، لكنها تركتها متجمعة على رموشها السفلية، وقد منعتها كبرياؤها من البكاء في الخلوة.

ابتسمت سيترا قائلة: «لن أختار أحدًا غيرك يا ماري». كانت أول مرة تخاطبها باسمها الأول، وفوجئت سيترا بأن مخاطبة المنجل باسمها الأول بدا لها أمرًا طبيعيًّا تمامًا.

وفي أثناء انتظارهما انعقاد الخلوة، جاء عدة مناجل ليلقوا عليهما التحية، لم يتحدث أحد عن اعتقال سيترا، ولا عن هروبها إلى إقليم شيليأرجنتين، لكن بعضهم مزح مع ماري بشأن صفحة المذكرات المُحرِجة.

قال المنجل توين مازحًا: «في عصر الفانين كان القتل دائمًا ما يرافق قصص الحب، ربما نجح عزيزنا المنجل فاراداي في إحكام شباكه حولك».

قالت كوري: «أوه، اذهب واقطف نفسك». وقد أخفت ابتسامتها جزئيًا.

قال المنجل توين: «سأقطف نفسي لو أمكنني حضور جنازتي يا عزيزتي». ثم تمنى لسيترا حظًا موفقًا وتهادى مبتعدًا.

وعندئذٍ رأت سيترا روان يدخل إلى الصالة المستديرة، لم يخيم الصمت على القاعة، لكن الأصوات خفتت إلى درجة ملحوظة، ثم تصاعدت. صار يملك حضورًا طاغيًا، لكنه لا يشبه المناجل في شيء. ربما يكون منبوذًا، لكن لم يحدث أن كان لأي منبوذ تأثير قوي كهذا على سادة الموت. بعض الناس قالوا إن روان قتل أولئك المناجل الأربعة بدم بارد، وأضرم النيران ليخفي الأدلة، وقال آخرون إنه كان محظوظًا بنجاته وعدم إحساسه بالذنب. وخمنت سيترا أن الحقيقة، أيًا كانت، أعقد مما يقوله الفريقان.

قالت المنجل كوري عندما رأت سيترا تنظر إلى اتجاهه: «لا تتكلمي معه، ولا تدعيه يراكِ تنظرين ناحيته. أي تواصل بينكما سيصعِّب الأمور عليكما».

أقرَّت سيترا: «أعرف». لكن في قرارة نفسها كانت تأمل أن يتهور روان ويشق طريقه بين الحشد إليها، وربما يقول لها كلامًا، أي كلام، يثبت لها أنه ليس المجرم الفظيع الذي يتحدث عنه الناس.

إذا وقع الاختيار عليها اليوم، فلن تتحدى المرسوم الذي يقتضي قطف روان، لكنها أعدَّت خطة ربما تنقذ كليهما، ليست خطة مضمونة، والحقيقة المُرَّة أنها ليست خطة فعلًا، إنما أقرب إلى التعلق بقشَّة، لكن حتى بصيص الأمل هذا أفضل من عدمه. وإذا كانت توهم نفسها، فهذا الوهم سيمكِّنها على الأقل من اجتياز هذا اليوم المنذِر بالسوء.

كان روان قد تخيل هذا اليوم في ذهنه عدة مرات من بدايته إلى نهايته، كما قرر أنه لن يقترب من سيترا عندما يراها. لم يكن يحتاج إلى مرشد ليقول له إن هذا هو الأفضل. فليظلا بعيدين عن بعضهما حتى تفرق لحظة الحقيقة القاسية بينهما إلى الأبد.

كان روان متأكدًا من أنها إذا فازت فستقطفه، فهي مُلزَمة بقطفه. سيكون قطفه فاجعًا لها، لكن في النهاية ستفعل ما يجب فعله. تساءل عن الكيفية

التي ستؤدي بها المهمة. ربما ستكسر عنقه، وتنهي تلمذتهما المشؤومة نهاية بسيطة.

أقر روان لنفسه بأنه يخشى الموت، لكنه كان أشد خشية للحضيض الذي عرف أنه قادر على الانحدار إليه، فالسهولة التي جعل بها أمَّه شِمِيَّة في اختبار الليلة الماضية أفصحت عن الكثير من التغيرات التي اعترته، وفضَّل أن يُقطَف على أن يكون ذلك الشخص.

من الوارد بالطبع أن يقع الاختيار عليه بدلًا من سيترا، وعندئذٍ ستكون الأمور أكثر تشويقًا. قرر أنه لن يقطف نفسه، فهذا فعل مثير للشفقة ولا جدوى منه. إذا نُصِّب فسيتحدى المرسوم، ويلجأ إلى الوصية العاشرة، التي تنص صراحة على أنه غير ملزَم بأي قوانين غير الوصايا العشر، بما فيها أي مرسوم تصدره هيئة المناجل. سيرفض قطف سيترا، ويدافع عن حياتها بالقضاء على أي منجل يحاول قطفها بدلًا منه، سيدافع عنها بالرصاص والنصال ويديه العاريتين، سيحوِّل الخلوة إلى أرض معركة دموية وحشية حتى يتغلبوا عليه، الأمر الذي لن يكون سهلًا بالنظر إلى مدى براعته في المهارات القتالية ومدى استعداده لإحداث الفوضى العارمة مهما كلفه الأمر. والمفارقة هي أنهم لن يقدروا على قطفه جراء ما سيفعله! فحالما يُنصَّب سيصيرون مقيَّدين بالوصية السابعة.

لكن بمقدورهم معاقبته.

قد يحكمون عليه بالموت ألف موتة ثم الزج به في سجن إلى الأبد، إلى الأبد بمعنى الكلمة، لأنه لن يُشعِرهم بالرضا بقطف نفسه أبدًا. وهذا سبب آخر يجعله يفضِّل أن تقطفه سيترا. موتة واحدة على يديها القديرتين بدت له أفضل بكثير من الخيارات الأخرى.

كانت مائدة الإفطار في الصالة المستديرة مترَفة، اشتملت على شرائح سلمون حقيقي مدخَّن، وخبز مقرمش فاخر، وكعك وافل بكل النكهات التي يمكن تخيلها. لا شيء سوى الأفضل لمناجل وسطمريكا.

التهم روان الطعام بشراهة نادرة في ذلك الصباح، وأشبع شهيته إشباعًا تامًّا لأول مرة. وفي أثناء أكله اختلس بضع نظرات ناحية سيترا، وحتى عندئذٍ بدت متألقة في نظره، واستسخف فكرة أنه ما زالت تراوده أفكار رومانسية تجاهها في هذه الساعات الأخيرة. ما كان حُبًّا ذات يوم تحول إلى استسلام

قلبٍ انفطر منذ أمد بعيد. ومن حسن حظ روان أن قلبه تحجَّر، وتصدُّعاته لم تعد تؤلمه.

حالما انعقدت الخلوة، وجدت سيترا نفسها ساهية عن معظم الطقوس الصباحية، واختارت أن تشغل ذهنها بذكريات الحياة التي توشك على تركها خلفها، لأنها ستتركها حتمًا، بطريقة أو بأخرى. ركزت على ذكريات والديها، وشقيقها، الذي ما يزال في مركز إنعاش.

إذا نُصِّبت اليوم، فالبيت الذي ترعرعت فيه لن يكون بيتها أبدًا، وسيكون عزاؤها الأكبر هو أن بن ووالديها سيحظون بحصانة من القطف ما دامت هي على قيد الحياة.

بعد ذِكر الأسماء وطقس غسل الأيدي، كُرِّست الفترة الصباحية بأكملها لنقاش حامٍ بشأن فرضَ حظر استخدام النار وسيلةً للقطف.

في العادة لم يكن النصل السامي زينوقراط يفعل شيئًا سوى إدارة النقاشات وتأجيلها إلى موعد لاحق، وحقيقة أنه كان يؤيد الحظر كانت أمرًا أخذه جميع الحضور على محمل الجد، ورغم هذا كانت أصوات المعارضة قوية.

تذمَّر أحد المناجل: «لن أسمح بالدَّوْس على حقي في حمل الأسلحة! كل واحد منا يجب أن تُكفَل له حرية استخدام قاذفات اللهب والمتفجرات وأي أداة تسبب الحريق!».

قُوبِل كلامه بصيحات الاستهجان والتصفيق في آنٍ واحد.

أصرَّ زينوقراط: «نحتاج إلى هذا الحظر من أجل حماية أنفسنا من الحوادث المأسَوية مستقبلًا».

صاح أحدهم: «لم يكن حادثًا!». ونصف الحضور في القاعة تقريبًا عبَّروا عن موافقتهم بمرارة. نظرت سيترا إلى روان، الذي كان يجلس وعن جانبيه مقعدان شاغران ما زالا مخصَّصين للموتى. لم يحرك روان ساكنًا ليدافع عن نفسه أو ينفي الزعم.

مالت المنجل كوري مقتربة من سيترا وقالت: «رغم فظاعة الحريق، كثير من المناجل سعيدون بغياب غودارد وأتباعه عن هيئة المناجل إلى الأبد، إنهم مسرورون بوقوع الحريق، رغم أنهم لن يعترفوا بهذا أبدًا، سواء كان الحريق حادثًا أو بفعل فاعل».

قالت سيترا: «كما يوجد كثيرون آخرون كانوا معجبين بغودارد».

- صحيح. تبدو هيئة المناجل منقسمة بهذا الشأن.

ورغم كل شيء انتصرت العقلانية أخيرًا، وحُظرت النار في وسطمريكا بوصفها وسيلة قطف.

وفي أثناء الغداء، راحت سيترا، التي ما زالت فاقدة الشهية، تشاهد روان من بعيد وهو يلتهم الطعام بشراهة كما فعل في الإفطار، كأنه لا يكترث بأي شيء.

قالت منجل لم تعرفها سيترا: «يعرف أن هذه هي وجبته الأخيرة». فأحست سيترا بالضيق رغم أن من الواضح أن المرأة أرادت إبداء دعمها لها.

ردت سيترا عليها: «هذا ليس من شأنك».

فسارت المنجل مبتعدة وهي في حيرة من أمر عدائية سيترا.

عند السادسة مساءً أُوقفت كل نقاشات الخلوة وبلغ اليوم مرحلته الأخيرة.

أعلن سكرتير الخلوة: «المرشَّحون للمنجلية، انهضوا من فضلكم».

نهض روان وسيترا واندلعت الهمهمات بين المجتمعين.

قال النصل السامي: «ظننت أنهم أربعة».

قال السكرتير: «كانوا أربعة يا صاحب السمو، لكن الاثنين الآخرين أخفقا في اختبارهما النهائي واستُبعِدا».

قال زينوقراط: «طيب، فلنشرع في العمل إذن».

نهض السكرتير وتلا الإعلان الرسمي: «تطلب هيئة مناجل وسطمريكا من روان دانيل داميش وسيترا كيريدا تيرانوفا أن يتقدما للأمام».

تقدم روان وسيترا وهما يثبِّتان نظراتهما على المنجل مانديلا -الذي ينتظرهما أمام المنصة حاملًا خاتمًا واحدًا- إلى صدر قاعة الاجتماعات ليلاقيا مصيرهما، مهما يكن.

إنها لبهجة ممزوجة بالمرارة أن أشاهد ترصيع المناجل المبتدئين الجدد عند نهاية كل خلوة. أحسُّ بالبهجة لأن أملنا معقود عليهم، وما زالت شعلة القيم المثاليَّة التي تحلَّى بها المناجل الأوائل متَّقدة في قلوبهم. وأحسُّ بالمرارة لأنني أعرف أنَّ التعب والسَّأم سينالان منهم إلى درجة تدفعهم إلى إنهاء حيوات أنفسهم، كما فعل جميع المناجل الأوائل.

ورغم هذا تغمرني البهجة كلما رُصِّع مناجل جدد، لأنَّ اللحظة تتيح لي، ولو لوهلة وجيزة، أن أوقِن أننا جميعنا سنختار أن نعيش إلى الأبد.

- من مذكِّرات قطف م. م. كوري

40

التَّنصيب

«مرحبًا يا سيترا، تسرني رؤيتك».

- مرحبًا روان.

قال زينوقراط: «نرجو أن يمتنع المرشحان عن الكلام ويواجها الخلوة».

انقطعت الهمسات والهمهمات الصادرة من المناجل المجتمعين حالما التفت روان وسيترا إليهم. لم يحدث قط أن خيَّم صمت مطبق كهذا على قاعة الاجتماعات. ابتسم روان ابتسامة صغيرة، ليس لأن الوضع مُسلٍّ، إنما لشعوره بالرضا، فكلاهما، جنبًا إلى جنب، كانا محور خطب جلل أخرس ثلاثمئة منجل. رأى روان أن يستمتع باللحظة، مهما كان ما سيحدث لاحقًا.

رسمت سيترا على وجهها تعابير جامدة، كي لا تسمح للأدرينالين الذي يملأ عروقها بالظهور على ملامحها.

أعلن المنجل مانديلا لهما، رغم أن كلامه موجَّه إلى الخلوة كلها: «نظرت لجنة الترصيع إلى مدة تتلمُذكما، وقد استعرضنا أداءكما في الاختبارات الثلاثة، التي أخفقتما في الاختبارين الأولين منها، لكن مع وجود ظروف مخفِّفة في المرتين. وقد كان من الواضح أن دافعكما هو أن يحمي كل واحد منكما الآخر. لكن تجب حماية هيئة المناجل أولًا، بأي ثمن».

صاح أحد المناجل الذين بالخلف: «مرحى! مرحى!».

تابع المنجل مانديلا: «قرار اللجنة لم يكن سهلًا. فلتعلما أننا توخينا الإنصاف التام لكليكما». ثم رفع صوته. «أيها المرشحان للمنجلية، هل ستقبلان بحُكم لجنة ترصيع وسطمريكا؟». سألهما كما لو أن بوسعهما رفض الحكم.

قالت سيترا: «نعم جنابك».

وقال روان: «سأقبل جنابك».

قال مانديلا: «فليعلم الجميع إذن، الآن وإلى الأبد، أن سيترا تيرانوفا ستنال خاتم المنجلية، وتتحمل العبء الذي يرافق الخاتم».

ضجت القاعة بالهتافات، ليس من مؤيِّدي سيترا المعروفين فحسب، بل من الجميع تقريبًا، حتى الذين كانوا متعاطفين مع روان استحسنوا قرار اللجنة. ففي نهاية المطاف لم يبقَ لروان مؤيد في هيئة المناجل، حتى الذين كانوا معجبين بغودارد صاروا يمقتون روان، وكل من أحسن الظن به صار يميل إلى سيترا. لم يتضح إلَّا الآن أن سيترا نُصِّبت حالما هلك غودارد وأتباعه في الحريق.

قال روان في خضم هدير الحشد المغتبط: «تهانيَّ يا سيترا، كنت أعرف أنك ستنجحين».

وجدت سيترا نفسها عاجزة عن الرد عليه، حتى عن النظر إليه.

التفت المنجل مانديلا إليها سائلًا: «هل اخترتِ قدوتك التاريخية؟».

- نعم جنابك.

- إذن خذي هذا الخاتم الذي أمده لك، وضعيه حول إصبعك، وأعلني لهيئة مناجل وسطمريكا وللعالم من... أنتِ... الآن.

أخذت سيترا الخاتم ويداها ترتعشان بشدة حتى كادت أن تُسقطه، ووضعته حول إصبعها، ووجدته يناسب حجم إصبعها، وأحست به ثقيلًا على إصبعها وأحست ببرودة الذهب الذي حول إطاره، لكن سرعان ما دفَّأته حرارة جسدها. رفعت يدها كما رأت المرشحين الذين يُنصَّبون يفعلون، وقالت: «أختار أن يُطلق عليَّ اسم المنجل أناستازيا، تيمُّنًا بأصغر أفراد عائلة رومانوف».

التفت المناجل إلى بعضهم، وراحوا يناقشون اختيارها فيما بينهم.

قال النصل السامي وعدم الرضا بادٍ عليه: «لا يمكنني قول إن هذا اختيار ملائم يا آنسة تيرانوفا، قياصرة روسيا كانوا معروفين ببذخهم ولم يساهموا في تقدم الحضارة البشرية، وأناستازيا رومانوف لم تنجز شيئًا يُذكَر في حياتها القصيرة».

قالت سيترا وهي تبادله النظرات: «ولهذا تحديدًا اخترتها، خرجتْ من رحم نظام فاسد، لذا حُرمت من حقها في الحياة، مثلما كاد أن يحدث معي».

اكفهر وجه زينوقراط قليلًا، وتابعت سيترا: «إذا عاشت من كان ليدري ما قد تحققه، ربما لغيرت العالم واستردت مكانة عائلتها. قررت أن أكون المنجل أناستازيا، وأتعهد بأن أصبح التغيير الذي كان يمكن أن يحدث».

أطال زينوقراط النظر إليها، ولاذ بالصمت. ثم نهضت إحدى المناجل وبدأت التصفيق، المنجل كوري، وانضم إليها منجل آخر، ثم آخر، وسرعان ما وقف جميع أفراد هيئة المناجل، احتفاءً بالمنجل أناستازيا التي نُصِّبت للتو.

***

كان روان يعرف أنهم اتخذوا القرار الصحيح. وعندما سمع سيترا تدافع عن اختيارها لقدوتها التاريخية، ازداد إعجابه بها، ولو لم يكن واقفًا سلفًا لوقف وصفق لها أيضًا.

وبعدما خفت الضجيج وجلس المناجل، التفت المنجل مانديلا إلى سيترا قائلًا: «تعرفين ما عليك فعله».

- أعرف جنابك.

- ما الوسيلة التي اخترتِها؟

- النصل. أديتُ العديد من اختباراتي بالنصل، وينبغي ألّا أغير وسيلتي الآن.

وبالطبع كانت توجد صينية سكاكين جاهزة على مقربة لكن بعيدًا عن الأنظار، فجلبها منجل مبتدئ نُصِّب قبل وقت ليس بالطويل في خلوة الحصاد.

راح روان يشاهد سيترا مشاهدة لصيقة، لكنها لم تنظر إليه، نظرت إلى صينية السكاكين، وأخيرًا وقع اختيارها على مدية بغيضة الشكل، وقالت: «استخدمت واحدة مثل هذه لقتل شقيقي البارحة، وأقسمت إنني لن ألمسها أبدًا، لكن هأنذا».

سألها روان: «كيف حاله؟». وأخيرًا نظرت إليه، فرأى في عينيها خوفًا، وحزمًا أيضًا. فقال لنفسه: جيد، *فلتكن حازمة، حتى ننتهي سريعًا.*

قالت: «ما زال قيد الإنعاش، وسيجد حلوى القَدح في انتظاره عندما يستيقظ».

- هنيئًا له.

نظر روان إلى مرثاة المناجل الضخمة. وفي هذه اللحظة لم يبدوا كهيئة مناجل في خلوة، إنما بدوا كجمهور. قال: «إنهم ينتظرون عرضًا، هلَّا قدمناه لهم؟».

أومأت سيترا إيماءة خفيفة.

فقال روان متأثرًا تأثُّرًا صادقًا: «القطف على يديك شرف لي أيتها المنجل أناستازيا».

ثم أخذ نفسًا أخيرًا واستعد لتلقي مديتها، لكن سيترا لم تكن مستعدة لغرز نصلها بعد، ونظرت إلى الخاتم الذي في يدها الأخرى.

وقالت: «هذه لأنك كسرت عنقي». وهوت بقبضتها على وجه روان بلكمة قوية كادت أن تسقطه، فصدرت شهقة جماعية من الحشد، فهذا أمر لم يتوقعوه.

رفع روان يده ليتحسس الدماء المتدفقة من جرح غائر أحدثه الخاتم على خده.

وأخيرًا رفعت سيترا المدية لتقطفه، لكن ما إن أوشكت على غرزها في صدره، حتى سمعت صيحة من المنصة خلفهما.

«توقفي!».

كان الخبير القانوني، رفع خاتمه الذي يتوهج بلون أحمر، كما توهج خاتم سيترا. وعندما نظر روان إلى ما حوله رأى أن كل خاتم منجل على نطاق عشر ياردات يصدر الوهج التحذيري نفسه.

قال الخبير القانوني: «لا يُمكن قطف روان؛ لديه حصانة».

اندلع هدير غضب من المناجل المحتشدين. نظر روان إلى خاتم سيترا الملطَّخ بدمائه، وقد نقل حمضه النووي إلى قاعدة بيانات الحصانة بفاعلية

أفضل مما لو كان قد قبَّله، فابتسم لها مبهورًا: «أنت عبقرية يا سيترا، أتعرفين هذا؟».

أجابته: «عليك أن تخاطبني بالمنجل المبجلة أناستازيا، ولا أعرف ما تتكلم عنه. ما فعلتُه لم يكن مقصودًا». لكن وميضًا في عينيها دلَّ على العكس.

زعق زينوقراط وهو يهوي بمطرقته: «هدوء! آمركم بالتزام الهدوء والنظام!».

هدأ المناجل قليلًا، ولوَّح زينوقراط بإصبعه مُتَّهِمًا: «سيتـ... أعني المنجل أناستازيا، لقد خرقتِ مرسوم هيئة المناجل خرقًا سافرًا!».

- لم أخرقه يا صاحب السمو، كنت على أهبة الاستعداد لقطفه، وخبيرك القانوني هو الذي أوقفني. لم يخطر لي قط أن ضرب روان سيجعله ينال الحصانة.

رمقها زينوقراط بنظرة عدم تصديق، ثم أطلق قهقهة مريرة حاول كبتها لكنه عجز، وقال: «إنك ماكرة وواسعة الحيلة، وقد وجدتِ ثغرة تتيح لك مصداقية الإنكار. لا خوف عليك بيننا يا منجل أناستازيا». ثم التفت إلى الخبير القانوني وسأله عن الخيارات المتاحة.

أجاب: «أقترح السجن لمدة سنة، إلى أن تنتهي مدة حصانته».

سأل منجل آخر: «هل ما يزال يوجد مكان يمكن سجن شخص فيه رسميًّا؟». ثم بدأ المناجل في جميع أنحاء قاعة الاجتماعات يصيحون باقتراحاتهم، حتى إن بعضهم عرضوا أن يوضع روان قيد الإقامة الجبرية في منازلهم، وهذا قد يكون جيدًا أو سيئًا، وفقًا لدوافعهم.

وعندما تحول النقاش إلى شد وجذب بشأن كيفية التعامل مع روان في المستقبل المنظور، مالت سيترا مقتربة منه وهمست: «توجد صينية سكاكين بجوارك، وسيارة بانتظارك عند المخرج الشرقي». ثم ابتعدت عنه، تاركةً مستقبله بين يديه.

كان روان يظن أن إعجابه بها قد بلغ منتهاه، وها هي قد أثبتت خطأ ظنه للتو.

قال لها: «أحبك».

أجابته: «الشعور متبادل. والآن اغرب عن وجهي».

كان رائعًا في هروبه. أخذ ثلاثة سكاكين من الصينية، وبطريقةٍ ما تمكن من استخدامها كلها. لم تحرك المنجل أناستازيا ساكنًا لإيقافه، لكن حتى إذا حاولت لما نجحت. تحرك روان بسرعة فائقة، قذف بنفسه كأنه كرة نارية في الممر الأوسط، وهرع المناجل الأقرب إليه محاولين إيقافه، لكنه ركل وراوغ ودار حول نفسه وأعمل نصاله، فلم يتمكن أحد من المساس به. وبدا للمنجل أناستازيا كإحدى قوى الطبيعة الفتاكة. من بين المناجل الذين اعترضوا طريقه، نجا المحظوظون منهم بأقل الخسائر، عباءات ممزَّقة، والأقل حظًّا وجدوا أنفسهم مصابين بجراح لم يعرفوا كيف أُصيبوا بها، وأحدهم، تراءى لسيترا أنه المنجل إميرسون، سيتطلب علاجه رحلة إلى مركز إنعاش.

ثم اختفى روان، تاركًا الهرج والمرج في أعقابه.

وفي أثناء انشغال النصل السامي بمحاولة استعادة النظام، نظرت المنجل أناستازيا إلى يدها، وفعلت شيئًا من الغريب جدًّا أن يفعله أي منجل، قبَّلت خاتمها، وطبعت على شفتيها قدرًا ضئيلًا من دم روان، ما يكفي لتتذكر هذه اللحظة إلى الأبد.

وجد روان السيارة في انتظاره، كما قالت سيترا، وظن أنه سيجدها سيارة عامة، وأنه سيكون وحده، لكنه كان مخطئًا.

حالما ركب السيارة رأى شبحًا جالسًا على مقعد السائق، وبعد كل ما مر به في يومه، كانت هذه اللحظة هي التي كادت أن توقِف قلبه.

قال المنجل فاراداي: «مساء الخير يا روان، أغلق الباب، البرد قارس بالخارج».

قال روان محاوِلًا استيعاب ما يجري: «ماذا؟ كيف ما تزال على قيد الحياة؟».

- يمكنني أن أطرح عليك السؤال نفسه، لكن الوقت يداهمنا، والآن أغلق الباب من فضلك.

أغلق روان الباب، وانطلقا مسرعَين وتلاشيا في ليل فولكرم سيتي وصقيعها.

هل من عدوٍّ أخطر على الإنسان من نفسه؟ في عصر الفانين كان يحارب بعضنا بعضًا بلا كلل أو ملل، وعندما يتعذَّر افتعال الحروب تندلع أعمال العنف في شوارعنا ومدارسنا ومنازلنا إلى أن تُحوِّل الحرب أنظارنا إلى الخارج مرة أخرى، فيصير العدو بعيدًا إلى درجة مريحة لنا.

لكن شتَّى ضروب النِّزاعات هذه صارت شيئًا من الماضي، إذ عمَّ السَّلام الأرض، وساد التَّصالح بين البشريَّة جمعاء.

باستثناء...

دائمًا ما يوجد استثناء. لم يمضِ وقت طويل منذ أن أصبحت منجلًا، لكن بوسعي رؤية أنَّ هيئة المناجل عُرضة لخطر أن تكون الاستثناء، ليس هنا في وسطمريكا فحسب، إنما في جميع أنحاء العالم.

كان المناجل الأوائل أصحاب بصيرة نافذة، وفطِنوا إلى حكمة الاستمرار في مراكمة الحكمة، وفهموا ضرورة أن تظل روح المنجل نقيَّة، لا يشوبها الحقد والجشَع والكبرياء، وذات ضمير يقِظ. بيد أنَّ التآكل ينخر أمتن الأساسات.

إذا أصاب العطب ضمير هيئة المناجل، وحلَّ محلَّه جشع السَّعي وراء الامتيازات، فسنصبح ألدَّ أعداء أنفسنا مرة أخرى. ومما سيزيد الطين بلَّة دخول تعقيدات جديدة على هيئة المناجل كل يوم، فلنأخذ على سبيل المثال الإشاعة الأخيرة، التي انتشرت إلى خارج هيئة المناجل منذ تنصيبي وتفشَّت بين العامة.

الإشاعة مفادها وجود شخص يبحث عن المناجل الفاسدين الدنيئين... وينهي وجودهم مستعينًا بالنار، الأمر الوحيد المؤكد هو أنَّه ليس منجلًا مُنصَّبًا، ورغم هذا بدأ الناس يطلقون عليه اسم المنجل لوسيفر..

يرعبني أن يكون هذا الكلام حقيقة، لكن ما يرعبني أكثر هو أنني ربما أرغب في أن يكون حقيقة.

لم أرغب قط في أن أكون منجلًا، وأفترض أنَّ عدم رغبتي قد تعني أنني من الأخيار، لا أعرف بعد، ربما لأنني ما زلت حديثة عهد بالمنجليَّة وأمامي الكثير مما عليَّ تعلُّمه. يتوجَّب عليَّ في الوقت الراهن أن أُكرِّس كامل تركيزي على القطف بتعاطف وضمير يقظ، أملًا في المساعدة على أن يظل عالمنا المثالي مثاليًّا.

وإذا صادفني المنجل لوسيفر يومًا، آمل أن يراني من ضمن الأخيار، كما رآني ذات يوم.

- من مذكِّرات قطف م. م. أناستازيا

عصير الكتب

جميـع الحقوق محفوظة ©

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

المنجل
Scythe

عالمٌ بلا جوع أو أمراض أو حروب، تغلّب البشر على جميع أشكال البؤس، حتى إنهم استأصلوا الموت نفسه. والطريقة الوحيدة لموت البشر هي تعرُّضهم إلى القطف، أي القتل. ومهمة السيطرة على عدد السكان تقع على عاتق قِلّة مختارة اسمهم "المناجل"، الذين لهم حرية اختيار قطف مَن يرونه يستحق.

يقع الاختيار على سيترا وروان -دون رغبتهما- ليتتلمَذا على حِرفة سلب حيوات الناس على يد المنجل فاراداي، وهما مدركان أن عاقبة إخفاقهما هي فقدان حياتيهما. ثم يتورطان في صراع على السلطة بين المناجل أصحاب الرؤى المختلفة، ويعرفان أن العالم المثالي الذي يعيشان فيه ضريبته باهظة.

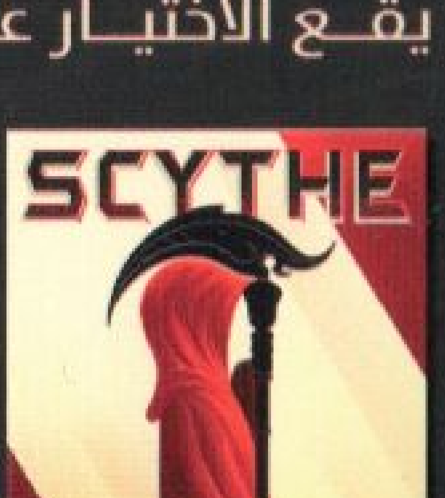

تصميم الغلاف كريم آدم

9 789779 922737

عصير الكتب

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

t.me/twinkling4